مسالك الأبصار
في ممالك الأمصار

لشهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري

(ت ٧٤٩ هـ)

السفر السابع

أهل اللغة والنحو والبيان

تحقيق

عبدالعباس عبدالجاسم

٤١٥,٠٩٢
ف ض م س
ابن فضل الله العمري، شهاب الدين ابو العباس احمد بن يحيى،
٧٠٠-٧٤٩هـ
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: السفر السابع / تاليف ابن فضل الله العمري؛ تحقيق عبد العباس عبد الجاسم.- ابوظبي: المجمع الثقافي،
٢٠٠٢.
٤٠٢ ص.
ببليوجرافية: ص ٣٩٨ - ٤٠١.
يشتمل على كشافات.
١- النحاة العرب.
٢- اللغويون العرب.
أ- عبد العباس عبد الجاسم احمد، ١٩٤٦- ، محقق.
ب- العنوان.

ابوظبي-الإمارات العربية المتحدة
ص.ب: 2380 - هاتف: 6215300
Email:nlibrary@ns1.cultural.org.ae
http:/www.cultural.org.ae

تم تحقيق هذا الكتاب بتكليف من المجمع الثقافي

مسالك الأبصار

في ممالك الأمصار

مسالك الأبصار

في ممالك الأمصار

مقدمـة

لا يغمض لأرباب الأقلام جَفنٌ، ولا يهدأ لهم بالٌ، ولا يَسلُك لهم بَصَر ما لم يروا أن نتاجهم قد اصفَرَّ سُنبلُه، وآتى أُكُلَه، وردَّدت الأروقة رجعَ صدى نتَاجِه من طالبِ العلم فيما كَتَبَه.

ولعمري إنّ هذا الطموح لَهو أحقُّ بما هو مخطوط من تراث الأمم من غيره؛ لأنَّ جهدَ العلوم لا ينمو غرسه إلاّ فيما هو موروث من مداد أولئك الأئمة الأعلام الذين ذابت أفئدتهم، وتقرَّحت أجفانهم بين المحابر والمنابر، ولم تثنِ عزيمتَهم عوادي الزمن، أو غضبُ الأيام؛ وإنَّما كسروا قيود المُحال، وشمَّروا عن سواعد الجدّ، فجادت نفوسهم بزاد المعاد الذي مافتئت الأمم تتبارى متفاخرةً به في ميدان سباق العلوم والآداب.

لقد حقَّ لـ(شهاب الدين أبو العبّاس، أحمد بن يحيى بن فضل الله بن مُجلِّي القرشي العمري الشافعي القاضي الكبير، الإمام الأديب البارع) (٧٠٠ - ٧٤٩هـ) أن تبصر جهوده النور، كما كان يطمح إليها، وعلى وفق مُراده، لكنّما ذلك لم يكن بالأمر اليسير، فالنسخة التي قام عليها التحقيق تناءت عن زمنه، لِمَا خالطها من جهالة لا يمكن أن تكون إلا من فِعل النُسَّاخ المتكسبين في تحرير المخطوطات، ممَّا وقعوا فيه من هَنَات، لا يقوى أحدٌ على أن ينسبها إلى مؤلفها الذي يُشهَدُ له ببراعة الخط، وجودة الأسلوب، والتصرّف الرفيع في صياغة العبارة (المسجوعة) الموشّاة بأبهى الصور البلاغية التي عُهِدت في قلم ابن فضل الله؛ لأنه كان وزيراً للإنشاء، خلَفاً لأبيه، وزير الإنشاء عند حكام مصر آنذاك؛ لذا عجَّت المخطوطة بالكثير من اللحن والخطأ الإملائي، وإهمال النقاط، وإضافة الهمزة إلى كلمة (ابن) الواقعة بين اسم الابن وأبيه، والاستعاضة بالمَدَّة الخنجرية عن الألف في مفردات، وعدم استعمالها في مفردات أُخَرَ، ممّا يدلُّ على أن أقلاماً عديدة تعاورت على نسخ المخطوطة؛ إذ وردت بعض الحروف معجمة تارةً، وغير معجمة تارة أخرى، كالباء والياء والنون والغين؛ وإن كانوا قد توحّدوا في قلب الهمزة ياءً، في مثل: فوايد، ومسايل والسايل.

إن استخلاص المفردات وتحقيقها من قلم ناسخ التوَت حروفه، وتعثَّرت نُقَطُه بعد أن عفت الأيامُ رسومَها، وحارت أنامله بعد أن زاغت عيناه في فكّ طلاسم نسخة اعتمدها لأمرٌ بالغ الصعوبة، بل هو أصعب من خلع ضرس غيرَ مرَّة وإنما هو عند كل مفردة وفي صفحات عديدة؛ لأنَّ الناسخ – كما هو ماثل في المخطوطة – كان ينقل كثيراً من المفردات رسماً من نسخته المعتمدة، ولهذا جاءت كثرة من الأبيات الشعرية، فيما استشهد له ابن فضل الله غير موزونة أحياناً ومبتورة، أو مسطورة من غير تشطير؛ فضلاً عن أنَّ النُتَفَ والمقطوعات الشعرية الواردة في ثنايا المخطوطة لم ينسُب الكثير منها إلى قائليها، ممّا جعلني أجهد في ردِّها إلى أصحابها، ممّن عُرفوا بالشهرة وذيوع الصيت. أما الآيات القرآنية الكريمة فجاءت مبثوثة في ثنايا السطور من دون إسنادها إلى سُورها، الأمر الذي حدا بيَ إلى وضعها بين قوسين صغيرين، مع بيان رقم السورة والآية، وبالنسبة إلى المفردات التي توجَّب إضافتها في التحقيق عضدناها بين عضادتين، فضلاً عن الاهتمام بالشكل والترقيم، مع ضبط القصائد وزناً وشكلاً وإسنادها إلى بحورها.

اختص السفر السابع من «مسالك الأبصار» الذي وقفت على تحقيق نسخته بتراجم أهل النحو وأرباب المعاني والبيان من الجانب الشرقي (العراق)، والجانب الغربي (الأندلس)، ثم مصر، حيث بدأها ابن فضل الله بـ(النَّضْر بنِ شُمَيل) (– ٢٠٤هـ)، وختمها بـ(ابن أبي الإصبع) (–٦٢٤هـ)، وإن كان قد أفاضَ في ترجمة بعض أعلامها، وأوجز (مُقِلاًّ) عند بعضهم، كما هو الحال فيما ذكره عن السكّاكي (–٦٢٦هـ)، حيث لم يتجاوز فيه خمسة الأسطر من دون أن يذكر له مؤلَّفاً، أو إبداعاً واحداً.

لقد أفاض ابن فضل الله في ترجمة (أبو حيان الأندلسي) (–٧٤٥هـ)، وأطنب كثيراً في تدوين قصائده التي كان أغلبها مناجاةً ومساجلاتٍ بينهما؛ ناهيك عن الإطراء والمديح الذي أثنى فيه عليه؛ بوصفه شيخاً من شيوخه الذين درس عليهم، وأتقن صنعة الكتابة بهم. كما أفاض كثيراً في ترجمة ابن المعتز (–٢٤٧هـ) سالكاً درب المؤرخين فيه، ومعرّجاً على ريادته لفنّ البديع، واصفاً إياه – بحقّ – رائداً لهذا اللون من فنون البلاغة، مع عدم

تقصيره فيما دوَّن له من قصائد شعرية عصماء، جادت بأبهى الصور البديعية، ذاكراً له بعض القصائد والمقطوعات الشعرية التي لم يحفل بها محقق ديوانه، الدكتور يونس أحمد السامرائي. ولعلَّ إفاضته في حياة ابن المعتز وشعره له ما ينصفه ويثني عليه؛ وذلك لأنه (= ابن المعتز) عَلَمُ البديع، ومصنّف أبوابه وأشكاله، وصاحب أفضل القرائح نظماً واتِّساق أسلوب، وأمهر الشعراء في خلق الصورة البديعية، الأمر الذي دفع ابن فضل الله إلى أن يُفتي بنزاهة ابن المعتز، وإبعاد كلٍّ ما لا يليق بشخصه، على الرغم ممّا ورد في قصائده التي تعبّر عن حاله وحياته التي تعجّ بما يناقض ذلك.

لقد اعتمد ابن فضل الله في تراجمه على مصادر جعلها مورداً ينهل منه تاريخ مولدهم ووفاتهم، وما يؤثر عنهم بعد أن يفيض بسجعه عليهم؛ فكان (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) لابن خلكان (-٦٨١هـ) المصدر الأول له، واعتمد أيضاً على (تاريخ إربل) لابن المستوفي (-٦٣٧هـ)، لكنَّ إشارات ابن فضل الله لهذا الكتاب فيما حققه الدكتور سامي الصقّار غير واردة، وربَّما يكون لما ورد ذكره من مدوَّنات ابن المستوفي التي ولمَّا تزل تئنُّ من وطأة تراكم غبار السنين ترقب أكفَّ المحققين في إنقاذها. وهو الحال نفسه مع كتاب (بغية الألبّا) الذي ورد ذكره كثيراً، وكان من المكانة في الاعتماد عليه، ممّا يجعله بعد كتاب وفيات الأعيان، إلاّ أن هذا الكتاب مفقود هو الآخر. كذلك اعتمد ابن فضل الله على كتاب (خريدة القصر وجريدة العصر) لعماد الدين الأصبهاني (-٥٩٧هـ)، الذي حقَّقه الأستاذ محمد بهجت الأثري.

جاءت المخطوطة التي عُني بإحياء إصدارها الأستاذ فؤاد سزكين، من معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في جامعة فرانكفورت - ألمانيا الاتحادية -، وقد بدأت بعبارة: (وأمّا مَن حفظ ألسنة العرب، وسعى في تحصيل لغاتها، وانتهت بعجز بيت مقطوعة شعرية: (ولكنَّه من مقتلي سرق المعنى) لابن أبي الإصبع، ولم يرد فيها من البياض إلا القليل، ولم يكن فيها من (خَرْم) الصفحات، وكان تعداد صفحاتها ثلاثمئة وأربعاً وخمسين صفحة. في كل صفحة عشرون سطراً، وفي كل سطر عشر كلمات، قياس كل صفحة ثمانية عشر سنتمتراً

طولاً، وأحدَ عشرَ سنتمتراً عَرضاً، ربط فيها ابن فضل اللّه بين تراجمه بكلمة (ومنهم)، مع الإشارة إلى ما نقله كثيراً بكلمة : قال ابن خلكان، وقال ابن المستوفي، وجاء في بغية الألبّا.

لقد حرصت كثيراً على إنعام النظر وإمعانه في كل مفردة، عصيَّةً كانت أم يسيرة في أثناء التحقيق لهذه المخطوطة؛ لكنّما لا أبرىء نفسي من الوقوف عند فهم بعضها، ممّا كان لا يقصده ابن فضل الله، وهذا أمرٌ غير غريب على المحققين كافة، ولا سيمّا في كلامه المسجوع الذي بدأ به ترجماته إلاّ أنَّ ذلك لا يضاهي النهوض بالكشف عنه وتحريره، مما يدعو الباحث والقارئ على حدٍّ سواء إلى إسداء الشكر والعرفان للجهود القيّمة التي عُني بها المجمع الثقافي في أبوظبي، لحرصه واهتمامه بإحياء التراث العربي والسعي الحثيث لدى القائمين عليه في البحث عن مكنونات كنوز التراث العربي الإسلامي لتبصر النور ثانيةً، ولتأخذ دورها في تبصرة الجيل القادم بما له من أهمية في إنهاض أسباب المعرفة.

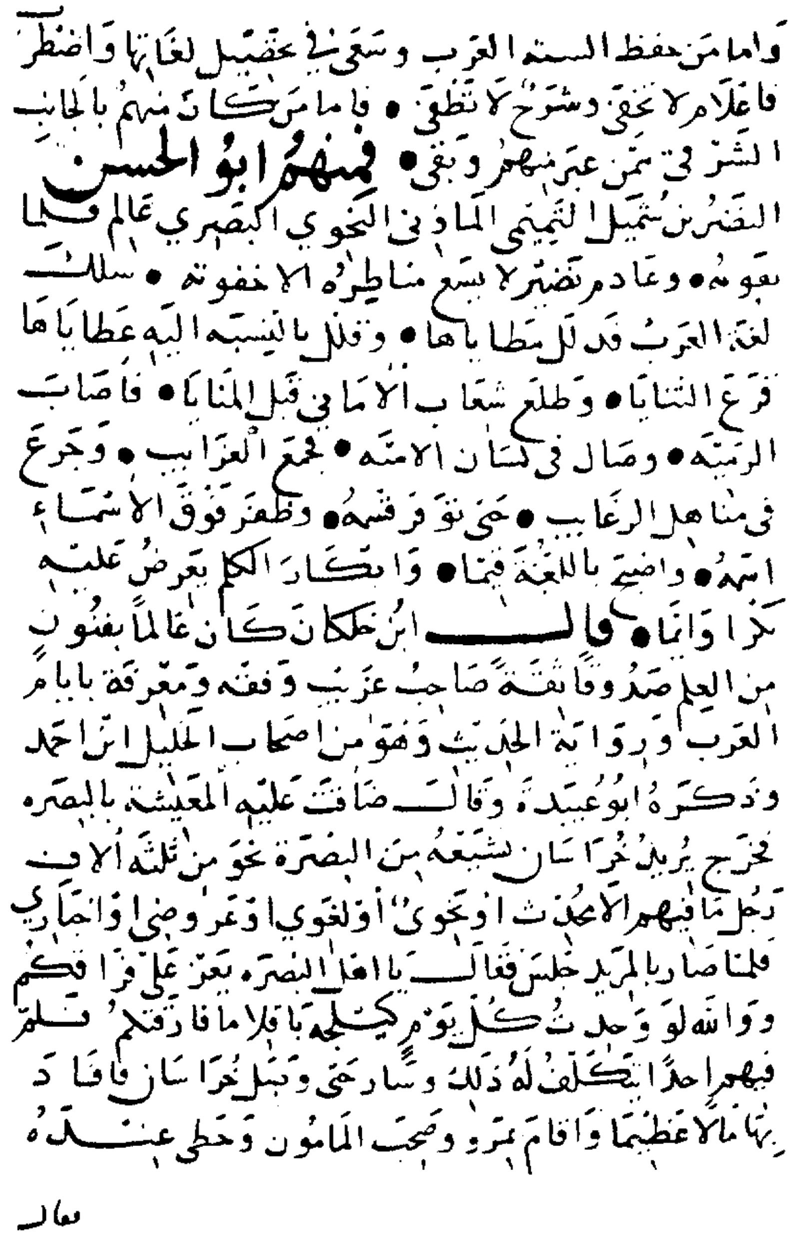
ولا يفوتني أن أثني على جهود ذلكم الفريق الذي ظل يؤازر أقلام التحقيق، ويمدها بالعون على الوصول إلى أمهات الكتب ومصادرها من أجل التثبت والتوثيق.

واللّه أسأل التوفيق والسَّداد، إنّه نعم المولى، ونعم النصير.

عبدالعباس عبدالجاسم

أبوظبـــي

١٢ / آب / ٢٠٠١



واما من حفظ السنة العرب وسعى في تحصيل لغاتها واضطر
فاعلام لا تخفى وشروح لا تطوى . فاما من كان منهم بالجانب
الشرقي ممن عمر منهم وبقي . فمنهم ابو الحسن
النضر بن شميل التميمي المازني النحوي البصري عالم فيما
يقوله . وعادم نظير لا يسع ما يطويه الا خفوته . سلك
لغة العرب قد ذلل مطاياها . وقلل بالنسبة اليه عطاياها
قرع الثنايا . وطلع شعاب الاماني قبل المنايا . فاصاب
الرميه . وصال في لسان الامه . بجمع الغرايب . وجرع
في مناهل الرغايب . حتى نوه رفيعه . وظفر فوق الاسماء
اسمه . واضحى باللغة فيما . وا يكاد الكلم يعرض عليه
كذا وانا . قال ابن خلكان كان عالما بفنون
من العلم صدوقا ثقة صاحب غريب وفقه ومعرفة بايام
العرب ورواية الحديث وهو من اصحاب الخليل بن احمد
وذكره ابو عبيدة . وقال ضاقت عليه المعيشة بالبصره
فخرج يريد خراسان فشيعه من البصرة نحو من ثلثة الاف
رجل ما فيهم الا محدث او نحوي او لغوي او عروضي واخباري
فلما صار بالمربد جلس فقال يا اهل البصره يعز علي فراقكم
ووالله لو وجدت كل يوم كيلجه باقلا ما فارقتكم فلم
يكن فيهم احدا يتكلف له ذلك وسار حتى وصل خراسان فافاد
بها مالا عظيما واقام بمرو وصحب المامون وحظي عنده

فقال

الورقة الأولى من المخطوطة

شكى البحار ببطن الأرض تحبسه عساه تطلق فاهتزت بشكواه
وكانت الأرض كالحبلى إذا اضطلع الجنين في جوفها تهتز إعلالا

وقوله

قلت إذا زلزلت الأرض وما فوقها للعهد الآن تنقض
حمت الدنيا من الغيظ على ساكنيها فاعتراها نافض

وقوله

قامت إلى شمعة في الليل تصلحها بلا مقط فطارت مهجتي وفنا
فأذكرتني وقالت لا تخف لهبا على بنان من الياقوت قد خلقا

وقوله

أظن جار العامرية قد ظننا وحاشاه لكن ليس يبلى مقلة وسنا
وكيف يزور الطيف صبا مراقب النجوم إذا ما ليله موهنا جنا
سيبرى ما للطيف ذنب لأنه رأى خدنه وهو الكرى قد جفا الجفنا
وكم ليلة قاومته أن يلم بي إذا ما هدى ليلى فعن وما عنا
فأهدى لنا في الحضر بادية الفلا بها الشرب من ولدا الضراغم قد رعنا
فقصدنا غزالا أعلقته حبائل المنام ولولا أخته ما تجنا منا

ومنها

بكيت فنادى أتبكي وبيننا بحكم التداني قاب قوسين أو أدنى
فقلت كذا كنا بمنعرج اللوى ولكنا من بعد ذلك تفرقنا
رأيت نعيه إذ تبسم أدمعا فقلت وفي بي إذ بكى لمه حزنا
أجاد له في النظم شاعر ثغره ولكنه من مقلتي سرق المعنى

آخر الجزء الرابع ويتلوه في الخامس إن شاء الله تعالى فأما طوله الغفرا
فلا منه دوى القلوب ونقاضا المحبوب

الورقة الأخيرة من المخطوطة

[أهل اللغة بالجانب الشرقي]

١ - النضر بن شميل(*)

وأمّا من حفظ ألسنة العرب. وسعى في تحصيل لغاتها واضطرب فأعلام لا تخفى، وسُرُجٌ لا تُطفَى. فأمّا من كان منهم بالجانب الشرقي، ممَّن غبرَ منهم وبقي، فمنهم أبو الحسن النضر ابن شُميل التميمي المازني النحوي البصري، عالم قلّما بقوته، وعادم نضير لا يسع مناظره إلا خفوته، سلك لغة العرب فذلَّل مطاياها، وقلَّل بالنسبة إليه عطاياها. ترع الثنايا، وطلع شِعاب الأماني قبل المنايا، فأصاب الرمية، وصال في لسان الأمّة، فجمع الغرائب، وجرع في مناهل الرغائب، حتى توفَّر قيسمه، وظفر فوق الأسماء اسمه، وأصبح باللغة قيّما، وأبكارَ الكلم يَعرض عليه بكراً وأيّما(١).

قال ابن خلّكان(٢): كان عالماً بفنون من العلم صدوقاً ثقةً، صاحب غريب وفقه ومعرفة بأيام العرب، ورواية الحديث، وهو من أصحاب الخليل بن أحمد وذكره أبو عبيدة(٣)، وقال: ضاقت عليه المعيشة بالبصرة فخرج يريد خراسان، يُشيّعه من البصرة نحوٌ من ثلاثة آلاف رجل ما فيهم إلاّ محدّث أو نحوي، أو لغوي أو عروضي أو أخباري. فلمّا صار بالمِربَد جلس، فقال: يا أهل البصرة يعزّ عليَّ فراقكم، ووالله لو وجدت كل يومٍ كيلجة(٤) باقلاّء ما فارقتكم، فسلّم فيهم أحداً يتكلّف له ذلك، وسار حتى وصل خراسان فأفاد بها مالاً

(*) ترجمته في: تاريخ العلماء النحويين، ٨٩، وإنباه الرواة ٣/ ٣٤٨، وإشارة التعيين ٣٦٤، ونزهة الألبا ٧٣، والأعلام ٣/ ٣٥٧. توفي سنة ٢٠٤هـ.

(١) الأيم: الأيّم من النساء التي لا زوج لها، بكراً كانت أو ثيباً. اللسان (أيم) ١/ ٢٨٩.

(٢) وفيات الأعيان ٥/ ١٩٧.

(٣) أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (– ٢٢٠هـ)، يرد ذكره في الكتاب لاحقاً.

(٤) كيلجة: مكيال، والجمع كيالج وكيالجة، اللسان (كلج) ١٢/ ١٣٩.

عظيماً، وأقام بمرو، وصحب المأمون[١]، وحظي عنده فقال المأمون له يوماً: حدَّثنا هُشَيم[٢] عن مُجَالِد عن الشعبي عن ابن عباس، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سَداد من عوز (بفتح سين سداد). فأعاد النضر الحديث بكسر السين، فاستوى المأمون جالساً وقال: يا نضر أتلحَنُني؟ فقال: إنما لَحَنَ هُشَيم، فتبع أمير المؤمنين لفظه. فقال: ما الفرق بينهما؟ فقال: السَداد بالفتح في الدَّين والسَبيل والسِّداد بالكسر، البلغة[٣]، وكلّما سدد به شيئاً فهو سِداد (بالكسرة).

وأنشد من عمرو العرجي[٤]: [الوافر]

أضاعوني وأيَّ فتى أضاعوا ليوم كريهة وسِداد ثغر

فأمرله المأمون بخمسين ألف درهم.

سمع الحديث، وسمع من هشام بن عروة، وإسماعيل بن أبي خالد وحُميد الطويل، وعبيد الله بن عوف، وهِشام بن حسان وغيرهم من التابعين. وروى عنه يحيى بن معين، وعلي ابن الديني، وكل من أدركه من أئمة عصره.

ودخل نيسابور غيرمرّة، وأقام بها زماناً، وسمع منه أهلها. وله تصانيف كثيرة مفيدة، وتوفي سَلْخَ ذي الحجة سنة أربع ومئتين بمرو، من خراسان وبها وُلد، وإنما نشأ بالبصرة فكذلك نُسب إليها.

---

(١) الخليفة العباسي، ابن هارون الرشيد.

(٢) هو هشيم بن بشير بن القاسم السلمي (– ١٩٣هـ).

(٣) ورد في إنباه الرواة: (والسِّداد بالكسر: من الثغر والثلمة) ٣ / ٣٥٠. ولعله تحريف الناسخ في المخطوطة.

(٤) العرجي، عبدالله بن عمرو بن عثمان، أشعر شعراء بني أمية، كان حيّاً سنة ١٢٠هـ. معجم المؤلفين ٦ / ٩٥.

ومنهم:

٢- أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي(*)

بالولاء، تيم قيس، البصري النحوي العلاّمة، وافته كرائم العرب فجدّد إحسانها، وأكدّ أحصَانهَا. هذا ولم ينزل بهدونها(١) ولا قنع بهَونها، وإنّما اقتطفها قطف الثمار، وكشفها كشف الخمار. وكان أوسع القوم روايةً وأرفعهم راية. وقف مع النقل، وقام فيه بالفرض والنَّفل، فأخذ باللغة وترائِبها(٢)، وبلغ قصارى مراتبها ثم دوَّن غريبَها، ودوّر على السنة قريبها. قال الجاحظ في حقه: لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم منه. وقال ابن قتيبة: كان الغريب أغلب عليه وأخبار العرب وأيامها، وكان مع معرفته ربَّما لم يُقم البيت إذا أنشده حتَّى يكسرهُ، وكان يخطئ إذا قرأ القرآن، وكان يبغض العرب، وألّف في مثالبها كتباً، وكان يقوّي رأي الخوارج.

وقال غيره: أقدمه الرشيد من البصرة إلى بغداد سنة ثمان وثمانين ومئة وقرأ عليه وأسند الحديث إلى هشام بن عروة وغيره، وروى عنه ابن المغيرة الأثرم، وأبو عبيد القاسم بن سلاَّم، والمازني والسجستاني، وعمرو بن شيبة النميري وغيرهم.

وقال أبو عبيدة: أرسل إليَّ الفضل بن الربيع إلى البصرة في الخروج إليه، فقدمت عليه، وكنت أُخبَر عن تجبّره، فأذن لي فدخلت عليه، وهو في مجلس طويل عريض فيه بساط واحد قد ملأه، وفي صدره فُرُش عالية، لا يرقى عليها إلاّ بكرسيّ، وهو قاعد على الفرش، فسلمت عليه بالوزارة، فردّ وضحك إليَّ واستدناني حتى جلست مع فَرشِه، ثم سألني

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٣/ ٢٧٦، وبغية الوعاة ٢/ ٢٩٤، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٠٥، ومعجم المؤلفين ١٢/ ٣٠٩، ونزهة الألباء ٨٤. توفي سنة ٢٠٩هـ.

(١) هدونها: هدن يهدن هدوناً: سكنَ. اللسان (هدن) ١٥/ ٥٧.

(٢) ترائبها: الترائب، موضع القلادة من الصدر. اللسان (ترب) ٢/ ٢٤.

وبسطني، وتلطّف بي، وقال أنشدني، فأنشدته من عيون أشعار أحفظها، جاهلية. فقال: قد عرفت أكثر هذه، وأريد من مُلَح الشعر، فأنشدته فضحك وطرب وزاد بساطاً. ثم دخل رجل في زيّ الكاتب، وله هيئة خشنة، فأجلسه إلى جانبي. وقال له: تعرف هذا؟ فقال: لا، فقال: هو أبو عبيدة، علاّمة أهل البصرة، أقدمناه لنستفيد من علمه، فدعا له الرجل، ثم التفت إليَّ، وقال لي: كنت إليك مشتاقاً، وقد سألت عن مسألة، أفتأذن لي أن أعرّفك إياها، فقلت: هات، فقال[1]: قال الله تعالى: «طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ[2]»، وإنما يقع الوعد والإيعاد بما قد عُرف مثله، وهذا لم يُعرف. قال: فقلت: إنّما كلَّم الله تعالى العرب على قدْر كلامهم، أما سمعت كلام امرئ القيس: [الطويل]

أتقتلني والمشرفيّ مُضاجعي ومَسنونةٌ زرقٌ كأنياب أغوالِ[3]

وهم لم يروا الغول قطّ؛ ولكنّه لمّا كان الغول يهولهم أُرعدوا به، فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل. وأزمعت من ذلك اليوم أن أضع كتاباً في القرآن لمثل هذا وأشباهه، ولما يحتاج إليه من عَلِمَه. فلمّا رجعت إلى البصرة عملت كتابي الذي سميته (المجاز)، وسألت عن الرجل فقيل لي هو من كتّاب الوزير وجلسائه.

وقال المازني: سمعت أبا عبيدة يقول: أُدخلت على الرشيد فقال لي يا معمر بلغني أنّ عندك كتاباً في صفة الخيل، أحبّ أن أسمعه منك، فقال الأصمعي: وما نصنع بالكتب؟ يُحضَر فرس، ونضع أيدينا على عضوٍ عضوٍ منه، ونسميه ويُذكر ما فيه. فقال الرشيد: ياغلام. فرس. فقام الأصمعي، فجعل يده على عضو عضو منه، ويقول هذا كذا، قال فيه الشاعر كذا، قال فيه الشاعر كذا حتى انقضى قوله. فقال لي الرشيد ما تقول فيما قال؟ قلت: أصاب في بعض وأخطأ في بعض، والذي أصاب فيه متى تعلّمه، والذي أخطأ فيه ما

---

(١) وردت في المخطوطة: فقلت، وبها لا يستقيم المعنى. فأبدلناها بـ: فقال.

(٢) الصافات ٣٧/٦٥.

(٣) ديوان امرئ القيس، ٣٣.

أدري من أين أتى؟ وزعم الباهلي[١] أن طلبة العلم كانوا إذا أتوا مجلس الأصمعي اشتروا البعر في سوق الدّر، وإذا أتوا مجلس أبي عبيدة اشتروا الدرّ في سوق البعر؛ لأنّ الأصمعي كان حَسَنَ الإنشاد والزخرفة، رديء الأخبار والأشعار حتى يحسن عنده القبيح، وإن الفائدة عند ذلك قليلة. وانّ أبا عبيدة كان معه سوء عبارة مع فوائد كثيرة وعلومٍ جمّة، ولم يكن أبو عبيدة يفسّر الشعر.

قال المبرد: كان أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري أعلم من الأصمعي وأبي عبيدة بالنحو، وهما بعده يتقاربان، وكان أبو عبيدة أكمل القوم، وكان ابن المديني يحسن ذكر أبي عبيدة، ويصحّح روايته، ولا يحكي عن العرب الشيء الصحيح، وحُمل أبو عبيدة والأصمعي إلى الرشيد للمجالسة، فاختار الأصمعي؛ لأنه كان أصلح للمنادمة وكان أبو نواس يتعلم من أبي عبيدة، وينصفه وينسى الأصمعي ويهجره، فقيل له: ما تقول في الأصمعي؟ فقال: بلبل في قفص. قيل: فما تقول في خلف الأحمر؟ فقال: جمع علوم الناس وفهمها. قيل: فما تقول في أبي عبيدة؟ فقال: ذاك أديم طُوي على علم، قال عن تصانيفه تقارب مئتي تصنيف.

وقال أبو عبيدة: لمّا قدمت على الفضل بن الربيع، قال لي: من أشعر الناس؟ قلت: الراعي[٢]. فقال: كيف فضلته على غيره؟ فقلت: لأنه ورد على سعيد بن عبد الرحمن الأموي، فوصل في يومه الذي لقيته فيه، فقال يصف حاله معه؟ [الوافر]

وأنضاءٍ[٣] تَحِنّ إلى سعيدٍ طروقاً[٤] ثمَّ عجَّلن ابتكارا
حَمِدْنَ مُناخةً وأصبن منه عطاءً لم يكن عِدُهُ ضمارا

---

(١) هو صاحب كتاب (المعاني). إنباه الرواة ٣/٢٧٩.

(٢) يعني: الراعي النميري.

(٣) أنضاء: مفردها، نضو، وهي: البعير المهزول. اللسان (نضو) ١٤/١٨٢.

(٤) الطروق: الطرق، ماء الفحل، وقيل: الضراب. اللسان (طرق) ٨/١٥١.

فقال له الفضل: ما أحسن ما اقتضيتنا يا أبا عبيدة، ثمّ غدا إلى الرشيد فأخرج له صلة، وأمر لي بشيء من ماله وصرفني.

وكان أبو عبيدة لا تُقبل شهادته؛ لأنه كان يُتّهم بالميل إلى الغلمان. قال الأصمعي دخلت أنا وأبو عبيدة يوماً المسجد، فإذا على الأسطوانة التي يجلس إليها أبو عبيدة: [البسيط]

صلّى الإله على لُوطٍ وشيعَتِهِ   أبا عُبَيدةَ قُل باللّه آمينَا

فقال: يا أصمعي أمح هذا، فركبت ظهره ومحوته بعد أن أثقلته إلى أن قال: أثقلتني، وقطعت ظهري، فقلت له بقيت الطاء، فقال ويحك هي شرٌّ. حروف هذا البيت، كتبه أبونواس. وُلد في رجب سنة عشر ومئة، وقيل غير ذلك، والأول أصح لأنه سُئل متى ولدت" فقال: قد سبقني إلى الجواب عن مثل هذا عمر بن أبي ربيعة، وقد قيل له متى ولدت؟ فقال: في الليلة التي مات فيها عمر بن الخطاب، فأي خير رُفع، وأي شرّ وُضع؟ واني وُلدت في الليلة التي مات فيها الحسن البصيري، فجوابي جواب عمر بن أبي ربيعة. وتوفي سنة تسع ومئتين، وقيل غير ذلك بالبصرة، وكان سبب موته أن محمد بن القسم بن سهل البُوسجاني أطعمه موزاً فمات منه، ثم أتاه أبو العتاهية فقدم إليه موزاً فقال له: ما هذا يا أبا جعفر؟ قتلت أبا عبيدة بالموز، وتريد أن تقتلني به، استحليْت قتل العلماء.

ومنهم:

٣- إسحاق بن مرّار الشيباني (*)

مولاهم أبو عمرو النحوي اللغوي صاحب العربية كوفي، نزل بغداد. عرف القبائل بتفضيلها، ركب قفار الفقار[١] وقرأ أسفار الأسفار، وولج البوادي ولجَّ حتى جفّت في فم

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ١ / ٢٢١، ونور القبس، ٢٧٧٢، وبغية الوعاة ١ /٤٣٩، ونزهة الألباء ٧٧. ومعجم المؤلفين ٢ /٢٣٨. توفي سنة ٢١٣هـ.

(١) الفقار: الدواهي، مفردها: فاقرة. اللسان (فقر) ١٠ / ٣٠٠.

السحاب ريقهُ الغوادي ونزل على كل خباء، وفصَّل عنه بأنباء، ولم يسلم على حَفاظه ومحاسنه على ألفاظه؛ بل قبل فيه، وأظهر ما يُخفيه، على أنه ما أضاع وتوقى أفاويق[1] الرضاع.

قال ابن خلكان[2]، هو من رمادة الكوفة، ونزل إلى بغداد، وحاور شيبان للتأديب فيها فنسب إليها، وكان من الأئمة الأعلام في فنونه، وهي اللغة والشعر والذي قصَّر به عند العامة أنه كان مشتهراً بشرب النبيذ، وأخذ عنه جماعة كبار، كالإمام أحمد بن حنبل، وأبي عبيد القاسم بن سلاّم، ويعقوب بين السكيت. وقال في حقه: عاش مئة وثماني عشرة سنة، وكان يكتب بيده إلى أن مات، وكان قد قرأ دواوين الشعراء على المفضل[3]، وكان الغالب عليه النوادر وحفظ الغريب، وأراجيز العرب. قال ولده عمر: ولما جمع أبي أشعار العرب ودوّنها كانت نيّفا وثمانين قبيلة، وكان كلّما عمل منها قبيلة وأخرجها إلى الناس كتب مصحفاً، وجعله في مسجد الكوفة، حتى كتب نيفاً وثمانين مصحفاً بخطّه.

ومنهم:

٤-سعيد بن أوس بن ثابت بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن نوليّة بن كعب ابن الخزرج(*)

الأنصاري اللغوي البصري أبو زيد، حسبه محض، ولبنه لا يحتاج إلى

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٢ / ٣٠، وبغية الوعاة ١ / ٥٨٢، ونزهة الألباء ١٠١، ومعجم المؤلفين ٤ / ٢٢٠، والأعلام ٣ / ١٤٤. توفي سنة ٢١٥هـ.

(١) أفاويق: جمع، مفرده فُواق، وهو: قدر ما بين الحلبتين من الراحة. اللسان (فوق) ١٠ / ٣٥١.

(٢) وفيات الأعيان ١ / ٢٠١.

(٣) يقصد: المفضل الضبي، صاحب كتاب: المفضليات.

مخض[(١)]، باقي طراز الحسب المذهّب، والنسب الذي يُرغب إليه ويرهب. لم تُنس أيامُه الأُول ولا إقدامه أمام الدُول، هذا القديم عليا، وعميم سابقه لا يدرك بالأعيا. نشرت أيامها أجنحة نورها، وحدّقت على الليالي وراء سورها، وبرّزت عقايل شموسها تتبرج في لُجَبِهَا، وتوشّع[(٢)] حلل النهار بذهبها، والزمان كلّه نوائب ويشرق، والضحى لجنبه جامد وذوائِب، فبلغ من المجد قصاراه، ونال جُلّ ما سمعه ورواه.

قال ابن خلكان: كان من أئمة الأدب، وغلبت عليه اللغة والنوادر والغريب وكان يقوّي رأي القدر، وكان ثقةً في روايته.

قال المازني: رأيت الأصمعي وقد جاء إلى حلقة أبي زيد فقبّل رأسه، وجلس بين يديه، وقال: أنت سيّدنا ورئيسنا منذ خمسين سنة.

وقال أبو زيد: حدّثني خلف الأحمر، قال: أتيت الكوفة، لأكتب عنهم الشعر، فبخلوا عليَّ به، فكنت أعطيهم المنحول وآخذ الصحيح، ثم مرضت فقلت لهم: ويلكم أنا تائب إلى الله هذا الشعر لي، فلم يقبلوا منّي، فبقي منسوباً إلى العرب. وحكى بعضهم أنه كان في حلقة شعبة بن الحجاج فضجر من إملاء الحديث، فرمى بطرفه فرأى أبا زيد الأنصاري في أخريات الناس فقال: يا أبا زيد: [البسيط]

استَعْجَمَتْ دارُ ميٍّ ما تكلِّمُنا والدارُ لو كلَّمَتْنا ذاتُ أخبَارِ

إليَّ يا أبا زيد، فجاءهُ فجعلا يتحدثان ويتناشدان الأشعار، فقال له بعض أصحاب الحديث: يا أبا سطام، نقطع إليك ظهور الإبل لنسمع منك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتدعنا وتقبل على الأشعار؟ قال: فغضب شعبة غضباً شديداً، ثم قال: يا هؤلاء، أنا أعلم بالأصلح لي، أنا والله الذي لا إله إلا هو في هذا أسلم مني في ذاك، وقارب المئة، ومات بالبصرة سنة خمس عشرة، وقيل أربع عشرة، وقيل ست عشرة ومئتين[(٣)].

(١) مخض: المخض هو الطلق، والمخاض: وجع الولادة. اللسان (مخض) ١٣ / ٢٦.
(٢) توشع: تحسَّن. اللسان ١٥ / ٣٠٧.
(٣) وفيات الأعيان ٢ / ٣٧٨.

ومنهم:

٥- عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مطهِّر بن رباح بن عمرو بن عبد شمس الباهلي أبو سعيد الأصمعي البصري(*)

إزاره كميش[١] وإيناره يحيي من يسمع، تتبع ألسنة العرب وجال في آفاقها، وركب واضطرب فيها الصعب والذلول. وصحب المحافظ والملول، ولم يخف هجيراً تلفَّح سمومه، ولا برأً بقدح ديمومه؛ بل شقَّ الرمال شقَّ الأراقم، وشدَّ الرحال على الخطب المتفاقم، وسرى وسرُّ الليل مبهم والفجرُ وهم لمن يتوهَّم، وقذف في النهار سفن عيشه، وألقى عن الوجناء منن تعريشه[٢]، حتى ولج الأحيا، وتجنب في سؤاله الحيا، فعاد بأمنيَّته، وبلغ سؤله قبل مَنِيَّته، وهو أحد أئمة اللغة والنحو والغريب والأخبار والملح والنوادر قال يحيى بن معين[٣]: كان أعلم الناس بفنه. قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: ما عَبَّر أحدٌ من العرب بأحسن من عبارة الأصمعي. وقال الشافعي: ما رأيت بذلك العسكر أصدق لهجة من الأصمعي. وقال عمربن شبه[٤]، سمعت الأصمعي يقول، أحفظ ستة عشر ألف أرجوزة. وقال أبو داود السخي، سمعت الأصمعي يقول: إن أخوَف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قول النبي صلى الله عليه وسلم «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار[٥]» لأنه عليه السلام لم يكن يلحن، فمهما رويت عنه ولحنت فقد كذبت عليه.

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٢/١٩٧، وبغية الوعاة ٢/١١٢. ونزهة الألباء ٩٠ والأعلام ٤/٣٠٧ومعجم المؤلفين ٦/١٨٧،. توفي سنة ٢١٣هـ.

(١) إزاره كميش: كميش الإزار: مشمّرجادّ. اللسان (كمش) ١٢/١٥٦.

(٢) تعريشه: ظلاله. اللسان (عرش) ٩/١٣٤.

(٣) هو يحيى بن معين المري البغدادي، الحافظ المشهور، توفي سنة ٢٣٣هـ. وفيات الأعيان ٦/١٣٩.

(٤) عمر بن شبه النميري البصري، صاحب أخبار ونوادر، توفي سنة ٢٦٢هـ. وفيات الأعيان ٣/٤٤٠.

(٥) صحيح البخاري ٣/١٢٧٥.

وقال أيضاً: من لم يحتمل ذلَّ التعليم ساعة، بقي في ذلّ الجهل أبداً. وقال الأصمعي: رآني أعرابي وأنا أطلب العلم، فقال: يا أخا العرب عليك بلزوم ما أنت عليه؛ فإن العلم زين في المجلس. وصلة من الأحزان وصاحب في الغربة، ودليل على المروءة، ثم أنشأ يقول: [الطويل]

تعلَّم فليس المرءُ يُخلَقُ عَالماً ... وليس أخو علم كَمن هو جَاهلُ
وإنَّ كبيرَ القومِ لا علمَ عندَه ... صغيرٌ إذا التفَّت عليه المحافلُ

وتوفي الأصمعي سنة ثلاث عشرة، وقيل خمس عشرة، وقيل سبع عشرة ومئتين.

ومنهم:

٦- [أبو]عبيد القاسم بن سلام الأنصاري(*)

مولاهم البغدادي القاضي، ذكر استحقاقاً لاحظّاً، واسترقاقاً للفضل معنى ولفظاً، تقدم في أول السلف وتناسب فعله فما اختلف، زاحم الشماريخ[1] الشمّ وأسمع الآذان الصمّ وهم السادة الجحاجح، وأهل السيادة الرواجح، فأعجز الأنظار وأعجب النظّار، وفاق الأمثال وفات المثال، فجرى ذكره نوراً في الأمصار، وحلي لُمَى في كل ذوق ونقع صدى لكل شوق ثم غيّبه الضريح، ومات فلم يرفَ دمعه الجفن القريح. أحد أئمة الإسلام فقهاً ولغة وأدباً، صاحب التصانيف المشهورة، والعلوم المذكورة.

قال محمد بن سعد: كان مؤدباً صاحب نحو وعربية، طلب الفقه والحديث، وولي قضاء ترسوس أيام ثابت بن نصر بن ملك، ولم تزل معه ومع ولده، وقدم بغداد، فسَّر بها غريب

(*) ترجمته في إنباه الرواة ٣/ ١٢، ونزهة الألباء ١٠٩، وبغية الوعاة ٢/ ٢٥٣، وطبقات الشافعية ١/ ٦٨ .ومعجم المؤلفين ٨/ ١٠١، توفي سنة ٢٤٤هـ.

(١) الشماريخ: رؤوس الجبال. اللسان (شمرخ) ٧/ ١٩٢.

الحديث وصنّف كتباً، وسمع الناس منه، وحجّ. توفي في مكة سنة أربع وعشرين ومئتين، وقال إبراهيم بن أبي طالب: سألت أبا قدامة عن الشافعي وابن حنبل وإسحاق وأبي عبيد، فقال: أما أفهمهم فالشافعي، وأما أورعهم فأحمد بن حنبل، وأما أحفظهم فإسحاق، وأما أعلمهم بلغات العرب فأبو عبيد، وقال إسحاق بن راهويه:[1] للّه أبو عبيد الله، أفقه مني وأعلم مني، أبو عبيد أوسعنا علماً، وأكثرنا أدباً، وأجمعنا جمعاً. إنّا نحتاج إلى أبي عبيد، وأبوعبيد لا يحتاج إلينا.

وقال الإمام أحمد: أبو عبيد ممن يزداد كل يوم عندنا خيراً. وقال أيضاً: أبو عبيد أستاذ. وقال يحيى بن معين: ثقة. وقال، وقد سُئل عن أبي عبيد: أبو عبيد يسأل عن الناس. وقال أبو داود: ثقة مأمون. وقال الدار قطني: إمام ثقة جَلٌّ وسلاّم والده رومي. وقال الإمام: هو الإمام المقبول عند الكل. وقال إبراهيم الحربي: أدركت ثلاثة لن ترى مثلهم أبداً، تعجز النساء أن تلد مثلهم، رأيت أبا عبيد القاسم بن سلاّم، ماسألته إلاّ كأنه جبلٌ نفخ فيه روح ورأيت بشر بن الحارث[2] فما شبَّهته إلا برجل مُلئ من فَرِقه إلى قدمه عقلاً، ورأيت أحمد ابن حنبل فرأيت كأنّ الله جمع له علم الأولين من كل صنف، يقول ما يشاء ويمسك ما شاء وقال أحمد بن حنبل بن خلف القاضي: كان أبو عبيد فاضلاً في دينه وعلمه، ربانياً مفتياً في أصناف من علوم الإسلام من القرآن والفقه والأخبار والعربية، حسنَ الرواية صحيح النقل، لا أعلم أحداً من الناس طعن عليه في شيء من أمره ودينه.

وقال عبد الله بن أحمد: عرضت كتاب الغريب لأبي عبيد على أبي فاستحسنه، وقال جزاه الله خيراً. قال وكتبه أبي. قال الحارث بن أبي أسامة: حُمل غريب الحديث لأبي عبيد إلى عبد الله بن طاهر، قال: فلما نظر فيه قال: هذا رجل عاقل دقيق النظر، فكتب إلى إسحاق بن إبراهيم بأن يجري عليه في كل شهر خمسمئة درهم وقال هلال بن العلا الرقّي:

---

(١) هو أبو يعقوب، إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن راهويه، فقيه محدّث ورع، له مسند، توفي سنة ٢٣٨هـ. وفيات الأعيان ١/١٩٩.

(٢) هو أبو نصر، بشر بن الحارث المروزي، المعروف بالحافي، توفي سنة ٢٢٦هـ وفيات الأعيان ١/٢٧٤.

منّ الله على هذه الأمة بأربعتهم في زمانهم بالشافعي يفّقهُ بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبأحمد بن حنبل ثبت في المحنة، ولولاه كفر الناس. ويحيى بن معين(١) نفى الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبأبي عبيد القاسم بن سلام فسّر الغريب من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولولا ذلك لاقتحم في الخطأ. وكان أبو عبيد قد جزّأ الليل ثلاثة أجزاء، فثلثاً ينام وثلثاً يصلّي وثلثاً يطالع الكتب، وصنّف كتباً كثيرة في القرآن والفقه وغريب الحديث وغريب المصنَّف والأمثال ومعاني الشعر، وغير ذلك نحو بضعة وعشرين كتاباً. وقال الفسطاطي: كان أبو عبيد مع عبد الله بن طاهر فوجّه إليه أبو دلف يستهديه أبا عبيد منه شهرين، فأنفذ أبا عبيد إليه فأقام شهرين، فلمّا أراد الانصراف وصله أبو دلف ثلاثين ألف درهم، فلم يقبلها، وقال: أنا في جنّة ما تحوجني إلى صلة غيره، ولا أجد ما فيه على نقص، فلمّا عاد إلى ابن ظاهر وصله بثلاثين ألف دينار بدل ما وصله أبو دلف، فقال له: أيها الأمير قد قبلتها منك، ولكن قد أعييتني بمعروفك وبرّك وكفايتك عنها، وقد رأيت أن أشتري بها سلاحاً وخيلاً، وأوجّه إلى الثغر؛ ليكون الثواب متوفراً على الأمير ففعل. قال البخاري: مات أبو عبيد سنة أربع وعشرين ومئتين، وقال غيره سنة ثلاث وعشرين بمكة، وقيل سنة ثلاثين في خلافة المعتصم.

---

(١) هو أبو زكريا، يحيى بن معين بن عون الحافظ المشهور، توفي سنة ٢٣٣هـ. وفيات الأعيان ٦/ ١٣٩.

ومنهم:

-٧- أبو عبدالله محمد بن زياد(*)

المعروف بابن الأعرابي الكوفي اللغوي، مولى آل العباس ابن محمد الهاشمي، حَذَّ ركابه أغذاذاً[١] وقطّع اغترابه كبد الفلاة أفلاذاً وعلا اهتماماً. ورشا شماماً[٢]، وأفاد جلّ الفوائد، وولّد الكلم مع ألف وائد[٣]، وكان سريع الاستحضار، سري الحصار تحضره الأماثل، وتنتابه وتقدمه على المماثل، وتهابه كشقق من أكنار[٤]، ويعطي عطاء الإينار، أشرقت ليلةُ مولده بنجمه الطالع، وقد أودعت الثرى قمرها، وظن الموت أنه قد قبرها، فما أبعدت إلاّ كارتداد الطرف، ووفت بقيمه الدنيا الذي قبضه الصَّرف.

قال ثعلب: لزمت ابن الأعرابي تسع عشرة سنة، وكان يحضر مجلسه زهاء مئة إنسان، ما رأيت بيده كتاباً قطّ. وسمعته يقول: ولدت في الليلة التي مات فيها أبو حنيفة سنة خمسين ومئة[٥]، وذكره أبو منصور الأزهري الهروي[٦] في كتابه. فقال، كوفي الأصل، صالح زاهد، وَرِعٌ صَدُوق، حفظ من الغريب والنوادر ما لم يحفظه غيره، وسمع من الأعراب

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٣ / ١٢٨، وبغية الوعاة ١ / ١٠٥، ونزهة الألباء ١١٩، والأعلام ٦ / ٣٦٥، ومعجم المؤلفين ١٠ / ١١. توفي سنة ٢٣١هـ.

(١) أغذاذاً: الإغذاذ: الإسراع في السير. اللسان (غذذ) ١٠ / ٢٨.

(٢) رشا شماما: ارتقى علواً. اللسان (رشا) ٥ / ٢٢٢، و (شم) ٧ / ٢٠٦.

(٣) وائد: الوأد والوئيد، المدفون حيّاً. اللسان ١٥ / ١٩٠.

(٤) أكنار: شقة من ثياب الكتّان. اللسان (كنر) ١٣ / ١٦٥.

(٥) وفيات الأعيان ٤ / ٣٠٨.

(٦) هو محمد بن أحمد ابن الأزهر الأزهري الهروي، إمام في اللغة، صاحب كتاب (التهذيب في اللغة)، توفي سنة ٣٧٠هـ. وفيات الأعيان ٤ / ٣٣٤.

الذين ينزلون بظاهر الكوفة، بني أسد، وبني عقيل، فاستكنَّ. وأخذ عن الكسائي النحوي، وكان أبوه سِنْدياً، أكثر السماع من المفضّل الضَبّي، وهو زوج أمه، وله عدّة تصانيف، توفي سنة إِحدى وثلاثين ومئتين، ولم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصريين منه. يزعم أنّ الأصمعي وأبا عبيد لا يعرفان شيئاً.

ومنهم:

٨- أبو يوسف يعقوب بن السكّيت(*)

رجل قصده معروف، ورفده في سبيل الخير مصروف حاط العلم فلم يخرج عن دائرته، ولم يلج جحر غيره لمعايرته، علق بالخليفة، ووضحت إليه سبله، وسفحت سحابه ووبله، فاستوثق بسبب هاشمي لا ينقطع، وشدّ منه بوتد لا ينقلع فمدَّ عليه الظل كهفه، وامتدّت إليه بالفضل كفّه، وكان ممن يسرف بالحضور لديه ويوالي السرور بالإقبال عليه، وكان خليقاً يقرب إمامه وورث صنيعه واهتمامه، لم يوله الدهر إلا ما استحق، ولا قضى له إلاّ بحق.

ذكره الحافظ ابن عساكر فقال: حكى عن أبي عمرو وإسحاق بن مراد ومحمد بن مهنى وابن السماك الواعظ، وحكى عنه أحمد بن الفرج المقري[1]، ومحمد بن عجلان، وأبو عكرمة الضبّي وأبو سعيد السكري، وميمون بن هارون الكاتب، وكان يؤدب أولاد المتوكل. ورُوي عن ابن السماك أنه قال: من عرف الناس داراهم، ومن جهلهم ماراهم ورأس المداراة ترك المماراة. وروى أيضاً عن الأصمعي، وأبي عبيدة والفراء وغيرهم، وهو مؤلف كتاب إصلاح المنطق، وغيره، ولم يكن له نفاذ في علم النحو، وكان يميل إلى مذهب من

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٤ / ٥٣، ووفيات الأعيان ٦ / ٣٩٥، ونزهة الألبا ١٣٧. توفي سنة ٢٤٤هـ.

(١) أبو جعفر، أحمد بن فرح بن جبريل، توفي سنة ٣١١هـ. إنباه الرواة ٤ / ٥١.

يرى تقديم علي بن أبي طالب رضي الله عنه[١].

قال أحمد بن عبيد[٢]: وشاورني ابن السكيت في منادمة المتوكل فنهيته فحمل قولي على الحسد. ونادمَه، فبينا هو مع المتوكل إذ أقبل ابناه المعتز والمؤيد، فقال المتوكل: يا ابن السكيت، أيّما أحبُّ إليك ابناي هذان أم الحسن والحسين؟ فغضب ابن السكيت من ابنيه، وذكر الحسن والحسين بما هما أهله، فأمر الأتراك فداسوا بطنه، فحمل إلى داره فمات. وقيل إنه قال: والله إنّ قنبر خادم عليّ (رضي الله عنه) خيرٌ منك ومن ابنيك. فقال: سلّوا لسانه من قفاه، ففعلوا ذلك، فمات، وذلك لخمس خلون من شهر رجب سنة أربع وأربعين ومئتين، وقيل سنة ست وأربعين. وبلغ عمره اثنتين وخمسين سنة.

وقال المبرد: ما رأيت للبغداديين كتاباً أحسن من كتاب ابن السكيت في المنطق[٣]. وقال: أجمع أصحابنا أنه لم يكن بعد ابن الأعرابي أعلم باللغة من ابن السكيت. قال ابن أبي شدّاد: شكوت إلى ابن السكيت ضائقة، فقال: هل قلت شيئاً؟ قلت: لا. قال: فأقول أنا، ثم أنشدني: [البسيط]

نفسي تروم أموراً لست مدركَها ... مادُمتُ آخُذُ ما يَأتي به القَدَرُ
ليس ارتحالُك في كَسب الغِنَى سَفَراً ... لَكِن مقامُكَ في ضُرٍّ هو السفرُ

وقال: كتب رجل إلى صديق له قد عرضت لي قبلك حاجة، فإن نجحت فألفاني فيها حظي والباقي حظك. وإن تعذرت فالخير مظنون بك والعذر مقدم لك والسلام.

ولمّا جاءه المعتز ليؤدبه، فقال له: بأي شيء تبدأ؟ أتريد من العلم؟، فقال المعتز بالانصراف. قال له ابن السكّيت، فأقوم، فقال له المعتز: فأنا أخفّ نهوضاً منك، فقام، فاستعجل، فعثر بسراويله فسقط، والتفت إلى ابن السكّيت خجلاً، وقد احمرّ وجهه،

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٨ / ٣٩.

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن عبيد، توفي سنة ٢٧٣هـ، إنباه الرواة ٣ / ٢٠٧، والأعلام ١ / ١٦٦.

(٣) إنباه الرواة ٤ / ٥٣.

فأنشد ابن السكيت : [الطويل]

يُصاب الفتى من عَثرةٍ بلِسَانه وليس يُصاب المرءُ من عَثْرة الرِّجلِ
فعثرته في القول تُذهب رأسه وعثرته بالرِّجْلِ تُبرَى عَلى مهل

فلما كان من الغد دخل ابن السكيت على المتوكل، فأخبره بما جرى، فأمر له بخمسين ألف درهم، وقال له، قد بلغني البيتان. وقال ابن خلكان : وكان لا بن السكّيت شعر، وهو مِمَّاتثق النفس به، فمن ذلك قوله : [الوافر]

إذا اشتَمَلَتْ عَلى اليأس القلوبُ وضاقَ لِما بِه الصَّدرُ الرَّحيبُ
وأوطَنَتِ المكارِهُ واستقرَّت وأرست في أماكنها الخُطُوبُ
ولم ترَ لانكشاف الضُرّ وجهاً ولا أغنَى بِحيلته الأريبُ
أتاك على قُنُوطٍ منك غَوثٌ تمنّ به اللطيفُ المستجيبُ
وكلُّ الحادِثَات إذا تَنَاهَت فموصولٌ بها فَرَجٌ قريبُ(١)

ومنهم :

٩- سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشمي السجستاني(*)

اللغوي المقري أبو حاتم، نزيل البصرة وعالمها وسابح لججها الغزار، وعائمها. سبق في الأدب إحساناً، ونطق للعرب لساناً، وكان لا يُفَلُّ غربُه(٢)، ولا يستنفذُ عضبه(٣)، ولم يكن مثله من جشم ولا مثله مهاباً في غير حشم، لم يزل تؤم منه سهلاً، ويؤمل منه ما كان

(*) ترجمة في : تاريخ العلماء النحويين ٧٣، وإنباه الرواة ٢ / ٥٨، وبغية الوعاة ١ / ٦٠٦، ونزهة الألباء ١٤٥، ومعجم المؤلفين ٤ / ٢٨٥. توفي سنة ٢٤٨هـ

(١) وفيات الأعيان ٦ / ٣٩٩.

(٢) غربه : حدته وعطاؤه. اللسان (غرب) ١٠ / ٣١.

(٣) عضبه : قوته والعضب : السيف القاطع. اللسان (عضب) ٩ / ٢٥٢.

له أهلاً، تتوسّمه فلا ترى محيّاه إلا طلقاً، ولا ترد ماءه إلاّ طرقاً[١] . ولم يكن شبهة في حساب، ولا في خلائق بغير اكتئاب.

قال ابن خلكان[٢] : كان إماماً في علوم الآداب، وأخذ عنه علماء عصره، كابن دريد والمبرّد وغيرهما، وكان حسنَ العلم بالعروض، وإخراج المعمَّى، وكان صالحاً عفيفاً، يتصدّق كل يوم بدينار، ويختم القرآن في كل أسبوع. وكان إذااجتمع مع المازني في دار عيسى بن جعفر الهاشمي يشاغل حلقته، وكان غلاماً وسيماً، فقال فيه أبو حاتم : [مجزوء الكامل]

ماذا لَقِيت اليومَ من ... متمجِّن خُنث الكلامِ
حَرَكَاتُه وسُكُونُه ... تُجنى بها ثمر الأنامِ
وإذا خلوتُ بشمله ... وعزمتُ فيه على اعتزامِ
لم أعدُ أفعالَ العفا ... ف وذاك أوكدُ للغَرامِ
نفسي فداؤك يا أبا الـ ... ـعبّاس جَلَّ بكَ اعتصامي
فارحَمْ أخاكَ فإنَّه ... نَزِرُ الكَرى بادي السَّقامِ
وأنِلْه ما دون الحرا ... م فليس يرغب في الحرامِ

ومن شعره قوله، وأظنه في المبرّد أيضاً :[مجزوء الخفيف]

أبرَزوا وجهَهُ الجميـ ... ـل ولاموا من افتتنْ
لو أرادوا عَفافنا ... سَتَروا وجهَهُ الحَسَنْ

وكانت وفاته في المحرم، وقيل في رجب سنة ثمان وأربعين ومئتين بالبصرة.

---

(١) الطرق: الماء المتجمع. اللسان ٨ / ١٥١.

(٢) وفيات الأعيان ٢ / ٤٣٠.

ومنهم:

١٠- أبو الفضل العباس الفرج الرياشي النحوي اللغوي البصري(*)

ذو حّدٍ. ترك السيف مسلولا، وردّ الجيش مفلولا، كان يرجع إلى أكرومة وحسب وأرومة[١] وحبٍّ بكرمٍ على الوجود مطلولا، والجود مملولاً، ولم يزل منذ كان خيط عهاده محلولا، ومنهل ورّاده معلولا. عانى الطلب ففتح عليه، ومنح ما لم يصل فسعى إليه. ولم يبق تخوماً[٢] قصده، ولا عدواً ما حصده، ولا نجم عليا ما رصده، فما وفى بحق شكره لسان ولا سطع مثله محمر ورد عليه كافور سوسان.

قال ابن خلكان: كان راويةً ثقةً عالماً بأيام العرب كثير الاطلاع. وروى عن الأصمعي وأبي عبيدة، وروى عنه الحربي وابن أبي الدنيا. ومما روى عن الأصمعي قال: مرّ بنا أعرابي ينشد ابناً له، فقلنا: صِفهُ لنا، فقال، كأنه دنينير، فقلنا له: لم نره، فلم نلبث أن جاء بصغير أسود كأنه جُعَلٌ[٣]، قد حمله على عنقه، فقلنا له، لو سألتنا عن هذا لأرشدناك، فإنه مازال اليوم بين أيدينا، ثم أنشد الأصمعي: [المنسرح]

نِعْمَ ضَجيعُ الفَتَى إذا بَرُدَ الليـ ـلُ سُحَيْراً وَقَرْقَف الصَّردُ
زيّنها الله في الفؤاد كما زيّن في عينِ والدٍ ولدُ

قتل بالبصرة بأيدي الزنج في شوال سنة سبع وخمسين ومئتين وسئل في عقب ذي الحجة سنة أربع وخمسين ومئتين، كم تعد سنة قال: أظن سبعاً وسبعين[٤].

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٢/ ٣٦٧، ونزهة الألباء ١٥٢، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٧، وبغية الوعاة ٢/ ٢٧، ومعجم المؤلفين ٥/ ٦٢. توفي سنة ٢٥٧هـ.
(١) الأرومة: الأصل. اللسان (أرم) ١/ ١٢٣.
(٢) تخوماً: التخم، منتهى كل قرية أو أرض. اللسان (تخم) ٢/ ٢١.
(٣) جُعَل: دابة سوداء من دواب الأرض. اللسان (جعل) ٢/ ٣٠٢.
(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٢٧.

ومنهم:

١١- أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدِّيَنَوَري(*)

وقيل المروزي النحوي اللغوي، بلغ من الغاية مبلغها، وملك من مطالع الشموس مبزغها، رغب في العلم فحصر الخلطا وحنَى البِطا[1]، وقرب الأمد، وقصّر المدد، وكان يرجع إلى ورع، يكفّ الخطرات وينم عرفُه عن برودة العطرات، فسقت عهده السماء بريعها، وحفظت دهمه في مراعيها وأخذ عنه الثقات، والتقت عليه الطرقات، ثم كان في الفضائِل بَدر أُفقها وبحر تدفّقها، وسحاب علمها الممتدّ الطراف، ومعلم علمها المذهّب الأطراف.

قال ابن خلكان: كان فاضلاً ثقةً ديّنا، سكن بغداد، وحدّث بها عن ابن راهويه، وأبي إسحاق الزيادي، وأبي حاتم السجستاني، وروى عنه أحمد وابن درستويه، وتصانيفه كلّها مفيدة وله: المعارف، وأدب الكاتب[2]، والإقواء[3] وغير ذلك.

ولد سنة ثلاث عشرة ومئتين، وتوفي فجأة في ذي القعدة سنة ست وسبعين على أصح الأقوال. وذكر محمد بن اسحق النديم أن ابن قتيبة كوفي، ولي قضاء الدينور. وقال غيره إنه أكل هريسة حارّة فصاح منها ثم هذى، فمازال يتشهد إلى السحر ومات.

(*) ترجمته في: تاريخ العلماء النحويين ٢٠٩، وإنباه الرواة ٢/ ١٤٣، ونزهة الألباء ١٥٩. توفي سنة ٢٧٦هـ.

(١) البطا: مفردها: باطية، وهي زجاجة عظيمة تملأ من الشراب، إذا وضع فيها القدح رقصت من عظمها. اللسان (بطا) ١/ ٤٣٧.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٤٢.

(٣) الإقواء: اختلاف حركات الروي، أي: خالف بين قوافي الشعر في القصيدة. اللسان (قوا) ١١/ ٣٦٢.

ومنهم:

١٢- أبو بكر بن دريد(*)

وهو محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن حنتم الأزدي اللغوي البصري. رجل كلامه يداوي المغيظ، وكرمه يفرج اللظيظ[(١)]، وعلمه يعلّم الجهول، ويفهّم الذهول، ويعرّف بلسان العرب من جَهِلَه، ويرد بإحسان الطلب منهله، بفطن أذابت ما جمد من الألباب، وأذكت ما خمد من الالتهاب، ففتّقت كَمَام الأفهام، ودفقت جمام الإبهام، فأبدت دقائق العلم وبينت فيه شرفه المخُول المعم، فمدّت إليه وهو أخفى من مدارج النمال، وأسرع تغيراً من مناهج الرمال، فأضرب كل ضريب عن مداناته، ولم يحمل فهمه السقيم قدر مداواته.

قال المسعودي: كان ابن دريد ببغداد ممن برع في زماننا هذا في الشعر وانتهى في اللغة، فقام مقام الخليل بن أحمد فيها، وكان يذهب إلى الشعر كل مذهب، فطوراً يجزل وطوراً يرق، وشعره أكثر من أن نحصيه أو نأتي على أكثره، ومن جيّد شعره مقصورته الفائقة. قال: وقد عارضه فيها جماعة من الشعراء، منهم أبو القاسم بن أبي الفهم الأنطاكي. ومن مُلح شعره: [الكامل]

غـرّاء لو جَلَت الخُدورَ شُعَاعُها ... للشمس عند طلوعها لم تشرقِ
غُصنٌ على دِعْصٍ تأوّه فوقه ... قمرٌ تألّق تحت ليلٍ مُطبِقِ
لوقيلَ للحُسْنِ احتكمْ من بَعدها ... أو قيل خَاطِبْ غيرَها لم يَنطِقِ
وكأننا من فَرقها في مَغربٍ ... وكأننا من وَجهها في مَشرِقِ
تبدو فيهتفُ في العيون ضياؤُها ... الويلُ حلَّ بُمقلَةٍ لم تُطبِقِ[(٢)]

(*) ترجمته في: تاريخ العلماء النحويين ٢٢٥، وإنباه الرواة ٣/ ٩٢، ونزهة الألباء ١٩١، وبغية الوعاة ١/ ٧٦، ومعجم المؤلفين ٩/ ١٨٩، والأعلام ٦/ ٣١٠. توفي سنة ٣٢١هـ.

(١) اللظيظ: الإلحاح. اللسان (لظّ) ١٢/ ٢٨٦.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٤/ ٢٢٨، وينظر: وفيات الأعيان ٤/ ٣٢٣.

ولد بالبصرة في سكة صالح سنة ثلاث وعشرين ومئتين، ونشأ بها وأخذ عن السجستاني والرياشي وغيرهما، ثم انتقل إلى عُمَان وأقام بها اثنتي عشرة سنة، ثم عاد إلى البصرة، وسكنَها زماناً، ثم خرج إلى نواحي فارس بصحبة ابني ميكال، وعمل لهما كتاب الجمهرة، وقلّداه ديوان فارس، وكانت الكتب تصدر عن رأيه، ولا يُنفذ إلا بعد توفيقه، فأفاد أموالاً عظيمة، وكان لا يمسك درهماً سخاءً وكرما، ثم أتى بغداد سنة ثمان وثلثمئة بعد انتقال بني ميكال إلى خراسان. وأجرى عليه المقتدر خمسين ديناراً في كل شهر، ولم تزل عليه إلى حين وفاته.

وكان واسع الرواية لم يُرَ أحفظ منه، تُقرأ عليه دواوين العرب، ويسابق إلى إتمامها حفظه.

وسُئل الدار قطني أثقة هو أم لا، فقال: تكلموا فيه. وقال الأزهري: دخلت عليه فرأيته سكران، فلم أعد إليه. وقال ابن شاهين: كنا ندخل فنستحي مما نرى من العيدان المعلقة والشراب المصفّى. وذُكر أن سائلاً سأله أشياء فلم يكن عنده غيَردنٌ من نبيذ فوهبه له، فأنكر عليه بعض غلمانه، وقال: تتصدّق بالنبيذ، فقال: لم يكن عندي شيء سواه، ثم أُهدي له بعد ذلك عشرة دنان من النبيذ فقال لغلامه: أخرجنا دناً فجاءنا عشرة.

وعرض له رأس السبعين من عمره فالج ثم سُقي الترياق فبُري وصحَّ، ورجع الى أحسن أحواله، ثم عاوده الفالج بعد سنة لغذاء كان يتناوله فظل ثم كان يقول: [الطويل]

فَواحَزَني أن لا حياةَ لذيذةٌ ولا عملٌ يرضى بهِ اللّهُ صالحُ

وتوفي يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقين من شعبان سنة إحدى وعشرين وثلثمئة، ودفن بالمقبرة المعروفة بالعباسية، وهو اليوم الذي مات فيه الجبائي المتكلم. فقال الناس اليوم مات علم اللغة والكلام.

ومنهم:

١٣- إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان القالي(*)

اللغوي مؤلف غرائب سهل مساغها وحجل أرساغها، فردَّ منها ما ندّ، وأقبل ما صدَّ. ربى في ظلّ دوحة فرعاء، وأهل أمانة واستدعاء، فحلّق قشعما، وقشع من عمى، فكفى النوازغ، وكفل الأهلة البوازغ، ودجت الشبهَة فكشط جلدتها، وحفظ المعاني وجدّتها، فسالت العلوم بالمذانب، وسارت بالمقالب، وجلس جلوس الشيوخ في ثبات[١] المراتب، وجرى جرياً قصرت دونه خطا الأرانب، وطار من مشرق الشمس إلى مغربها، وأتى ملوك تلك البلاد بأدبها، وكان بأماليه للجحور مالئا وللثغور كالئا[٢]، إلا أنه هجر أوطانه ساليا، وترك بلاده، فلاعجب إن قيل قاليا. هذا إلى سعة معارف، وسمعة عوارف. جازبها البلاد برّاً وبحرا وأفنى من بطون الجواري وظهور الخيل بطناً وظهراً.

[قال] ابن خلكان: كان أحفظ أهل زمانه في اللغة والشعر ونحو البصريين، أخذ الأدب عن ابن دريد وابن الانباري ونفطويه وغيرهم، وطاف البلاد.

سافر إلى بغداد ثم خرج إلى الأندلس، ودخل قرطبة واستوطنها، ومولده في جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين ومئتين، وتوفي في ربيع الآخر وقيل في جمادى الأولى سنة ست وخمسين وثلثمئة ليلة السبت لست خلون منه[٣].

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ١/٢٠٤، وإشارة التعيين ٥٧، وبغية الوعاة ١/٤٥٣، والأعلام ١/٣١٩، ومعجم المؤلفين ٢/٢٨٦. توفي سنة ٣٥٦هـ.

(١) الثبات: الجلوس المتمكّن. اللسان (ثبت) ٢/٧٩.

(٢) كالئا: حافظاً، حارساً. اللسان (كلأ) ١٢/١٣٢.

(٣) وفيات الأعيان ١/٢٢٦.

ومنهم:

١٤- أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر(*)

الأزهري الهروي اللغوي الإمام المشهور في اللغة. حاز صنوف الفضائل وجمعها، وشذَّب أنوف القبائل وجدعها، علا مَحلاً وفضل كل مُجلَّى...، وترقى غاية تتشكى دونها الرياح الكلال، ويتوقى الليل منجنون[١] الهلال، فجمع مالم يجمع، وسمع مالم يسمع، فقصَّر فيه الإطناب، ومدَّ على السماء الأطناب، وملأ عجباً بما نشر، وبلغ طلباً ما كان ليظنّ لبشر، فتقدم ذكراً، وكفل أيامى الكلم وكأنما كفل كلاً منهن بكرا.

قال ابن خلكان: كان فقيهاً شافعي المذهب، غلبت عليه اللغة فاشتهر بها متفقٌ على فضله وثقته ودرايته وورعه. روى عن المنذري اللغوي وعن ثعلب وغيره، ودخل بغداد وأدرك بها ابن دريد، ولم يرو عنه، وأخذ عن نفطويه، وابن السراج، وقيل إنه لم يأخذ عنه. وطاف في أرض العرب في طلب اللغة، وروى بخطه قال:

امتحنت بالأسر سنة عارضت القرامطة الحاج بالهبَير، كان القوم الذين وقعت سهمهم عرباً نشأوا في البادية، يتبعون مساقط الغيث أيام النجع[٢]، ويرجعون إلى إعداد المياه في محاضرهم زمان القيظ، ويرعون النَعَم، ويعيشون بألبانها، ويتكلمون بطباعهم البدوية، ولا يكاد يوجد في منطقهم لحنٌ أو خطأ فاحش، فبقيتُ في أسرهم دهراً طويلا. وكنّا نشتي بالدهناء ونربع بالصَّمّان ونقيظ بالسِّتارين[٣]. واستفدت من محاورتهم ومخاطبة بعضهم

(*) ترجمته في: بغية الوعاة ١/ ١٩، ونزهة الألبَّاء ٢٣٧، ومعجم المؤلفين ٨/ ٢٣٠، والأعلام ٦/ ٢٠٢. توفي سنة ٣٧٠هـ.

(١) المنجنون: الدولاب التي يستقى عليها. اللسان ١٣/ ١٩١.

(٢) النجع: طلب الكلأ. اللسان (نجع) ١٤/ ٥٥.

(٣) الدهناء والصَّمّان والسِّتارين: أسماء مواضع في البادية.

بعضاً ألفاظاً جمَّة، ونوادر كثيرة، أوقعت أكثرها في كتابي، يعني التهذيب[١]. وذكر في تضاعيف كتابه أنه أقام بالصمّان شتوتين. وكان أبو منصور المذكور جامعاً لشتات اللغات مطلعاً على أسرارها ودقائقها.

وصَنَّفَ في اللغة كتاب التهذيب، وهو أكثر من عشرة مجلّدات، وله تصنيف في غريب الألفاظ التي يستعملها الفقهاء في مجلّد واحد. وهو عمدة الفقهاء في تفسير ما يشكل عليهم من اللغة المنغلقة بالفقه وكتاب التفسير، وكتب ولادته سنة اثنتين وثمانين ومئتين، وتوفي سنة سبعين وثلثمئة في أواخرها، وقيل سنة إحدى[٢] بمدينة هراة رحمه الله تعالى.

ومنهم:

١٥- أبو عمر محمد بن عبدالواحد بن أبي هاشم البغدادي(*)

المعروف بالمطرّز غلام ثعلب. بحر لا يقاس، وجواد لا يُخوَّف بلزز[٣]، ملك ألسنة العرب بأطرافها، وقاد وشزب[٤] اللغات بأعرافها، ولم ينس ما حفظ، ولا غاب عنه ما لحظ، فكان لا يذهب محفوظ من ذاكرته ولا يرهب عند محاضرته. وقد جدّ به أهل النقد فلم يروا له زيفاً، وجهدوا ولم يروعوا له طيفاً، فخجل مبكوه، ووجل قوم ظنّوا أن يسكتوه، وعلم أنّه الحافظ الذي قلّ أن ينسى، والمحافظ الذي به يتأسى، فلم يبق إلاّ من علم أنه المبرّز؛ وأنَّ عَلَمَ ردائه لايرقم مثله إلاّ المطرّز.

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٣ / ١٧١، ووفيات الأعيان ٤ / ٣٢٩، ونزهة الألباء ٢٠٦. توفي سنة ٣٤٥هـ.

(١) وفيات الأعيان ٤ / ٣٣٤.

(٢) يقصد سنة إحدى وسبعين وثلاثمئة.

(٣) اللزز: الشدّة. اللسان (لزز) ١٢ / ٢٧١.

(٤) (شزب)، الشزب هو الضامر من الخيل، اللسان (شزب) ٧ / ١٠٧، ولعلّه أراد الغريب منها.

قال الخطيب: سمعت غير واحد يحكي عن أبي عمران: الأشراف والكُتّاب كانوا يحضرون عنده؛ ليسمعوا منه كتب ثعلب وغيرها، وكان له جزء قد جمع فيه فضائل معاوية، فكان لا يترك واحداً منهم يقرأ عليه شيئاً حتى يبتدئ بقراءة ذلك، وكان جماعة لا يوثّقون أبا عمر في علم اللغة حتى قال لي عبيد الله بن أبي الفتح فقال: إن أبا عمر لو طار طائر لقال حدّثنا ثعلب عن ابن الأعرابي، ويذكر في معنى ذلك شيئاً. فأما الحديث فرأيت جميع شيوخنا يوثّقونه فيه. وحدثنا ابن أبي علي عن أبيه قال: ومن الرواة الذين لم نَرَ أحفظ منهم أبو عمر غلام ثعلب، أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة لغةً فيما بلغني، وجميع كتبه إنما أملاها بغير تصنيف ولسعة حفظه اتُّهم، وكان يسأل عن الشيء الذي يقدِّر السائل أن واضعه مجيب عنه، ثم يسأل غيره بعد سنة فيجيب بجوابه؛ أخبرت أنه سئل عن قنطرة صحفت، فقيل له: ما القنطرة؟، فقال: هي كذا. قال: فتضاحكنا.

ولّما كان بعد شهور هيّأنا من سأله عنها، فقال: أليس قد سئلت عن هذه منذ شهور وأجبت.

قال الخطيب: حكى لي رئيس الرؤ ساء أبو القاسم علي بن الحسن(1) عمّن حدَّثه أن أبا عمر الزاهد كان يؤدب ولد القاضي أبي عمر محمد بن يوسف، فأملى يوماً على الغلام ثلاثين مسألة لغةً، وختمها ببيتين. وحضر ابن دريد وابن الأنباري، وأبو بكر بن مقسم عند القاضي، فعرض عليهم المسائل، فقال ابن الأنباري: أنا مشغول بتصنيف مشكل القرآن، وقال ابن مقسم: أنا مشغول بالقراءات، وقال ابن دريد هي من وضع أبي عمر: فبلغ أبا عمر ذلك، فسأل القاضي إحضار دواوين جماعة عيّنهم له، ففتح خزانته، وأخرج تلك الدواوين. فلم يزل أبو عمر يعمد إلى كل مسألة، ويخرج له شاهداً ويعرضه على القاضي حتى تممّها. ثم قال: والبيتان أنشدناهما ثعلب بحضرة القاضي، وكتبها القاضي على ظهر الكتاب

---

(١) هو المعروف بـ (ابن سلمة).

(٢) تاريخ بغداد ٢ / ٣٥٦ – ٣٥٩. وينظر: إنباه الرواة ٣ / ١٧١.

الفلاني، فأحضر القاضي الكتاب فوجدهما، وانتهى الخبر إلى ابن دريد، فما ذكر أبا عمر بلفظة حتى مات. ثم قال رئيس الرؤساء: وقد رأيت أشياء كثيرة ممّا استنكر على أبي عمر ونسب إلى الكذب فيها مدوّنة في كتب أئمة العلم وخاصة في غريب[1] المصنف لأبي عبيد، أو كما قال.

قال عبد الواحد بن برهان: لم يتكلم في علم اللغة أحدٌ من الأولين والآخرين أحسن من كلام أبي عمر الزاهد، وله غريب الحديث ألّفه عل مسند أحمد.

وقال أبو الحسن بن المرزبان: كان ابن ماسي ينفذ إلى أبي عمر غلام ثعلب وقتاً بعد وقت كفايته ما ينفق على نفسه، فقطع مدةً لعذر، ثم أنفذ إليه جملة ما كان في رسمه وكتب إليه يعتذر فردّه، وأمر مَن كتب على ظهر رقعته، ألزمتنا فملكتنا ثم أعرضت عنّا فأرحتنا.

قال الخطيب: وابن ماسي لا أشكٌّ أنه إبراهيم بن أيوب والد أبي محمد.، وأخبرني عباس بن عمر. قال: سمعت أبا عمر الزاهد يقول:

تَرْكُ قضاء حقوق الإخوان مذلة، وفي قضاء حقوقهم رفعة.

توفي أبو عمر سنة خمس وأربعين وثلثمئة.

واعتلَّ أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي، فتأخر عن مجلس أبي عمر، فسأل عنه فقيل إنه كان عليلاً، فجاءه من الغد، فاتفق أن كان في الحمام، فكتب بخطّه على بابه. [المتقارب]

وأَعجَبُ شيءٍ سَمِعْنَا بِه عَليلٌ يُعادُ فَلاَ يُوجَدُ

---

(١) وردت (غريب)، والأصح: (الغريب) المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام.

ومنهم:

١٦- أبو علي الحسين بن محمد بن خالويه(*)

النحوي اللغوي. أتته الغرائب فداوى دويّها وداري سويّها، فأكفى موادّها وألفت صوادها، وقرّبها للمتناول وقرّبها في يد المتطاول، فقصّر طِيَلَها(١)، وغلب حِيَلَها، ويسَّرها للطالب فدنت لمرامه، وذكت في ضرامه، وحسرت له عن لثامها، وحذرت إلاّ من لمامها، ثم لم يبرح في كسر بيته، ومعاداً له أكثر قوته، حتى عوجل بموته، ومدَّ حجاب الصريح دون صوته، إلا أنه لم يخل مثله في سالف العصور، ولا نهض مثل نهضه الليث الهصور.

قال ابن خلّكان: أصله من هَمَذَان، دخل بغداد، وأدرك جلّة العلماء، وبها أبو بكر الأنباري، وابن مجاهد المقرئ(٢)، وأبو عمر الزاهد، وابن دُرَيد وأخذ عنهم، وقرأ على السيرافي، وانتقل إلى الشام واستوطن حلب، وصاربها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب، وكانت إليه الرحلة من الآفاق، وآل حمدان يكرمونه. وقال: دخلت يوماً على سيف الدولة بن حمدان، فلّما مثلت بين يديه، قال لي: اقعد ولم يقل اجلس، فتبينت اعتلاقه بأهداب الأدب أن يقال للقائم اقعد، وللنائم أو الساجد اجلس.

ولابن خالويه مع المتنبي مجالس ومباحث عند سيف الدولة، وله شعر. وأنشد الثعالبي في كتاب اليتيمة قوله: [الطويل]

إذا لم يَكُن صدرَ المجالس سيدٌ — فلا خيرَ فيمَن صدّرته المجالسُ
وكم قائلٍ مَالي رأيتك راجلاً — فقلت لَه: من أجلِ أنَّك فارسُ

(*) ترجمته في إنباه الرواة ١/٣٢٤، ونزهة الألباء ٢٣٠، وبغية الوعاة ١/٥٢٩. توفي سنة ٣٧٠هـ.

(١) الطيل: الطيل بكسر الطاء: الحبل الطويل. اللسان (طول) ٨/٢٢٩.

(٢) هو أبو بكر بن مجاهد، صاحب كتاب (السبعة) في القراءات، توفي سنة ٣٢٤هـ.

وتوفي بحلب سنة سبعين وثلثمئة للهجرة[١].

ومنهم:

١٧- أبو محمد يوسف بن أبي سعيد بن الحسين بن عبدالله بن المرزبان السيرافي[*]

النحوي اللغوي الأخباري الفاضل ابن الفاضل أبو المناضل ابن الناضل[٢]؛ بزّ السلف الخالي، وبرز في الخلف التالي. لم يعقه السؤدد عن تأدية المفترض، ولا أوقف سهمه ذو الغرض، شرَّف قدره العلم وأحلَّه، وعلّمه حتى قهر حاسده، وأذلّه وحيَّره على علم وأضلَّه. وكان يهب الدهر ذنوبه ويستر على التقصير عيوبه، ويباري البحر العذب ويستل الغطا، فلا يكشفه الجدب لفضائل لم تملك غيره فِهاماً ملك، ولا سلك منها فوق سبيل الجرّة ما سلك.

قال ابن خلكان: كان عالماً بالنحو، وتصدّر في مجلس أبيه بعد موته، وخلفه على ما كان عليه، وكان يفيد الطلبة في حياة أبيه، وأكمل كتابه المسمى بالإقناع، وهو كتاب جليل، ثم صنّف كتباً عدة جلائل، وكانت كتب اللغة تقرأ عليه مرة رواية ومرة دراية، ولد سنة ثلاثين وثلثمئة، وتوفي ليلة الأربعاء لثلاث بقين من ربيع الأول سنة خمس وثمانين وثلثمئة للهجرة، وعمره خمس وخمسون سنة وشهور، ودفن من الغد[٣].

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٤/٦١، ونزهة الألباء ٢٢٧، وبغية الوعاة ٢/٣٥٥، والبلغة ٢٩١، والأعلام ٩/٢٩٨، ومعجم المؤلفين ١٣/٢٩١. توفي سنة ٣٨٥هـ.

(١) وفيات الأعيان ٢/١٧٨.

(٢) الناضل: السبَّاق في الرماء. اللسان (نضل) ١٤/١٨١.

(٣) وفيات الأعيان ٧/٧٢.

ومنهم:

١٨- أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي، أبو الحسين، نزيل همذَان(*)

لا يدركه سعي مجد ولا يفركه سعد مستجد، اغتنى به مجده، واعتلى برتبه جدّه حتى تدفقت المجّرة نهراً في حديقته، ودلّت تباشير الصبح على حقيقته، وقامت وراءه الثريا تقتفي آثار خطاه والجوزاء تحدب ممتطاه، حتى لم يَرَ الشمس دون قُلله إلا زائلة.

قال ابن خلكان[١]: إمامٌ في علوم شتى، وخصوصاً في اللغة، فإنه أتقنها وألف كتابه (المجمل في اللغة)، وهو على اختصاره، جمع شيئاً كثيراً، وكان مقيماً بهمذَان، وعليهِ اشتغل بديع الزمان، وأنشد له قوله: [السريع]

مَـرّت بنا هيفاءُ مجدولةٌ ... تركيةٌ تَنمي لتركيٍّ
ترنو بطَرفٍ فاترٍ فاتنٍ ... أضعفَ من حُجّةِ نَحْويٍّ

[وقوله][٢]: [مجزوء الكامل]

اسمَعْ نصيحةَ ناصحٍ ... جَمعَ النَّصيحةَ والمَقَهْ[٣]
إياك واحذر إن بُليـ ... ـت من الثُّقاتِ عَلى ثِقَهْ

وقوله: [المتقارب]

إذا كنت في حاجة مُرسِلاً ... وأنت بها كَلِفٌ مُغرَمُ
فأرسِل حَكيماً ولا تُوصِه ... وذاك الحكيمُ هُوَ الدرهَمُ

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ١/٩٩، وبغية الوعاة ١/٣٨٦، والبلغة ٢٨، ومعجم المؤلفين ٢/١٦٧. توفي سنة ٣٧٥هـ.

(١) وفيات الأعيان ١/١١٨.

(٢) لم يورد كلمة (وقوله)؛ وإنما أوردناها للفصل بين البيتين.

(٣) المقة: المحبّة. اللسان (مقه) ١٣/١٨٥.

وتوفي بالريّ سنة خمس وسبعين وثلاثمئة، وقيل سنة سبعين، وقال ياقوت سنة تسع وتسعين.

ومنهم:

١٩- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري(*)

أنس بالقفار واجتنى كلّ خلوة، قرّب لغة العرب وآنس منها ما اغترب، وكفى شرَّ ألاًّ يُجاحَ[١]، وجاء بما لا ينكر للجوهري من الصحاح. هو الذي فاق سعادة جدّه، وأمات ذكره كل كتاب في جلده. لم يسبق إلى وضعه، وما أتى فيه من صنعه لما أتى به فيه من حسن الترتيب وقرب المأخذ في التبويب، فجمع في الأمور ملاكها، ومن لغة الجمهور أسلاكها، وهو اليوم مَرادُّ الأمل ومُراد العمل، وشهرته وافية بذكره، كافية في شكره. يعتّق منه الألوة[٢]، ويشرق المحاسن المجلوة، ولا تتميز قيم الفرائد مالم تكن منسوبة إلى صحاحه، ومحسوبة فيما وسم بصلاحه فلودعا الأصمعي لعذر مثله في السرد، أو انتظمت أقوال النظّام لأنبت به الجوهر الفرد.

وهو من أعاجيب الدنيا ذكاءً وفطنة وعلماً. وأصله من الفاراب من بلاد الترك. وكان يضرب به المثل في اللغة وفي حسن الكتابة، ويذكر خطّه مع خط ابن مقلة ومهلهل واليزيدي. وكان يؤثر الغربة على الوطن، ودخل بلاد ربيعة ومضر في طلب الأدب، وحين قضى وطره من قطع الآفاق، والأخذ من علماء الشام والعراق عاود خراسان، فأنزله أبو علي الحسن بن علي الكاتب عنده، وبالغَ في إكرامه ثم سكن نيسابور يدرّس ويؤلف ويعلّم

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ١/ ١٩٤، وبغية الوعاة ١/ ٤٤٦، ونزهة الألبا ٢٥٢، والبلغة ٣٦، والأعلام ١/ ٣٠٩، ومعجم المؤلفين ٢/ ٢٦٧. توفي سنة ٣٩٣هـ.

(١) يجاح: جاحهم الله جيحاً، إذا دهاهم. اللسان (جيح) ٢/ ٤٣٣.

(٢) الالوة: ما يتغيّر من الشيء. اللسان (ألا) ١/ ١٩٢.

الكتابة ويكتب الختم.

ومن العجب أن أهل مصر يروون صحاحه عن ابن القطّاع، ولا يرويه أحد بخراسان، وقد قيل: إن ابن القطّاع رتب له طريقاً لمّا رأى رغبة المصريين فيه فرواه لهم في كتابه أشياء لا شك أنها نُقلت من صحف فصحفت على الجوهري فانتدب لها علماء مصر وأصلحوا أوهامها. وقيل إنّه اختُلط في آخر عمره ومات متردياً من سطح داره بنيسابور في شهور ثلاث وتسعين وثلاثمئة وقيل في حدود الأربعمئة.

قال ياقوت الحموي: جاريت أبا الحسن علي بن يوسف القفطي أمر الجوهري. وما وقع له من حسن التصنيف، ثم قلت: ومن العجب أني بحثت عن مولده ووفاته بحثاً شافياً، وسألت عنها الواردين من نيسابور فلم أجد مخبراً عن ذلك. فقال لي: لقد بحثت قبلك عن ذلك فلم أرَ مخبراً عنه. فلمّا كان من غد ذلك اليوم جئته فقال لي: ألا أخبرك بطريقة أني رأيت في بارحتنا في النوم قائلاً يقول لي: مات إسماعيل بن حماد الجوهري سنة ست وثمانين وثلاثمئة. ولعمري، وإن كان المنام ما لا يقطع به، ولا عمل عليه فهذا بلا شك زمانه وفيه كان أوانه. وكان يجيد الشعر.

فمنه قوله: [السريع]

لَوكان لي بُدٌّ من النَّاسِ قَطَعْت حَبْلَ الناس باليأسِ
العِزّ في العُزلَة لكنَّه لابدَّ للنَّاسِ من النَّاسِ

وقوله: [الوافر]

فَهَا أنَا يونسٌ في بَطن حُوتٍ بنيَسَابُورَ في ظُلَم الغَمَام
فَقَلبي والفُؤادُ ويومُ دَجْنٍ ظَلامٌ في ظَلامٍ في ظَلام

قوله: [السريع]

يا صاحبَ الدَّعوة لا تجزِعَنْ فكلُّنا أزهدُ من كُرزِ

والماء كالعنبر في قومسٍ[١] من عزّه يجعل في الحرز
فأسقنا ماءً بلا منّةٍ وأنتَ في حِلٍّ من الُخبزِ

وقوله[*]: [المتقارب]

رأيت فتى أزرقاً أشقراً قَليلَ الدِّماغ كثيرَ الفُضُول
يُفَضّل من حُمقِهِ دانياً يزيد بنِ هند على ابنِ البَتُول

وقوله: [مخلع البسيط]

يا ضائعَ العُمر بالأماني أَمَا ترى رَونَقَ الزَّمانِ
فَقُم بنا يا أخَا الملاهي نَخرُجْ إلى نَهرِ بَستَغانِ
لَعلّنا نجتَني سُرُوراً حيث جَنَى الجنَّتين
كأننا والقصورَ فيها بحافتي كوثر الجِنانِ
والطيرُ فوقَ الغُصُون تجلي بحُسنِ أصواتِهَا الأغاني
وراسلُ الورْقِ عَندَليبُ كالزُّبر والتمّ والثَّاني
وبركةٌ حَولَها أباحَتْ عشرُ من الدُّلْب وابنتان[٢]
فرصَتُك اليومَ فاغتنمْها فَكلُّ وقتٍ سِواه فاني

قال ابن خلكان: كان أحد الأعلام المشاهير المطبقين المكثرين. أخذ الأدب عن أبي عمر الزاهد، وروى عنه جماعة من النبلاء بينهم أبو القاسم التنوخي، وهو صاحب الواقعة مع أبي الطيب المتنبي، وله الرسالة التي ذكّرها موافقة المتنبي قدماء الحكماء في كثير من حيل المعاني. ولمّا قدم المتنبّي بغداد، وترفع عن مدح الوزير المهلبي ذهاباً بنفسه عن مدح غير الملوك شقّ ذلك على المهلبي، وأغرى به شعراء بغداد[٣]، وفيهم ابن الحجاج وابن شكر

(١) قومس: القومس: قعر البحر. اللسان (قمس) ١١/٣٠٢.

(*) أورد كاتب المخطوطة بعض العبارات التي لا تتناسب مع الوارد فيها، وكانت مطموسة.

(٢) الدلب: شجر العيثام، أو شجر الصنّار. اللسان (دلب) ٤/٣٨٤.

(٣) وفيات الأعيان، ٤/٣٦٢.

الهاشمي والحاتمي وأسمعوه ما يكره وتماجنوا وتنادروا عليه، فلم يجبهم ولم يفكر فيهم، فقيل له في ذلك: أني قد عزفت من إجابتهم بقولي لمن هو أرفع طبقة في الشعراء منهم.

[الوافر]

أرى المتشاعرين غَروْا بذمّي ... وَمَن ذا يَحمَدُ الداءَ العُضالا
وَمَن يكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَريضٍ ... يَجِدْ مُرّاً بهِ الماءَ الزُّلالا[1]

ومنهم:

٢٠- أبو علي الحاتمي(*)

واسمه محمد بن الحسن بن المظفر، الكاتب اللغوي البغدادي، عقد شوارد اللغة وقد نفرت إبلها، وأقفرت سبلها، وراضت فدلّت صنعته أيّ إدلال، واهتدت بعد أي إضلال، وأضحَت لا تفارق أوطانها، ولا تألف إلاّ أعطانها[2]، فاستفاد القصي واستعاد العصيّ، وجرت على ألسنه الكلم الفصاح وانتظمت في سلكه الجواهر الصحاح، وقد كان قصد أبا الطيب المتنبي في أبهة ورواء وهيبة، لا تخفى على ذوي الآراء، فما رفع إليه رأساً ولا صنع به إيناساً، فواجهه بما فيه. إعضاض القدر وإغضاض الصدر؛ هذا وأبو الطيب قد ترفع عن رتبة السُّوقة وقعد في غلمان رَوَقة، ثم قطع بينهما الخصام، ومرمر برهما وأشرف على الانفصام إلاّ أن الصلح كان أقرب للتقوى وأغلب عندهما على ما يقوى إلى أهل العلم فهجاه ابن الحجاج وغيره بأهاجٍ مُرّةً، وتوفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمئة.

ومن شعره قوله في قِصَر الليل: [البسيط]

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٣/ ١٠٣، وبغية الوعاة ١/ ٨٧، وتاريخ بغداد ٢/ ٢١٤. توفي سنة ٣٨٨هـ.

(١) ينظر: العَرف الطيب في شعر أبي الطيب ١/ ٢٩٣.

(٢) أعطانها: العطن: مبرك الإبل حول الحوض. اللسان (عطن) ٩/ ٢٧٢.

يا رُبَّ ليل سرورٍ خِلتُه قَصِراً كَعارضِ البَرقِ في أُفقِ الدُّجى بَرقَا
قد كان يعثُرُ أولاه بآخره وكان يسبق منه فَجرُه الشفقا
كأنَّما طَرَفاه طِرْنَ إذنفر الـ حصانُ منه على الأَطَراف وافتَرقَا

وقوله في وصف الثريا: [الطويل]

ولَيلٍ أَقَمنا فيه نُعمِلُ كَأسَنَا إلى أن بدا للصُّبحِ في اللَّيل عَسْكَرُ
ونَجمُ الثُّرَيَّا في السَّماءِ كأنَّهُ على حُلَّةٍ زرقا حَبيبُ مُدثَّرُ

ومنهم:

٢١- جنادة بن محمد اللغوي الأزدي الهروي(*)

أبو أسامة، إمام كلم سبّاقُ جناتها، وَوَاصِلُ وَثَبَاتها فأوثق سببها وحقق نسبها، فَجوهَرَ تلك الألفاظ وعنبر أنفاسها ما يفوق مسك الألحاظ، فأترعت جلابَها(١) الدوافق، وجابت أجلابها إلى سوقه النافق، فقيّد تلك النوافر، وقلّد ذهب الشفق صبحها السوافر. وأوسعت له المواهب فضلَ عطاياها، وأسرعت إليه قصد مطاياها، حتى أصبح يفدى بالنجَايا(٢)، ويتقرّى له سواد الليل عن كل السؤدد لابقايا.

قال ابن خلكان: كان مكثراً من حفظ اللغة ونقلها، عارفاً بحُوشيِّها ومستعملها لم يكن في زمانه مثله في فنّه. وكانت بينه وبين الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري وأبي الحسن علي بن سليمان المقرئ النحوي الأنطاكي مؤانسة واتحاد كثير، وكانوا يجتمعون في دار العلم، وتجري بينهم مذاكرات ومفاوضات في الآداب. ولم يزل ذلك دأبهم حتى قتل الحاكم

(*) ترجمته في: بغية الوعاة ١ / ٤٨٨، وإنباه الرواة ٣ / ١١٢، ومعجم الأدباء ٧ / ٢٠٩. توفي سنة ٣٩٩هـ.
(١) الجلوب والأجلاب: الإبل التي تجلب الماء، اللسان(جلب) ٢ / ٣١٤.
(٢) النجايا: الناجية: الناقة السريعة. اللسان (نجا) ١٤ / ٦٢.

صاحب مصر أبا أسامة هذا وأبا الحسن الأنطاكي في يوم واحد من ذي القعدة سنة تسع وتسعين وثلاثمئة، واستتر الحافظ عبد الغني خوفاً منه[١].

ومنهم:

٢٢- أحمد بن محمد بن أبي عبيد العبدي الهروي الفاشاني[*][٢]

المؤدب، أبو عبيد صاحب كتاب الغريبين.. مقدم لا يُلحق في عمل، ولا يلحى في أمل، ولا يلحظ مثله إلاَّ القمر في السماء مع أنه ما كمل. وفي تصنيفه ما يدل على حسن تصريفه.

قال ابن خلكان: وكتب على ظهر كتابه في الغريبين، إنه أحمد بن محمد بن عبد الرحمن والله أعلم.

وقال: كان من العلماء الأكابر، وكان يصحب أبا منصور الأزهري اللغوي، وعليه اشتغل، وبه انتفع، وكتابه المذكور. وجمع فيه من غريب القرآن الكريم والحديث النبوي، وسار في الآفاق، وهو من الكتب الشافعية. وقيل إنه كان يحب البذلة[٣] ويتناول في الخلوة[٤]. ويعاشر أهل الأدب في مجالس اللهو والطرب. وكانت وفاته في رجب سنة إحدى وأربعمئة.

(*) ترجمته في: بغية الوعاة ١ / ٣٧١، ومعجم الأدباء ٤ / ٢٦٠. توفي سنة ٤٠١هـ.

(١) وفيات الأعيان ١ / ٣٧٢.

(٢) الفاشاني: نسبة إلى (فاشان)، وهي قرية من قرى (هراة)، ويقال لها (باشان). وفيات الأعيان ١ / ٩٥.

(٣)، (٤) وردت الكلمتان مطموستين، ونقلناهما من وفيات الأعيان ١ / ٩٦، والبذلة: ما يلبس ويمتهن، ولا يصان. اللسان (بذل) ١ / ٣٥٢.

ومنهم:

٢٣- أبو القاسمي عبدالله، وقيل عبد الكافي بن محمد بن ناقيا(*)

اللغوي الشاعر(**). رجل مشهور، وعالم يومه بشُهور. لم يكن وقته مضيَّعاً، ولا يومه بغير الطلب مشبعاً حتى ملأ صدر زمانه، وأعلى قدرَ جمانه(١). ولم يمض طَفل(٢) يوم من الأيام ولا تجلت سحابة ليله مطبقة الظلام إلاّ عن علم ازداد وعمل ضاعف فيه إمداد. ولم يقف عند طلب ولا قصَّر حتى ولا في الطرب، وكان إماماً لا يعنيه تقدم صفّ، ولا انقباض في ظرف، حتى مضى على هذا عمره، وذهب وما أبدى عذره.

قال ابن خلكان: كان فاضلاً بارعاً، له مصنفات كثيرة حسنة مفيدة. ومن شعره ما كتب به إلى بعض الرؤساء وقد اقتصد(٣): [الخفيف]

جعل اللّه ذا المواهبَ عقباك من الفضل(٤) صحة وسَلاَمَه
قُل ليمناك كيف شِئْتِ استهلّي لا عَدِمتَ النَّدى فأنت غَمَامَه

وُلد منتصف ذي القعدة سنة عشر وأربعمئة، وتوفي ليلة الأحد رابع المحرم سنة خمس وثمانين وأربعمئة، ودفن بباب الشام.

(*) ورد في المخطوطة: (ابن قانبا) وأصلحناها من المصادر.

(**) ترجمته في: إنباه الرواة ٢/١٣٣، وبغية الوعاة ٢/٦٧، ووفيات الأعيان ٣/٩٨، وميزان الاعتدال مج ٢/٥٣٣. توفي سنة ٤٨٥هـ.

(١) جمانه: واحده: جمانة، وهي حبّة تعمل من الفضة واللؤلؤ. اللسان (جمن) ٢/٣٦٩.

(٢) طَفل يومه: الطفل، غروب الشمس. اللسان (طفل) ٨/١٧٥.

(٣) وفيات الأعيان ٣/٩٨.

(٤) وردت (الفصد) بدلاً من (الفضل). وفيات الأعيان ٣/٩٨.

ومنهم:

٢٤- أبو زكرياء يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني الخطيب (*)

فرد لا تسلك له مناهج ولا تملك مباهج، أظل على الجوزاء من فوقها، وأمسك جيد العذراء بطوقها، أناف رتبة على العلماء وزينة للسماء، وفخرت به شبيبة شيبان وشيبها، وبَعِيدِ أنسابها وقريبها. هذا على هنات قلَّت وعثرات ما أقلّت، وأخذ في الارتحال، والتنقل من حالٍ إلى حال، حتى أسفرت له حنادس الظلماء، وسما سموّ حَباب الماء.

قال ابن خلّكان: أحد أئمة اللغة. له معرفة تامة بالأدب والنحو واللغة قرأ على المعري وأبي القاسم الرقي وأبي محمد الدهان وغيرهم، وسمع الحديث وروى عنه أبو بكر خطيب بغداد وغيره، وتخرّج عليه خلق كثير. وأثنى عليه السمعاني وعدّد فضائله، ثم قال: ما كان بمرضي الطريقة وذكر عنه أشياء، ثم قال: لكنه كان ثقةً في اللغة، وما كان ينقله. وله المصنفات المشهورة المفيدة. وكان قد دخل مصر في عنفوان شبابه، وقرأ على ابن بابشاذ ثم عاد إلى بغداد، واستوطنها حتى مات.

وله شعر، منه قوله: [الوافر]

فَمَن يَسأَمْ من الأسفارِ يوماً ... فإني قد سئمتُ من المقامِ
أقَمْنا بالعِراق علىِ رجالٍ ... لئامٍ ينتمون إلى لئامِ (١)

وروى عن أبي الحسن محمد بن المظفر بن تحرير البغدادي قوله: [الطويل]

خليليَّ ما أحلى صَبُوحي بِدَجلةٍ ... وأطيب منه بالصَّراةِ غَبُوقي

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٤/ ٢٢، وبغية الوعاء ٢/ ٣٣٨،ونزهة الألبّاء ٢٧٠، ومعجم المؤلفين ١٣/ ٢١٤، والأعلام ٩/ ١٩٧، . توفي سنة ٥٠٢هـ.

(١) وفيات الأعيان ٦/ ١٩١.

شـربتُ على المائيَن من مـاءِ كَـرمـةٍ وكـانا كـدُرٍّ ذائب وعَـقـيقِ
على قَـمَـري أفقٍ وأرضٍ تقـابلا فـمنْ شـائقٍ خِلوِ الهوى ومَـشـوقِ
فـمَازلتُ أسـقيـه وأشـربُ ريقَـهُ ومـازال يَسـقيني ويَشـربُ رِيقي
وقلتُ لبـدرِ التمّ تعـرفُ ذَا الفـتى فـقـال نَعَمْ هذا أخي وشَـقِـيقي

ورُوي عنه أيضاً قوله: [المديد]

يا نِسـاءَ الحّي مـن مُـضَـرِ إنّ سلمى ضَـرَّةُ القَـمَـرِ
وبيـاضُ الثَّـغـرِ أسكَنَهـا في سَـوادِ القلْبِ والبَـصَـرِ

ولد الخطيب التبريزي سنة إحدى وعشرين وأربعمئة وتوفي فجأة يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسمئة ببغداد.

ومنهم:

٢٥- أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري(*)

أبو الفضل، سابق لايلحق في ميدان، ولا يدانيه عبد المدان، تهدّلت أفنانه فنونا، وسُلبت حسانه فتونا، وضُربت به الأمثال أمثال ما جمع وأضعاف ما ليس لأحدٍ معه طمع، وله من كل فن أحسنه وأحسبه إذن عرَف حسنه، وتضاعيفه تمتع العين وتوسع الطروس بمثل الذهب العين(١).

قال ابن خلكان: كان أديباً فاضلاً عارفاً باللغة، اختص بصحبة الواحدي صاحب التفسير، ثم قرأ على غيره، وأتقن من العربية، خصوصاً اللغة وأمثال العرب. وله كتاب الأمثال، ولم يعمل مثله في بابه، قال: وكان ينشد بيتين وأظنهما له: [الطويل]

(*) ترجمته في: نزهة الألباء ٢٨٨، وإنباه الرواة ١ / ١٢١. توفي سنة ٥١٨هـ.
(١) العين: عين كلِّ شيء حقيقته وخياره. اللسان (عين) ٩ / ٥٠٧.

تَنَفَّس صُبحُ الشَّيبِ في ليل عَارِضِي فقلتُ عَسَاه يكتَفِي بعِذَاري
فلمَّا فشا عَاتبتُه فأجابني ألا هَل تَرى صُبحاً بغيرِ نَهارِ(١)

وله أيضاً: [السريع]

يا كاذباً أصبح في كذبه [أعجوبة](٢) أية أعجوبهْ
وناطقاً ينطِقُ في لفظة واحدةٍ سبعينَ أُكذُوبه
شبَّهك الناسُ بعَرقُوبهم(٣) لما رأوا أخذَكَ أسلوبَه
فَقلتُ كَلاَّ إنَّه كَاذبٌ عُرقوب لا يبلُغ عُرقوبَه

ولما صنَّف كتاب الأمثال وقف عليه الزمخشري فحسده وأخذ القلم وزاد في لفظة الميداني سنّة(٤) فصار النميداني، ومعناه بالفارسية الذي لا يعرف شيئاً. فلما وقف الميداني على ذلك أخذ بعض تصانيف الزمخشري وزاد في نسبته سنة وعمل الميم نوناً ومعناه بالفارسية تابع زوجته. وكان جماعة من كبار أصحابه يقولون: لو كان لنا للذكاء والشهامة والفضل صورة لكان الميداني تلك الصورة.

توفي يوم الأربعاء لخمس بقين من رمضان سنة ثمان عشرة وخمسمئة بنيسابور.

---

(١) وفيات الأعيان ١/١٤٨.

(٢) أضفناها لاستقامة الوزن، ولعلّها سقطت من تحرير المخطوطة.

(٣) نسبة إلى (مواعيد عرقوب)، في المثل السائر، وهو: عرقوب بن معبد، كان أكذب أهل زمانه. اللسان (عرقب) ٩/١٦٧.

(٤) سنّة: سنّ القلم: موضع البري منه. اللسان (سنن) ٦/٣٩٦.

ومنهم:

٢٦- أبو منصور موهوب بن أبي طاهر أحمد بن الخضر الجواليقي(*)

البغدادي، رجل لم يَخَف ضلالاً، ولم يخش َملالا، تزينت به بغداد فأصبح من شموسها المشرقة وعروسها المونقة، ولم يزل بها في جدّ شمَّر له ساعدَه، وهجربه منامه وباعده وقاطع به اللذات، ومانع به الملذات حتى أصبح كامل الذات، فاضل النفس التي لا تتبع بالأذى، ثم كان ابن بجدتها[١] وأخاها الملتف في شملتها، واتصل بالخلافة حتى كان طوقاً لمجلسها وغلا لمبلسها، مجلياً لدياجيرها، وركنا لمستجيرها، ثم أتته المنايا سُرَعَا وبدأته وما دعا.

قال ابن خلكان: هو من مفاخر بغداد، قرأ الأدب على الخطيب التبريزي، ولازمه حتى برع في فنّه، وهو ثقة عزيز الفضل، وافر العقل مليح الخط كثير القسط، حسن التصانيف المفيدة، وانتشرت عنه، وكان يختار في بعض مسائل النحو مذاهب عربية وكان في اللغة أمثل منه في النحو، وكان إماماً للإمام المقتفي[٢] يصلي به الفرائض وألّف له كتاباً لطيفاً في العروض، ودخل عليه أول دخلة فما زاد أن قال السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال له ابن التلميذ الطبيب[٣]، وكان قائماً بين يدي المقتفي وله إدلال الخدمة والصحبة، ما هكذا يسلّم على أمير المؤمنين، فلم يلتفت ابن الجواليقي إليه، وقال للمقتفي: يا أمير المؤمنين سلامي هو ما جاءت به السنة النبوية، وروى له خبراً في صورة السلام ثم قال يا أمير المؤمنين لو حلف حالف أن يهودياً أو نصرانياً لم يصل إلى علمه نوع من أنواع العلم

(*) ترجمته في: إنباه ٣/ ٣٣٥، ونزهة الألباء ٢٩٣، والبلغة ٢٧٠، وبغية الوعاة ٢/ ٣٠٨. توفي سنة ٥٣٩هـ.

(١) بجدتها: يقال: هو ابن بجدتها، للعالم بالشيء، المتقن له. اللسان (بجد) ١/ ٣١٦.

(٢) المقتفي لأمر الله، الخليفة العباسي، واسمه محمد بن المستظهر بالله أحمد بن عبدالله، كان عالماً فاضلاً، دَيِّناً حليماً شجاعاً، توفي سنة ٥٥٥هـ. إنباه الرواة ٣/ ٣٣٦.

(٣) هو ابن التلميذ الطبيب، المعروف بابن التلميذ النصراني الطبيب، توفي سنة ٥٦٠هـ. إنباه الرواة ٣/ ٣٣٦.

لما لزمه كفارة الحنث؛ لأن الله تعالى ختم على قلوبهم، ولن يفكّ ختم الله إلا الإيمان، فقال له: صدقت وأحسنت فيما نقلت، وكأنما ألجم ابن التلميذ مع فضله وغزارة أدبه[١].

وسمع ابن الجواليقي من مشايخ زمانه وأكثر، وأخذ الناس عنه علماً جمّاً ونوادر كثيرة. ولد سنة ست وستين وأربعمئة، وتوفي يوم الأحد منتصف المحرّم سنة تسع وثلاثين وخمسمئة.

ومنهم:

٢٧- سعيد بن المبارك بن علي الأنصاري

أبو محمد المعروف بابن الدهان[*]

البغدادي صاحب لغة رقّى صفيحها[٢] وأبقى صحيحها، روى عن أعرابها وتروّى في إعرابها، ومازال يدعو إليها حتى أغرى بها، وأزال إغرابها فأقام من أمْتها[٣]، وجمع بين الكلمة وأختها فاستقامت من عوجها واستقلت من عرجها، وأصبحت به أوانس خدور، وكوانس نجوم وبدور. لا يخاف من نفار ولا يخفى في أسفار، ولا تزال بها الكتب مفتحة للأبواب مصفحة الفواتح بالذهب والخواتم بالصواب.

قال ابن خلكان فيه: وكان في زمن أبي محمد ببغداد من النحاة ابن الجواليقي وابن الخشاب، وابن الشَجَري، وكان الناس يرجحون أبا محمد عليهم مع أن كل واحدٍ منهم إمام ثم إن أبا محمد رحل عن بغداد إلى الموصل قاصداً جناب الوزير الجواد جمال الدين

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٢/ ٤٧، والبلغة ٨٤، وبغية الوعاة ١/ ٥٨٧. توفي سنة ٥٦٩هـ.

(١) وفيات الأعيان ٥/ ٣٤٢.

(٢) صفحيها: الصفيح من الشيء، الصلب، كالحجارة ونحوها. اللسان (صفح) ٧/ ٣٥٥.

(٣) أمتها: الأمت: التقدير ومعرفة الشيء. اللسان (أمت) ١/ ٢٠٢.

الأصفهاني فتلقاه بالإقبال وأحسن إليه وأقام مدة في كنفه، وعمي لكثرة ما كان يحرر كتبه التي علقت بالأذن. ومولده عشية الخميس لخمس بقين من رجب سنة أربع وتسعين وأربعمئة وتوفي يوم الأحد من شوال سنة تسع وستين وخمسمئة.

وله شعر أُنشد له، قوله: [البسيط]

لا تجعل الهَزلَ دأباً فهوَ منقَصَةٌ واجِدُّ تعْلو به بين الورَى القِيَمُ
فلا يَغُرّنك من مَلْكٍ تبسُّمه ما تَصخَبُ السُّحبُ إلا حين تَبتَسِمُ

وقوله: [المجتث]

لا تَحسَبَنْ أنّ بالشِّعـ ـر مِثلَنا سَتَصِير
فللدَجاجةِ رِيشٌ لكنّها لا تَطِير

وقوله: [مجزوء الكامل]

لا غَرْوَ أن أخشَى فِرا قَكُم وتخشاني اللُّيُوث
أوَ مَا تَرى الثَّوب الجديـ ـدَ من التفرّق يَستَغِيث

وكان له ولد وهو أبو زكريا يحيى، وكان أديباً شاعراً. ومن شعره: [الخفيف]

إن مدحتُ الخَمولَ نبَّهتُ أقوا ماً نِيَاماً فسابَقُوني إليهِ
هو قد دلّني على لذّةِ العَيْـ ـشِ، فَمَا لي أدلُّ غَيري عَلَيهِ

وقوله: [الوافر]

وَعَهدِي بالصِّبا زَمَناً وقَدْري حكى ألفُ ابنِ مُقلَةَ في الكِتابِ
فَصِرتُ الآن مُنحَنِياً كأني أفتّش في التُّرابِ عَلَى شَبَابِي[1]

وقوله مما يعزى إليه وإنما هي لأبيه: [البسيط]

---

(١) وفيات الأعيان ٢ / ٣٨٢.

بادِرْ إلى العَيشِ والأيَّامُ راقدةٌ ولا تَكُن لِصُروفِ الدَّهرِ تَنتظِرُ
فالعُمرُ كالكأسِ يبدو في أوائِله صفوٌ وآخرُه في قَعرِه الكَدَرُ

وقال ابن عساكر: سمعت سعيد ابن الدهان يقول، رأيت في النوم منشداً ينشد محبوبه: [مجزوء الرمل]

أيُّها الماطِلُ دَيني أسليٌّ وتماطِلْ
علِّلِ القلبَ فإني قانعٌ منكَ بِباطِلْ

وهذا آخر ما ذكرناه من أهل اللغة بالجانب الشرقي إلى حين انقطع بهم الزمان ولم يوجد من نصلهم به إلى الآن.

[أهل اللغة من الجانب الغربي]

١- أبو بكر اللؤلؤي القيرواني(*)

فأمّا من الجانب الغربي من أهل هذا الشأن فإنما طّنت لغة العرب في آذانهم وتعلّموا النطق بلسانهم بعد أن أتى عليهم حين من الدهر، وأمسكت مخانقهم بيد القهر، فمنهم أحمد ابن إبراهيم بن أبي عاصم، أبو بكر اللؤلؤي النحوي القيرواني صاحب لغة، حقق علومها وحرّر عمومها، وحطّم أنوفها، وعلم صنوفها واقتادها ذللاً ونشرها حُللاً، وجمع شتاتها واستدرك فوائتها ولم يقنع من الدنيا بدونها، ولا ترك بأرض هدونها(١)، يخيمُ بشرف على الهضاب، وحَتَم ألاّ يرشف إلاّ الرضاب، وكان لا يسرح إلاّ في أنية مرهومة(٢)، ولا يرى لديه إلاّ أردية مرقومة، والعزوم قدّامه جاثية، والأيدي ممّا لديه حاثية(٣). وكان من النقّاد العلماء في الغريب والنحو وشعر العرب، وله الشعر الفائق، ثم تركه في الآخر وأقبل على طلب الحديث والفقه. توفي سنة ثمان عشرة وثلاثمئة وله ست وأربعون سنة.

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ١/ ٣٠، والبلغة ١٢، وبغية الوعاة ١/ ٢٩١، ومعجم المؤلفين ١/ ١٣٢، والأعلام ١/ ٨١. توفي سنة ٣١٨هـ.

(١) هدونها: الهدون: السكون. اللسان (هدف) ١٥/ ٥٨.

(٢) مرهومة: مخصبة. اللسان (رهم) ٥/ ٣٤٧.

(٣) حاثية: من حثو التراب، كناية عن الكثرة. اللسان (حثا) ٣/ ٥٠.

ومنهم:

٢- أحمد بن أبان بن سيّد اللغوي(*)

صاحب شرطة قرطبة، دافع الصفوف وداري الصروف، وتفرّغ للعلم، والموانع شاغلَة، والمواضع فِتَنُها شاملة، والأوقات أضيقُ من حَلقة الخاتم، وأتعَبُ من قعدة الجاثم. لا يقلّب المحدّق بصراً، ولا ينطق المنطق حصرا. وكان إذا سُئل ورد الجياد ساحته، ولم يخرج النطق منه إلا حاجته؛ هذا لأنه لم يتكلم بمُجَان، ولا يزال كأنه يتكمم ولسانه يهتز كأنه جانّ، وكان ظنّه يصدق ولا يتوهم، وفنّه وماراق من برد الليل المسهم. وكان مقدماً في معرفة اللغات ذا قلم جارٍ، صنّف كتاب العالم في اللغة مئة مجلد على الأجناس. وتوفي سنة اثنتين وثمانين وثلاثمئة.

ومنهم:

٣- تمام بن غالب بن عمر اللغوي(**)

المرسي، أبو غالب التيَّاني من أهل قرطبة سكن مرسيّة[١]، بلغ فضله حدّ الاستفاضة، وصَعُبَ جامِحُ العلم فَرَاضَه، وقضت له الرتبة أن يكون صدر مَجالسها وأنس مُجالسها فأضاء في غسقها، وأضاف فرائده إلى نسقها، ولم يزل يحوط أوانسها، ويجمع كوانسها، فقرّر القواعد وأنجز المواعد وأسعفه الزمان المساعد، وعُني بالغرائب حتى ردّها إلى الرياض،

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ١ /٢٧، وبغية الوعاة ١٥ /٢٩٣، والبلغة ١٤، ومعجم المؤلفين ١ /١٣٩. توفي سنة ٣٨٢هـ.

(**) ترجمته في: إنباه الرواة ١ /٢٥٩، ووفيات الأعيان ١ /٣٠٠، والبلغة ٤٤، وبغية الوعاة ١ /٤٧٨، ومعجم المؤلفين ٣ /٩٢. توفي سنة ٤٣٦هـ.

(١) مرسيَّة: مدينة بشرق الأندلس. وفيات الأعيان ٣ /٣٣١.

وأوردها على الحياض، فوصل الأسباب، وسمعت منه كل طنانة لغيره منها هرج الذباب.

كان مقدماً في علم اللسان، أجمعه مسألة له اللغة. طلب إليه أبو الجيش مجاهد بن عبد الله العامري لما غلب على مرسيّة أن يزيد في كتابه في اللغة مما ألَفه أبو غالب لأبي الجيش مجاهد ووجه إليه بألف دينار فامتنع وقال لا استجير الدنيا بالكذب؛ فإنما صنفته للناس عامة، توفي بالمرسيَّة سنَة ست وثلاثين وأربعمئة.

ومنهم:

٤- علي بن أحمد وقيل ابن إسماعيل أبو الحسن ابن سيدة (*)

الأندلسي الضرير رجل مشهور، كان الداعي باسمه صرّح، وكان الدهر بعلمه لمّا تقدّم فسح، لم يقاومه بصير، ولا لازمه إلاّ مَن حسُنَ له المصير، أحاط باللغة علماً، وكشف منها كلَّ معمّى، وبصر بطرقها وهو أعمى، وجمع ما ضرب عليه نطاقها، وجذَبت إليه بناقها(١)، وصعد لارتقائه الكتب، وحط عن نقابه في المكتب ثم عمل له صوانا، وجعل له ديوانا، ومنه يكشف كلَّ مبهم ويكفُّ من لم يفهم، فمنه غاية الكشف وبه نهاية الكف.

قال ابن خلكان: كان إماماً في اللغة والعربية، استولى في آخر عمره على صاعد البغدادي(٢) وعلى أبي عمر الطَلَمنكي(٣)، وألّف المحكم في اللغة نحو عشرين مجلداً، لا يعرف قدره إلاّ مَن وقف عليه. فلو حلف أنه لم يُصنّف مثله لم يحنث، وكان نادرة وقته،

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٢ / ٢٢٥، وبغية الوعاة ٢ /١٤٣، والبلغة ١٤٨، ومعجم المؤلفين ٧ / ٣٦، والأعلام ٥ / ٦٩. توفي سنة ٤٥٨هـ.

(١) بناقها: البنيقة: العُرى التي تدخل فيها الأزرار. اللسان (بنق) ١ /٥٠٣.

(٢) صاعد بن الحسن الربعي اللغوي، من بلاد الموصل. ارتحل إلى الأندلس، توفي سنة ٤١٩هـ. إنباه الرواة ٢ / ٨٥.

(٣) هو أحمد بن محمد بن عبدالله، منسوب إلى (طلمنكة) بالأندلس، عالم معروف، توفي سنة ٤٢٩هـ. إنباه الرواة ٢ / ٢٢٦.

وله شعر جيّد، وكان منقطعاً إلى الأمير أبي الجيش مجاهد بن عبد الله العامري، وكان أعمى ابن أعمى، توفي سنة ثمان وخمسين وأربعمئة. وكانت وفاته بدانيه لأربع بقين من ربيع الآخر[١].

ومنهم:

٥- علي بن جعفر بن علي السعدي الصقلّي اللغوي الكاتب المعروف بابن القطّاع[*]

بطل لا يناجز وجبل لا يناهز، أعجز بحرُه مَن عام به، ورد بحره كل كميّ هز عامله، قعد للإفادة كل أيامه. متح غدرَ طرفيها ورادا، ويلزُّبنقعها سعداً وورّادا حتى أفاق آنية أفهامهم فأترعها، وأخصب أندية أيامهم فأمرعها[٢]، ونقلت الألسنة [ما] سمعتها فملأت بها الآذان، ونقلتها إلى حيث تسمع الأذان، تجاوز محدوداً ولم يكن مثله في القوم على كثرتهم معدودا، فلهذا عُرف معماه، وبقي اسمه وقد ذهب مسمّاه.

ولد بصقلية سنة ثلاث وثلاثين وأربعمئة، وقرأ على ابن البرّ اللغوي وله التصانيف المفيدة، ورحل عن صقلّية لما أشرف الفرنج على تملّكها، وقدم مصر في حدود الخمسمئة، وأُكرم في الدولة المصرية، وقد كان نقدة المصريين ينسبونه الى التساهل في الرواية. فمن ذلك لما قدم، سألوه عن كتاب الصحاح للجوهري فذكر أنه لم يصل إليهم، ثم لما رأى اشتغالهم به ركب له طريقاً، وأخذ الناس عنه مقلدين له. وكان ذكياً شاعراً. توفي في صفر سنة خمس عشرة وخمسمئة.

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٢/٢٣٦، والبلغة ١٥١،ووفيات الأعيان ٣/٣٢٢، وبغية الوعاة ٢/١٥٣،ومعجم المؤلفين ٧/٥٢. توفي سنة ٥١٥هـ.

(١) وفيات الأعيان ٣/٣٣١.

(٢) أمرعها: المرع هو الخصب. اللسان (مرع) ١٣/٨٣.

ومنهم:

٦- أبو عبدالله محمد بن الصايغ القرشي(*)

الأموي، أغزر من أغرف أدباً، وألّف في تحصيله دأبا، وأنقد مَن رأيت لمعنى، وأوقد من رضيت ذهناً. هو في اللغة إمام مبرّز بجميع كلام العرب، محرز مع نحو ما ترك منه شعباً، ولا خلّى من العربية ذلولاً ولا صعبا. ملك نوافر الكلم حتى اقتاد جوامحها، وارتاد مسارحها، وسدَّ في العروض خلل الخليل(١)، وبرز على التبريزي في مصنّفه الخليل، وطرق قدامة بن الحاجب حاجبا، وانقطع ابنُ القطّاع وما أدّى واجبا، وركب بحوره ولم يخش الغرق، وأتى بقوافيه وما أزعجها في أماكنها القلق. وله في الصناعتين ما فاق الدرر، مفرطة وسلكاً، ولم يخط خطوة منهما مخلوجة. وسلكيّ أدب ولذي وثب. فرائده لدَيَّ طالما اجتنيت منه ثمراً واجتليت قمرا، واجتلبت منه بالمذاكرة سمرا. وهو ممن يأوي بالمرتبة إلى بَيت عريق، وأصل مرواني أينع له غصن وريق، ذكر أنه من ولد هشام بن عبد الملك، وأنه من النسب الأموي في السنام لا في الورِك، نسبة تداولتها ولاة بيته، ورواة بلده عن حَيِّه وميته. وها هو الآن بالقاهرة أحد أعلامها المطبب لسقام آلامها والمطنب في محاسن كلامها. وما النيل من خلائقه الحسنى بأعذب، ولا المغناطيس من إبداعه بأجذب. ومن نثره قوله:

وقف الحجاج ووقفنا دون ما عهد إلينا

وسعوا وسعينا فما تعود لائمته علينا

قوله:

نفـــروا وانقلبنا بالوزر عن الارتكاض

وأفاضوا وأفضنا بقِداح القدح في الأعراض

(*) لم يؤرخ العمري لميلاده ولا لوفاته أصلاً.

(١) يعني الخليل بن أحمد الفراهيدي واضع علم العروض في الشعر.

قوله:

ران الهــوى على القلب فــفــســد [؟]
وسرى الحسـد فينا سَرْيَاً في الجسـد

قوله:

وحضرت مجالس الذكر وكان ليس بالمحاضر
قست القلوب فما تتأثر لزجر زاجر

قوله:

حاضر استيقظوا فقد لاح نور الصباح
وأجيبوا فقد حَيْعَل داعِي الفَلاح
وأصلحوا أحوالَكُم فقدْ فاز بالجنَة أهلُ الفُلاح

قوله:

واضرَعُوا إلى الله فيما ينجّيكُم
وتوسّلوا إليه يطعمكم فيما لديه ويُرجّيكم

ومن شعره قوله: [الكامل]

بـرقُ الـثـنـيَّـــــة أم ثـنـايـاك الـتي ... خطف الفـؤادُ ببـرقـهـا الخطَّافِ
مـراك بسـتـاني وذكـرُك مُطربي ... وهواك سُكري لا كـؤوس سُـلافِ
سلسَـال وِردٍ لو يبـاح لظامئ ... وريـاضُ وَرْدٍ لـو دنَـت لـطَّـافِ
غـارَت فـغـارت منه أقـمـارُ الدَّجَى ... لمَّا انجلَى في فَـرع ليل صَـافِي
تَقسُو علَيَّ ومـا بهـا لو أنَّهـا ... رقَّت لرقَّـةِ قَلبيَ الـتَّـرجَـافِ
سَـائِلْ رِياضَ الحُسنِ مِنْ وَجَنَاتِهـا ... مـا أنبتَ الأغصـانُ في الأحـقَـافِ

وقوله: [الكامل]

بُعدُ المزارِ ولوعةُ المشتاقِ حَكَمَا بفيضِ مَدامعِ الآماقِ
أَمُعلِّلي إنّ التواصُلَ في غدٍ مَن ذَا الذي لغدٍ فَديتك باقِ
عُجْ بالمطيِّ عَلَى الحِمَى تسقي الحمى صَوباً كصيِّب دَمعيَ الرَّقراقِ
منهُ لَدَى القلبِ السليمِ ودادُه قَلبٌ سليمٌ مَالَهُ من راقِ
قلبُ عَداهُ فِراقُكُم فُارقتُه لا كانَ في الأيّامِ يومَ فِراقِ

وهذا آخر ما ذكرناه من أهل اللغة بالجانب الغربي.

[أهل اللغة في مصر]

١- جمال الدين بن المكرّم(*)

فأمّا من وقع بمصر منهم وأمثالهم. ومنهم جمال الدين بن المكرّم، وهو من ولد رويفع بن رفاعة الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلّم، مقيم لأثره إحسان ومقيل لعثرة لسان. حصل على شرف لا ينال، وطرف دونه النجم في المنال، ولم يتخذ سوى الليل سميراً، ولا غير طلب العلم ضميرا، فلم يذق النوم إلاّ عرارا[١] ولا عرف الليل إلاّ سرارا[٢]، وكتب على عينه السهر ومنادمة الكواكب إلى السحر فأحيا الليالي، وقد مات حنين النهار في أحشائها، وذهب لجين الصباح في ذهب غشائها. وتوقّد وقد أطفئت شعلة المريخ، ولم يحصل شفق النهار إلاّ على التلطيخ، فكتب أوقارا، وذاب ليلاً ونهاراً حتى كفّ بصره، وثنى عنانه مقصره على أنه كان مولعاً برضاع الكؤوس ورضى الكاعب العروس. وولي التتار حين غلَبَتهم، وجرى معهم في حَلَبتهم، ثم ذهب وكان يقال: إنه يكون منظراً، ووجدوا ما عملوا محضراً، وكان أبوه جلال الدين مكرم ممن له اتصال بخدمة الملك الكامل وحضور في مجلسه الخاص كالنديم له، وكان من ذوي المروءة والعصبية كثير العناية بالناس، وقضاء حاجة ذوي الحاجات، ودام على هذا إلى الممات وفيه قيل: [مجزوء الكامل]

قالوا المكرّمُ قد مَضَى ... قلتُ السَّلامُ عليك مصرُ
ما بعدَ يومِ مكرَّمٍ ... للفضلِ إمَّا عَاش عُذرُ

ونشأ ولده وقرأ وتأدّب، وصحب شرف الدين أبا العباس التيفاشي، وأخذ عنه واستمدَ منه وألّف كتاب سرور النفس ممّا كان التيفاشي جمعهُ، وضنّ به فما أبرزه من خدره ولا أطلعه. هو كتاب ممتع، وفيه لأهل المحاضرة مقنع. وكتب جمال الدين بديوان الإنشاء بمصر،

(*) ترجمته في: الدرر الكامنة ٤ / ٢٦٢، والبغية ١ / ٢٤٨، ومعجم المؤلفين ١٢ / ٤٧. توفي سنة ٧١١هـ.

(١) عرارا: التعارُّ والعرار: السهر والتقلُّب في النوم. اللسان (عرّ) ٩ / ١٢٥.

(٢) سرارا: سِرّ كلِّ شيء: جوفه. اللسان (سرّ) ٦ / ٢٣٥.

وترقّى حتى جلس في الدست[١] لقراءة القصص، والتوقيع عليها. ولمّا قدم السلطان محمود غازان دمشق، كان فيمن كتب له وكتب التقاليد لقبجاق وبكتمر السلحدار، والفارس البكي. وكان قادراً على كثرة الكتابة مطيقاً لها مع اطلاع كثيرعلى فنون عدّة. وألّف في اللغة كتاباً جليلاً أظنّه سمّاه نهاية الأدب في لغة العرب[٢]، جمع فيها مشاهير كتب اللغة الجليلة ورتّبه ترتيب الجوهري لكتاب الصحاح، وكتب عليه شيخنا أبو الثناء محمود الحلبي وأبو حيّان تقريض الكتاب وشكره، ووقفت على أجزاء منه على كل منها تقريض خاص، منه قول شيخنا أبي الثناء: وكان ابن المكرم مغرى باختصار الكتب المطولة، فممّا اختصر، تاريخ الحافظ أبي بكر الخطيب، والذيل عليه لابن النجار، وتاريخ الحافظ أبي القسم ابن عساكر، والجامع في المفردات لابن البيطار، ورأيت أطباء ديار مصر الأجلاء كالسديد الدمياطي وفرج الله بن صغير، وغيرهما يُثنون على حسن اختياره، ويقولون: إنه مع اختصاره لم يُخلّ فيه مقصد من مقاصده، ولا ترك موضعاً لم يأت عليه من فوائده إلى غير هذا مما كتب وآونة احتطب. وكان على هذا كله مقصّراً في صناعة الإنشاء غير محصد الرشاء على أنه كان يأتي بالأبيات من الشعر؛ وإن لم يكن ممّا يبهر حسنها، ولا يسرف فنّها. وكلّها من باب المقبول أو ما يدانيه، ويقال: إنّه كتب بخطّه خمسمئة، وكان كلّما يكتب على طريقة واحدة بقلم دقيق كتابة مغلقة التعليق لا يكاد يبين. ولم يزل يكتب ويسهر الليل في الكتابة، حتى كان يقضي الليالي الطوال كلها سهراً لا يُلمُّ فيها بكَرَى، ولا يطعم جفونه فيها بهجعة، وكان يتخذ إلى جانبه إناءً فيه ماء، فإذا غلبه السهر وكاد يصرعه الكرى، أخذ من الماء فسكب في عينيه فعُمي وعُدم نور بصره، وجلس في مجلس العمى في آخر عمره، وكان مع هذا رجلاً مغرماً بالنساء مغرى بالنكاح، لا يكاد تربط له تكّة، ولا يقبضه عنه مسكة إلى ولع كما يقال بالخمر عفا الله عنه لا يترك كؤوسها عن مطي

---

(١) الدست: أو، الدشت، من الثياب والورق وصدر البيت. القاموس المحيط (الدست) ١٩٤.

(٢) يقصد بذلك: (معجم لسان العرب).

راحه[١]، ولا يتعدّاها أمل اقتراحه، وكان رفقته يعيرونه بشرب الخمر، ويسمعونه فيها الملام، ويلحقون بسببه عليه الكلام، وكان يحتمل ويتذرع الصبر ويستملّ. فإذا أمضته ألسنتهم الراشقة، وطعنته أسنّتُهم الماشقة قال: لو كان للزنا واللواط رائحة تُشم مثل الخمر حتى نهتك كلَّ مستتر، ولكن بليته بما تُشمّ له رائحة، وابتلوا بما لا تشمُّ له رائحة. وتزوج قريب موته بنت أقوش قتّال السبع، وكان أحد أمراء الدولة الأكابر، فكان يطير بجناحه ويقاتل رفاقه المعتدين عليه بسلاحه وكان ينتسب إلى قضم الأعراض وهتك الأحساب، والتجوز في الأذى والتقصد والضرر.

ومنهم:

٢- محمد بن إبراهيم النجادي البجلي

لغوي سوى كلامه الذي يُلقى وغير مكامن النقص الذي به يطغى، أتقن لغة العرب وضبطها، وقيَّد شواردها النادّة كالإبل وربطها، لا يدانيه ابن قُرَيب[٢]، ولا أبو عبيدة له إلاّ من عبيد الغريب، زيّن هذا بتفنُّن في الأدب وتنوع في العلم مكتسب، وكان يتونس في ذرى ملك كساه العلا أثواب البقا، وعلا السماء مرتقى، وفضل أجود من الغمام، وإن لم يسأل حوى سبقاً، فقات الأمم وفاءً، محاماةً على الذمم، وقد ذكره شيخنا أبو حيّان، وأثنى عليه بما لا تُذهبه الأحيان، ومما أنشد له قوله: [مجزوء الرجز]

كم قلت إذ غادَر مَن ... كان الفؤاد مَنزلَه
أأشعريٌ خدُّه ... أم من المعتَزِله

---

(١) مطي راحه: لا تفارق الكأس كفّه.

(٢) ابن قُرَيب، هو عبدالملك بن قريب الأصمعي، توفي سنة ٢١٦هـ. وفيات الأعيان ٣ / ١٧٥.

وقوله : [البسيط]

قطفتُ باللحظ من بستانِ وجنتِه تفاحةً ضرَّجتها حمرةُ الخَفَرِ[1]
وقلتُ هذا أمانٌ من قطيعتِهِ فالشَّرعُ قد نصَّ أن لا قَطعَ في الثمرِ

(١) الخفر: الحياء: اللسان (خفر) ٤/ ١٥٢.

أهل

[علم النحو]

١- أبو الأسود الدؤلي (*)

وأما علم النحو الذي هو رأس علوم الإسلام، وبه تتبين سبل الكلام؛ فإنما نبع من المشرق وامتدّ منه سحابه المغدق، ثم منه بقية الآفاق امتاروا، وحملت أهل المغرب أوقار (١) الركائب وساروا. وسنذكر إن شاء الله مشاهير أهله، وننبّه على فضل كل منهم ونبله، ونبدأ بأول من وضع هذا العلم، وهو أبو الأسود الدؤلي ظالم بن عمر بن سُفين بن جندل بن يعمر ابن حلس بن بقاية بن عدي بن الدئل بن بكر بن عبد مناة، أول أهل النحو. هذا الذي استنبط مَعينه واستنشط مُعينه، وانتصر للعرب وقد فسدت ألسنتها وضفيت حَسَنَتُها، وقام قياماً حملته عليه العربية وحمية الغضب لهم والعصبية، ورأى العرب وقد استوطنت ريف العراق، كثر اختلاطها بفارس والروم وسائر أخلاط العجم، وانحبس من قطرها ما انسجم، وزاده استفهام ابنته عن الأحسن من نجوم السماء ما زاد باعثه وأحدث حادثه، فبات بليلة كأنما قُصّت قوادم غرابها ولم يرَ من عدد الصباح إلاّ لوامع سرابها. فلمّا انفجر دُمّل ليله، وقرّت في منبثق النهار قرارة سيله أتى مدينة العلم من بابها، وهبّ لحاجته ما أعدّ من أسبابها، فقوّم له أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ذلك المناد (٢)، وعاد صلاحه على ذلك الفساد، وعلّمه كلمات بها تاب الله على لسان العرب وأمسك منه ما كان قد اضطرب.

ويروى أن الذي قال له: الكلمات ثلاث لم يزده عليها، وقال بعضهم قاله: الكلمات ثلاث اسم وفعل وحرف. قال آخرون: قال له، اعلم أنّ الكلمات ثلاث لا يمكن الزيادة عليها، ولا النقص منها وهي اسم وفعل وحرف. وقد زعم كثير أنه إنما استأذن في ذلك زياد

(*) ترجمته في: تاريخ العلماء النحويين ١٦٤، والفهرست ٤٦، وإنباه الرواة ١ / ١٣، وبغية الوعاة ٢ / ٢٢. توفي سنة ٦٩هـ.

(١) أوقار: الوقر: الصدع والثُّقل. اللسان (وقر) ١٥ / ٣٦٤.

(٢) المناد: الشرود والنفور. اللسان (ندد) ١٤ / ٨٩.

ابن أبيه، فقال له هذا الكلام، والأول أثبت لصحبته لعليّ رضي الله عنه، ولأن الحكمة منه أشبه.

قال ابن خلكان: كان من سادات التابعين، وصحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وشهد معه صفّين، وهو مصري، وكان من أكمل الرجال رأياً وأشدهم عقلاً وهو أول من وضع النحو. فقيل إن علياً رضي الله عنه وضع له الكلام فقال: الكلام كلّه ثلاثة أضرب اسم وفعل وحرف، ثم دفعه إليه وتمّم على هذا. وقيل إنه كان يعلّم أولاد زياد بن أبيه وهو والي العراقين يومئذ، فجاءه يوماً فقال: أصلح الله الأمير إني رأيت العرب قد خالطت هذه الأعاجم وتغيرت ألسنتهم، أفتأذن لي أن أضع للعرب ما يعرفون كلامهم، قال: لا. فجاء رجل إلى زياد وقال: أصلح الله الأمير:، توفّي أبانا وترك بنون. قال: ادعوا لي أبا الأسوَد، فلمّا حضر قال: ضع للناس الذي كنتُ نهيتُكَ أن تضع لهم. وقيل: إنه دخل يوماً بيته فقال له بعض بناته: يا أبتِ ما أحسنُ السماءِ، فقال: إني لم أدر أيُّ شيء منها أحسن وحكى ولده أبو حرب، قال: أول باب وضع أبي باب التعجب، وسمِّيَ النحو نحواً لأن أبا الأسود قال: استأذنت على علي بن أبي طالب أن أضع نحوما وَضع، فسمي لذلك، وكان لأبي الأسود بالبصرة دار وله جار يتأذى منه، فقيل له: بعت دارك، فقال بعت جاري، فأرسلها مثلاً.

وأنشد من شعره قوله: [الوافر]

وَمَا طَلبُ المعيشَةِ بالتَّمنّي ... ولكن ألقِ دَلوكَ في الدِّلاءِ
تجيءُ بملئها طوراً وطوراً ... تجيء بحَمأةٍ وقليلِ ماءِ

وقوله: [الكامل]

صَبغتْ أميَّةُ بالدِّماء أكُفَّنا ... وَطَوَت أميَّةُ دونَنا دُنيَاهَا[1]

ويُحكى أنه أصابه الفالج، وكان يخرج إلى السوق يجرّ رجله، وكان موسراً ذا عبيد وإماء، فقيل له: قد أغناك الله عن السعي في حاجتك، فلو جلست في بيتك فقال: لا؛

---

(١) البيت منسوب إلى جواس بن القعطل الكلبي،ينظر شعر قبيلة كلب ٢٣٧ .

ولكني أخرج وأدخل فيقول الخادم قد جاء ويقول الصبي قد جاء. ولو جلست في البيت، فبالت عليَّ الشاة ما منعها أحد عني. وكان معروفاً بالبخل، وكان يقول: لو أطعنا المساكين في أموالنا لكنّا أسوأ حالاً منهم.

وقال لبنيه: لا تجاودوا الله فإنه أجود وأمجد، ولو شاء أن يوسع على الناس كلهم لفعل. ولا تجهدوا أنفسكم في التوسع فتهلكوا هزالاً. وسمع رجلاً يقول: من يعشّي الجائع؟ فقال: عليَّ به، فعشّاه ثم ذهب ليخرج فقال: أين تريد؟ فقال: أهلي فقال: هيهات، ما عشَّيتك إلاّ على أن لا تؤذي المسلمين الليلة. ثم وضع في رجله القيد حتى أصبح. وتوفي بالبصرة سنة تسع وستين من الهجرة[١].

ومنهم:

٢- عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي[*]

أبو بحر النحوي العلاّمة البصري، حليف عبد شمس. رجل لا ينال بالآمال، ولا يُطال بالأعمال، طار وراء الظلماء وسبح في غدير السماء. سخت سماوات أمطاره، وسمحت غايات أوطاره، وكان في يده قلم التصنيف فتصادحت الحمائم على أنهاره، وصدحت حديدةُ ليله بفضة نهاره. طالما قاطع جفنه الكرى على أن لا يعود، ولا يطمع إنسان[٢] عينه منه بوعود، فما رفقت سِنَةُ في أجفانه، ولا تدفقت إلاّ شعبةُ من طوفانه.

قيل: إنّه من أوّل من صنَّف، وقيل، بل هو من دوّن النحو، وقيل غير هذا. أخذ القرآن عن

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٢ / ١٠٤، ونزهة الألباء ٢٦، والبلغة ١٠٤، وبغية الوعاة ٢ / ٤٢. توفي سنة ١٢٧هـ.

(١) وفيات الأعيان ٢ / ٥٣٥.

(٢) إنسان عينه: إنسان العين: المثال الذي يُرى في السواد. اللسان (أنس) ١ / ٢٣٣.

يحيى بن يَعمُر ونصر بن عاصم، وأثنى عليه يونس بن حبيب وبالغ في وصفه.

وقال محمد بن سلام[١]: أول من بعج النحو، ومدَّ القياس وشرح العلل عبد الله بن أبي إسحاق، وكان أسدَّ قياساً، وكان أبو عمرو بن العلاء أوسع علماً بكلام العرب وجمع بينهما بلال بن أبي بردة[٢] أيام هشام بن عبد الملك.

قال يونس: قال أبو عمرو: فغلبني ابن أبي إسحاق يومئذ بالهمز ففطرت فيه بعد وبالغت فيه.

وقال يونس: كان أبو عمرو أشدَّ تسليماً للعرب. وكان ابن أبي إسحاق وعيس بن عمر يطعنان على العرب. توفي سنة سبع وعشرين ومئة، وهو ابن ثمانٍ وثمانين سنة، وكان يعيب الفرزدق في شغله، وينسُبُه إلى اللحن فهجاه الفرزدق بقوله: [الطويل]

فلو كان عبد الله مولى هجوتُه ولكن عبدَ الله مولى مواليا

فقال له عبد الله: لحنت في قولك مولى مواليا، ينبغي أن تقول: مولى موالٍ.

ومنهم:

٣- أبو عمرو عيسى بن عمر الثقفي(*)

البصري المقرئ النحوي، ألَّف أشباهاً وألف طريقة لا يخاف اشتباها، وقام بالعربية مقام أحراسها، وجاء يسوقها بأخلاسها[٣]، فنطق بلسانها، وسبق إليها من عَدَا بلبانها، ووجّه بفطنته. عمل العوامل ولم يقبل بفطرته عذل العواذل ولم يزل حتى انقادت له في إتيانها

(*) ترجمته في: نزهة الألباء ٢٨، وإنباه الرواة ٢ / ٣٧٤، والبلغة ١٧٩، ووفيات الأعيان ٣ / ٤٨٦، وبغية الوعاة ٢ / ٢٣٧، وإشارة التعيين ٢٤٩. توفي سنة ١٤٩هـ.

(١) محمد بن سلاَّم الجمحي، صاحب كتاب «طبقات الشعراء»، توفي سنة ٢٣١هـ. إنباه الرواة ٣ / ١٤٣.

(٢) هو بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري. إشارة التعيين، ٥.

(٣) أخلاسها: ما كان فيه اختلاط بين لون وآخر. اللسان (خلس) ٤ / ١٧٢.

وعادت إليه بعد ليانها، فقلّدته السراة النُّحور، وفدته مما بين الحضور والنَّحور فزاد عل المراد، وأتاه النحو نحو ما أراد.

قيل، هو مولى خالد بن الوليد، نزل في ثقيف وكان من طبقة أبي عمرو بن العلاء، وعنه أخذ الخليل بن أحمد. ونذكر أن عيسى صنّف نيفاً وسبعين مصنَّفاً في النحو وأن بعض الأغنياء جمعها وأتت عليها آفة فهلكت، وقيل: إن مادة كتاب سيبويه من كتاب الجامع لعيسى بن عمر. وله كتاب الإكمال، وفيه أنشد الخليل بن أحمد يخاطب سيبويه: [الرمل]

بَطَل النحوُ جميعاً كلُّه ... غيرَ ما أَحدَثَ عيسى بنُ عُمَرْ
ذَاكَ إكمَالُ وهذا جَامِعٌ ... فَهُما للنَّاسِ شمسٌ وقَمَرْ

وقال محمد بن سلام الجمحي، كان عيسى بن عمر ينزع إلى النصب إذا اختلفت العرب، ويقال، إن أبا الأسود الدؤلي لم يضع من النحو إلاّ باب الفاعل والمفعول فقط وإن عيسى بن عمر وضع كتاباً على الأكثر بوّبه، وكان يطعن على العرب، ويخطّئ مثل النابغة، وكان صاحب تقعير(١) في كلامه، واستعمال للغريب، وكان بعض جلساء خالد بن عبد الله القسري قد أودعه شيئاً فنمى ذلك إلى يوسف بن عمر، وكتب إلى واليه بالبصرة، يأمره بحمل عيسى بن عمر مقيداً، فدعا به وأمر الحداد بتقييده وقال، لا بأس؛ إنما أرادك الأميرُ لتأديب ولده، قال، فما بال القيد إذن، فبقيت مثلاً بالبصرة.

فلما ضربه يوسفُ بالسياط جزع وأقرَّ، فأُخذَتِ الوديعة منه، وأدركه بعد ذلك ضيق نفس، فكان يداويه بإجاص يابس وسكّر.

وقال ابن مَعين: عيسى بن عمر بصري ثقة، ووقع مرّة في الطريق من ضيق النَّفَسِ، فدار الناس حوله، يقولون، مصروع، فمن بين قارئ ومعوّذ، فلمّا أفاق نظر ازدحامهم، فقال، مالي

(١) تقعير: قعَّر تكلّم بأقصى قعر فمه. اللسان (قعر) ١١ / ٢٤٢.

أراكم تكأكأتم عليَّ كتكأكئكم على ذي جنّة افرنقعوا عنّي، فقال رجلٌ، إنّ جنيّه هذا يتكلم بالهندية، توفي سنة تسع وأربعين ومئة قبل أبي عمرو[1] بخمس سنين.

ومنهم:

٤- عبد الحميد بن عبد المجيد أبو خطاب الأخفش الكبير[*]

مسرج حدوه ومبهج جلوه، امتدّت أفياؤه، واعتدت للمحاسن أحياؤه، وتحصَّنت ربائبه في كناسها، وتحسنت في أجناسها، وضاءت في الليل البهيم، وضاعت في ربا الروض النسيم، وأتت مسرج طرف ومطمح رجاء من صرف، وكان لا يخلو مجلسه من منتدين، ويكنسه من ضَلالٍ للمهتدين، هذا وهو أحد الأئمة الذين يَهدون، وأعلام الأئمة الذين يُهتدَون. وكان بحراً لا النوء بعض نبقه[2] تسد ولا يُجاريه إلا بغير غمام وإطناب برقه، وأخذ عن أبي عمرو بن العلاء وطبقته وأخذ عنه أبو عبيدة، وسيبويه والكسائي ويونس ابن حبيب، وكان ديّناً ثقةً ورعاً. قال المرزباني، هو أول مَن فسّر الشعر تحت كل بيت منه، وما كان الناس يعرفون ذلك قبله؛ وإنما كانوا إذا فرغوا من القصيدة فسروها. وحدّث الأصمعي، قال وقف أبو الخطاب على أعرابي يريد الحج، فقال، أتقرأ أشياء من القرآن قال نعم. قال فاقرأ، قال: [الطويل]

فإن كنت قَد أيقَنتُ أنك ميِّتُ ... وأنك مجزيٌّ بما كنت تَفعَلُ
فكنْ وجلاً من سَكْرَةِ الموتِ خائفاً ... ليومٍ به عنكَ الأقارب تُشغَلُ

(*) ترجمته: تاريخ العلماء النحويين، ١٣٨، وإنباه الرواة ٢ /١٥٧، وبغية الوعاة ٢ / ٧٤، ونزهة الألبّاء ٤٤، والبلغة ١١٩، وإشارة التعيين ١٧٨. كانت وفاته سنة ١٧٧هـ.

(١) يعني أبا عمرو بن العلاء، المتوفى سنة ١٥٤هـ.

(٢) نبقة: النبق: الكتابة، ونبَّق الكتاب: سطَّره وكتبه. اللسان (نبق) ١٤ / ٢٤.

فقال: ليس هذا من القرآن، قال: بلى. فاقرأ أنت، فقرأ: «وجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوتِ بِالحقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ[1]»، فقال: هذه أخت التي تلوتها سواء إلاّ أنها بعد لم تنتظم لك، وكان له أشياء ينفرد بها عن العرب. والأخافش أربعة، هذا أولهم والأوسط سعيد بن مسعدة صاحب سيبويه، والصغير علي بن سليمان، والرابع اسمه عبد العزيز بن أحمد المغربي الأندلسي أبو الإصبَع.

ومنهم:

٥- الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي(*)

الأزدي، أبو عبد الرحمن، هو من أغصان الأدب ووريقها[2]، ورشف ألسنة العرب وريقها. وهو إمام القوم ولسان القول. رأس أهل التعليم، والخليل وحاسده الكليم، ومؤسس القواعد، وإن لم يكن الخليل إبراهيم ومستنبط العلم الذي ما سُبق إليه، ولا وقع خاطر امرئ قبله. افترع منه العذراء[3] واخترع منه ما ضبط به الشعراء. أتى منه بعلم جليل وأحسن إحساناً، أصبح فيه الناس ضيوف الخليل. استخرجه من صوت جرّة تقرعها جارية تتغنى عليها، وصنّفه بمكة وشرع فيه وهو طائف بالكعبة. وقد حكى صاحب بغية الألبّا في ذلك عن عبد الله ابن المعتز أن الخليل مرَّ في سكة الصفارين بالبصرة، فسمع دقَّ الكوادين بأصوات مختلفة فوقف يسمع اختلافه، قال: والله لأضعنّ على هذا المعنى علماً غامضاً، فوضع العروض. وحدّث النضر بن شميل، قال: كان أصحاب الشعر يمرّونَ بالخليل

(*) ترجمته في: تاريخ العلماء النحويين ١٢٣، وإنباه الرواة ١ / ٣٤١، ونور القبس ٥٦، ونزهة الألباء ٤٥، والبلغة ٧٩، وإشارة التعيين ١١٤، وبغية الوعاة ١ / ٥٥٧. توفي سنة ١٦٠هـ.

(١) سورة ق ٥٠ / ١٩.

(٢) وريقها، أي، المورق منها.

(٣) العذراء: الرملة التي لم توطأ. ورملة عذراء: لم يركبها أحد لارتفاعها. اللسان (عذر) ٩ / ١٠٨.

فيتكلمون في النحو، فقال الخليل :لا بُدَّ لهم من أصل، فوضع العروض، وخلا في بيت ووضع بين يديه طستاً، وما أشبهه، وجعل يقرعه بعود، يقول: مستفعلن فاعلن فعولن، فسمعه أخوه، فخرج إلى المسجد، فقال إن أخي قد أصابه جنون، وأدخلهم وهو يضرب الطست، فقالوا: يا أبا عبد الرحمن مالَكَ، أصابك شيء، أتحب أن نعالجك؟ فقال: وما ذاك؟ قالوا: أخوك يزعم أنك قد خولطت، فأنشأ يقول: [الكامل]

لو كُنتَ تَعلمُ ما أَقُولُ عَذَرْتَنِي ... أو كُنتَ تَعْلَمُ ما تَقولُ عَذَلتُكَا
لَكنْ جَهِلتَ مَقَالَتِي فَعَذَلتَنِي ... وَعَلِمتُ أَنَّكَ جَاهِلُ فَعَذَرْتُكَا

ويروى أن ابنه فعل ذلك.

قال ابن خلكان: كان إماماً في علم النحو، وهو الذي استنبط علم العروض، وحصر أقسامه في خمس دوائر، يستخرج منها خمسة عشر بحراً، وزاد فيه سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط بحراً سمَّاه الخبب، وهو المتدارك. وقيل إن الخليل دعا بمكة أن يرزق علماً لم يسبقه إليه أحد ولا يؤخذ إلا عنه. فلما رجع من حجّه فتح عليه بعلم العروض وكانت له معرفة بالإيقاع والنغم[1].

وقال حمزة بن الحسين الأصفهاني[2] في حقه: وبعد فإن دولة الإسلام لم تخرج أبدع للعلوم الذي لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل، وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض، الذي لا عن حكيم أخذه، ولا عن مثال تقدمه احتذاه إنما اخترعه من ممرٍّ له بالصفارين من وقع مطرقةٍ على طست، ثم قال: فلو كانت أيامه قديمة ورسومه بعيدة لنسك فيه بعض الأمم لتصنيفه مالم يصنفه أحد منذ خلق الله الدنيا. قال ابن خلكان: وكان الخليل رجلاً صالحاً عاقلاً حليماً وقوراً ومن كلامه: لا يعلم الإنسان خطأ مُعلِّمِه حتى يجالس غيره.

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٢٤٤.
(٢) حمزة بن (الحسين) الأصفهاني، مشارك في أنواع العلوم، توفي سنة ٣٨٠هـ. معجم المؤلفين ٤/ ٧٨.

وقال تلميذه النضر بن شميل: أقام الخليل في خصّ من أخصاص البصرة، لا يقدر على فَلْسَين وأصحابه يكسبون بعلمه الأموال. ولقد سمعته يوماً يقول: إني لأغلق بابي فما يجاوزه همي. وكان له راتب على سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة، وكان والي فارس والأهواز، فكتب إليه يستدعيه، فكتب الخليل إليه: [البسيط]

أَبْلغْ سُليمانَ أنّي عنهُ في سَعَةٍ ... وفي غنَى غيرَ أني لستُ ذامَالِ
سخَّى بنَفسيَ أنّي لا أرى أحداً ... يموتُ هُزلاً ولا يَبقَى علَى حَالِ
والرِّزقُ في[1] قَدَرٍ لا الضّعفُ يُنقصُه ... ولا يَزيدُكَ فيه حَولُ مُحتَالِ
والفَقرُ في النَّفسِ لا فِي المالِ نَعرِفُه ... ومِثلُ ذاكَ الغِنَى فِي النَّفسِ والمَالِ

فقطع سليمان عنه الراتب فقال الخليل: [السريع]

إن الذي شقَّ فَمِي ضَامِنٌ ... للرزْقِ حَتَّى يَتَوفَّاني
حَرَمْتَني مالاً قليلاً فَمَا ... زَادك في مَالكَ حِرمَاني

فبلغت سليمان فأقامته وأقعدته، وكتب إلى الخليل معتذراً إليه، فقال: [البسيط]

وزلَّةٍ يُكثِرُ الشَّيطان إن ذُكِرت ... منها التعجُّبَ جاءت من سُلَيمانا
لا تعجبنَ لخيرٍ زلَّ عن يده ... فالكوكب النَّحسُ يَسقِي الأرضَ أحيَانَا

وأنشد ولم يذكر لنفسه أو لغيره: [الطويل]

يَقولونَ لي: دَارُ الأحبَّةِ قَد دَنَتْ ... وأنت كَئيبٌ إنَّ ذا لَعَجيبُ
فَقلتُ: وما تُغني الديارُ وقربُها ... إذا لم يَكُن بَين القُلوبِ قَريبُ[2]

وتوفي بالبصرة سنة ستين ومئة، وقال ابن الجوزي سنة ثلاثين ومئة، وهو غلط ولكن نقله الواقدي. وكان سبب موته أنه قال: أريد أن أُقَرِّبَ نوعاً من الحساب تمضي به الجارية إلى

---

(١) ورد في المخطوطة (على قدر)، وفي وفيات الأعيان (في قدر) وهي أصلح لاستقامة الوزن. وفيات الأعيان ٢/٢٤٦.

(٢) وفيات الأعيان ٢/٢٤٤.

إلى البياع ولا يمكنه ظلمها. ودخل المسجد وهو يعمل فكره في ذلك فصدمته سارية وهو غافل عنها بفكره فانقلب على ظهره فكانت سبب موته. والفراهيد بطن من الأزد كذلك يَحْمَد.

ومنهم:

٦- يونس بن حبيب النحوي، أبو عبدالرحمن(*)

قائم بقسط[١]، وعالم بما في قِسط، ومُدنٍ لنازح، ومِجَنٌّ لنافح، ومغنٍ دونه كلّ ناصح. وضح بارقاً وأضحى لا يردّ طارقاً، فهبّ والناس نائمون، وذهب وأجناس الطلبة قائمون. وحصل ما لم تنله أيديهم ولم تصله ليالي أقمارهم، ولاذ أدبهم حتى عَرِس في عَرسِه[٢] العلم، وقد أخلته أسوده لثعالبه وحلّته حماته لغالبه، فأقر فيه أسوده: وسرَّه، وأكمد حسوده.

قال المرزباني في المقتبس في أخبار النحويين، مولده سنة تسعين، ومات سنة اثنتين وثمانين ومئة[٣]، وكان يقول: أذكر موت الحجاج. قال: ويقال: إنّ مولده سنة ثمانين، وعاش مئة سنة وسنتين. وأخذ الأدب عن أبي عمرو بن العلاء، وحماد بن سلمة[٤]، وسمع من العرب، وروى عن سيبويه، وسمع منه الكسائي والفرَّاء. وله قياس في النحو، ومذاهب ينفرد بها. وكانت حلقته بالبصرة يرتادها الأدباء وفصحاء العرب وأهل البادية.

(*) ترجمته في: نزهة الألبّاء ٤٧، وإنباه الرواة ٤ /٦٨، والبلغة ٢٩٥، وبغية الوعاة ٢ /٣٦٥، وإشارة التعيين ٣٩٦، ومعجم المولفين ١٣ /٢٤٧ .توفي سنة ١٨٢هـ.

(١) قسط: القِسط، بكسر القاف: العدل، والقِسم من الرزق. اللسان (قسط) ١١ /١٥٩.

(٢) عرِسَ، يعرس: إذا لزم واشتدَّ ولم يبرح. اللسان (عرس) ٩ /١٣٠.

(٣) ينظر: نور القبس، ٤٨.

(٤) حماد بن سلمة بن دينار النحوي اللغوي، كان إماماً فاضلاً قديم العهد، توفي سنة ١٦٧. إنباه الرواة ١ /٣٢٩، وبغية الوعاة ١ /٥٤٨.

قال أبو عبيدة: اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملأ كلَّ يوم ألواحي من حفظه.

وقال أبو زيد الأنصاري: جلست إلى يونس عشر سنين وجلس إليه قبلي خلف الأحمر عشرين سنة. وقال لي يونس: قال لي رؤبة بن العجاج: حتَّام تسألني عن هذه البواطل وإن حرَّفتها لك، أما ترى الشيب قد بالغ في لحيتك. وقال إسحاق الموصلي: قارب يونس تسعين سنة ولم يتزوج ولم يتسَرَّ، وكان يونس يقول: ما بكت العرب على شيء في أشعارها كبكائها على الشباب وما بلغت كنهه. قال: يقول العرب: فُرقةُ الأحباب سُقمُ الألباب.

ومنهم:

٧ - عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر

[سيبويه][*]

أبو الحسين. جمعَ الأزمَّة، وشرع في الأمور المهمة. عرف العلم بتفصيله، وأجمع عليه المنجد والمتهم والمعرق والمشئم، وتساوى في وصفه العجمي والعربي والمشرقي والمغربي. تكلَّم بألسنة كل القبائل وحوى حسنه كل قائل، وتدفقت شعوبه بالمسائل، وذهبت أيامه كلَّها مذهب الأصائل. فمذهبه هو اليوم الجاد، والمهيع[(١)] والطريق المتبع، وعليه المنهج المسلوك، ولديه ما يؤخذ وما سواه متروك. وكان شيخنا أبو حيان يقول: لا يقاس في هذا العلم رجل بسيبويه. ولمَّا قدم شيخ الإسلام من مصر في بعض قدماته لازمه أبو حيان ومدحه وأطنب في شكره، وذكر فضله ولم يزل على هذا حتى ذكر يوماً سيبويه بنقص، فهجر ابن تيميه وقاطعه وأخذ في ذكر عيوبه وتعديدها وكان يقول: لو كان ابن تيمية عاقلاً لما ذمَّ سيبويه. وما برح هذا قوله فيه إلى آخر ما فارقه في شوال، سنة ثلاث وأربعين وسبعمئة.

(*) ترجمته في: أخبار العلماء النحويين ٩٠، وإنباه الرواة ٢ / ٣٤٦، ونزهة الألباء ٥٤، وإشارة التعيين ٢٤٢. والبلغة ١٧٣، وبغية الوعاة ٢ / ٢٢٩، توفي سنة ١٨٠هـ.

(١) المهيع: الواسع. اللسان (هيع) ١٥ / ١٨٠.

قال ابن خلكان: كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو، ولم يوضع فيه مثل كتابه. وذكره الجاحظ يوماً فقال: لم يكتب الناس في النحو كتاباً مثله، وجميع كتب الناس عليه عيال.

وقال الجاحظ: أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم، ففكرت في شيء أهديه له، فلم أجد شيئاً أشرف من كتاب سيبويه، فلما وصلت إليه قلت، لم أجد شيئاً أهديه لك مثل هذا الكتاب، وقد اشتريته من ميراث الفرّاء، فقال: والله ما أُهديت لي شيئاً أحبّ إليّ منه. ورأيت في بعض التواريخ أن الجاحظ لما وصل إلى ابن الزيات بكتاب سيبويه أعلمه به قبل إحضاره، فقال له ابن الزيات: أوظننت أن خزانتنا خالية من هذا الكتاب، فقال الجاحظ: ما ظننت ذلك ولكنها بخط الفرّاء وقائله الكسائي وتهذيب عمرو ابن بحر الجاحظ

فقال ابن الزيات: هذه أجلّ نسخة توجد، وأعزّها فأحضرها إليه، ووقعَت منه أجلّ موقع.

وأخذ سيبويه النحو عن الخليل بن أحمد وعيسى بن عمر ويونس بن حبيب وغيرهم، وأخذ اللغة عن أبي الخطاب المعروف بالأخفش الأكبر وغيره وقال ابن النطاح: كنت عند الخليل بن أحمد، فأقبل سيبويه، فقال الخليل: مرحباً بزائر لا يُمَلُّ.

وجرى للكسائي مع سيبويه البحث المشهور في قولك، كنت أظنّ لسعة العقرب أشدّ من لسعة الزنبور فإذا هو هي، فقال الكساني، فإذا هو إيّاها، وانتصر الخليفة للكسائي فحمل سيبويه من ذلك همّاً فترك العراق ودخل إلى شيراز، وتوفي بقرية من قرى شيراز يقال لها البيضاء في سنة ثمانين ومئة.

وقال ابن قانع: توفي بالبصرة في سنة إحدى وستين ومئة، وقيل سنة ثمان وثمانين. وقال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي توفي سنة أربع وتسعين ومئة، وعمره اثنان وثلاثون، وإنه توفي بمدينة ساوة.

وذكر الخطيب في تاريخ بغداد عن ابن دريد أنه قال، مات سيبويه بشيراز وقبره بها، وقيل إن ولادته كانت بالبيضاء المذكورة، لا وفاته.

قال أبو سعيد الطوّال: رأيت على قبر سيبويه هذه الأبيات وهي لسليمان بن يزيد العدوي.

[الكامل]

ذَهَبَ الأحبَّةُ بعدَ طُولِ تَزاورٍ ... ونَأى المزارُ فأسلموكَ وأقشَعُوا
تَركُوكَ أوحشَ ما تكونُ بقفرةٍ ... لم يُؤنِسُوك وكربةً لم يدفَعُوا
قُضِيَ القضاءُ وصِرتَ صاحبَ حضرةٍ ... عنك الأحبَّةُ أعرضُوا وتصدَّعُوا

وقال معارية بن بكر العليمي، وقد ذكر عنده سيبويه، رأيته وكان حدث السنّ وكنت أسمع في ذلك العصر أنه أثبت من حمل عن الخليل بن أحمد، وقد سمعته يتكلم وكنت أسمع في ذلك العصر. وقال أبو زيد الأنصاري، وكان سيبويه غلاماً يأتي مجلسي وله ذؤابتان، فإذا سمعته يقول، حدثني من أثق بعربيته فإنما يعنيني. وكان سيبويه كثيراً ما ينشد هذا البيت:

[الطويل]

إذا بلَّ من داء به ظَنَّ أنه ... نجا وبِه الداءُ الذَّي هُوَ قَاتِلُه

وسيبويه لقبه وهو لفظ فارسي، معناه بالعربية رائحة التفاح. وقيل إنما لُقّب به لأنه كان جميل الصورة، وَجنتاه كأنهما تفاحتان[1].

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٤٦٣.

ومنهم:

٨- أبو فيد مؤرِّج بن عمرو بن الحارث السَّدُوسي(*)

النحوي البصري، صدر مُلئ علماً وتلي فضله المفضل لما شيل منه غمّا، ولم يكن فيه سبيل للنازعات ولا عبس إلا لوجوه المنازعات. اشتدت به قوادمه حيث خلق، وامتدت قوائمه فلم تلحق، بعلوم برقت لها السحب الهوامل، ونزلت إليها البدور الكوامل، ونزعت إلى نحو ظهرت فيه العوامل، فلم يكن له إلا مَن يعترف، ويُعرف أنه لا ينصوف.

قال ابن خلكان: أخذ العربية عن الخليل بن أحمد، وروى الحديث عن سعيد بن الحجاج وأبي عمرو بن العلاء وغيرهما. وكان يقول: قدمت من البادية ولا معرفه لي بالقياس في العربية؛ وانما كانت معرفتي قريحة، وأول ما تعلمت القياس في حلقة أبي زيد الأنصاري، وله عدّة تصانيف. وممّا أورد له من شعره ابن المنجم:

[البسيط]

وُرِّعتُ بالبينِ حتَّى ما أُراعَ به ... وبالمصائب من أهلي وجيراني

لم يتركِ الدهرُ لي علقاً أضنُّ به ... إلا اصطفاهُ بنأيٍ أو بهجرانِ

قال ابن المنجم: وهذان البيتان من أملح ما يقول في معناهما. ونقل ابن النديم أو وجد بخط ابن المعتز مؤرخاً، مات سنة خمس وتسعين ومئه، في اليوم الذي توفي فيه أبو نواس.

قال ابن خلكان وهذا ما يستقيم إلا على أحد الأقوال في تاريخ وفاة أبي نواس(١).

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٣/ ٣٢٧، وإشارة التعيين ٣٥٣، والبلغة ١٩٦، ونزهة الألباء ١٠، وبغية الوعاة ٢/ ٣٠٥. توفي سنة ١٩٥هـ.

(١) وفيات الأعيان ٥/ ٣٠٤.

ومنهم:

٩- قطـرب

أبو علي محمد بن المستنير(*)

وهو النحوي اللغوي البصري، وقيل اسمه أحمد بن محمد، وقيل الحسن بن محمد، والأول أصح. بَجَلي[1] غيهْبَ، وحافظ متاع لا يذهب. هبت صباه ونعاماه، ونهبت الأفئدة أنكاده وأياماه، وفشت أعين عينه، وتفجرَّت ينابيع معينه، وأصبت محاسن حسانه، وظهرت معادن إحسانه، وحلبت سُوقه الطلاب، وأدنت المرام والطُّلاب، فأتعب المتسامي، وبصّر حاسده المتعامي وقَرَّحَ قلب عدوّه، وأجفانه الدوامي، وزاد على مدد البحارو السحب الهوامي. قال ابن خلكان[2]: أخذ العلم عن سيبويه وغيره، وكان يُبكِّرُ إلى سيبويه قبل حضور التلاميذ. فقال له: ما أنت إلا قطرب ليل، فبقي عليه ذلك اللقب. وله التصانيف المفيدة، وهو أول من وضع المثلث في اللغة، وكتابه وإن كان صغيراً فله فيه فضيلة السبق. وكان قطرب يعلّم أولاد أبي دلف. وروى له ابن المنجم في كتاب البارع قوله: [البسيط]

إن كُنتَ لستَ معي فالذّكرُ منكَ معي ... يراك قلبي إذا غُـيِّبْتَ عن بصري

والعينُ تُبصرُ منْ تهوى وتفقدُهُ ... وباطنُ الأرضِ لا يخلُو من النَّظر

وتوفي سنة ست ومئتين.

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٣/ ٢١٩، والبلغة ٢٤٧، ونزهة الألباء ٧٦، وبغية الوعاة ١/ ٢٤٢، وإشارة التعيين ٣٣٨. توفي سنة ٢٠٦هـ.

(١) بجلي: عظيم، اللسان (بجل)، ١/ ٣١٧. وغيهب: أسود، اللسان (غهب) ١٠/ ١٣٨. ولعلّ المراد من ذلك هو الشدة.

(٢) وفيات الأعيان ٤/ ٣١٢.

ومنهم:

١٠- أبو زكرياء يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي الديلمي الفرَّاء(*)

الكوفي، روى العطش وأورى الغطش[١]، وكان يبكر إلى العلم والليل ما نصل خضابه، والظل مارَشَف من ثغور الأقحوان رضابه، ويواصل على هذا الاجتهاد أزمنته ويفرج بهذا الجهاد أزمّته؛ انفرجْ عنه صدر النهار، واندفق به سيل النضار وطال ظلٌّ منتابيه[٢]، وقال مادحه لا يحابيه، ثم أتاه أجله وجمع إليه مستعجله، ومات إلا إفاداته، ونسي إلا عاداته. قال أبو العباس ثعلب: كان السبب في إملاء الفرَّاء في المعاني أن عمر بن بكير كان من أصحابه، وكان منقطعاً إلى الحسن بن سهل فكتب إلى الفرّاء أن الأمير الحسن بن سهل ربّما سألني عن الشيء بعد الشيء من القرآن فلا يحضرني فيه جواب، فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً، أو تجعل في ذلك كتاباً أرجع فيه، فقال الفرّاء لأصحابه اجتمعوا حتى أملي عليكم كتاباً في القرآن، وجعل لهم يوماً، فلما حضروا خرج إليهم، وكان في المسجد رجل يؤذن ويقرأ بالناس في الصلاة، فالتفت إليه الفرّاء، فقال له: اقرأ فاتحة الكتاب ففسّرها، ثم مدَّ في الكتاب كلّه يقرأ الرجل، ويفسّر الفرّاء، فقال أبو العباس: لم يعمل أحد قبله مثله، ولا أحسبه أحداً يزيد عليه. قال ثعلب: وكان السبب في إملائه الحدود[٣] أن جماعة من أصحاب الكسائي صاروا إليه وسألوه أن يملي عليهم أبيات النحو ففعل ذلك، فلما كان المجلس الثالث قال بعضهم لبعض: إن دام على هذا عَلِمَ النحو الصبيان، والوجه أن يقعد عنه، فقعدوا عنه فغضب، وقال سألوني القعود، فلما قعدت تأخّروا، والله لا سهلنّ النحو ما اجتمع اثنان، فأملى ست عشرة سنة ولم يُرَفي يَدِه كتاب إلا مرةً واحدة.

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٤/١، ونزهة الألباء ٨١، والبلغة ٢٨٠، وإشارة التعيين ٣٧٩، وبغية الوعاة ٢/٣٣٣.

(١) الغطش: الضعف في البصر. اللسان (غطش) ١٠/٨٧. توفي سنة ٢٠٧هـ.

(٢) متنابيه: أي، قاصديه. اللسان (نوب) ١٤/٣١٩.

(٣) الحدود: أحد مؤلفات الفرّاء.

قال ثعلب: وكان الفرّاء يجلس للناس بمسجد إلى جانب منزله، وكان الواقدي ينزل بإزائه. قال: وكان الفرّاء يتفلسف بالتفاته وتصنيفاته حتى يسلك في ألفاظه كلام الفلاسفة. وكان أكثر مقامه ببغداد، وكان يجمع طوال دهره، فإذا كان آخر السنة خرج إلى الكوفة فأقام بها أربعين يوماً في أهله يفرق فيهم ما جمعه ويبرُّهم. قال النديم: ولم يؤثر من شعره غير هذه الأبيات، رواها أبو حنيفة الدِّينَوَرِي: [الخفيف]

يا أميراً على جريب[1] من الأرض ... [له] تسعَةُ من الحُجَّاب
جَالساً في الخراب يَحجبُ فيها ... ما سَمِعْنا بحاجبٍ في خرابِ
لَن تَراني لكَ العيون ببابٍ ... لَيسَ مِثْلي يُطيق ردّ الجَوابِ

وتوفي بطريق مكة سنة سبع ومئتين.

ومنهم:

١١ - سعيد بن مسعدة المجاشعي

بالولاء، النحوي البَلْخِي أبو الحسن الأخفش الأوسط[*]، أحد نحاة البصرة، محكم أواخي ومحكم تدنٍّ في زمن متراخي، فقام بالأعباء وقال بلا إعياء، فأخرس ألسنه لِدًّا، وأنطق أسنة ملدا[2]، وقد كان في بلهنية شبابه، وزمان نفاق رتبه على أحبابه، قد أتعب نفسه حتى أراحها، وجنى من المأساة أفراحها، وكانت أيامه محلاة الأطراف لمعانيها محشاة الأصايل بما تنير عليها الشموس من معادنها. كأنما غمز الحبايب أو إيماء العشاق بالحواجب. ولم يكن في لياليه ما تعاب به غير تقاصرها، ولا في أيامه ما تعاف له إلاّ قلّة تناصرها، مع

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٢/٣٦، وبغية الوعاة ١/٥٩٠، ونزهة الألباء ١٠٧، والبلغة ٨٦، وإشارة التعيين ١٣١، وتاريخ العلماء النحويين ٨٥. توفي سنة ٢١٥هـ.

(١) ورد في الفهرست بلفظة (جريب)، الفهرست، ١٣٣.

(٢) ملدا: الْمَلَد: مصدر الشباب والنعومة. اللسان (ملد) ١٣/١٧٥.

ما جمع من صنوف شتات، وجدع من أنوف شبهات قعدت وبدا وبقي مثل السيف فردا.

قال ابن خلكان: كان من أئمة العربية، وأخذ النحو عن سيبويه، وكان أكثر منه. وكان يقول: ما وضع سيبويه في كتابه شيئاً إلا وعرضه عليّ، وكان يرى أنه أعلم به منّي.

وحكى ثعلب عن آل سعيد بن سلمة، قالوا: دخل الفراء على سعيد المذكور فقال لنا قد جاءكم سيّد أهل اللغة، وسيّد أهل العربية، فقال الفرّاء: ما دام الأخفش بعائش فلا. قال: وهذا الأخفش هو الذي زاد في العروض بحر الخبب، وكانت وفاته سنة خمس عشرة ومئتين، وقيل بل سنة إحدى وعشرين [ومئتين]، ونسبته إلى ولاء المجاشع بن دارم التميمي(١).

ومنهم:

١٢- صالح بن إسحق الجرمي(*)

النحوي أبو عمرو، صاحب المختصر في النحو. بصري سام في القدماء شَطَطًا، وسار في السماء خَطَطًا، وأينعت له ثمرته فهذّبها، وتنوعت له مسرتها فنهبها، وعزَت عليه أعماله فما أذهبها، كان لا يضيع الأعمال في غير عمل يقدمّه، ومَيل يقوّمه، وأود يقيمه، وحَدَدٍ لاحِبٍ(٢) يديمه. عاهد زمانه على عِرض يقيه وعلم يبقيه وعُمُرٍ في غير التقوى لا يبليه، وكرم في سوى الجميل لا يوليه، فحمدت مدّته، وحسنت على طوال الليل جدّته، وكان ذا فِكَرٍ لا يحتجب عليه مخبأة في خدر، ولا محجبةٌ من وراء ستر، فلم يباعده مدام، ولم

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٢/ ٨٠، والبلغة ٩٦، وبغية الوعاة ٢/ ٨، ونزهة الألباء ١١٤، وإشارة التعيين ١٤٥، وتاريخ العلماء النحويين ٧٢، ونور القبس ٢١٤. توفي سنة ٢٢٥هـ.

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٣٨٠.

(٢) لاحب: واضح. اللسان (لحب) ١٢/ ٢٤٣.

يجالسه [إلا] الكرام.

قال ابن خلكان: كان فقيهاً عالماً بالنحو واللغة، وهو من البصرة وقدم بغداد وأخذ عن الأخفش وغيره، ولقي يونس بن حبيب ولم يلق سيبويه، وأخذ اللغة عن أبي عبيدة، وعن أبي زيد الأنصاري والأصمعي وطبقتهم، وكان ديّنا ورعاً حسن المذهب صحيح الاعتقاد، وحدَّث عنه المبرّد. قال قرأت ديوان هذيل على الأصمعي، فلما فرغت منه قال، يا أبا عمر إذا فات الهذلي أن يكون شاعراً أو رامياً أو ساعياً فلا خير فيه، وأنشد له قوله: [الوافر]

يُكَلِّفُني سُويقَ الكَرمِ جَرمُ ... وما جَرمٌ وماذاك السُّويقُ
ولا شَربَتْه جَرمٌ وهو حِلٌ ... وما غالَت به مُذْ كان سُوقُ
فلمّا نزَل التحريم فيها ... إذا الجَرميُّ منها لا يُفيقُ

قال: وكنّى بالسويق عن الخمر لاتِّساقها الخلق، فسمّاها سويقا لذلك[(١)] وتوفي سنة خمس وعشرين ومئتين.

ومنهم:

١٣- بكر بن محمد بن عثمان

وقيل عديّ بن حبيب المازني[(*)] البصري النحوي أبو عثمان. أقامت به مازن أوزانها، ولبست بمفاخره مازانها، وكان من ثعلبة في وسط وجارها[(٢)]، وخطته النجوم وَجَارَها، طالما

(*) ترجمته في: تاريخ العلماء النحويين ٦٥، وإشارة التعيين ٦١، ونزهة الألباء ١٤٠، وإنباه الرواة ١ / ٢٤٦، وبغية الوعاة ١ / ٤٦٣، ومعجم المؤلفين ٣ / ٧١، والبلغة ٤١. توفي سنة ٢٤٩هـ.

(١) وفيات الأعيان ٢ / ٤٨٥.

(٢) الوجار: الجحر، أو الغار. اللسان (وجر) ١٥ / ٢٢١.

حسده من لم يحم معه على المناهل، وشغل بغيره، فقيل متى أنت عن دهليّة[١] الحي داهل، هذا مع ورع كلّه تقى لا يقيه، ومآثر سلفت لسلفه. وكانت لجدّه بقية نسب لو عُرف به الليل لما وسم ينكره، أو آل إلى وائل لقدّمه بكره لم يجهل بالفضل اعتناقه ونهوضه، بما لو أنه لبكر سواه لشدَّ خناقه.

قال ابن خلّكان: كان إمام عصره في النحو والأدب، أخذ الآداب عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد، وأخذ عنه المبرّد، وبه انتفع، وكان في غاية الورع. وبذل له بعض الذمّة[٢] مئة دينار على إقراء كتاب سيبويه له فامتنع. قال المبرّد: فقلت له جعلتُ فداك أتردّ هذه المنفعة مع فاقتك وشدّة إضاقتك. فقال: إنّ هذا يشتمل على ثلاثمئة كذا وكذا آية من كتاب الله عزّ وجلّ، ولست أرى أن أمكّن منها ذميّاً غيرةً على كتاب الله وحميّة له، قال: فاتفق أن غنّت جارية بحضرة الواثق تقول للعرجي: [الكامل المرفل]

أظلوم إنّ مُصَابكم رجلاً أهدَى السَّلامَ تحيةً ظُلمُ[٣]

فاخُتلفَ في إعراب، رجل، فمنهم من نصبه وجعله اسم، إنّ، ومنهم من رفعه على أنه خبرها، والجارية مصرّة على أن أبا عثمان لقّنها إياه بالنصب، فأمر الواثق بإشخاصه، قال أبو عثمان: فلما مثلت بين يديه، قال ممّن الرجل؟ قلت. من بني مازن، قال: أيّ الموازن، أمازن تميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة؟ قلت: من مازن ربيعة، فكلمني بكلام قومي، وقال ما اسبك؛ لأنهم يقلبون الميم بَاءً والباء ميماً، فكرهت أن أجيبه على لغة قومي لئلاً أواجهه بالكبر، قلت، بكر يا أمير المؤمنين، ففطن لما قصدته، وتعجَّب، وقال: ما تقول في قول الشاعر:

أظلوم إن مصابكم رجلاً

أترفع رجلاً أم تنصبه؟ فقلت: بل الوجه النصب يا أمير المؤمنين، فقال ولِمَ ذلك: فقلت؟

(١) دهلية الحيّ: الداهل: المتحيِّر. اللسان ٤ / ٤٢٩.

(٢) أي، واحد من أهل الذمة.

(٣) وردت في الديوان :أظليم، ديوان العرجي ٣١٩ .

إنّ (مصابكم) مصدر بمعنى إصابتكم فأخذ الزيدي[1] في معارضتي، فقلت، هو بمنزلة قولك إنّ ضربك زيداً، فالرجل مفعول مصابكم، وهو منصوب به، وقال هل لك من ولد؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: ما قال لك عند مسيرك. قلت أُنشِدتُ قول الأعشى: [المتقارب]

يـا أبـتِ لا تَـرِمْ عـنـدَنَـا ... فـإنا بخـيـر إذا لم تَرِمِ
أرانا إذا أضـمـرتـك البـلادُ ... بهـا[2] وتَقطَّعَ منّا الرَّحِم

فما قلت لها، قلت قول جرير: [الوافر]

ثِقِي بالله ليس له شَـريكٌ ... ومن عند الخَليفة بالنَّجَاحِ

قال: على النجاح إن شاء الله، ثم أمر لي بألف دينار، وزودني مكرماً، فلما عاد إلى البصرة، قيل لي كيف رأيت يا أبا العباس؟ [قلت]: رددنا للّه مئة، فعوضنا ألفاً[3] وتوفي سنة تسع وأربعين ومئتين، وقيل سنة ثمان وأربعين بالبصرة.

ومنهم:

١٤- المبرد أبو العبّاس محمد بن يزيد بن مالك بن الحارث الثّمالي(*)

الأزدي البصري، رام العَلياء فنالها، وأمَّ النجوم فأدنى منالها، فصار علماً يُعشى إلى ضوء ناره، وقمراً يهتدى بأنواره، تميَّز في إعلام زاد صيته فَهَمَّ على الغيوث السواكب وتزينت الأرض بهم زينة السماء بالكواكب، فشاع فضله، وشاء اللّه أن يمتد ظِلُّه، ففضل على إياس في ذكائه، وحفظ به الفضل بعد ذهاب دمائه، ولم تذهب

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ١/١٣٨، ونزهة الألباء ١٧٣، والبلغة ٣٤، وإشارة التعيين ٥١، ومعجم المؤلفين ٢/٢٠٣. توفي سنة ٢٨٦هـ.

(١) في وفيات الأعيان: اليزيدي ١/٢٨٣.

(٢) في وفيات الأعيان: تُجفى وتُقطَع منّا الرَّحِم.

(٣) وفيات الأعيان ١/٢٨٣.

ساعة من أيامه إلا في محاضرة، ولا لفظة من كلامه إلا في مناظرة، إلى أن كان سهمه من الحظ موفرا، وقيل كلُّ الصيد في جوف الفرا، فأخذ في كل فنّ، وشذّ وجود مثله في ظَنّ، حتى كان إليه المرجع في كل مرام، والمبرّد الذي لا يخبو له ضرام. قلت. جرى مرةً ذكر علم النحو وأهل العلم به، وانتصر رجل حضرنا لليزيدي وفضّله على المبرّد، وسئلت في ذلك فقلت: [الطويل]

لَئِنْ أصبَحَتْ أهلُ العُلوم مَوَارداً ... وَيَصدر عَنْهَا بالرواء ويُوردُ
فَوردُ اليَزيديّ الذي ليسَ مثلَه ... لديّ عطاشُ والشَّرابُ المبَرّدُ

قال ابن خلكان: نزل بغداد، وكان إماماً في النحو واللغة، وله التواليف النافعة في الأدب، منها الكامل والروضة والمقتضب، أخذ عن المازني والسجستاني وأخذ عنه نفطويه وغيره، وكان المبرد وثعلب صاحب الفصيح عالمين متعاصرين قد ختم بهما تاريخ الأكفاء، وكان المبرد يحب الاجتماع بثعلب للمناظرة والاستكثار منه، وكان ثعلب يكره ذلك، ويمتنع منه، وكان المبرّد كثير النوادر. حكي أن المنصور ولى رجلاً على الإجراء على العميان والأيتام والقواعد من النساء، فدخل عليه بعض المتخلفين ومعه ولده، فقال له: إن رأيت أصلحك الله أن تثبت اسمي مع القواعد، فقال له القواعد نساء، فكيف أثبتك فيهنَّ، قال: ففي العميان، قال: أما هذا فنعم؛ لأن الله تعالى يقول لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، فقال: وتثبِّت ولدي في الأيتام، فقال هذا أفعله أيضاً، فإنه مَن تكن أنت أباه فهويتيم وقد عناه ابن المعذل فقال: [الوافر]

سَأَلنَا عَن ثُمَالة كلَّ حيٍّ ... فَقَال القائلونَ ومَن ثُمَالَه
فقلتُ محمدُ بنُ يزيدُ منهُم ... فقالوا زدتَنا بِهِمُ جَهَالَهْ
فقَالَ لي المبرِّد خلِّ عنّا ... فقَومي مَعشَرُ فيهِم نَذَالَه

وقال ابن خلكان: ويقال إنّ المبرّد قال هذه الأبيات لتحفظ [و] ليشتهر نسبه في ثمالة. ولد المبرّد يوم عيد الأضحى سنة عشر، وقيل سنة سبع وثلاثين وتوفي في ذي الحجة سنة ست وثمانين، وقيل في ذي القعدة سنة خمس وثمانين ومئتين ببغداد. وفي ثعلب قال أبو

بكر بن العلاف: [الكامل]

ذَهَبَ المبرِّدُ وانقَضَتْ أيَّامُهُ ... ولَيَذْهَبَنْ إثرَ المبرِّدَ ثَعلَبُ
بيتٌ من الآدابِ أصبح نصفُهُ ... خَرِباً وباقي بيتِها فسيُخرَبُ
فابكُوا لما سَلَبَ الزمانُ ووَطِّنوا ... للدَّهرِ أنفسَكُم على ما تُسلَبُ
وأَرَى لَكُم أن تكتبوا أنفاسَهُ ... إن كانت الانفاسُ مما يُكتَبُ

والمبرد لقب غلب عليه، قيل إنه كان عند بعض أصحابه، وإن صاحب الشرطة طلبه للمنادمة، فكَرِهَ المبرّد ذلك، وألحَّ الرسول عليه، وكان هناك مزملة لتبريد الماء فارغة، فدخل المبرّد فيها واختفى في غلاف المزملة، فدخل الرسول في تلك الدار وفتش على المبرّد فلم يجده، فلما مضى الرسول جعل صاحب الدار يصفق وينادي على المزملة المبرّد المبرّد وتسامع الناس بذلك فلهجوا به وصار لقباً عليه(١).

ومنهم:

١٥ - أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار(*)

النحوي الشيباني بالولاء، أبو العباس المعروف بثعلب، إمام الكوفيين في العربية. ذو أمد لا يغلب وصيد للشوارد لا يعرف [إلا] من ثعلب، لا يحاذر الصقر المحلِّق، ولا يبادر السهم المخلَّق، لأفعاله طراوة، ولمقاله طلاوة، ولم يوجد مثله بالأشقرا(٢)، ولا حصل مثله عند الفرا(٣)، ولا نظن إلاّ تَغلُّبهَ، ولا نَعدُّ في غير السباع ثعلبه. طالما قهر به المغالب، وودّت قمم

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ١/ ١٣٨، ونزهة الألباء ١٧٣، والبلغة ٣٤، وإشارة التعيين ٥١، ومعجم المؤلفين ٢/ ٢٠٣. توفي سنة ٢٩١هـ.

(١) وفيات الأعيان ٤/ ٣١٣.

(٢) الأشقرا: الشقر: كرام الخيل وذوات الخير. اللسان (شقر) ٧/ ١٦١.

(٣) الفرا: حمار الوحش، الفتيُّ منها. وفي المَثَل: كل الصيد في جوف الفرا. اللسان (فرأ) ١٠/ ٢٠٦.

الأعداء لوأنها وجار الثعالب. فلم يزل مناظره معه يتغلب، ويعطيه حلاوة من طرف اللسان ويروغ كما يروغ الثعلب، فلم تعرف له أوقات فراغ، ولا وصف وصف ثعلب ذهب فراغ، فحمد رايته رأيه في مطلع ومغيب، وطلع عليه فقال: صباحك ثعلب ومساك ذيب.

قال ابن خلكان: كان إمام الكوفيين في النحو واللغة، وكان ثقة حجة صالحاً مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالعربية، ورواية الشعر القديم، مقدماً منذ هو حدث. وكان ابن الأعرابي إذا شكَّ في شيء قال له: ما تقول يا أبا العباس في هذا؛ ثِقَةً بغزارة حفظه. وكان يقول: نظرت في حدود الفرّاء وسنّي ثماني عشرة سنة وبلغت خمساً وعشرين سنة، وما قُرِئت عَلَيّ[1] إلا وأنا أحفظها.

وقال أبو بكر بن مجاهد المقرئ[2]، قال لي ثعلب: يا أبا بكر اشتغَل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا، واشتغل أصحاب الحديث بالحديث ففازوا، واشتغل أصحاب الفقه بالفقه ففازوا، واشتغلت أنا بزيد وعمرو، فليت شعري ماذا يكون حالي في الآخرة، فانصرفت من عنده فرأيت النبي صلى الله عليه وسلّم في تلك الليلة في المنَام فقال لي: أقرئ أبا العبَّاس عنّي السلام، وقل له أنت صاحب العلم المستطيل. قال أبو بكر: أراد أن الكلام به يكمُل والخطاب به يُحَملُ، وأن جميع العلوم مفتقرة إليه. وكان له شعر. قال أبو بكر بن القاسم الأنباري: انشدني ثعلب ولا أدري هي لغيره أم لا.

[الطويل]

إذاكنتَ قُوتَ النفس ثم هَجَرتَها ... فكَم تلبثُ النَّفسَ التي أنتَ قوتُها
ستبقَى بَقَاءَ الضبِّ في الماء أوكَما ... يبقَي لدَى ديمومَةِ البِيدِ حُوتَها[3]

---

(١) في وفيات الأعيان ورد الآتي: «وما بقيت عليَّ مسألة للقرّاء إلاَّ وأنا أحفظها»، ١ / ١٠٢.

(٢) أحمد بن موسى بن العباس، أبو بكر بن مجاهد من شيوخ القراء، توفي سنة ٣٢٤هـ. وفيات الأعيان ١/١٠٢.

(٣) وفيات الأعيان ١ / ١٠٢. وإنباه الرواة ١ / ١٣٨.

ولـد في سنة مئتين لشهرين مضيا منها، وتوفي يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى، سنة إحدى وتسعين ومئتين ببغداد. ،وقيل إنه قال: رأيت المأمون لما قدم من خراسان في سنة أربع ومئتين، وقد خرج من باب الحديد يريد الرصافة والناس صفّان فحملني أبي على يده، وقال هذا المأمون وهذه سنة أربع فحفظت ذلك عنه إلى الساعة. وكان سبب وفاته أنه خرج من الجامع يوم الجمعة بعد العصر، وكان قد لحقه صمم لا يسمع إلا بعد تعب فصدمته فرس فألقته في هوّة، فأخرج منها وهو كالمختلط[(١)]، فحمل إلى منزله على تلك الحال وهو يتأوه فمات ثاني يوم، وكتب إليه ابن المعتز: [الرَّجز]

ما وَجْدُ صادٍ في الجبال موثَقِ بماء مُزنٍ باردٍ مُصَفَّقِ
بالرِّيحِ لم يطرق ولم تُرنَّقِ جادَت به أخلاقُ دَجنٍ مُطبقِ
في صخرةٍ لم ترَشمْساً تَبرُقِ فهو عليها كالزُّجاج الأزرقِ
صريح غَيْثٍ خالص لم يُمذَقِ[(٢)] إلا كوجدي بك لَكن أتّقي
يا فاتحاً لكلِّ بابٍ مغلَقِ وصيرفيّاً ناقداً للمنطق[(٣)]
إن قَال هذا بُهرجٌ لم يُنفقِ إنّا على البِعَاد والتفرّقِ
لنلتقي بالذكر إن لَم نلتَقِ إنّا على البعاد والتفرّقِ
لنلتقي بالذكر إن لم نلتقِ ... ...

فأجابه من رقعة نحن كما قال، وفيه: [الرَّجز]

إني وإن [لم] تَرَني فإنّني أراك بالغيبِ وإن لَم ترَني

---

(١) المختلط: يقال: اختلط فلان، إذا فسد عقله. اللسان (خلط) ٤ / ١٧٨.

(٢) يمذق: المذق: المزج والخلط. اللسان ١٣ / ٥٩.

(٣) ورد في الديوان ([حَولة مَن إن همَّ بي لم يفرق] يا فاتحاً لكل باب مغلق) ديوان شعر ابن المعتز ١ / ٥٣٣.

ومنهم:

١٦- سليمان بن محمد بن أحمد النحوي البغدادي أبو موس الحامض(*)

عُرف بين البرية بفضل نسكها، وقوة مسكها، وصلاح سيرتها وإصلاح سريرتها، أضاءت به الأسارير وأضيئت اللجج كأنها صرح ممرّد من قوارير، ففاقت سمراته، وفات ضوء النهار مقمراته وأبعد وضوحاً، وأوعد الصباح فصوحا، ولم يزل يحاول الغاية في العلم وتحصيله، وإطالة غرته منه وتحجيله، حتى استملّ السنام، واستمسك به الأنام، فطفحت المجرّة دون مجراه، ولم تتنبه النجوم لمسراه.

قال ابن خلكان: كان أوحد المذكورين من العلماء بنحو الكوفيين، أخذ عن ثعلب وهو المتقدم من أصحابه، وجلس موضعه وخلفه بعد موته، وصنّف كتباً حساناً في الأدب، وكان ديّنا صالحاً، وكان أحد الناس في البيان والمعرفة بالعربية واللغة والشعر. وكان قد أخذ عن البصريين أيضاً وخلط النحوين، وكان يتعصب على البصريين، وكان حسن الوراقة في الضبط. وتوفي لتسع بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلثمئة ببغداد(١).

ومنهم:

١٧- أبو عبدالله محمد بن العباس بن محمد اليزيدي(**)

النحوي. رجل يطير بجناحي المضرحي(٢)، ويسلك الفجاج سلوك الأداحي(٣). طالما

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٢ / ٢١، وبغية الوعاة ١ / ٦٠١، ونزهة الألباء ١٨١، وتاريخ بغداد ٩ / ٦١. توفي سنة ٣٠٥هـ.

(**) ترجمته في: إنباه الرواة ٣ / ١٩٨، وبغية الوعاة ١ / ١٢٤، ونزهة الألباء ١٨٢، وتاريخ بغداد ٣ / ١١٣. توفي سنة ٣١٠هـ.

(١) وفيات الأعيان ٢ / ٤٠٦.

(٢) المضرحي: من الصقور، ما طال جناحاه وهو كريم. اللسان (ضرح) ٨ / ٤٤.

(٣) الأداحي: موضع بيض النعام، والدحو: البسط. اللسان (دحا) ٤ / ٣٠٣.

بكر مجداً والليل ما انشقَّ رداؤه، والسَّحَرُ ما بلَّت أعطافَ الزهر أنداؤه، واستدام حتى هدم النوم،وحرَّم على الجفن جفا النوم. فامتلأ ما وسعه إناؤه، وأودعه منه الدهر وآناؤه، ثم أضحى يصول صولة الشجاع، ويفرق تفاريق الشعاع.

قال ابن خلكان: كان إماماً في النحو والأدب، ونقل النوادر وكلام العرب. ومما رواه أن أعرابياً هوي أعرابية، فأهدى إليها ثلاثين شاة وزقاً من خمر مع عبد له أسود، فأخذ العبد شاة في الطريق فذبحها، وأكل منها وشرب بعض الزقّ، فلما جاءها بالباقي عرفت أنه خانهافي الهدية، فلمّا عزم على الانصراف سألها، هل لك من حاجة، فأرادت إعلام سيّده بما فعل العبد، فقالت: اقرأ عليه السلام وقل له إن الشهر كان عندنا محاقاً، وإن سحيماً راعي غنمنا جاء مرثوماً(١) فلم يعلم العبدُ ما أرادت بهذه الكتابة. فلمّا عاد إلى مولاه أخبره برسالتها، ففطن ما أرادته، فدعا له بالهراوة، وقال: لِتَصدُقْني وإلا ضربتك بهذه ضرباً مبرحا، فأخبره الخبر فعفا عنه. وهذه من لطايف الكنايات وأحلى الإشارات(٢).

وله تصانيف مذكورة، وطُلب آخر عمره ليعلّم أولاد المقتدر. وتوفي لا ثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة عشر وثلثمئة.

---

(٣) مرثوماً: الرثم: هو الذي لا يصحح كلامه ولا يبيّنه. اللسان (رثم) ٥/١٣٧.

(٤) وفيات الأعيان ٤/٣٣٧.

ومنهم:

١٨- ابن السراج(*)

أبوبكر بن محمد بن السري بن سهل

النحوي، صاحب المبرّد. نَحوه(١) لا يملك، ونُحْوُه لا تسلك، بَعُد مرمى، وصَعِدَ مَنمى، وحُمد منه كل وصف يقال فيه، لَمّا لاح في سماء السعد فرقدا، وفاح للعبنر الورد موقدا، وبات الأدب يشب على نار خاطره، ويثب بسقيا ماطره، وزيّن شِعْره بالغنا، وزِيدَ قدره على نفع الغِذَا. وكان من حلفاء العشاق، وخلفاء الروض في الانتشاق. وكأن رايته لا تزال تعلق به نظرته وتعبق بأدبه حضرته فلا يَملّه جليس، ولا يملُّه حلّ عقدة تكة أو كيس.

قال ابن خلكان: كان أحد الأئمة المشاهير، المجتمع على فضله ونبله وجلالة قدره في النحو والآداب. أخذ عن المبرّد وغيره، وأخذَ عنه السيرافي والرماني وغيرهما، ونقل عنه الجوهري في الصحاح في مواضع عديدة، وله التصانيف المشهورة في النحو. وأُنشد ماذُكر أنه منسوب إليه وهو: [الكامل]

مَيَّزتُ بَينَ جَمَالِها وفَعَالِها ... فإذا المَلاحةُ بالخِيانة لا تَفِي
حَلَفَت لنا أن لا تخُونَ عُهُودَنا ... فكأنما حَلَفَت لهَا أنْ لا تَفِي
واللّه لا كلَّمتُها ولَوَ انّها ... كالبدر أو كالشَّمسِ أو كالمكتَفِي(٢)

(*) ترجمته في: أخبار العلماء النحويين ٤٤، وإنباه الرواة ٣/ ١٤٥، والبغلة ٢٢٢، وبغية الوعاة ١/ ١٠٩، ونزهة الألباء ١٨٦، وإشارة التعيين ٣١٣. توفي سنة ٣١٦هـ.

(١) نحوه: قصد في الأولى علم النحو، وفي الثانية أسلوبه وطريقته.

(٢) وفيات الأعيان ٤/ ٣٣٩.

ومنهم:

١٩- أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل(*)

الأخفش الأصغر. تعين فضله وتحتّم، وتزين بالثريا. ونصب على مدرجة الطريق خيامه، وأكثر ولَعه بالفضائل وهيامه. وقد فصل عن العظام، وحلّ من قمطه القدَام[١]، يكلف العلم كلف غيلان بمي، ويهيم في طلبه هيام قيس في كل حيّ، حتى صُفّت له عدد الطناف[٢]، ودنت إليه ثمرة للقطاف. قال ابن خلكان: روى عن المبرّد وثعلب وغيرهما. قال المرزباني: لم يكن بمتسع في الرواية والأخبار والعلم[٣] بالنحو، وما علمته صنّف مسألة ولا قال شعراً وكان إذا سئل عن مسائل النحو ضجر وابتهر كثيراً ممّن تواصل، كثير الطِيَرةَ. وكان الاخفش كثير المزاح، فكان يباكر قبل كل أحد فيطرق الباب على ابن الرومي، فيقول مَن بالباب، فيقول الأخفش: حرب من مقاتل وما أشبه ذلك، فكان ابن الرومي كثير الهجاء للأخفش، فلمّا رأى ابن الرومي أنه لا يألم بهجائه ترك هجوه، ومدحه بعد ذلك. وكان الأخفش يواصل المقام عند أبي علي بن مقلة، ويراعيه أبو علي ويبرّه، فشكا إليه في بعض الأيام الإضاقة، وسأله أن يكلم أبو الحسن علي بن عيس، وهو يومئذٍ وزير في أمره، ويسأله إجراء رزق عليه أسوة بأمثاله، فخاطبهُ أبو علي في ذلك، فانتهره علي بن عيس وردَّ عليه في مجلس حافل، فشقَّ على ابن مقلة ما عامَلَه به، وقام من مجلسه، وقد اسودّت الدنيا في عينيه، وصار إلى منزله لائماً لنفسه على سؤال علي [بن] عيسى ما سأله، وحلف أنه يجرد في السعي عليه. ووقف الاخفش على الصورة فاغتمَّ وانتهت به الحال إلى أن أكل

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٢/٢٧٦، والبلغة ١٥٨، وإشارة التعيين ٢١٩، وبغية الوعاة ٢/١٦٧، ونزهة الألباء ١٨٥، ومعجم المؤلفين ٧/١٠٤. توفي سنة ٣١٥هـ.

(١) القدام: القدم والقُدمة: السبق في الشيء. اللسان ١١/٦٤.

(٢) الطناف: الطنف: الجلد الأحمر الذي يُمَدُّ على الأسفاط. اللسان (طنف) ٨/٢٠٨.

(٣) نور القبس، ٣٤١.

السلجم[١] النيئ ،فقيل: إنه قُبض فمات فجأة، وذلك في شعبان سنة خمس عشرة، وقيل سنة عشر وثلثمئة[٢].

ومنهم:

٢٠- إبراهيم بن السريّ بن سهل الزجّاج(*)

النحوي، أبو إسحاق. كان يؤخذ من أدبه، ويدرأ في نحور الأعداء بكتبه، ولا عذرَ لمن وجد الجوهر ألا يلتقطه، ولمن ملك الجوهر ألا يخترطه، وكان قدرَ هذه في الدنيا معرفته بها وقطعه عنه صلته بسببها. وكان ما يتصدَّق به أحب مآليه إليه، وأعزّ ما يدّخره ما يقدّمه مما في يديه لديه. لا يخيفه سؤال، ولا يخفيه عذر عن نوال. وصحب بني وهب، وعُنِي به الوزير فبيّض سواد أمله، وروّض سوءة ممحله. وكان الوزير ممّن خُلقت يده للجود، ورفده لما لا يسع معه الجحود، فاتسعت جوانب ماله، وسعت مواهب كفه لمالِه.

ذكره ابن خلكان وقال: كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين، وأخذ الأدب عن المبرّد، وثعلب، وكان يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل، واختص بصحبة الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب، وعلَّم ولده القاسم الأدب، ولمّا استوزر أفاد بطريقته مالاً جزيلاً. وحكى أبو علي الفارسي، قال: دخلت مع شيخنا أبي إسحاق الزجاج على القاسم بن عبد الله الوزير، فسارّه خادم له بسرّ استبشرله ثم نهض، ولم يكن أسرع مما عاود في وجهه أثراً لوجوم فسأله شيخنا عن ذلك فقال له: كانت تختلف إلينا جارية لأحد الفتيان فسميتها أن تتبعني أياماً فامتنعت من ذلك، ثم أشار عليها أحد من ينصحها بأن يهديها إليَّ رجاء أن

(*) ترجمته في: أخبار العلماء النحويين ٣٨، ونور القبس ٣٤٢، وإشارة التعيين ١٢، والبلغة٥، وإنباه الرواة ١/ ١٥٩، وبغية الوعاة ١/ ٤١١، ونزهة الألباء ١٨٣. توفي سنة ٣٢١هـ.

(١) السجلم: نبت، وقيل: هو ضرب من البقول: اللسان (سلجم) ٦/ ٣٢١.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٣٠١.

أضاعف لها ثمناً، فلمّا جاءت أعلمني الخادم بذلك، فقمت مستبشراً لا فتضاضها، فوجدتها قد حاضت، فكان مني ما ترى، فأخذ شيخنا الدواة من بين يديه وكتب:
[المديد]

فارسٌ ماضٍ بحَربَتِه حاذقٌ بالطَّعنِ بالظُّلَمِ
رام أن يَدمي فريسَتَه فاتَّقَتْهُ من دمٍ بِدَمِ

قلت: وقد مرَّ قبل هذا في ذكر المأمون، ويحتمل أنّ الزجاج يمثل بهما.

وتوفي سنة إحدى وعشرين وثلثمئة[(١)].

ومنهم:

٢١- إبراهيم بن محمد بن عرفة[(*)]

ابن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، أبو عبد الله الملقب نفطويه النحوي الواسطي. ذو الفضائل الحسان والآداب والفضائل التي ما تمسك فيه بالأهداب، وله قريحة أكرم من الغمام، وأندى من الزهرة في الكمام. على أنه لم يخل من حاسد، ولا جاء إلا في زمن فاسد، فما بلغ مدى الاستحقاق، ولا بكّ بغير الدمع الآماق. ذكره ابن خلكان وقال: كان عالماً بارعاً، ولد سنة أربع وأربعين ومئتين، وقيل سنة خمس بواسط، وسكن بغداد، وتوفي في صفر سنة ثلاث وعشرين وثلثمئة، يوم الأربعاء لست خلون منه بعد طلوع الشمس بساعة. وقيل: توفي سنة أربع وعشرين. ولقّب نفطويه على

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ١/١٧٦، ونزهة الألباء ١٩٤، وإشارة التعيين ١٥، وبغية الوعاة ١/٤٢٨، والبلغة ٧، ومعجم المؤلفين ١/١٠٢. توفي سنة ٣٢٣هـ.

(١) وفيات الأعيان ١/٤٩.

مثال سيبويه؛ لأنه كان يُنسب في النحو إليه، ويجري على طريقته ويدرس كتابه، وأُنشِد له قوله: [الكامل]

قلبي أرقُّ عليك من خَدَّيكَا ... وقُوايَ أوهَى من قُوى جَفْنَيكَا
لِمَ لا ترقُّ لمن يعذِّب نَفسَه ... ظُلماً ويعطِفُه هَواهُ عَلَيْكَا

وفيه قال أبو عبد الله محمد بن زيد الواسطي المتكلم المشهور: [السريع]

مَن سرَّه ألاَّ يرَى فَاسِقَاً ... فَلْيجتَهِد ألاَّ يرَى نفطوَيْه
أحرَقَه الله بنِصفِ اسمِه ... وجَعَل الأرضَ صُرَاخاً عَلَيْه(1)

وأنشد نِفطَوَيه أيضاً لنفسه: [السريع]

الإلف لا يَصبِرُ عن إلفِه ... أكثَرَ من يَومٍ ويَومَينِ
وقد صَبَرْنا عنكُمُ جمعةً ... ما هَكَذا فعلُ المحبِّينِ

ومنهم:

٢٢- أبو بكر ابن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري(*)

النحوي، صاحب التصانيف المشهورة في النحو والأدب، وساحب ذيول المفاخر المجرورة لفضائل، يروي كلَّ صاديه، وترد كلَّ صافيه بكل بديعة جلست مع الملاح في مقاصيرها، وهبَّت مع الرياح أعاصيرها. رفضت عن المدام ختاما، وفوضت عن الغمام خياما، فهطلت

(*) ترجمته في: تاريخ العلماء النحويين ١٧٨، وتاريخ بغداد ٣ / ١٨١، وإشارة التعيين ٥٣٥، وإنباه الرواة ٣ / ٢٠١، والبلغة ٢٤٥، ونزهة الألباء ١٩٧، وبغية الوعاة ١ / ٢١٢، ومعجم المؤلفين ١١ / ١٤٣. توفي سنة ٣٢٨هـ.

(١) وفيات الأعيان ١ / ٤٧.

سكابا، وطلعت مع كل ناشبة[١] سحابا.

قال ابن خلكان: كان علاّمة وقته في الأدب، وأكثر الناس حفظاً لها، وكان صدوقاً ثقة ديّنا خيّرا من أهل السنّة، وصنّف كتباً كثيرة. وذكره الخطيب في تاريخ بغداد[٢] وأثنى عليه.

وقال: بلغني أنه كُتبَ عنه وأبوه حيٌّ، وكان على ناحية من المسجد وأبوه في ناحية أخرى. وكان أبوه عالماً في الأدب، موثقاً في الرواية أميناً، سكن بغداد.

قال القالي: كان أبو بكر الأنباري يحفظ ثلثمئة ألف بيت شاهد في القرآن الكريم. وقيل له: قد أكثر الناس في محفوظاتك، قال: أحْفظ ثلاثة عشر صندوقاً.

وقيل: إنه كان يحفظ مئة وعشرين تفسيراً للقرآن بأسانيدها.

وحكى الدار قطني أنه حضر مجلس إملائه يوم الجمعة، فصحّف اسماً أورده في حديث. قال الدار قطني: فأعظمت أن يُحمل عن مثله، وهممت أن أوقفه على ذلك، فلما انقضى الإملاء تقدمت إلى المستملي فذكرت له وهمه، وعرَّفته صواب القول فيه وانصرفت، ثم حضرت الجمعة الثانية في مجلسه، فقال أبو بكر: عرِّفِ الجماعة الحاضرين أنّا صحّفنا الاسم الفلاني لما أملينَا حديث كذا في الجمعة الماضية، ونبهنا ذلك الشاب على الصواب، وهو كذا، وعرِّفْ ذلك الشاب أنّا رجعنا إلى الأصل فوجدناه كما قال[٣].

ولد لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب سنة إحدى وسبعين ومئتين، وتوفي ليلة النحر سنة ثمان وعشرين، وقيل سبع وعشرين وثلثمئة. وتوفي أبوه سنة أربع وثلثمئة ببغداد، وقيل في سنة خمس.

---

(١) ناشبة: يقال: أنشبت الريح، اشتدَّت وساقت التراب. اللسان (نشب) ١٤ / ١٣٧.

(٢) وفيات الأعيان ٤ / ٣٤١.

(٣) وفيات الأعيان ٤ / ٣٤١. وينظر: تاريخ العلماء النحويين، ١٧٨.

ومنهم:

٢٣- عبدالله بن جعفر بن دُرُسْتويه(*)

ابن المرزبان، أبو محمد الفارسي الفَسَوي النحوي. مغامر جاز أودية الظنون، وحارب أردية المنون، وجال إذ مدّت له ميدانها السنون فشبّ عمره معه، حتى نوّر أقاح مشيبه، وأخذ شعرة من تفضيضه بعد تذهيبه، إلا أنه كبر وعمره منتهب. وبرد ولم يخمد له لهب، ولم يفقد طالب منه طول مدّته إحساناً، ولاجنى منه في غمرته إلا آسَاً وسوسانا[١]، وخفقت عليه راية الرواية، وحققت فِكرَهُ ورايه، ودان لساناً متكلما وبنانا. لازمه الفن متسلماً وعرى حين دنا حَينه[٢] من برديه، ولم يعد من فوائد منكب، ولا علا بأحد معه منصب، فمذ مات تساوى الناس، وتشابهت الأعضاء بذهاب الراس.

روى عن المبرد، وعبد الله بن سلمة بن قتيبة، وقدم بغداد شاباً وسكنها، وتصانيفه في غاية الجودة، منها: تفسير كتاب الجَرْمِي، وكتاب الهجاء، هذا من أحسن كتبه، ومعاني الشعر، وشرح الفصيح، وغريب الحديث، والردّ على ثعلب في اختلاف النحويين، وتصانيف أخر ذكرها القفطي[٣].

ولد سنة ثمان وخمسين ومئتين. وكان شديد الانتصار لمذهب البصريين في المذهب والنحو واللغة، وهو من مسند المحدّثين.

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٢ / ١١٣، وبغية الوعاة ٢ / ٣٦، والبلغة ١٠٧، ونزهة الألبّاء ٢١٣، وإشارة التعيين ١٦٢، ومعجم المؤلفين ٦ / ٤٠، والأعلام ٤ / ٢٠٤. توفي سنة ٣٤٧هـ.

(١) آساً وسوسانا: نبات ذو رائحة طيبة.

(٢) الحين، بفتح الحاء: الهلاك. اللسان (حين) ٣ / ٤٢٢.

(٣) من تصانيفه: الإرشاد، والهداية، والمقصور والممدود، وردٌّ على المفضل في الردّ على الخليل، والحي والميت... إنباه الرواة ٢ / ١١٣.

روى عنه جماعة من الحفاظ كالدار قطني وابن المظفر شاهين وابن مسندة وابن رزقويه، وأبي علي بن شاذان، ووثّقه ابن مسندة وغيره.

وتوفي في صفر سنة سبع وأربعين وثلاثمئة.

ومنهم:

٢٤- الحسن بن عبدالله بن المرزبان السيرافي(*)

النحوي، المعروف بالقاضي أبو سعيد، نزيل بغداد. صنو البحر الذي هو سور سيراف، وذيل بلده الممتد الطراف. علاّمة العلما، وغمامة السما، وشمس النهار المشرقه، وسحابة الأنواء المغرقه. تحلى بالورع ولبس التقى، وادّرع فلم يكن بمشتبه، ولا رُئِيَ مثله هاجع ولا منتبه.

قال ابن خلكان: سكن بغداد وتولى القضاء بها نيابةً عن أبي محمد بن معروف وكان من أعلم الناس بنحو البصريين، وشرح كتاب سيبويه، وأخذ اللغة عن ابن دريد، والنحو عن ابن السرّاج، وكان الناس يشتغلون عليه في عدّة فنون في القرآن الكريم، وفي علومه، وفي النحو واللغة والفقه والفرائض والحساب، والكلام والشعر والعروض والقوافي.

وكان نزهاً عفيفاً جميل الأثر، حسن الأخلاق، وكان معتزلياً، ولا يظهر ذلك عليه. وكان لا يأكل إلا من كسب يمينه، ينسخ ويأكل منه. وكان أبوه مجوسياً اسمه بهزاد، فأسلم، فسمّاه ابنه عبد الله. وكان كثيراً ما ينشد في مجالسه: [الكامل المرفل]

أُسكُن إلى سَكَن تُسَرُّ به ذَهَبَ الزمانُ وأنت منفَرِدُ
ترجو غَداً وغَدٌ كحَامِلَةٍ في الحيّ لا يَدرُون ما تَلِدُ

(*) ترجمته في :إنباه الرواة ١ /٣١٣، والبلغة ٦١، وبغية الوعاة ١ /٥٠٧، وإشارة التعيين ٩٣، ونزهة الألباء ٢٢٧، ومعجم المؤلفين ٣ /٢٤٢. توفي سنة ٣٦٨هـ.

وكانت بينه وبين أبي الفرج الأصفهاني صاحب الأغاني ما جرت العادة بمثله بين الفضلاء من التنافس. فقال أبو الفرج فيه: [الخفيف]

لستَ صدراً ولا قرأتَ على صَدْ ... رِ ولا علمُكَ البكيُّ بشافِ
لَعَنَ اللَّهُ كلَّ نحوٍ وشعرٍ ... وعَروضٍ يَجِيء من سِيرافِ

وتوفي يوم الاثنين، ثاني رجب سنة ثمان وستين وثلاثمئة ببغداد، وعمره أربع وثمانون سنة[(١)].

ومنهم:

٢٥- الحسن بن أحمد بن عبدالغفار

ابن محمد بن سليمان بن أبان، أبو علي الفارسي[(*)] الفسوي النحوي، رجل خط بيراعه، وحَطَّ الصبح عن قناعه، وكفَّ الدهر عن قراعه فلفَّ المجد في ملائه، وخفّ الوفد إلى آلائه. وسعت إليه الزمر، وسعدت لديه بالثمر، وجاءته الوفود، وتزاحمت لديه على الورود. وصدرت عنه الركائب وقد أودعت[(٢)] حقائبها طيباً وحقائقها ما كان لسقام الأفهام طبيبا.

وكان على هذا لا يسلم من لسان حاسد وثالبٍ حاشد، وثباته على هذا عجب، وإثباته في أهل التقدم قد وجب.

قال ابن خلكان: ولد بمدينة فسا، واشتغل بمدينة بغداد، وكان إمام وقته في علم النحو. ودار البلادَ، وأقام بحلب عند سيف الدولة بن حمدان مدة وجرت بينه وبين المتنبي مجالس،

(*) ترجمته في: البلغة ٥٣، وإنباه الرواة ١/ ٢٧٣، وإشارة التعيين ٨٣، وبغية الوعاة ١/ ٤٩٦، ونزهة الألباء ٢٣٢، ومعجم المؤلفين ٣/ ٢٠٠. توفي سنة ٣٧٧هـ.

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٧٨، وينظر: إنباه الرواة ١/ ٣١٣.

(٢) وردت في المخطوطة (ادعت).

ثم انتقل إلى بلاد فارس، وصحب عضد الدولة بن بويه، وتقدّم عنده، وعلت منزلته؛ حتى قال عضد الدولة :أنا غلام أبي علي الفسوي في النحو. وصنَّف له كتاب الإيضاح والتكملة في النحو.

ويحكى أنه كان يوماً في الميدان بشيراز، يساير عضد الدولة فقال له: لِمَ انتصب المستثنى زيداً؟ فقال له عضد الدولة: هلاّ رفعته، وقدرت الفعل، نحو: امتنع زيدُ، فانقطع أبو علي[١]، وقال له: هذا الجواب ميداني، ثم إنه لمّا رجع إلى منزله وضع في ذلك كلاماً، وحمله إليه فاستحسنه. وذكر في الإيضاح، أنّه بالفعل المقدَّم بتقوية إلاّ.

وحكى أبو القاسم أحمد الأندلسي، قال: جرى ذكر الشعر بحضرة أبي علي وأنا حاضر، فقال: إني لأغبطكم على قول الشعر فإن خاطري لا يوافقني على قوله، مع تحقيقي العلوم التي هي مراده، فقال له رجل: فما قلت قط شيئاً منه؟ قال: ما أعلم أن لي شعراً إلا قولي في الشيب: [الوافر]

خَضَبتُ الشَّيبَ لمّا كان عَيْبَاً ... وخَضْبُ الشَّيبِ أولَى أن يُعَابا
ولم أخضِبْ مَخَافَةَ هجرِ خِلٍّ ... ولا عَيباً خَشِيت ولا عِتَابَا

قال ابن خلكان :« وقد أخذ في ذكره وبالجملة، فهو أشهر من أن يذكر فضله، ويعدَّد. وكان متهماً بالاعتزال ».

ومولده سنة ثمان وثمانين ومئتين، وتوفي لسبع عشرة ليلةً خلت من أحد الربيعين، سنة سبع وسبعين وثلاثمئة ببغداد. وفسا من بلد فارس[٢].

---

(١) لم يرد في المخطوطة جواب أبي علي الفارسي، وقد ورد في وفيات الأعيان ما نصه: «فقال الشيخ: بفعل مقدّر، فقال له: كيف تقديره؟ فقال: أستثني زيداً. فقال له عضد الدولة: هلاّ رفعته وقدّرت الفعل امتنع زيدُ؟ فانقطع الشيخ، وقال له: هذا الجواب ميداني...» وفيات الأعيان، ٢ / ٨٠، ابن خلكان.

(٢) وفيات الأعيان ٢ / ٨٠.

ومنهم:

٢٦- أبو الحسن علي بن عيسى بن عبدالله الرُمّاني[*]

الورّاق، المعروف بالإخشيدي رجل صفو زلاله لم يكدر، وصنو حلال عليه لم يقدر، ورد العلّ والنهل[١]، وجرى الناس وراءه وهو على مهل. وكم سبح في بحره السماكان، وما فيهما اسم كان، إلى [أن] فتل غاربَ الشارق، وفعل ابن ذكا[٢] في المشارق. وقبس منه الضرام وأضاءنهاره، وغيّره بخيط في الظلام. كان إماماً في علم العربية، علامة في الأدب في طبقة أبي علي الفارسي، وأبي سعيد السيرافي. أخذ عن ابن السرّاج وابن دريد والزجاج. وله تصانيف في جميع العلوم، من النحو واللغة والنجوم والفقه والكلام على رأي المعتزلة. وكان يمزج كلامه في النحو بالمنطق؛ حتى قال أبو علي الفارسي: إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء، وإن كان النحو ما نقوله نحن فليس معه منه شيء. وكان يقول[٣]: النحويون في زماننا ثلاثة: واحدُ لا يفهم كلامه وهو الرماني، وواحدُ يفهم بعض كلامه وهو أبو علي الفارسي، وواحد يفهم جميع كلامه بلا أستاذ وهو السيرافي.

وقال القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي[٤]: سمعت شيخنا الرماني يقول، وقد

(*) ترجمته في: البلغة ١٥٩، وإنباه الرواة ٢ / ٢٩٤، وإشارة التعيين ٢٢١، وبغية الوعاة ٢ / ١٨٠، ونزهة الألباء ٢٣٣، ومعجم المؤلفين ٧ / ١٦٢. توفي سنة ٣٨٤هـ

(١) العل: الشربة الثانية. اللسان (علّ) ٩ / ٢٦٥. والنهل: الشرب الأول. اللسان (نهل) ١٤ / ٣١١.

(٢) ابن ذكا: الصبح. اللسان (ذكا) ٥ / ٥١.

(٣) (وكان يقول) عبارة غير مستقيمة مع السياق، ولعلَّ الأقوم أن تكون: «ولذلك كانوا يقولون»، كما ورد عند المخزومي في كتابه: أعلام في النحو العربي، ص ٧٦.

(٤) هو علي بن المحسن بن علي التنوخي، كان ينفق على أصحاب الحديث، وكان أديباً فاضلاً، صحب أبا العلاء وأخذ عنه كثيراً. توفي سنة ٤٤٧هـ. إنباه الرواة ١ / ٤٧.

سئل فقيل له: لكل كتاب ترجمة، فما ترجمة كتاب الله عزّ وجل؟ فقال: ﴿هَذَا بلاَغٌ لِّلنَّاسِ، وَلِيُنذَرُوا بِهِ[1]﴾.

وقال أبو حيان التوحيدي: سمعت عليّ بن عيسى يقول لبعض أصحابه: لا تعادِيَنْ أحداً وإن ظننته أنه لن ينفعك، فإنه لا تدري متى تخاف عدوّك أو تحتاج إليه، ومتى ترجو صديقك أو تستغني عنه. وإذا اعتذر عدوك فاقبل عذره، وليقلَّ عتبه على لسانك. ومما تمثل به، وقد شتمه بعض سائليه عن مسائل أجاب عنها بما لا وصل إلى ذهن السائل: [الوافر]

ولولا أن يُقالَ هَجَا نُمَيْراً ... ولَم يسمَعْ لشاعرها جَوابَا
أغَبِنَا عن هِجَاء بَنِي كِلاَب ... وسوف يُشَاتِمُ النَاس الكِلاَبَا

قال التنوخي: وممن ذهب في زماننا إلى أن علياً أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلّم من المعتزلة أبو الحسن الرمّاني الإخشيدي، ولعلّه كان تلميذ ابن الإخشيد المتكلم، أو على مذهبه. توفي في جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وثلاثمئة، في خلافة القادر بالله[2].

ومنهم:

٢٧- محمد بن الحسين بن محمد بن عبدالوارث الفارسي[*]

النحوي، أبو الحسين ابن أخت أبي علي الفارسي. رجل تنقل في الارض تنقّل السحاب، وتوقَّل[3] الذرى توقّل العُقاب. وخاطر في اقتحام المهَامِه، وخاض غمرات الموت المشابه، ولم

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٣/ ١١٦، وبغية الوعاة ١/ ٩٤، ونزهة الألباء ٢٥١. توفي سنة ٤٢١هـ.

(١) إبراهيم ١٤/ ٥٢.

(٢) ترجمته في: وفيات الأعيان ٣/ ٢٩٩.

(٣) توقَّل: تصعَّد. اللسان (وقل) ١٥/ ٣٧٦.

يهب جنح الدجى، ولا وقف دون مرتجى. فطوى البيد ونشرها، وساق البُدْرَ ونَحرَها حتى جال في القلوب، وجاب أكثر ما تحت السماوات، وسمابه الدهر حتى قرع باب السلطان، وولج سماه وابتهج نعماه، وحصل أضعاف ما تجرّه الموارث وساد فوق سؤدد آبائه وجدّه عبد الوارث. وكان أحد أفراد الدهر وأعلام الفضل. وهو الإمام في النحو بعد خاله، وعنه أخذ حتى استغرق علمه واستحق مكانه. أوفده خاله على الصاحب بن عباد، فأكرم مورده ومصدره، ونال منه أو فر حظ، ثم ورد خراسان، وأملى بنيسابور الأدب، ثم قدم على صاحب خوزستان وحظي عنده ثم رجع إلى غزنة ثم أتى نيسابور وأقام بأسفدانين ثم استقر بجرجان، وأخذ عنه أهلها فضلاً كثيراً. ومن تلاميذه عبد القاهر الجرجاني. وتوفي سنة إحدى وعشرين وأربعمئة. ومن شعره قوله: [الكامل]

وَمُطَهَّمٍ مَا كُنتُ أَحسَبُ قَبلَه أنَّ السُّروجَ على البوارِق تُوضَعُ
فكأنما الجَوزاءُ حين تَصَوَّبَت لُببُ[1] عَلَيهِ والثُّريا بُرقُعُ[2]

ومنهم:

٢٨- أبو منصور عبدالملك بن أحمد بن إسماعيل الثعالبي(*)

جامع أدب ما ترك، وسامع طرب لا يملك معه الحرك. ألف كتاب اليتيمة، وتصرف بها في سحاب دُررما لها قيمة. جمع فيها فأوعى، لكن من مَسكَ الحقائب، واستدعى لكن غرر الغرائب. وضمن فيها ذكر من لا شبهة في فضله، وضم الشيء إلى مثله، وأبدع في تأليفه، وشرع به منهجاً جاء الدوح المثمر في لفيفه، والروض المزهر في

(*) ترجمته في: نزهة الألباء ٢٦٥، ووفيات الأعيان ٣/١٧٨، ويتيمة الدهر ١/٢٣. توفي سنة ٤٢٩هـ.

(١) لُبَبُ: مقيمة عليه، من ألبيت بالمكان إذا أقمت فيه. اللسان (لبّ) ١٢/٢١٥.

(٢) إنباه الرواة ٣/١١٦.

تفويفه[١]، والدرّ الثمين في ترصيفه، والشهب الرقى هنَّ في تصنيفه، والقمر والهلال وهما لا يبلغان مدى مدّه، ولا تصنيفه بكلام تنكل السيوف عن حدِّ مقوَله، وتكل الأفهام في نسيج تأوُّله، وتنكر لوامع البرق أن تقاس بتطوله، وتذكر الأيام لا بل نجوم الظلام. ولا تجاري نسبة الثعالبي ثعلب فخره ولا سَرحان. أوله معجز يتحدى به على البلغاء ولا يُغلَب، وموجز يعطي من طرف اللسان حلاوة، ويروغ كما يروغ الثعلب وفيها يقول ابن قلاقس: [الرجز]

أَبيَاتُ أشْعَارِ اليَتِيمَه ... أبكارُ أفكارٍ قديمه
مَاتُوا وعَاشَت بعدَهُم ... فلِذاكَ سُمِّيَتِ اليتيمه(٢)

وقد مرَّ في تراجم مَن تقدّم من الشعراء من كلامه ما حلي ذوقاً، وتدفق نهراً شق عن مائه الفضي طوقاً مما خفّ موقعه، وشفّ حتى كاديراه من يسمعه وطفا، فالتقط الدرّ من يجمعه. ولم يبق إلا مَن كتبه ولوعاً يحسنه، وتهافتاً وهو غزير، وابتذل وهو في موضع من الضنانة حرير. فسار وما كان أحدُ لاعتلاقه به أخلى منه سمعه، وصار أرخص القيمة. كأنه الياسمين ما يساوي جمعه. ومن شعره المروي، بل نثره الذي لو ظفرت به ذات غَيد لما ضاعت من سواه حلية سوارها الملوي.

وقوله: [الرجز]

إنسَانَةٌ تَيَّاهَةٌ(٣) ... بدر السَّما منهَا خَجِل
إذا رَنَا طَرفِي بِهَا ... بِدَمعِ عَينِي يغتَسِل

وقوله، وكتب به إلى الأمير أبي الفضل المكيالي: [الكامل]

لَكَ فِي المَفَاخِر مُعجِزاتٌ جَمَّةٌ ... أبداً لغَيرِكَ في الوَرَى لم تُجمَعِ

---

(١) تفويفه: يقال: بردٌ مفوّف، أي: رقيق. اللسان (فوف) ١٠/ ٣٤٩.

(٢) ديوان ابن قلاقس، ٥٢٥.

(٣) تياهة، متكبّرة. اللسان (تيه) ٢/ ٧٢، وقد ورد في الديوان: فتانة، بدلاً عن: تياهة، وزنت بدلاً عن: رنا. ينظر الديوان، ١٠٨.

بَحـرانِ بَحـرٌ في البـلاغَـةِ شأنُه ... شعر البلاغ وحسنُ لفظ الأصمعي
كـالنُّور أو كـالسِّحر أو كـالبدرِ أوْ ... كـالوَشي في بُردٍ عليه مُوشَّع
شُكراً فكَمْ من فقرةٍ لكَ كالغنَى ... وافَى الكريم بُعَيد فَقْرٍ مُدقع
وإذا يُفيقُ بنُور شعرك ناظرٌ ... فالحُسنُ بين مُرصَّعٍ ومُصرَّعِ
أرجلْتَ فُرسانَ الكَلامِ ورضتَ أفـ ... ـراس البَديعِ وأنت أجملُ مُبدع
ونقَشْتَ في فَصِّ الزَّمانِ بَدايعَاً ... تُزري بآثَارِ الرَّبيعِ المُمْرِعِ (١)

وقوله: [البسيط]

لما بَعثْتُ فَلَم توجب مُطَالعَتي ... وأمعَنَتْ نارُ شَوقي في تَلهُّبِهَا
وَلَم أجِدْ حِيلةً تُبقي عَلَى رَمَقِي ... قَبَّلتُ عَينَيْ رَسُولي إذ رآك بِهَا (٢)

ومنهم:

٢٩- أبو الفتح عثمان بن جني(*)

الموصلي النحوي، صاحب التصانيف؛ ناهيك به من أعورَ، عينه نضّاخة(٣)، وأرضه مما تنبت سوّاخه(٤). لم يُرَ مثله في توجيه المعاني وشدّ بيوت القصائد الوثيقة المباني. وكان أبو الطيب المتنبي إذا سئل عن معنى قاله، أو توجيه إعراب حصل فيه إغراب دلّ عليه، وقال: عليكم بالشيخ الأعور ابن جني، فسلوه فإنه يقول ما أردت، وما لم أرد. ما أبقى له نهداً وفخراً بمثله يتميز، وبفضله يتعزّز.

قال ابن خلكان: كان إماماً في علم العربية، وقرأ الأدب على أبي علي الفارسي ثم قعد

---

(١) ورد في الديوان: في المحاسن بدلاً عن: في المفاخر، والوليد بدلاً عن: البلاغ ينظر: ديوان الثعالبي ٨٤ – ٨٥.
(٢) لم يرد البيتان في قافية الهاء من الديوان، ١٢٦ – ١٢٩.
(*) ترجمته في: تاريخ العلماء النحويين ٢٤، وإنباه الرواة ٢/ ٣٣٥، وإشارة التعيين ٢٠٠، والبلغة ١٣٧، وبغية الوعاة ٢/ ١٣٢، ونزهة الألباء ٢٤٤، ويتيمة الدهر ١/ ١٣٧. ومعجم المؤلفين ٦/ ٢٥١، توفي سنة ٣٩٢هـ.
(٣) نضّاخة: النضخ، شدّة فور الماء في جيشانه وانفجاره من ينبوعه. اللسان (نضخ) ١٤/ ١٧٦.
(٤) سوّاخة: يقال: بطحاء سواخيّ الطين إذا كثر ماؤه من رداع المطر. اللسان (سوخ) ٦/ ٤١٩.

للإقراء بالموصل، فاجتازبه شيخه فرآه، فقال له: زببت وأنت حصرم. فترك حلقته وتبعه، ولازمه حتى تمهَّر. وكان أعور. وفي ذلك يقول: [المتقارب]

صُـدُودُكَ عنّي ولا ذَنبَ لي يدلّ على نِيَّةٍ فاسِدَه
فَقَد وَحَياتك مما بَكيت خَشيتُ على عَيني الواحِدَه
ولولا مَخافَةَ أنْ لا أراكَ لما كَان في تَركِها فَائِدَه

وسأل شخصُ المتنبي، فقال: كيف أتيت الأدب في قولك:

بادٍ هواك صبرت أم لم تصبرا[(١)]؟

فقال: لو كان هناك ابن جني أبو الفتح لأجابك. وولد قبل الثلاثين والثلاثمئة بالموصل. وتوفي لليلتين بقيتا من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمئة[(٢)].

ومنهم:

٣٠- أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن متّوَيه الواحدي[(*)]

صاحب التفاسير المشهورة. نجمه ما غرب، وسهمه مُوَفَّى لامن نبع ولا غرب. وشب كما شبّ الغلام؛ حتى افترَّ له ثغر السؤدد وابتسم، واستهم على الفضل واقتسم؛ فما ثقل بيت عارضه إلا وقد نبت نباتاً حسناً، وثبت ثباتاً يجعل له الجوارح ألسناً وقنا. أقلت آثاره

(*) ترجمته في: إشارة التعيين ٢٠٩، والبلغة ١٤٥، وإنباه الرواة ٢/٢٢٣، وبغية الوعاة ٢/١٤٥، ومعجم المؤلفين ٧/٢٦. توفي سنة ٤٦٨هـ.

(١) أصل البيت:

بادٍ هواك صبرت أن لم تصبرا وبكاك إن لم يجر دمعك أو جرى

العَرف الطيب ٢/٤١٩.

(٢) وفيات الأعيان ٣/٢٤٦.

السهوب والسهول، وعلت به شبابُ تسامت للعلى وكهول.

قال ابن خلكان: كان أستاذ عصره في النحو والتفسير، ورزق السعادة في تصانيفه. وأجمع الناس على حسنها، ومنها البسيط والوسيط، وشرح ديوان المتنبي شرحاً مستوفى. ليس في شروحه مع كثرتها ملَّة. وذكر فيه أشياء غريبة منها أنه قال في شرح هذا البيت وهو: [الكامل]

وإذا الـمكَارِمُ والـصَّوَارِمُ والقَنَا وبَنَاتُ أعوج كلُّ شَيء يُجمَعُ

تكلم على هذا البيت فقال: أعوج، أنه فحل[١] كريم كان لبني هلال بن عامر، وأنه قيل لصاحبه: ما رأيت من شدّة عدوه؟ قال: ضللت في بادية وأنا راكبه، فرأيت سرب قطا يقصد الماء فسُقْتُه، وأنا أغُضّ[٢] من لجامه حتى توافيا الماء دفعةً واحدة وهذا أغرب شيء يكون؛ فإن القطا شديد الطيران، وإذا قصد الماء اشتدَّ طيرانه أكثر من غيره قصد الماء، ثم ما كفى حتى قال: كنت أغضّ من لجامه، ولولا ذلك لكان يسبق القطا وهذه مبالغة عظيمة. وإنما قيل له أعوج؛ لأنه كان صغيراً وقد جاءتهم غارة، فهربوا منها وطرحوه في خُرج[٣]، وحملوه لعدم قدرته على متابعتهم لصغره، فاعوجَّ ظهره من ذلك، فقيل له أعوج. وهذا البيت من جملة القصيدة التي رثا بها فاتكاً[٤] المجنون. وكان الواحدي المذكور تلميذ الثعلبي صاحب التفسير. وتوفي في جمادى الآخرة سنة ثمان وستين وأربعمئة بنيسابور[٥].

(١) أعوج: فحل مشهور من خيل العرب. ديوان المتنبي، دار صادر، ص ٤٩٢.
(٢) أغضّ: أنقص من غربه وحدّته. اللسان (غضض) ١٠ / ٨٢.
(٣) خرج: من الأوعية، معروف، عربي. (اللسان (خرج) ٤٥ / ٥٤).
(٤) ورد في المخطوطة (فادكاً).
(٥) وفيات الأعيان ٣ / ٣٠٣.

ومنهم:

٣١- الشريف الشجري(*)

أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني. مطبل(١) غرر وسمات، ومزيل حسنات من سيئات. كان يتيماً يرتع في ميدانه، ويربع على أخدانه، إذا به قد قطب، وتنكر، ورأى منه ما ينكر؛ ولكل امرئ نَفَسَان، والخير والشر في اللسان، إلاَّ أنه كان علماً، وكان وجود الناس سواه عدماً؛ لفواضل كأنما جُعلت رزقاً للنسيم أو حقًّاً له منه أوفر القسيم.

قال ابن خلكان: كان إماماً في النحو واللغة، وأشعار العرب وأيامها وأحوالها، كامل الفضائل، متضلعاً من الآداب. صنَّف فيها عدّة تصانيف أكثرها وأجلّها كتاب (الأمالي)، وهو من الكتب الممتعة.

ولمّا فرغ من إملائه، حضر إليه ابن الخشاب، والتمس منه عليه فلم يجبه إلى ذلك، فعاداه وردَّ عليه في مواضع منه، ونسبه فيها إلى الخطأ. فوقف عليها الشريف، فردَّ عليه ردةً، بيَّن وجوه غلطه في كتاب جمعه، وسمَّاه (الانتصار). وهو على صِغَر حجمه مفيدٌ جداً.

وكان حسن الكلام، حلوَ الألفاظ فصيحاً، جيِّد اللسان والتفهيم. وقرأ الحديث بنفسه على جماعة من المتأخرين، مثل أبي الحسن المبارك بن عبد الجبار الصيرفي وابن شهاب الكاتب، وغيرهما.

وذكره السمعاني في الذيل، وكان الشريف أبو السعادات ينوب عن والده الظاهر في النقابة بالكرخ، وله شعر حسن، ومنه قوله: [الكامل]

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٣/ ٣٥٦، والبلغة ٢٧٨، ونزهة الألباء ٢٩٩، وبغية الوعاة ٢/ ٣٢٤، وطبقات الشافعية ٢/ ١٠، وإشارة التعيين ٣٧٠، ومعجم المؤلفين ١٣/ ١٤١. توفي سنة ٥٤٢هـ.

(١) مطبل: الطبل، الخَلْق. اللسان (طبل) ٨/ ١٢٤.

هذي السَّديرَةُ والغَديرُ الطَافِحُ فَاحفَظ فؤادَك إنني لَكَ ناصِحُ
يا سدرةَ الوادي الذي إن ظلّه الـ ـسَّاري هَداه نشرُه المتفاوحُ
هَل عائدٌ قبل المَمات لُمغرمٍ عيشٌ تَقَضّى في ظِلالكَ صالحُ
ما أنصفَ الرَّشأُ الضَّنين بنظرةٍ لمَاَ دعَا مُصغي الصَّبابة طَامحُ
شطَّ المزارُبه وبوّأ منزلاً بصَميم قَلبك فهوَ دانٍ نازحُ
غُصنٌ يعطِّفُه النَّسيمُ وفوقَه قَمرٌ يحفُّ به ظَلامٌ جانحُ
وإذا العُيون تساهَمَتْه لحَاظُها لَم يُروَ منهُ النَّاظرُ المتَراوحُ
ولَقَد مَررْنا بالعَقيق فَشاقَنا فيه مَراتعُ للمَهَا ومَسارحُ
ظَلْنا به نَبكي فَكم من مُضمرٍ وَجداً أذاع هَواهُ دمعٌ سافحُ
مَرتْ[1] الشؤونُ رسومَها فكأنما تلكَ العِراصُ المفقداتُ نَواضحُ
يا صاحبَيّ تأمَّلا حُيّيتُما وسقَى ديارَكُما الملثُ[2] الرايحُ
أدُمىً بدت لعيوننا أم رَبْرَبٌ أم خُرَّدٌ[3] أكفَالُهن رَواجحُ
أَم هذه مُقَلُ الصوار[4] رَنَتْ لَنَا خلَلَ البراقعِ أم قَناً وصفائحُ
لَم تبق جارحةٌ وقد واجهتنا إلا وهُنَّ بصيدهنَّ جَوارح[5]
كَيفَ ارتجاعُ القَلب من أسرِ الهوَى ومنَ الشَّقاوة أن يُراضَ القادحُ
لو بلَّه من مَاءِ ضارجَ[6] شربةٌ ما أثّرت للوَجد فيه لَواقحُ

ولد في رمضان سنة خمس[7] وأربعمئة، وتوفي يوم الخميس، السادس والعشرين من

(١) مَرَت الشؤون: أزالت. اللسان (مرت) ١٣/٦٣.
(٢) الملث: الندى، ويقال للبط إذا دام أياماً. اللسان (لثّ) ١٢/٢٣٤.
(٣) ورد في المخطوطة (خود) وأثبتنا (خرّد) كما في: وفيات الأعيان، ٦/٤٨.
(٤) الصُّوار: القطيع من البقر. اللسان (صور) ٧/٤٤٠.
(٥) في وفيات الأعيان، ورد عجز البيت (إلاّ وهن لها بهن جوارح)، ٦/٤٨.
(٦) ضارج: اسم موضع في بلاد بني عبس، معروف. اللسان (ضرج) ٨/٤١.
(٧) في طبقات الشافعية جاءت ولادتة سنة ٤٥٠ خمسين وأربعمئة للهجرة. (طبقات الشافعية ٢/١٠).

رمضان، سنة اثنتين وأربعين وخمسمئة. وعندي ما ذكره ابن خلكان في مدة عمره نظرُ؛ فإنه قلَّ أن يبلغ أحدٌ هذا المدى من العمر في زماننا الأخير، الواقع في خطّه العمر القصير[١].

ومنهم:

٣٢- ابن الخشّاب(*)

عبد الله بن أحمد بن أحمد

النحوي، تنكرت المعارج حتى أزاح شهبها، وأزال سمومها، وأزار الألباب نزهها، ففتح المغلق وأقاد الصعاب وأفاد الصحاب. وكان ندى يتفجر لآلا، ولا تعرف أيامه زوالا. وشقَّ البحر وراءه والتطم، وبلغ السيل آثاره وارتطم. ورجع خلفه السحاب بغيظه محنقا، والبرق بناره محرقا. فما نهنه[٢] في طلب، ولا رَهزُه لطرب، إلى أن فُصِّل عليه الكفن. ولم يشك أن ضافيه للشمس قد دُفن.

قال صاحب بغية الألبا: كان غايةً في الذكاء والفهم، آية في علم العربية خاصة، وفي سائر العلوم كافة. ورأيت قوماً من نحاة بغداد يفضّلونه على أبي علي الفارسي. زعموا أنه كان يعرف ما عرف أبو علي، وزاد عليه في علم الأدب وغيره؛ لتفنّنه في جميع العلوم. قد سمع حديث النبي – صلى الله عليه وسلّم – وأكثر تفهّمه، وعرف صحيحه وسقمه، وبحث عن أحكامه وتبحَّرفي علومه. ورأيت بخطه كثيراً من كتب الحكمة. وكان حسن السيرة، سالكاً طريقة الأوائل في هديه وسمته؛ لا يتكلف في شيء من أمر ملبوسه

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٢ / ٩٩، وبغية الوعاة ٢ / ٢٩، وطبقات الشافعية ٢ / ٥٨، وإشارة التعيين ١٥٩، والبلغة ١٠٥. توفي سنة ٥٦٧هـ.

(١) وفيات الأعيان ٦ / ٤٥. وينظر: خريدة القصر ج ١ / ٣ / ٥٢.

(٢) نهنه: النهنهة: الكفُّ، ونهنهت فلاناً: زجرته. اللسان (نهنه) ١٤ / ٣١٢.

وهيئته. وإذا سمعت كلامه ظننته عامياً لا يفقه شيئاً.

وكان مع ما شاع من فضله مشتهراً بلعب الشطرنج. وكان رؤساء زمانه ووزراء وقته يودّون مجالسته، ويتمنون محاضرته، فيتركهم ويمضي إلى حريف[١] له زنجي قبيح الصورة سمج الألفاظ، يُعرف بشنشل، فيجلس معه على قارعة الطريق في بعض الدكاكين، ويلاعبه ويسافهه، ويهزأ به، أو يمضي إلى الرحبة أو شاطىء دجلة فيقف على الخلق وأرباب الحكايات والشعبذة وما ناسبهم؛ فكان إذا لاموه على ذلك يقول: إنه يندر منهم نوادر لا يكون أحسن ولا ألطف منها، وصحة قرائحهم وتصدّيهم لما هم بصدده.

وكان مع ذلك لا يخلو كُمُّه من الكتب وأنواع العلوم. فكان بينما هو يمشي في الطريق يخطر له قراءة شيء، فيجلس كيف اتَّفق، ويخرج الدفاتر فيطالع فيها. وكان يعتم العِمة فتبقى أشهراً معتمةً حتى تتسخ أطرافها من عرقه فتَسْوَدُّ. وكان إذا رفعها عن رأسه ثم أراد لبسها تركها على رأسه كيف اتفق. فتارة عذّبتها تلقاء وجهه، وتارةً عن يمينه وتارة عن شماله فلا يغيِّر.

فإذا قيل له في ذلك، قال: ما استوت العمَّة على رأس عاقل، هذه كانت حجته. وكان الوزير ابن هبيرة[٢] يلومه على تبذله فلا يلتفت إليه، ولا يتغيّر عن سجيَّته. وما حلّت عليه ودام لا يصغي للائم، ولا ينقاد لمنافٍ ولا ملائم. ومن نوادره [أنَّ] بعض من كان يحضر مجلسه، قال له يوماً: القفا، يقصر، أو يُمدّ؟ ومنها: أن الكمال عبد الرحمن الانباري لمّا صنَّف كتاب (الميزان) في النحو، وعُرِضَ على ابن الخشاب، قال: احملوا هذا الميزان إلى المحتسب ففيها عين[٣].

ومنها: أنه كان يوماً في داره في وقت القيلولة، والحرُّ شديد وقد نام؛ إذ طرق الباب عليه

---

(١) حريف: حريف الرجل: معامله في حرفته. اللسان (حرف) ٣/ ١٣٠.

(٢) هو أبو المظفر عون الدين يحيى بن هبيرة، استوزره المقتفي، توفي سنة ٥٦٠هـ.

(٣) عين: العين في الميزان: الميل، وهو أن تَرجَح إحدى كفتيه على الأخرى. اللسان (عين) ٩/ ٥٠٤.

طرقاً مزعجاً، فانتبه وخرج مبادراً، وإذا رجلان من العامة، فقال: ما خطبكما؟ فقالا: نحن شاعران، وقد قال كلٌّ منّا قصيدة. وزعم أنها أجود من قصيدة صاحبه، وقد رضيناك.

فقال: لينشد أحدكما. قال: فأنشد أحدهما وهو مصغٍ إليه، فلمّا فرغ منها همَّ الآخر بالإنشاد. قال ابن الخشاب: على رِسلك، شعرك أجود. فقال: كيف خبرت شعري ولم تسمعه؟ فقال: إنه لا يمكن أن يكون شيء أنحس من شعر هذا.

قال أبو محمد بن الخشاب: خرجت من الحلّة[١] السيفية قاصداً زيارة مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وكان في الصحبة رجلٌ من سكّان المشهد يعرف بابن الشوكية، علويّ، فنزل بنا على بطن من خفاجة؛ ليستصحب معنا منهم خفيراً. فأكرموا نُزُلَنا، وجاء منهم في الليل صبيٌّ، ما أظنّه بلغ سبعاً، وعليه آثار مرض قد نَهكَه، فسلَّم علينا. فقال له العلوي: ما بك يا فلان؟ وسمَّى الصبي. فقال مجيباً له: في أنّ لي مدَّة أجهد وأمعد، يريد بأجهد، أفعل، من قولك: رجل مجهود، من جهد الحمَّى. وأمعد، أن يصيبني وجعُ في المعدة. فقال: معَّدَ، فهو ممعود، كما يقال: كبِدَ فهو مكبود، إذا أصاب كبده مرض. وكذا: فَهِدَ فهو مفهود.، وباقي الأعضاء.

وكذا يقال فيمن أصيب هذا العضو منه برمية، فقال: أميديٌّ أم مرجول، أي: أصيبت يده أم رجله. فتعجبت من فصاحة الصبي.

وكان في الرفقة شيءٌ من أهل المشهد، فسمعته، وقد أعيا من السير يقول لعبد له: يا مقبل فرِّكني. فقلت لبعض مَن معنا: ما معنى قوله فرّكني؟ فقال: يريد اغمزني ليزول تعبي. فقلت: لا إله إلا الله، خالقُ ذلك الصبي وهذا الشيخ واحد، فكم بين اللسانين والسنَّين.

وكان أبو محمد يؤدب أولاد المستنجد المستضيء، وأخاه الأمير أبو القاسم، فكان يشدّ

---

(٢) مدينة كبيرة بين بغداد والكوفة، والسيفية نسبة إلى مؤسسها سيف الدولة، صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسد. خريدة القصر ٢ / ٥٢.

عليهما في التعليم، فلمّا أفضى الأمر إلى المستضيء رضي ابن الخشاب أن يخلص منه رأساً برأس؛ وذلك أنه كان يظهر منه تفضيل أخيه عليه، فلم يذكره بنفسه.

قال العادل مسعود بن يحيى بن النادر: كنت يوماً بين يدي المستضيء فقال لي: كلُّ مَن نعرفه قد ذكرنا بنفسه، ووصل إليه برّنا إلا ابن الخشاب، فما خبره؟ فاعتذرت عنه بعذر، أقصاه الحال، ثم خرجت فعرَّفت ابن الخشاب ذلك. فكتب إليه هذين البيتين: [الكامل]

وَرَد الورى سلسَالُ جودِك فارتَوى ... فوقَفت دون الوِرد وَقفةَ حَاتِمِ
ظمآن أطلب خِفَّةً من زُحْمَةٍ ... والوِردُ لا يزدَادُ غَيرَ تَزاحُمِ

قال ابن النادر: فأخذتها منه وعرضتها على المستضيء، فأمر له بمئتي دينار. فقال: لو زادنا لزدناه.

وأنشد لنفسه: [الكامل]

أفديه من مُتعتِّبٍ متَجَنِّبِ ... قد ضَنَّ حتَّى بالخَيَال الطَّارِقِ
مَازَال يمطِلُني بوَعدٍ كَاذِبٍ ... حتَّى تَكَشَّفَ عَن صُدودٍ صَادِقِ

واجتمع جماعة من الحنابلة بمسجد ابن شافع، يسمعون كتاب ابن مندة في فضائل أحمد بن حنبل ومحنته في القرآن، وما جرى له مع الخلفاء من بني العباس، فذمّوهم ولعنوهم، وذمّوا فلاناً وفلانا. وكان الكتاب يقرأ على ابن الخشاب، فأنكر عليهم إنسان دمشقي فقيه، وقال: هذا لا يجوز يلعنون أئمة المسلمين وفقهاء الدين. فقاموا إليه وسبّوه، وهمّوا به. ووصل الخبر إلى الخليفة، فتقدم إلى حاجب الباب يأخذهم، وأخذ ابن الخشاب وأن يُركبوا بقراً ويشهروا في البلد. فقبض على جماعة منهم، وهرب ابن الخشاب، فلحق بالحلة إلى أن شفع فيه، فعاد، فقال ابن الخشاب في غيبته: [الوافر]

إذا دَارُ السَّلام نَبتْ بمِثْلي ... فحَبَّبتُ السَّلاَمَةَ والسَّلاَمَا
وَلا جَرَتِ الصَّبا إلا سَمُومَاً ... وهبّت [من] سَحائِبها شَمَامَا(١)

(١) شماما: ما يُشتمُّ من الروائح الطيّبة. اللسان (شمم) ٧/ ٢٠٥.

ومن شعره قوله في زعيم الدين ابن جعفر، صاحب المخزن، وكان قد ورد من مكة يعتذر فيها عن تأخره عن قصده بطريق مرض عرض له في دجلة: [الطويل]

لئن قَعَدَتْ بي عن تلقّيك علّةٌ ... عَدَوتُ بها جلساً لربعيَ من شهْرِ
رَمَتني في رِجلي بقيدٍ تقاصرتْ ... خُطاي له والقيدُ مازلال ذا قِصرِ
إذا قُلتُ قد أفرقْتُ[1] منها تجدّدتْ ... فأودى بها نهضي وهيض[2] بها كسري
فما قعدتْ عنّي دُعاءٌ أفيضُه ... ولا قَصُرت عنّي ثناءٌ وعن سُكري
قَدمْتَ علينا مثلَ ما قدمَ الحَيا ... على بلدٍ مَيْتٍ فقيرٍ إلى القَطرِ
فأصبحَ مغبرُّ البلادِ مُنوَّراً ... به زهرٌ غضٌّ كأخلاقك الزُّهرِ
وعُدتَ وبالبيتِ الحرامِ صَبابةٌ ... إليكَ وبالرُّكن المعظَّم والحِجْرِ
وقد صَحبَ الحجّاج منك مُباركاً ... عزيزَ النّدى طلقاً مُحيّاه ذا بشرِ
أخا كرمٍ إن أخلفَ الغيثُ أخلفَتْ ... يداه بمنهلٍّ من البيضِ والصُّفرِ
فمُلكُهُم مُثنٍ عليكَ وشاكرٌ ... لنُعمَاك معمورٌ بنائلكَ الغَمرِ
خَصَصْتُك بالمدحِ الذي أنتَ أهلُه ... لجاهك من صدرِ امرئٍ ناحلِ الصَّدرِ
وأيسرُ ما أُخفيه ما أنا مُظهرٌ ... فدعْ عنكَ شعْري جلَّ قدرُك عن شعْري

وقوله فيه وقد ورد كتابه من فَيْد: [الوافر]

فإن تكُ مُحرِماً من ذاتِ عرقٍ ... فقد حرّمتُ غُمضي بالعراقِ
شَمائلُك الشَّمولُ فكيفَ تقضي ... فُروضُ الحجِّ بالكأسِ الدِّهاقِ
وأنتَ الطّيبُ إن صافحتَ كفّاً ... تُحلِّلُ مُحرِماً بدمٍ مُراقِ
ولما جاءتِ البُشرى بكُتْبٍ ... وكانتَ كالقميصِ على الحِداقِ
ضَممتَ إلى الفؤادِ كتابَ فَيدٍ ... فضاعف بردُه حرَّ اشتياقي
فخبّرَ بالسّلامِ فثمَّ بينٌ ... بأنَّ الماءَ ضاقَ على الرِّفاقِ

---

(١) أفرقت: الفرق خلاف الجمع. اللسان (فرق) ١٠/ ٢٤٣.

(٢) هيض: كلُّ وَجع على وَجَع فهو هيض. اللسان (هيض) ١٥/ ١٧٨.

وكَـيـفَ يَضـيّق مـاءٌ عن حَـجـيـجٍ وسُـحبُ نَداكَ غَـيـثُ ذو انبـعَـاقِ
سَلِمتَ عَلى الأنامِ ولي خُـصـوصَـاً وحَـاطَكَ رافِعُ السَّـبعِ الطِّبـاقِ

ومنهم:

٣٣- أبو نزار الحسن بن أبي الحسن ملك النحاة(*)

النحوي. وشيخ الأوشاخ(١) وصبيّ العقل وقد شاخ. طلع من القَدَر، وطبع من المقَدر. وأيُّ منه نوعُ وَحيِ حَيَوان. عجيب لا يدخل عقله في حدٍّ، ولا يحصى جهله بعد. لو عجب أحدٌ عليه، ونادى هلمُّوا إليه لأُتي الناس إليه إتيان الحجيج، ولم يسمع ما حوله من الضجيج، ورأوا عجباً ما رأوا مثله، ولا جاء نظير مثله. وكان له قطٌّ، له معه أسمار، وأحاديث يتحاكاها السمَّار. وسيأتي من خبره وخبر قطِّه العجب العجاب ويعرف به غدْر القطاط إذا هرَّت على الكلاب، إلى غير هذا من قلَّة عقله وكثرة جهله، وسوء حركاته وفعله. وما لا ينكر من حَاله ولا يتعجب من مُحَاله. فشكراً لقبر أزاح مُعاينَه، وأراح مُعاتبَه. فلقد جبر القبر ذلك القبر المنهاض(٢)، وغطّى التراب ذلك الذي ما رُمي في المرحاض؛ لكن التراب لم يوارِ سوءته، ولا أذهب هفوته. فعجباً لدودٍ أكله كيف ما قاه! ولقبر حلَّ فيه كيف ماكَرِه بقاه! فجُوزِيَتْ تلك العظام النخرة، وتلك النفس المفارقة لتلك الجيفة القذرة.

وقال فيه العماد الكاتب: أحد الفضلاء المبرزين؛ بل واحدهم فضلاً، وماجدهم نبلاً،

(*) ترجمته في إنباه الرواة ١/٣٠٥، والبلغة ٥٩، ووفيات الأعيان ٢/٩٢، وإشارة التعيين ٩١، وبغية الوعاة ١/٥٠٤، ومعجم المؤلفين ٣/٢٣٠. توفي سنة ٥٦٨هـ.

(١) الأوشاخ: الوشخ: الضعيف الرديء. اللسان (وشخ) ١٥/٣٠٦.

(٢) المنهاض: النهضة: العتبة من الأرض تبهرُ فيها الدابة أو الإنسان. اللسان (نهض) ١٤/٣٠٧.

وكبيرهم قدراً، ورحيبهم صدراً. قد غلبت عليه سمة ملك النحاة، وشهدت بفضله ألسن خلاَّنه، والعداة. سمح البديهة في المقاصد النبيهة. كثير الأُبيَّة[١] عن المطامع الدنيَّة بالمطالب النزيهة، والمراتب الوجيهة. ولقد كانت تحاببه تحببية للنُحاة بضاعة وافية، وبراعة براعته للكفاة كافية. يأخذ القلم فيمشق الطرس في عرضه نظماً يعجز، ونثراً يعجب ونكتاً ترقص ونُتَفاً تطرب. طرق بلاد العجم، ولقي كرماً [في] كرمان، ووصل إلى أصبهان. وكان مطبوعاً مناسب الأحوال والأعمال. تحكم على أهل التمييز بحكم ملكه، فيقبل ولا يستثقل.

يقول: هل سيبويه إلا من رعيتي وحاشيتي، ولو عاش ابن جني لم يسعْه إلا حملَ غاشيتي[٢]، مرّ الشيمة، حلوَ الشتيمة. يضمُّ يده من الذهب على المئة والمئتين، ويمشي منها وهو صفر اليدين. مولع باستعمال الحلاوات السكريه. وإهدائها لجيرانه وإخوانه، مغرَى بإحسانه إلى خلصائه وخلاَّنه. وقد ناهز الثمانين، ولقي العرانين[٣]. وجرّب الغثَّ والسمين، وقد وصلت إليه خلعة مصرية وجائزة سنيَّة، فأخرج القميص الدّبيقي[٤] إلى السوق فبلغ دون عشرة دنانير.

فقال: قولوا هذا قميص ملك كبير، أهداه لملك كبير؛ ليعلمَ الناس قدره فخَلُّوا عليه البدر على البدار[٥]، وليحلوا قدره في الأقدار، ثم قال: أنا أحقُّ به إذا جهلوا حقَّه، وتنكَّبوا سبل الواجب وطُرُقَه.

قال العماد الكاتب: كتب إلي لَمّا أخذت المدرسة بدمشق: أنا أهنئ تلك المدرسة

---

(١) الأبية: الكبر والعظمة، ومنها: الإباء، والأبَيَ. اللسان (أبي) ١/٥٥.

(٢) غاشيتي: الغاشية، السُؤّال الذين يغشونك، يرجون فضلك ومعرفتك. اللسان (غشي) ١٠/٦٧.

(٣) العرانين: الرؤساء، وعرانين الناس، وجوههم. اللسان (عرن) ٩/١٧٤.

(٤) الدبيقي: من دقّ ثياب مصر، نسبة إلى بلدة (بين «الفرما»، و«تنيس» في مصر). اللسان (دبق) ٤/٢٨٧.

(٥) البدار: الإسراع. اللسان (بدر) ١/٣٤٠.

بخصائص فلان، فإنها زالت عنها ظلمة الجهل إلى نور الفضل، وأنا بمشيئته وحسن توفيقه على عزم المسير إلى زيارته يوم الثلاثاء. [الخفيف]

فارتقِبْ أيُّها العمادُ حُضُوري ... وانتَظِر أن أزورَ يومَ الثُّلاثَا
وارضَ بالعالِمِ الوليِّ وَدَعْ ... حبْلَ المَعَالي ياذا العُلا أنكَاثَا(١)

والجانب الغربي، معتدٌّ لي بهذه، إلى أن أحضر؛ لأخدم فضله.

قال: وكتب إليّ أبياتاً ومعها رقعةٌ إلى نور الدين فيها: [السريع]

قُولُوا لِنُور الدِّين يا مَالِكاً ... إنعامَه قَامَ إلى النَّاسِ
لا تَنسَنِي ياذَا العُلا والنُّهَى ... حَاشَاك أن تُوسَمَ باليَاسِ(٢)
أوحَشَنِي الدَّهرُ وأنبَاؤُه ... فاختَر لَكَ الخيرَ بإينَاسِي

والرقعة أولها شكَرت اهتمام فلان وسعيه، واعتذرتُ إليه من التصديع، ولكن نيّته وفضله يحثانه على احترام الفضل؛ فليس لغيره، وقد أثَّرت فيَّ الشيخوخة والكبر، ولولا ذلك لقصدت خدمته، وقد قال الأول: وما بقي في المستمتع إلا لساني وكفاني لسان.

والأبيات: [السريع]

قُل لِعمَاد الدّينِ يا كَاتِباً ... يفزَعُ من أَقلاَمه (الصابِي)(٣)
وشَاعِراً الفاظُه عَذْبةٌ ... إن كان لفظُ الغَيرِ كالصَّابِ(٤)
ويَا فَقِيهاً رامِياً خَصمَه ... في الحَفلِ إن جاثَى بأوصابِ(٥)
قَد كُنتَ قَبلَ اليَوم أشعَرتَني ... بأن نورَ الدين أوصَى بِي
فأوصلِ المكتوبَ لي واستَعِضْ ... من فَرطِ إجدابٍ وإخصَابِ

(١) أنكاثا: مقطَّعاً. اللسان (نكث) ١٤/ ٢٧٨.
(٢) الياس: الأصل في الألف الثانية، الهمزة، وحذفت للتخفيف.
(٣) يقصد به: إبراهيم بن هلال، أبو إسحاق الصابي، صاحب ديوان الرسائل في أيام الخليفة المطيع العباسي، له ديوان شعر، توفي سنة ٣٧١هـ.
(٤) الصاب: شجر مرٌّ. اللسان (صوب) ٧/ ٤٣٢.
(٥) جاثي بأوصاب: قعد على ركبته من الألم والوجع.

وكتب إليّ: [السريع]

قُلْ لعمادِ الدّينِ وهوَ الّذي يمتُّ بالفقهِ وبالشِّعرِ
وإنّه يخجَلُ إنشاؤه الصّابئي ذَا المجدِ والفَخرِ
لا تنسَ حَقَّ العالِمِ الأوحدِ الـ ـناجحِ بالنَظمِ وبالنَّثرِ
فإنّني مُثنٍ على فضلـ ـكَ الباهرِ في سرٍّ وفي جَهرِ
ألا فاسعَدْ وابقَ ما رجَّعَتْ صادِحَةٌ في وَضَحِ الفَجرِ

وكتب إليَّ وقد طلب منّي السكَّر فأبطأ عليه: [السريع]

قُلْ لعِمَادِ الدينِ عنّي إذا رأيتَه في بُهرَةِ الحَفلِ
ضَننتَ بالسكَّرِ يا من لَه سنّة فَرضِ الفِعلِ والنَفلِ
فاستدرِكِ الفارطَ[1] واسلَم إذا ما صَدَحَتْ ورقَاءُ في أَثْلِ[2]

قال: ومكتوباته إليَّ كثيرة؛ وإنّما أوردت هذه اللُّمَعَة ليُستدلَّ بها على مذاهبه، ومآربه ورغائبه وغرائبه[3]. وقد ذكره ابن المستوفي، وفيما قال: إنه وُلد ببغداد سنة تسع وثمانين وأربعمئة، وقرأ العلوم، وسمع من الشريف أبي طالب الزيتي، وقرأ علم المذهب على الشيخ أحمد الأسنهي، وقرأ علم أصول الدين على أبي عبدالله المغربي القيرواني، وقرأ أصول الفقه على ابن برهان، وقرأ علم الخلاف على أسعد المهيني. وقرأ النحو على الفصيح الاسترابادي وقرأ الفصحى على عبدالقاهر الجرجاني وفُتح له الجامع، ودرَّس فيه، ثم سافر إلى بلاد خراسان وكرمان وغزنة، ثم دخل إلى الشام، ثم قدم دمشق وخرج منها ثم عاد إليها واستوطنها إلى أن مات بها. وذكر مصنفاته في النحو والعروض والفقه على مذهب الشافعي والأصول. وذكر أن له ديوان شعر، ومنه في المديح الشريف النبوي، زاده الله شرفاً، قوله: [البسيط]

---

(١) الفارط: السابق المتقدم. اللسان (فرط) ١٠/ ٢٣٤.
(٢) الأثل: شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه وأكرم وأوجود عوداً. اللسان (أثل) ١/ ٧٣.
(٣) خريدة القصر، مج ١، ٣/ ٨٩.

للّه أخــلاقُ مَطبــوعٍ على كَــرَمٍ ومَن بِه تَشــرُفُ العليــاءُ والكَرَمُ
أغــرُّ أملحُ يســمُــو عن مسَــاجَلةٍ إذا تُذوكِــرَتِ الأخــلاقُ والشِّــيَمُ
سَـمَتْ عُـلاكَ رسـولَ الله فـارتفـعَت عن أن يُشــيــر إلى آياتهــا قَلَمُ
يَامَن رأَى الملأُ الأعلى فَــراعَــهُم بالعــزّ وهوَ على الكَونين يحــتَكمُ
يا مَن له دانت الدُّنيــا وزخــرفت(م) الأُخرى ومن بعُلاهُ يفخر النَّسَمُ(١)
يا مَن به عَـادَ وجُـه الأرض مـتَّضَحـاً من بعـد أن ظُوهِرَتْ بالبـاطل الظُلَمُ
ومَن تواضَـعَ جِــبــريلُ الأمينُ لَه ودونَ حقٍّ نُـهــاه هَذه القِــسَمُ
عَلوتَ عن كلِّ مدْحٍ يُستـعَاضُ فـمـا الجــلالُ الذي تنحــوه والعظَمُ
على عُــلاك سـلامُ اللّهِ مـتَّـصِــلاً مـا شِـئْتَ والصَّلَوات العـزّ تبـتَسمُ

ومنه قوله: [السريع]

أراجعٌ لِي عــيــشيَ الفَــارِطُ أم هـوَ عـنِّـي نـازحٌ شـــاحِـطُ
ألا وَهَـل يـســعِــفُني أوبَـه يــســمــو بهــا نجم المنَى الهَــابطُ
أرفُـلُ في فَــرطِ ارتيــاحٍ وهَـل يَـطُرُق سَــمــعِي هذه وَاسِطُ
يا زَمَني عُــدْ لي فــقــد رُعــتَني حــتَّى عَـرَاني شَــيـبيَ الواخطُ(٢)
لـم أَقطَعِ البَــيــداءَ في لَيلةٍ يَقنِصُ ظِلّي خَــوفُــهــا البـاسِطُ
أأرقُـبُ الـراحَــةَ أم لا، وهَـلْ يـعــدل يومــاً دَهريَ القَــاسِطُ
أيا ذَوي ودِّي أمَــا اشــتَــقْــتُمُ إلـى إمــامٍ حَــالُـه رَابِـطُ
وَهَـلْ عُــهُـودي عندَكُـم غـضَّـةٌ أم أنـا فـي ظَـنِّـي إذن عــابِـط(٣)
لِيَــهْنَكُم مــا عــشــتُمُ وَاسطُ إنـي لكـم يـا سَــادتـي غــابِـطُ

وحكى فتيان الشاغوري ما معناه: أن ملك النحاة كان له سنّور يألفه ويقوم به. فدأبه يطعمه ويعلفه، ويغلق عليه الأبواب خوف نفاره، ويمسح عليه بيده. لا يخاف حدَّ نابه

(١) النسم: نفس الروح. اللسان (نسم) ١٤/١٢٩.
(٢) الواخط: الوخط، استواء البياض والسواد. اللسان (وخط) ١٥/٢٤٣.
(٣) العابط: الكذاب. اللسان (عبط) ٩/٢٢.

وأظفاره. فبينما هو يوماً يمر عليه بيده، ويريد أُنسه وتودّده، وإذا به قد عضّه عضةً زلزلت قوى الشيخ الفاضل وأنسَتْه جميع الفضائل. فربطها بمنديل عظيم وتصدّى للعُواد، وأضحك عليه حتى لم يبق مع أحد فؤاد. فقال فيه قيان: [المتقارب]

عَتَبْتُ على قطٍّ ملْكِ النّحاة　　　وقلتُ أتيتَ بغير الصَّواب

عضَضْتَ يداً خُلِقت للنَّدى　　　وبثّ العلوم وضربِ الرِّقاب

فأعرَضَ عني وقال اتَّئدْ　　　أليس القِطاطُ أعَادي الكِلاب

فلما بلغته الأبيات غضب حتى دارت أمّ راسه، وسُلَّت من قحفه خيوط العلم بأمراسه؛ إلا أنه لم يدر من رماه بداهيتها الدهيا وتركه لا يبصر في ليلته العميا. فانقطعت عنه حياءً أن يقع على ظنّه العَروف ويعلم فيها ما بشم من نفسه المعروف. وكتبتُ إليه شعراً أعتذرُ فيه وتبيينه على أنه قد يقدر في قول سفيه فكتبت إليهَ: [الخفيف]

يا خليليَّ نلتما النَّعماءَ　　　وتنَّسمتُما العلا والعلاءَ

ألِمَا بالشّفور بالمسجد المعمو　　　ر واستَمطرَا به الأنْواءَ

وامنَحَا صَاحِبي الذي فيه منِّي　　　كَلَّ يوم تحيةً وثناءَ

ثُمَّ قولا لَهُ اعتبرْ بالذي فُهـ　　　ـتَ به مادحاً فكَانَ سماءَ

وقبلنا فيهِ اعتِذَارك عمّا　　　قَالَهُ الجَاهلون عَنكَ افتراءَ

وكان هذا الفاضل بحمقه وخروجه عن طرقه مضغة[1] لكل ماضغ، وشغلاً لكل فارغ. يجرِّب فيه كلُّ أحدٍ سيفه الكَهَام[2]، ويجر إليه جيش حربه اللهَّام.

وفيه يقول ابن منير: [المجتث]

يَا نُحَاةَ الزَمُوا الشكك[3]　　　ثم حلُّوا عَنِ التِكك[4]

---

(١) مضغة: نقول: مضغه، يمضغه مضغاً، تناول عرضَه. اللسان (مضع) ١٣/١٢٩.

(٢) الكهام: سيف كهام: لا يقطع، كليل عن الضربة. اللسان (كهم) ١٢/١٨٠.

(٣) الشكك: الفرقة أو الجماعة. اللسان (شكَ) ٧/١٧٤.

(٤) التكك: واحدها: التكة، رباط السراويل. اللسان (تكّ) ٢/٤٠.

واكشفوا عن فقاحكم(١) قد أتت لحية الملك
لحية سرم(٢) سيبويه عليها قد انتهك(٣)

وحُكي أن ملك النحاة كان يكثر ذكر مصر، ويؤمل حلولها، ويودُّ أن يُطَلَّ دمه ويروي طلولها. وكان بها رجل اسمه زيد صديقاً لعَرقلة الدمشقي فولي بها الحسبة(٤) واستغرر في متاجرها كسبه، وأتت الأخبار بروايته وحصوله على أكثر من كفايته. فداخل ملك النحاة له الحسد. وقال: لو أتيت مصر لكسد.

فقال عَرقلة: [مخلع البسيط]

قد جُنَّ شَيخي أبو نزار يذكر مِصْرَ وأينَ مصرُ
والله لو حلَّها لقالوا فقاه(٥) يا زيد فهو عَمرُو

ووقف يوماً عَرقلة على حلقته وقد كبَّر العمامة، وطوَّل أكمامه ونفش سَبَاله وفتل من شواربه الطوال حِباله. وأخذ في ذكر علم النحو، وقد شمخ يماريه الاحتيال به والزهو. فطلب عرقلةُ رجلاً من الحلقة، فلما أُتي جَذَبَه على أنه يُسرُّ إليه في مقال، ثم رفع صوته وقال: [مجزوء الرَّجز]

قُل لابن صَافي الحَمَلِ سارق عِلمِ الجُمَلِ
صدَعْتَ بالنَّحوِ الورَى ارحمْ عِيالَ الدُؤَلي(٦)

توفي يوم الثلاثاء، تاسع شوّال سنة ثمان وستين وخمسمئة.

---

(١) فقاحكم: الفقحة: حلقة الدُّبر. اللسان (فقح) ١٠/ ٢٩٨.
(٢) السُّرم: مخرج الثفل، وهو طرف المعيّ من المستقيم. واللسان (سرم) ٦/ ٢٤٨.
(٣) ديوان ابن منير الطرابلسي،١٣٩.
(٤) الحسبة: الأمر، وهو من الاحتساب. القاموس المحيط (حسب) ١/ ٥٦.
(٥) فقاه: اسم فعل أمر بمعنى: افهم، وينظر: ديوان عرقلة الكلبي، ٥٠.
(٦) لم يرد البيتان في ديوان عرقلة الكلبي.

ومنهم:

٣٤- البحراني(*)

وهو أبو عبدالله محمد بن يوسف بن محمد بن قائد الخطيب موفق الدين. سبوق لا تردُّ له سائرة(١)، وسبوح لا تجري معه في دائرة. طلع والشهب في مطالعها، والسحب في مطامعها، والليالي ثغور وكواكبها مقبلة ووجنات الأيام بخضرة أسحارها مبقلة(٢). فانمحت آية الليل إذ طلع واستقام الزمان، وكان به طلع وسطع نهاراً في تلك الدجنات، ونهاراً يفوح في أيدي الجنّات، ثم لم يزل عليه عقد الجماعة، وعقد الخواطر للجمّاعة. فلما حُمَّ له أن يفارق، ويودّع وداع المفارَق أبقى ما كنز، ومضى لطيته(٣) وقضى بما في طويته(٤).

ذكره ابن المستوفي، قال: بحراني المولد والمنشأ، إربِليّ الأصل. نسبُ أبيه وأهله في عداد الإربيليين الآن. وكان جدّه خطيباً. وسبب مولده بالبحرين، أنّ أباه (يوسف) كان تاجراً، وكان كثير السفر إلى البحرين لجلب اللؤلؤ، فتزوج امرأة من نساية. فحدثني أحمد بن علي بن محمد البحراني الحجازي أنها كانت تدعى الصوفية، فولدت له محمداً هذا، وأقام بالبحرين إلى أن ترعرع، وماتت أمه. وخرج من البحرين فصار إلى إربل، وهو على هيئة الحفاة من العرب.

وكان إماماً في علم العربية، مقدَّماً، مفنّنا في أنواع الشعر معظماً، واشتغل بشيء من علوم الأوائل. فحدثني القاضي أبو محمد جعفر بن محمد بن محمود بن هبة الله أنه حلَّ

(*) ترجمته في: وفيات الأعيان ٥/ ٩، وبغية الوعاة ١/ ٢٨٦. توفي سنة ٥٨٥هـ.

(١) سائرة: السنّة والطريقة. اللسان (سار) ٦/ ٤٥٤.

(٢) مبقلة: يقال: أرض مبقلة، أي: منبتة. اللسان (بقل) ١/ ٤٦٤.

(٣) لطيته: لحاجته. اللسان (طوى) ٨/ ٢٣١.

(٤) طويته: ضميره. اللسان (طوى) ٨/ ٢٣١.

كتاب أواقليدس على المظفر بن المظفر القارئ الطوسي من رساتيق سوس في مدة ثلاثة أشهر. ورأيته حلَّ كتاب الكرة والأسطوانة على نفسه من غير توقف، وأراد حلَّ كتاب المجسطي، فحل منه جملة من أوله، ثم رأى أن ثمرة هذا العلم مرٌّ جنَاها، وعاقبته مذمومة أولاها وأخراها فنبذه وراء ظهره مجانباً، ونكَّب عن ذكره جانباً. وكان حَسَنَ الظَّنِّ باللّه واكب علم النحو فبلغ منه الغاية، وجاوز النهاية، وصار فيه آية، ولم يكن أخذه عن إمام قرأه عليه، ولا تناوله من عالم أسنده إليه؛ إنما كان يحل مشكله بنفسه، ويراجع في غامضه صادق حسِّه؛ حتى جرى بينه وبين أبي حفص عمر بن محمد بن علي بن أبي نصير الموصلي المعروف بابن الشحنة مناظرة في قوله: [الطويل]

وَقَد عَلِمَ الأيقَاظُ أخفِيَةَ الكَرَى ... يرجِّحُها من حالِكٍ واكتِحالِهَا

علاه في جميعها، فلم يكن له قرار إلا أن قال: أنت صحفي.

فلحق بشيخنا أبي الحرم رحمهما الله، وأقام عنده مدة قريبة قرأ عليه أصول أبي بكر محمد بن السري السرَّاج، وقرأ عليه كثيراً من الكتاب، ولم يفعل ذلك حاجةً به إلى إفهام؛ وإنما أراد أن ينتمي على عادتهم في ذلك إلى إمام. وكان بينهما منافرة، فسمع عمر بن محمد بهذا، وكان شيخنا أبو الحرم كثيراً ما يراجعه في كثير من المسائل المشكلة، ويعاوده في عدّة من المواضيع المعضلة. وكان أبداً يرجع إليه في أجوبة ما يورد عليه.

قال ابن المستوفي: وأخبرني من أثق به أنه سمع عمر بن محمد يعتب عليه في هذه القصيدة أيضاً قوله في الخمرة: [الكامل]

وكأنَّهَا وجهُ ابن مَودُود إذا ... مَا لاَحَ رونَقُ بِشرِهِ للمجتدِي(١)

فقال: فعل الله بوجهه، وصنع لا يكنى، كيف يشبه وجه ملك بالخمرة؟ وهذا ميل منه عليه؛ وإلا فما زال الشعراء يشبهون الخمرة بالشمس والمصابيح، ويبالغون في صفة نورها،

---

(١) المجتدي: السائل. اللسان (جدا) ٢/ ٢١٥.

وهذا معلوم لا يحتاج إلى برهان.

وإذا كان كذلك، فأيُّ عيب إذا شبَّه الوجه بما يشبه الشمس، وقد شُبِّه كلٌّ واحد منهما بها؟

وأكثر الدواعي الموجبة للمعاداة بينهما كون محمد بن عمر كان الولوع بشيخنا، أبي الحرَم، شديد التعصب عليه؛ حتى إنه كتب إليه بعض المرات ونقلته من خطِّه: [الكامل]

ثَكِلَتْكَ أمُّك هَبْكَ من نَفَر الفَلا ... ة أكنتَ تَحظَى مرَّةً بِصَوَابِ

وكان أبو عبدالله محمد بن يوسف يتتبّع معايبه، ويشيع مثالبه؛ نصرةً لشيخنا أبي الحرم، وذبّاً عنه؛ لأن شيخنا لم يكن ممن يجيبه على قولٍ يقوله ببنت شفة ولا يردّ عليه.

فحضرت شيخنا رحمه الله بعد أن توفي أبو عبدالله وقد أُجري بين يديه ذكره، وأجمع الجماعة كلهم على تفضيله، فقال: كان لي منه العضد الأشدّ والساعد الأسدّ(1)، أو كلاماً هذا معناه، ثم بكى وأنشد: [البسيط]

لَو كَان يُشكَى إلى الأموات ما لَقِيَ الـ ... أحياءُ بعدَهُم من شدَّة الكَمَد
إذاً شَكَوتُ وأشكَاني وساكِنُه ... قبرُ بسنجارَ أو قبرُ على قَهَدِ

وقد أنشد من شعره جانباً، فمنه قوله: [الطويل]

كِلاَ مَدمَعَينا يا غمامةُ ساجمُ ... ولكنَّ قلبَينا سليمُ وسَالمُ
لئن رُوِيت منّي جُفونٌ نَواهلٌ ... لَقَد ظَمِيَت مني ضلوعٌ جَوَائمُ
ومُبتسم عن عَقده عقدُ ثَغره ... سَقَاني دِهَاقاً والوصَال مُنادمُ
بكأس يُزيلُ العَقْلَ عن مستَقرِّه ... يَطوفُ بها منها على الشَّرب صَارمُ
فلمّا سَرَت في كل عِرقٍ ومِفصَلٍ ... جَفَاني وقَد يجفُو الحَبيبُ الملايمُ

---

(1) الأسدّ، بمعنى السديد، وهو الصواب من القول. اللسان (سدد) ٦/٢١٢.

وقوله: [الطويل]

هلمّوا فهذا الجودُ والحَسَبُ الغَمرُ حَمومُ العطايا لا بكيٌّ ولا نَزرُ
تأملتَ مُرتاداً فقُلتُ لِصاحِبي أبِنْ لي أَهَذَا البحرُ أم مثلُه البَحرُ

وقوله منها:

يَسرُّ أناساً أن يُقَال به أَذىً فلا فَرِحُوا أخرى الليالي ولا سُرُّوا
يَودُّون بالأهلين لو أنَّ دَارُهُم مَعالمُها من ذِكرِه طَلَلٌ قَفرُ
بَواقٍ شَجاياهُ على وَعَكَاته كراماً يبقيها على الصدأ الأَثرُ
يَزيدُ القَنا عُمرَ النِّفاقِ استقامةً ويَصفُو من الأكدار باللَّهب النبرُ

ومنها:

أيوسف إن الفَقرَ سَاقَ مَطامِعي إليكَ ولَم يظلم بما صَنَع الفَقرُ
إذا كانَ عُسْرُ المرءِ مِمّا يُفيدُه لقاؤكَ فَلْيفرَح فذاك هُوَ اليُسرُ
ثناؤكَ أحلَى في القلوبِ منَ المُنَى وأشهَى من الصَّهباءِ خَالَطَها عِطرُ
وما طابَ حتى طابَ جودُك قبلَهُ إذا ما زكا نبتُ الرِّياضِ زكا البِشرُ
أما وجلالِ اللّه إنك للّذي به تُدفع البَلوَى ويُستنزَلُ القَطرُ
إذا ما عَذَارَى الشِّعرِ كان لَقاحَها عطاؤُك كانَت من نَتَائجِها الشُّكرُ
إذا شِئتُ أن أثني عليك تَفرَّضَت غرائبُ حَمدٍ لا يُحيط بها الفكرُ
وأوضحُ عُذرِي أنَّ وصفَكَ مُعجِزٌ ولستُ بِمعتُوبٍ إذا وَضُحَ العُذرُ

وقوله: [الكامل]

قُلْ للَّذي اغبرَّت فِجَاجُ بلادِه بالجَدْب واسودّت وجوهُ طِلابِه
إن تبغِ معروفَ المليك مُهنَّأً رغداً فشمسُ الدِّينِ من أسبابِه
والبحرُ لا يَسقيك ماءُ فُراتِه حتى يُرقرِقَ في أديمِ سَحَابِه

وقوله: [الطويل]

أَلا لَكم البُشرَى فهذا أوانُها ... ودونكم النُّعمَى طَليقاً عنانُها
فإن التَّقاويم التي مَال صفوُكُم ... إلى حُكمها ضلَّ السبيلَ بنانُهَا
وَقالُوا قِرانَات الكواكب تقتضي ... رِيَاحاً وناراً مُدلهمّاً دُخَانُها
يُذيبُ حصاةَ البَين حرُّ شُوَاظِها ... ويَخمدُ أنوارَ الهُدى لمعانُهَا
أباطيلُ دَعوى لا يَقُوم دليلُها ... وظمآن زورٍ لا يَصح ضَمَانُهَا
وَهَبْ أنه حقٌّ فما بَالُنا نَرى ... نجومَ الثُريَّا لا يضرّ اقترانُهَا
ومَا بَالُ أطرَاف القَنا وهي أنجُمٌ ... إذا اجتَمَعتْ شادَ المَعالي طعانُهَا
أفي كَفَّةِ الميزَان فيمَا علمتُمُ ... يُخَافُ حُلولُ الظُّلمِ من شَفَآنِهَا
أهَاويلُ مَازالتْ تروِّع جاهلاً ... بأخبَارِها حتى تجلَّى عنَانُهَا
أخوفٌ ورَاياتُ ابن أيُوب يوسفُ ... يَحُوطك من ريب الزَّمان أَمَانُهَا
هيَ الآية الكبرَى التي لا جَنَانُها ... يَطيشُ ولا يُعنى بقَولٍ لسَانُهَا
يَمدُّ المَعَالي حلمُه وبلاغُه ... فيأنقُ فيها كَعبُها وسنَانُهَا
ويستغربُ الآجالَ رجعُ حَديثِها ... إذا خَاطَبَتْها فالدُّجى تُرجُمَانُهَا
أيا مَالكاً ألقى رِحَالةَ جُوده ... بعَليَاءَ لا يخفى عَلينا مَكَانُهَا
أتاك بأبكارِ القَوافي وليّها ... ومَا يَتَساوَى بَكرُها وعُوانُها
يُؤمِّل يسراً منكَ لا تستفزّه ... قُطوبٌ وكفٌّ لا يَفيضَ سنَانُهَا
فكنتَ له كفؤاً كَريماً ولم يزلْ ... يَزِفُّ إلى الكُفءِ الكريمِ حِسَانُهَا

وقوله: [الطويل]

شَربنا عَلى ذكرِ الأَمير فَلم تَزلْ ... ندامَتُنَا من طِيبه تتأرَّجُ
هو المُزْن أمَّا كَفُّه فسَحَابةٌ ... دفُوقٌ وأمَّا وجهه فَهْوَ أبلَجُ

وقوله في لاعب بالكرة ضرب بعض أطرافه بالصولجان فتألم لذلك: [الكامل]

إن يَجْنِ كَفُّك مرةً فلطَالمَا ... كانَتْ إغاثة كلِّ جانٍ مُحرِمِ
وَرَدتْ سَبيل الدم إلا أنَّها ... لم تَخلُ يوماً من نوالٍ أو دمِ

وقوله: [الخفيف]

لم يَخفْ أنه يُفــتّت قَلبي ... إنما خيفتي على أسرارِه
لا يَكاد الإناءُ يحفَظُ ما اسـ ... ـتُودِع من أن يَضيعَ بعد انكسارِه

وقوله في مليح كان أمرد فالتحى ورقم بالعذار خدَّه، ثم فشا سوادُه فامَّحى، وكان يعرف بالسهم، ويفعل في القلوب ما يفعل جنباته الوهم: [مخلع البسيط]

قالوا التَحَى السَّهم قلتُ حصِّن ... نفسَكَ فالآن لا يُطيشُ
لا يَنفُذُ السهم في الرَمايا ... إلا إذا كان فيه رِيشُ

وقوله: [البسيط]

تُخفي المَدامةُ سرِّي أن أبوحَ بهِ ... وربّما كَشَفَت أسرارَ أقوَامِ
لم يبُصرِ النَّاسُ قبلي في محبَّتِه ... مَن يَستعينُ على سِرٍّ بتمَّامِ

وقوله: [المنسرح]

تَساهَمَ العَاشِقُون واقتَسَموا ... وكنت حَظِّي فبِئسَ ما اتَّفَقَا
لا بَارك اللّهُ في الهوى فلَقَد ... صَيَّرني عِبرةً لمن عشِقَا
إذا القَرينانِ صحَّ وِدُّهمَا ... وافترقا بَعدَه فما افتَرَقَا

وقوله: [المنسرح]

ومَاجدٍ مِلْءِ ثوبه كَرمٌ ... مثل أبي حامد إذا انتُدبَا
إذا اقتَعدتَ الرجاءَ تطلُبُه ... رهواً[1] تلَقَّاك جُودُه خَبَبَا

وقوله: [البسيط]

يُثني عليكَ بخَيرٍ من بَذلتَ لَه ... فضلاً من العَيش أو فضلاً من النَّسَبِ
لا تأمَنَنْ من مُحرجٍ أنت مانعُه ... دَوماً ولو كان ذا قربى وذا نَسَبِ

(١) الرهو: السهل. وهو من الأضداد. اللسان (رهو) ٥ / ٣٥١.

مـازلتُ أسـمع لمّا كنتُ في حَلَبٍ أحـدوثةً عنك تجلُو غُـمَّـة الأدبِ
فلم أزل بالأماني كلَّ بارقـةٍ أنوطها بك والأطماعُ تأخـذُ بِي
حتى رأيتُك بالحدباء فانقطَعَت تلك الأماني وقرَّت سَّورة[1] الطَّلَبِ
فالحمدُ لله إذ لم يأتِ بي حَلَباً فقد وَقَاني من الحرمان والتَّعبِ

وقوله يمدح أتابك مسعود بن مودود، ويذكر إنجاده الملك الناصر بن أيوب على الفرنج: [الكامل]

وأدَرْتَ كأساً للفِرَنْجِ مُديرةً حُمِدَت لدائف سُمُّها المنقوعِ
عـرضَتْ لدين الله تطفئ نُورَه ناهيك مِنْ أمرٍ أتاه شنيعِ
نَصَبَت عداوتها له فَرددتَها محفوظةً بلوائك المرفُوعِ
كالقوسِ قرَّت في اليدين وَصَدّعت كَبِدَ الرمّي بسهمها المنزَوعِ

ومما أورده من نثر قوله:

لّما كانت الرسائل – أطال الله بقاء فلان – عنوان السرائر، وترجمان الضمائر ورائد المودّة إلى القلوب، ووصلة الحبل المقضوب؛ وناطقاً لا يتجمَّم، وبليغاً لا يعجم. اكتفى بها المشتاق عن حثِّ النياق، واستراحت إليها النجائب[2] عن خوض السباسب[3]. ولقد ورد كتاب فلان مشتملاً من كريم، أجابه على ثناءٍ جزيل، وحمدٍ جميل، وفضل عريض طويل، مشحوناً بحمد الله تعالى، والصلاة على رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم – فيما منَّ به من قمع الفئة الطاغية واستئصال الشجرة الخبيثة الباغية، التي مرقت عن الدين، وجاهرت بعداوة أمير المؤمنين، صلوات الله عليه وعلى آبائه وأسلافه المنتجبين.

وبعد، فإنَّ الخادم لم يرمِ سهماً إلى نحورهم إلا وعزم المواقف الشريفة الإمامية الناصرية،

---

(١) السَّورة: الوثبة. اللسان (سور) ٦/ ٤٢٦.
(٢) النجائب: النجيب: الفاضل من كل حيوان. اللسان (نجب) ١٤/ ٤١.
(٣) السباسب: السبسب: القفر والمفازة. اللسان (سبسب) ٦/ ١٥٢.

أيّد الله اقتدارها مسدَّدة، ولا أشرع سناناً في صدورهم إلا ونصر مورده، ولا حمل سيفاً إلى هامهم إلا وتأييده مجرّدة. فما طاش له سهم، ولا ارتعش رمح، ولا فُلَّ نصل، وفات أعداء العتبة الشريفة، وأعاذ الله بين صريع مقتول وأسير مكبول، وطريد منهزم ومالٍ مقتَسم قد أدال الله من طاعنهم، وأمكن من نواصيهم. وذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء. وتأييد من المواقف الشريفة، وهمَّة من المجلس الفلاني دام سعد الذي قام مقام الجيش العرمرم، وناب منابَ كل حسام ولهذم(١). ففتَّ في عضدهم، وقذف الرعب في قلوبهم. ولولا ما منحنا الله به من نصر أمير المؤمنين وآرائه الباقية لكنّا على شفا جرفٍ هارٍ، فالحمد للّه الذي وفَّقنا لمرضاته، وهدانا إلى أوضح سبيله، وجعلنا ممَّن يعمل بنفله وفرضه، ويرضي خليفته في أرضه.

وقوله:

وبلغني بفضل فلان، أنار الله نجم إقباله، وأسبغ عليه ثوب أفضاله وجعله قبلة للمحامد، وكعبة للصادر والوارد، وأوزعني شكر نعمائه، وألهمني نشر ثنائه، وكفاني في مودته مالا أتوقَّع، وحرس لي مهجته بعينه التي لا تهجع. فلم يزدني ذلك زيادة على ما أعتقد فيه. أدام الله نعمته من سحاجة(٢) الأخلاق، وطهارة الأعراق؛ وإنما كانت تزيد في هذه التفضلات عقيدة في كرمه وجميل مودَّته، لو كنت أتوسم فيهما نقيضه. فأما إذا تيقَّنت كما هما، فلا. وأما الشكر فإن شكرت فأهل له، وإن أمسكت فمودة بيننا؛ أكرم من أن يحتاج إلى روابط الشكر.

وبعد، فقد رفّت عليَّ من شوارد غرره، وفرائد درره عروسٌ غضَّة المعاني، عذبة الألفاظ حلوة الدلال، فاترة اللحاظ. قد بلغت النهاية في الإبداع حتى ملكت الأبصار والأسماع. وقد عوَّزها فلان بتواضعه؛ ليصرف عنها عين الكمال، ويتكررها في حلل الجمال.

---

(١) لهذم: لهذم الشيء قطعه. واللهذم: السيف. اللسان ١٢ / ٣٤٢.

(٢) السحاجة: الخدش. اللسان (سحج) ٦ /١٨٧.

فأما قوله: [الكامل]

طَابَتْ مَنَابِتُـه فطاب وِدَادُه ... وزكا فيالَكَ من أخٍ لَكَ صَالحِ
يُوليك إشفاقاً ومَحْضَ نَصِيحةٍ ... فاشدُدْ يَديك على الشفيقِ النَّاصِحِ

فبيتان قد بلغا النهاية في الجودة من سلاسة اللفظ وسهولة المأخذ وبيان المعنى، وانتظام العروض، والمقابلة الصحيحة والترديد الرشيق، والتمثيل الناصح، وإن كانت لا تخلو مع ما أتيت فيها من إحسان. ولكن على هذين البيتين وقع اختياري.

وبعد فإنه أتى بالواضح معرّفة بالألف واللام في قافية عروض البيت الأول، ثم أتى بها فكرة في قوله: على سهل الطريقة واضح، وكذلك قوله: الصالح، مع قوله: صالح. وهذا جائز، وليس كل جائز بحسن. فليجتنب؛ فإنه يكاد يكون أبطأ، وليس هذا بردّ؛ إنما هو مطالبةٌ بالأحسن ولله الحمد.

قال ابن المستوفي: وإنما أتيت هذه الرسالة لقلة رسائله وعدمها. وأردت ألا يخلو هذا الكتاب من شيء منها، فأثبتُّ بها:

ولَستُ بمعتوبٍ إذا وَضُحَ العُذرُ

وأنشدني لنفسه قبل وفاته: [البسيط]

إن الشَّبابَ نَذيرُ الموت ثم إذا ... جاء المشيبُ فذاك القَبرُ والكَفَنُ

ومرض مرض اليأس، وهو السل. وتوفي ليلة الأحد، لثلاث خلون من ربيع الآخر، سنة خمس وثمانين وخمسمئة[1].

---

(١) بغية الوعاة، ١/ ٢٨٦.

ومنهم:

٣٥- محمد بن الحسين الجفني البغدادي

من كرخ بغداد، يعرف بابن الدبّاغ(*). رجل يخال به الليل يتضح، ويخاف النهار ألا يُفتضح. أشرق ضيا وأشرف على الصباح في بقية حَيَا. لم تلد مثله بغداد في زمانه بين جانبي شطِّها، ولاوَفَتْ بشبهه في شرطها. كاد بنار فطنته يتآكل، وبما فطرته مبهم، حتى ماء دجلة أشكل. هذا إلى أدب غضٍّ المكاسر، بضّ الجثم فيما يتجرد عنه الحاسر. جمع في الصناعتين أسناهما وطلع أسماهما، وأتى بهما ذُلُلا، ونشرهما بعد طول اللطى طللا.

ذكره ابن المستوفي، وقرأ على ابن الشجري، وأقرأ النحو والقرآن. وتوفي سلخَ رجب سنة أربع وثمانين وخمسمئة. وأورد له ابن المستوفي قوله: [البسيط]

سَـــــقَى ديارَك غــــــادٍ ملؤه نـعَـمُ ... كالقرم(١) يسدم(٢) فهو الهادر الواغي(٣)

وَلْيــفــرَعِ الســعــدَ فــيــه قــادرٌ صــمــدٌ ... فــلــسـت أقنـع مـن دَجنٍ بـإفــــــراغِ

ما يوم خضل الجناب زجل الرباب(٤)، أدكن الجلباب، مذهَّب الإهاب، مرج الحقاب(٥)، أرج النقاب(٦)، يزجّي العاميّ عشار غمامه المثقلة، وتمرّ الظباء جفلَ أخلاقه المهلَّة، وتراعي قروم رعوده المجلجلة. وبقضب منابضة قواضب البوارق المسلَّلة. عنبري الأرجاء عبيري

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٣/ ١١٣، وبغية الوعاة ١/ ٩٢. توفي سنة ٥٨٤هـ.

(١) القرم: الفحل. اللسان (قرم) ١١/ ١٣٠.

(٢) يسدم: السدم: الهمّ. اللسان ٦/ ٢١٩.

(٣) الواغي: الوغى: الصوت في الحرب. اللسان (وغى) ١٥/ ٣٥٣.

(٤) الرباب: العهد. اللسان (ربب) ٥/ ١٠٠.

(٥) الحقاب: بريم يكون فيه ألوان. اللسان (برم) ٣/ ٢٥٢.

(٦) النقاب: القناع يوضع على الأنف. اللسان (نقب) ١٤/ ٢٥١.

الأجواء. دُرَرُ مزنه دارية، وحجا نظره بدريَّة. وأنفاس جوده نديَّة، ومعشوقة يومه سعدية، وسيوف إيماضه هبرية، وشنوف[١] مزنه تبرية[٢]، ومطوقة اليوم كُدريّه، ونفحات نسيمه عبيرية. عارض مغضب على المحل لا يَخطُر إلا وسيفه مسلول، والسحاب مرشوف الرضاب بمياسم الرياض والعبهر[٣] مشغوف. يرنو الشقيق حدق مراض، وقيان الطير قد اصطفّت على أفنانها، وحبست مثاني عيدانها فسوّف ألحانها. مالك بأداة الطوق. ما أجمل غرامك والشوق! ضعفت فهتفت، وألقت فأشفت. ناحت فأسهرت، وبالهديل لإلفك سحرت ألحّت فأفضحت، ونَحَت فاسترجت، أصحرت بغرامك فسلمت، وأسمحت بزمامك فما أمَّلت. [السريع]

هَل لَكِ يا وَرقَـاءُ يا حـمـامـه ناصِبَـةٌ بالوجـدِ مُـسـتـهَـامَـه

أن أكون في الحب تلميذك، وأتقلّد بهمَّتك، وبعوذك الذي أردت من الوجدان يعيذك، فأبدي كما أبديت، وأنتهي إلى حيث انتهيت. وأمضي في ذاك الصريمة حتى أنسى مُسمِّها ندمانَي جذيمة. وأفضّ القيمة من كل لطيمة، بأطيب من لحظات أفضيهن بإسلام المكتوب العالي الفلاني، أدام اللّهُ سلطانه فإني ما أزال أدافع بلثمه فاه، وشوقي إلى ذلك الجلال وبُرَحَاه، وأسكن به غلواء الزفر واعتلاه. [الطويل]

كَتَمتُ الهَوى يومَ النَّوى فتَرفَّعتْ به زفـزاتُ مـا بِهنَّ جَـفَـاءُ
يَكَدن يقطِّعن الحـيـازِمَ كلَّمـا تمطَّت بهنَّ الزَّفـرةُ الصُّـعَـداءُ

وبتَّ يوم بهق[٤] الأديم يقق[٥] الضريم، سَدر الصريم[٦]، حذر البريم[٧]، يحمد نفَس

(١) شنوف: الشنف: البغض والتنكر. اللسان (شنف) ٧ / ٢١٤.
(٢) تبرية: التبر: الفتات من الذهب والفضة. اللسان (تبر) ٢ / ١٢.
(٣) العبهر: الياسمين، أو النرجس. اللسان (عبهر) ٩ / ٢٧.
(٤) بهق: بياض دون البرص. اللسان (بهق) ١ / ٥٢١.
(٥) يقق: ابيض. اللسان (يقق) ١٥ / ٤٥٤.
(٦) الصريم: الليل. اللسان (صرم) ٧ / ٣٣٣.
(٧) البريم: الصبح لما فيه من سواد الليل. اللسان (برم) ١ / ٣٩١.

المهجور، ويخمد قبَس المسجور. قد أرزمت الحرجف[١] مرزمه، وهدمت من السماك لهدمه، وخذمت[٢] من النسر قوادمه، وجذمت[٣] من الأسد معاصمه. وألقمت العواء حجر جليدها، وزبنت[٤] الزباني عن أن تبلغ جيدها، والضريب[٥] شنب[٦] في أفواه الغَيران، ووضح في أديم النيران، وعذب على أعنان الرعان[٧]، والدجى لمى في شفاه القيعان، وكحل في أحداق القنان. وقد يدفع الصبر معارف صاحبه، وينير أشآب[٨] الضباب، فودى حضن وأراب، وعمَّم بالعبير يُلملم، وشعفات[٩] عمائه ويرمرم[١٠]. كان مصطليه والوقود يحفُّه بحزم في الأطراف شوك العقارب. رددت زمهرير ذلك اليوم بأخفت أنفاسي الصعدا، وأضعف زفراتي البرما، مهيف الأحشاء، وميض الأجواء، أنفاس يومه محرقة، وظلاله مطرقة، يُذيب الصيخود[١١] أواره[١٢]، ويمنع الجلمود شراره يحرق الحجر، ويعرق الشجر، ويذهل الحربا عن استجلاء عروس الخربا. ويشتد لي لهبه فنشده عن الضرير جندبه فتستعر أجدال الأجزال عنده نار الحباحب[١٣]، ويتولج العفراء جليس الفقراء

---

(١) الحرجف: الريح الباردة. اللسان (حرجف) ٣/١١٠.

(٢) خذمت: الخذم هو القطع والضرب. اللسان (خذم) ٤/٤٥.

(٣) جذمت: الجذم: قطع اليد. اللسان (جذم) ٢/٢٢٢.

(٤) زبنت: الزبن: الدفع. اللسان (زبن) ٦/١٦.

(٥) الضريب: العسل. اللسان (ضرب) ٨/٣٨.

(٦) شنب: برد. اللسان (شنب) ٧/٢٠٩.

(٧) الرعان: الكثيرة الحركة. اللسان (رعن) ٥/٢٥٠.

(٨) شآبيب: الدفعة من المطر. اللسان (شأب) ٧/٥.

(٩) شعفات: الشعف: حرقة الحب والألم. اللسان (شعف) ٧/١٤٠.

(١٠) يرمرم: يحرك شفتيه، يتكلم. اللسان (رم) ٥/٣٢٥.

(١١) الصيخود: الصخرة العظيمة. اللسان (صخد) ٧/٢٩٥.

(١٢) أواره: شدة الحرّ. اللسان (أور) ١/٢٦١.

(١٣) نار الحباحب: ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة. اللسان (حبحب) ٣/١٣.

فيكون لهاأسلم صاحب، فترى لغاب الغزالة دابيا، ومحيي اليوم ساحبا يلتهب فضاه، وينش أضاه، وتفوح رياضه، وتلوح حياضه. وقد غار في مكنس، وأخذ من اللهب الظبا والقَسْوَر. ولِمَ لا يطيل الشوق إلى ذلك الكرم الواسع، والجود المتتابع ليلي، وقد أساءت الأيام بتخلفي عن اعتمار ربعة العزيز من قسم السعادة كيلي. فكم ليلة بتُّها نجيٌّ أرِق، شكيٌّ حرِق! ولي من الزفير فَرَق ومن الدمع شرق ومن اللُّعج حَرَق، اطفئ بوهج الأضايع بتوكاف المدامع، وأتبرّم بالزهر الطوالع، والسهب النواصع، وأتمنى جفاهن وهن دراري دوافع، مسلّيات شوافع كأنمار بطن ناركان شروري[1] وأحضان متالع. وأقول والكَمَالُ وازع والجِلد نازع: متى ينبعث ثقال الليل الكسير الطالع؟ متى يطير غرابه الواقع؟ متى يهتدي نجمه الحيران؟ متى يوسن طرفه اليقظان؟ متى يفتر غباشه الغيران؟ متى يميل النجم إلى غربه؟ متى يفل شنب ذؤاله مسنون غَرَبه؟ متى يتوشّى أدهمه بالبلق؟ متى يغشى مَعْلَمُه بالفلق؟ متى يُنحر غسقه بالشفق؟ متى يسخر نسقه بالنفق؟ متى أرى زنجيَّه قد أَبَق[2]؟ متى يركب طبقاً عن طبق؟ متى يكرع خطّاره في ذات الآصاد[3] من الصباح؟ متى يقطع أعوجيه مَرَرَ الشياح؟ هل جار الفسق فيرشد؟ هل طل الفلق فينشد؟ ثم إلى أن أصبح يقظاً جسراً من مماصعة[4] الزفرات، ويصبو طليحاً من مكافحة الحشرات وإلى الله سبحانه وتعالى أرغب في فك الأسير، وجبر الكسير، وتسهيل العسير في تقريب المسير إلى ذلك الجلال الأثير والمجد الخطير. فربَّ عانٍ في زيٍّ طليق، وربّنا بالإجابة جدير المثال العالي قد كان كنزه الاستلام والقبيل، وليس إلى نفع علّة الشوق إلا برشفة سبيل والإنعام العميم، والطول الجسيم مرجوٌّ في أن يشفع بمكتوب ثان أتخذه عوذة من ريب الزمان، كالسبع المثان. ولم أغلب في حساب الحول لأني كتبت ذلك المكتوب الأول في العام الماضي صبيحة ليلة النصف من شعبان والله سبحانه

---

(١) شروري: الشرُّ ضدُّ الخير وجمعه: شرور. اللسان (شرر) ٧/٧٧.

(٢) أبَقَ: هروب العبد من غير خوف. اللسان (أبق) ١/٤٧.

(٣) الآصاد: الإطباق والإغلاق. اللسان (أصل) ١/١٥٢.

(٤) مماصعة: المماصعة: الحركة السريعة. اللسان (مصع) ١٣/١٢٥.

يقول: ﴿وَمَن يَخرُجْ مِن بَيتِهِ مُهَاجِراً إلى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدرِكهُ المَوتُ فَقَد وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ[١]﴾. وأنا هاجرت بخدمتي في العام الأول وأتممت هجرتي، وكان مبداها صبيحة نصف شعبان. وعلى ذلك أجري الحساب على ممرّ الأحقاب. وكذا هذه الخدمة شرعت في سطرها صبيحة نصف شعبان من عامنا هذا، بعد أن ختمت عليها ختمات، أشفعهن بصالح الدعوات لمولانا أعزّ الله إبصاره وأعلى اقتداره.

كان مسلم بن قتيبة في مصاف الترك. فسأل عن محمد بن واسع، فقيل إنه في ناحية من الجيش متوكئاً على سيَّة قوسه، يشير بإصبعه إلى السماء. فقال: والله لتلك الإصبع الفاردة أحبُّ إلي من عشرة آلاف ذراع، وأنا من متجندة الخدمة العالية في ليلي وإعلاني وإسراري، أرغب إلى الله سبحانه بالأدعية الصالحة لبهي دولته وسابغ نعمته إلى مضانّ الإجابة مشفوعة بصدق الإنابة. تقبّلها الله برحمته، والرأي أعلى. قال ابن المستوفي: ونقلت من خط ابن الجيمي، من شعرالجفني: [الطويل]

لَهِجتُ بليلى حبِّها وَودَادَها ... وأكرِمْ بها في قربها وبعَادها
يلذُّ لعيني لادِّكار وِصَالها ... وأيامُنا بالجزع طولَ سُهادهَا
وأخشى وعيدَ الطيف إن زار قائلا ... أعيناك تلتذّان طيبَ رُقَادها
فدع ذا وعُدَّ القول في ذِكر ماجدٍ ... تسنَّمَ في العليَاءِ أسمى نجَادهَا
حلَفت بها كالخالِ في جَنة العُلا ... تُباري لدى أطوادها ووِهَادها
رَحلنَ نَواءً كالهضاب تَوامكاً[٢] ... تناضل في غيطانها وصمادها[٣]
فلم يَزلِ الإيغالَ يعرق[٤] لحمَها ... ويجفنَ من نون الذؤوب وصادُهَا
إلى أن بدَت مثلَ الأهلّة شَفّها ... نحولُ المحول في سِنين جُمادها

(١) النساء ٤ / ١٠٠.

(٢) توامكاً: الومكة: الفسحة. اللسان (ومك) ١٥ / ٤٠٩.

(٣) صمادها: ما دقّ من أرض الجبل ونبت فيه الشجر. اللسان (صمد) ٧ / ٤٠٥.

(٤) يعرق: عرق لحمها: بري اللحم عن العظم. اللسان (عرق) ٩ / ١٦٢.

عليـهـا الملَبُّـون الطلاحُ[1] يهـزُّهم إلى رُكنهـا والخيف خوفُ مَعادهَا
يميناً لإبراهيم أكـرمُ مَـاجـد نخته المهارىَ أوشجًا في اعتمَادهَا
يرودُ النفوس في رِياض كَمَاله وأخلاقُه الحسنى كريمُ مُرداهَا
طَويلُ رداء الفَضل والعلمِ والنُّهَى حميدٌ قصيرُ الرأي مَولى سَدادهَا
تمنَّتْه عيني أن تراه وإنَّه أعَزُّ وأوفى عندَها من سَوادهَا

ومنهم:

٣٦- أبو حفص الضرير(*)

عمر بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن مهران النحوي. رجل على ضرر عينيه وإظلام الأمور عليه مبصرُ بالتجارب، مدَّرِع لُبسة المحارب. هذا على حُبسَة لسانه، وعدم امتداد أرسانه؛ إلا أنه كان سيفاً لا يُثلم، وسيلاً لا يَظلم. يحطّ من شاهق، ويردُّ كلَّ زاهق. ولم يزل به الجدّ حتى تجاوز الحدّ. وجاوز المدّ. وصارت آراؤه هدى وأنواؤه جدا وآلاؤه لا يكذب من قال لي إنها أكثر عدداً. وأغزر من البحر مددا. قال ابن المستوفي: تخرّج على أبي الحرم، وبرع في علم النحو، وتصدّى بعد وفاته للقراءة عليه. له ذكاء وعنده فكرة حسنة. يقال: إنه حفظ في ليلة واحدة ثلاثمئة بيت.

قال: وقيل: إن من الذي حفظه قول أمية بن أبي عائذ الهذلي[2]: [المتقارب]

ألا يالَقومٍ لِطَيفِ الخَيالِ أرَّق من نازحٍ ذي دلَالِ

(*) ترجمته في: بغية الوعاة ٢ / ٢١٦. توفي سنة ٦٠٠هـ.

(١) الطلاح: المتعب، المجهد من السير. اللسان (طلح) ٨ / ١٧٩.

(٢) شاعر إسلامي، من شعراء الدولة الأموية، مدح بني مروان، وفد على عبدالعزيز بن مروان بمصر وطال مقامه عنده. ديوان الهذليين القسم ٢ / ١٧٢، والبيت مذكور فيه.

وقدم إربل وأراد مناظرة ابن الأرملة فلم يجبه إلى ذلك؛ خوفاً منه. وكانت في لسانه حُبسَةٌ عظيمة، وعنده ثِقل في كلامه لا يكاد يبين. وأنشد له شعراً، منه قوله: [مجزوء الكامل]

يا أيّها الدَّهرُ الَّذي ... قد لجَّ في بُغضي وفَركي
اغمِدْ حُسَامَكَ إنني ... مولى عمادِ الدِّين زِنكي

قوله: [الطويل]

إلامَ أقاسي لاعجَ الشَّوقِ والحُزْنا ... ويُضني هَواكُم والجفا جَسَدي المُضنَى
أأحبابَنَا إن حُلتمُ عن عهُودِنا ... فإنا على تلكَ المواثيق ما حُلنَا
رَعَى اللّهُ أياماً تقضّت بقُربكم ... فما كان أحلاها لديَّ وما أهنَا[1]
أحِنُّ إليها بالاصَائل والضُّحَى ... وما ينفعُ الصبَّ الكئيبُ إذا جُنَّا
إذا لم يَكُن لي عندكُم مثلَما لَكُم ... بقَلبي فلا أجدَى الحنينُ ولا أغنَى
فقد كانَ يغْشَى النَّومُ عيني بقربكم ... فمذ غبتُم ما صافَحَ النوم لي جَفنَا
وأحسنت ظَنّي فيكُمُ لا عدِمتُكُمُ ... فما بالُكُم أخلفتُمُ ذلكَ الظَّنَّا
فمَا كَانَ أغناكُم سوانا فإنَّنا ... عَلَى كُلِّ حالٍ لم نجِدْ عنكُم مَغنَى
تشَاغَلْتُم عنّا بصُحبةِ غيرِنا ... وأظهرتم الهِجرانَ ما هكَذا كُنَا

وهذا البيت تضمين، سئل أن يضمِّنه فقال هذه الأبيات، وضمّنه فيها. مات في حدود الستمئة[2].

---

(١) والتقدير: وما أهناها.

(٢) ذكر السيوطي وفاته في (- ٦١٣). بغية الوعاة ٢/٢١٦.

ومنهم:

٣٧- ابن الأرملة(*)

وهو أبو الثناء محمود بن الحسن بن علي بن الحسن كمال الدين الضرير العراقي. مبدي سُلوك، ومهدي سَلوك. لم يزل بفرائده العز منمَّقَ تاج ومفتِّق رتاج، ومولي جميل، ومولى جليل. ولسان قويم وإحسان دهر. ويوم جلّ به قدر بلده، وفخر، وبذل منه ما ذخر. تضافرت طلابه بأقصى المطالب، وأطيب المطارب. ولولاه لما بلغوا المناصب. ولنفضوا منها أيديهم نفض المناكب، ولأظلم في عيونهم سنا الكواكب. ولم تقل العلياء لأحدٍ منهم أيها الراكب. وبقي إلى أن أذنه أجلُه بانصرامه، وهبت العواصف لإطفاء ضرامه. فقرّب مداه، وقرَّت عيون عداه.

قال ابن المستوفي: أخذ النحو عن أبي المنقَّى الموصلي. وابن الدهان البغدادي. انتقل إلى إربل، وكان صدر الجامع بها يقرئ القرآن والنحو. قال: وكان فيما نُقلَ إليَّ عنه كثير العصبية على الطالبيين، شديد العصبية للأمويين. وكان يسلك في أشعاره الوحشي المتكلف، والنأي المتعسِّف ومن أجوده قوله كالمجير لقول ابن المهدي وهي عليه، وقد سُئل ذلك: [الكامل]

ما إن عَصَيتُكَ والغُواة تمدّني ... أسبَابَها إلا بنيَّةِ راجعِ

والذي قاله:

[و] مسيِّر فعل الورَى أمرُهُ ... متمسك أخذ النَبيّ الشَّارِعِ

قَسَماً بمجدك إنني لك طائعُ ... ولأنتَ تعلمُ ما تحنُّ أضالِعي

قسماً بتربة يوسفٍ ما الغدرُ من ... شيَمي ولا شرَع العُقُوق شَرائعي

يا أيها الملكُ الذي مَلَكَ الورَى ... أين الفِرارُ من القضاء الوَاقِعِ

قال: وتوفي في سادس عشر ربيع الآخر سنة ست وستمئة.

(*) ترجمته في: بغية الوعاة ٢/ ٢٧٦. توفي سنة ٦٠٦هـ.

ومنهم:

٣٨- أبو الحرم[*]

مكي بن ريّان بن شيبة بن صالح الماكسيني صائن الدين. لسان من ألسنة العرب، وإنسان لا يقاومه نَبع ولا غَرَب. لا يكون البدر التمام إلا نحوه[١]، ولا يسلك الصباح المعرب إلا نحوَه[٢]. انتفع به الخلق، وارتقع به من كلام العرب الخرق. وكان في بلده يستسقى صَيِّبُه[٣] ويستدنى أدبه. ولم يكن من أنباتها الطلبة، ورؤسائها أهل المرتبة إلا مَن ينظر حيث السهى، وترى أنه إذا بدا بالأخذ عنه انتهى.

قال ابن المستوفي: هو شيخنا جامع فنون الأدب، وحجة كلام العرب. واحد القصر وفريد الدهر، المجمَعُ على دينه وعقله، والمتفَّقُ على علمه وفضله.

ولد بماكسين من ولاية سنجار، ونزل الموصل بعد أن رحل في طلب العلم إلى بغداد، ولقي بها مشايخ النحو واللغة والحديث. وكان واسع الرواية، شائع الدراية.

أخبرني لما رحلت إليه الرحلة الثانية بالموصل سنة سبع وثمانين وخمسمئة أنه ورد إربل، وأقام بمسجد قريب من باب القلعة الغربي بعد أن أضرّ وكان سبب عماه جدرياً لحقه، وهو ابن ثمان أو تسع سنين. وكان يقول: أعرف من الألوان الأحمر. وكان على غاية الذكاء والفطنة. فكنت أقرأ عليه كتاب المجمل، لأبي الحسين أحمد بن فارس معارضاً بأصل، وهي من كتابة في وسطه. فلمّا انتهت بي القراءة إلى أول تلك الورقة، قال لي: هذه الورقة بغير خطٍّ الأصل؛ فتأنَّ في القراءة ليصلحها المعارض[٤] لك. وأحكم القراءات كلَّها، الأصول

(*) ترجمته في: بغية الوعاة ٢/ ٢٩٩، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٧٨. توفي سنة ٦٠٣هـ.

(١) نحوه: تجاهه.

(٢) نحوه: طريقه.

(٣) صيّبه: الصيّب هو المطر. اللسان (صوب) ٧/ ٤٣٢.

(٤) المعارض: هو الذي يطابق بين نسختي الكتاب.

منها والشواذ. وكان يَقرأُ عليه القرآن في كل يوم تلقيناً وتحريراً جماعةُ تزيد على الخمسين، ونصَّب نفسه للانتفاع عليه بالقرآن العزيز، وجميع ضروب الأدب. فكان لا يتفرّغ إلا للصلاة المكتوبة أو لما لابدَّ منه. ويخرج عليه جماعة من أصحابه شهّروابه سوى من تردَّد إليه، فلم يظفر بمطلبه.

أخذالنحو عن أبي البركات الأنباري، وأبي محمد ابن الدهّان، واتصل أبو الحرم بالملك الظاهر غازي، وأقام بحلب مدّة، وهَمَتْ عليه سحب إكرامه واتصلت به ضروب إنعامه. وكان حيث خرج من الموصل لم يمكّنه سلطانها من السفر، حتى ضمن على نفسه بالعود إليها، وكفله أبو السعادات ابن الجزري. وكان قد جعل سبب سفره زيارة بيت المقدس، فأقام بحلب. فلمَّا بلغ تأخره صاحب الموصل، قال: ما يضرُّ الموصل ألا يكون فيها أبو الحرم، فأحسن المحدِّث له الاعتذار عنه، ثم وصل إلى الموصل عائداً من حلب في رمضان سنة ثلاث وستمئة، وأقام بها مريضاً مدَّة يسيرة، ثم توفي بها ليلة السبت سادس شوال منها، وخلّف ولداً صغيراً.

قال أبو المعالي ظافر بن الوهاب الموصلي: كان رحمه الله ربّما فرض في بعض الأوقات الأبيات من الشعر. ولم يكن شعره على قدر فضله؛ إذ هو فلك النكت والعيون، وأنا أورد من مختاره وجيّده، فمن ذلك قوله: [الوافر]

سئِمتُ من الحياة فلم أُرِدْها ... تسالمني وتشجيني بريقي
عدوّي لا يقصّر في أذاتي ... وتفعل مثل ذلك في صديقي
وقَد أضحَتْ لِيَ الحدباءُ داراً ... وأهل مودتي بِلوَى العقيقِ

قال: ومن جيّد قوله: [الطويل]

على الباب عبدٌ يسأَلُ الإذن طالباً ... به أدبٌ لا أنَّ نعمَاك تُحجَبَ
فإن كان إذنٌ فهو كالخير داخلٌ ... عليك وإلا فهو كالشرّ يذهبُ

وكان أبداً يتعصب لأبي العلاء المعرّي، ويطرب إذا قرئ عليه شعره للجامع بينهما من

العمى والأدب، فسلك مسلكه في أبيات تائيته، أولها: [البسيط]

هاتِ الحديث عن الخَابور لا هيتا[1] ولا المحلَّين بغدادٍ وتَكريتَا
قَومي وأين كَقومي في الوَرَى بشَرٌ يأتون في كل حال شئتَ ما شيتَا

ومنها:

فيا أخلاي هُنِّيتُم به قَطَناً وأنت أيضاً بذاك السكْن هُنيِّتا
إن فاتني فيكم عيشُ ألَذُّ به فإنَّ شوقي إليكم قطُّ ما فيتَا
ويا مُنبِّئيَ الأنباء عن بَلَدي إن كنتَ حَيَّيتهم عني تُحيِّيتَا
هَناهُمُ بي في الآفاق طيبُ بنَا يفوّق العَرف عَرفَ المِسك مفتُوتَا
وقائل قال تسلاه فقُلتُ له حبُّ المَواطنِ فرضٌ كان مَوقُوتَا

وذكر بعد ذلك أسماء مواضع من بلد ماكسين ينفر عنها الطبع، ويمجها لغلظها السمع.

وقال يخاطب البرق المومض من نواحيها، ويأمره سقياً أماكن عدّدها فيها:

واذكُرْ مَغَانيَ من أرض الحُصَين ومن تحناسَ والمنحَنى إن كنت أُنسيتَا
وغيرِ ناس إذا لم تنسَ جلدتَها العليا وأوسعها هاميك نُبيِّتَا
وأختهن عرايانا[2] ومجدَ لها ودامساً وصَحَاريها الأمَاريتَا[3]
فإن فعلتَ وإلاكنتَ معتمراً أتى المقام ولم يأت المَواقيتَا
هُمُ المعَاشرُ لا مجدٌ كمجدهُم وأبعدُ الناس مَا بينَ الوَرَى صيتَا
والقُومُ في الأمن أملاكٌ مسالمةً وفي الهياج يخالون العفاريتا
وفي الرِّحال إذا صاحبتَهم خَدَمُوا وفي المجَالسِ توقيراً وتَثْبيتَا

ويتلوه منها ما أغمض معناه وأبعد مغزاه قوله:

---

(١) هيت: مدينة في العراق تقع في الغرب منه.

(٢) عرايان، ومجدل، ودامس، أسماء مدن ومواضع.

(٣) أماريتا: المرت: المفازة التي لا نبت فيها. اللسان (مرت) ١٣/٦٣.

لم يُمسِ قُوت امرئٍ من غَيرهم نَشباً إلا وأمسى لَهُم إعطاؤه قُوتَا
وطالما قُلتُ والأشواقُ تلعب بي إليهم ويريني الناسَ مَسبُوتَا
لو أنهم وَصَلُوا حبلي بحبلِهُمُ جعلته من جَميع الناس مَبتُوتَا

قال ابن المستوفي: كتب إليَّ أبو الحرم رحمه الله بخط أبي الحسن علي بن أبي بكر الصفّار يتنجّز فيه إعادة كتاب الهمز، وهو قصائد مهموزة بخط أبي منصور ابن الجواليقي، قرأتها عليه واستعرتها منه ونسختها. ولم يقع له بقية بعدها على يديه، فتأخّر ردّها، أو خشي فراق فلان، بلّغه الله أنفس الأعمار وأبلغ الأمد، وقُربه من أبعد الأماني بَعْد بُعْد المدد، وأنجز أمل غايته وغاية أمله، وجمل غاية أمله بفسحة أجله؛ حتى يحوز من المراتب أسناها وتقتني من المعاني والمعالي منتهاها. ويشعره أن الحاجة داعية في هذا الوقت إلى كتاب الهمز، وقد تكررت كتبي في هذا المعنى، وما عرَّفني سبب تعويقه وفي ذلك أقول: [الطويل]

مَتَى أنا راءٍ نسخةَ الهَمزِ في يَدي وقلبي خَلاءٌ من مساورة الهَمزِ
فإن يدَ الإنسان أهونُ عارضاً من القلب يَرمي بالوَسَاوسِ والوَخزِ
أفي خيمكُم أني أعَرَّضُ للأذى وأنتم أولو الإحسان في اليأس والمزّ[1]
وقد كنتُ أرضَى دفعَكُم عن حقيقَتي إذا ما سواكُم رام منّي ما يُجزي
لك اللّهُ لا تُذعِرْ خليلا بشيّءٍ ولا تُجزِه إلاّ جَزَاه الذي يُجزي
فإن لم تعجّل لي جوابَ رسالَتي شكوتُ إلى كافي الكُفَاة أبي العزّ

أبو العزّ، هو المظفر بن أحمد بن المبارك بن موهوب. وكنيته اسمه، إلا أنّ بعض الناس كان يسميه المظفر. وتوفي له ابن كان سمّاه محمداً، فكتب إليه أبو عبد الله البحراني كتاباً يعزيه. أوّله: [الكامل]

لا زَالتِ الأيَّامُ وَاهيَةَ القُوى تشكو مَضاجعُها جَفَاءَ العَوْد
وتَبَدلَت أيامُهنّ لَياليا إذْ كَانَ فيها مِثلُ يومِ مُحَمَّدِ

(١) المزّ: الفضل. اللسان (مزز) ١٣/ ٩٣.

فكتب إليه رحمه الله: [الطويل]

مُحمَّدُ إن غالَ الحِمام محمداً فأنت لنا أخٌ وخلٌ وناصحُ
فليتَ الليالي جُدنَ منك بنظرةٍ تُعادي ولو أن الحِمامَ يُراوِحُ

ومما رواه أبو الحرم عن علي بن موسى الرضا: ثلاثة موكل بها ثلاثة تحامل الأيام على ذوي الأدوات الكاملة، واستيلاء الحرمان على المتقدم في صنعته، ومعاداة القوآم لأهل المعرفة.

ومنهم:

٣٩- أبو عبد لله الحلي النحوي

وهو محمد بن أبي الفوارس بن أبي الهوا عفيف الدين المؤدب. ذو نظر أحسن مارمق، وأحسب إذ رتق. فكفى العظائم، وكيَّف العزائم؛ خلا أنَّه لم يخل من مبغض، ولم يجل عليه غير وجه حاسد برأسه مبغض، فلم يقدر له على اهتضام، ولم يقدّر له غير إجلال وإعظام؛ إلا أنه نغّص عليه ونقص، وإن لم يصل النقص إليه على عادة الدهر في الكبر على الأفاضل، ورجوع ذنب السهم على المناضل. وكان لا يزال منكَّدا، ولا يبرح حاله بعضه لبعض مؤكّدا فلم تسق له زرع ولم يزل من دهر على جَزْع؛ حتى أرته المنية مؤدّه، وحنت إليها مورده. قال ابن المستوفي: قرأ شيئاً من النحو على أبي البقاء، ثم قرأ على أبي الحرم مكي وانتقل إلى إربل، وأقام بها مدّة معلّما، ثم ترك التعليم واتصل بخدمة بعض الأمراء، فنُقل عنه أشياءَ قبيحة توهن العرض فعاد إلى الموصل سنة ثمان وستمئة. ووصفه بأنه متشيع لا يعمل تآليفه. قال: وكتب إليَّ صدر كتاب ولم يصل إليَّ. وكان ذلك أول ما بدا عليه القول بالتشيع: [الرَّجز]

يا غارساً غُصنَ الحَيا ةِ بجودِ راحَتِه التقيَّه
ومعَوِّداً كسب الثنا ءِ بحسن أخلاقٍ زكيَّه
قد صِرتُ مأكولاً لأبنا ءِ الجهالةِ والدنيّه
فانهض إليَّ حميةً فالحرُّ تُنهِضُه الحميَّه

ومما ذكره من نثر قوله:

إن تأخّرت كتبي، أدام الله أيام مولاي، وجعلها موشحة بالخلود منسمة بالإقبال والسعود ما لاحت ذُكَاء[(١)]، وطلعت الجوزاء بمحمد وآله، فنشر نبأي وإخلاص دعائي يشفع إليه، ويوصلني إلى ما أعوّل عليه من جميل صفحه، وحسن تجاوزه. وكيف لا أرجو ذلك، وقد حيي غصن حياتي بحيا[(٢)] جوده، وترعرع في ظل سعوده، فأطال الله بقاه، وصل أو قطع، وأهان أو أكرم.

وقوله نظماً ونثراً: [الكامل]

يا غارساً بيدي أكفٍّ ظالماً ... أتَرى به العَافُون وهو عَميمُ
حَاشَا لمجدكَ أن أُضامَ وأنتَ لي ... عضدٌ وجَاهي بالظلال وشيمُ
أو تستطيعُ يدُ الحوادثِ بسطةً ... فيما يُضعضِعُني وأنت سَليمُ

حاش لله أن يعبث بي الزمان، وتهضمني العدوان، وأنا وسيم خدمته وغزير نعمته، لا سيَّما وقد اعيرت اليَّ حلقة عبيد، ألفيته مختاراً لذلك، رغبةً في معاليه، معترفاً بأنعمه وأياديه، وقد صدر إليه تصور عبده من يد خصمه، مع تقدّم علمه بعناية فلان في إصلاح حاله وإعشاب أمحاله.

قال ابن المستوفي: وما أعلم الأبيات الميمية له أم لا، والظاهر أنَّها لَهُ.

(١) ذُكاء: الشمس. اللسان (ذكا) ٥/٥١.

(٢) الحيا: المطر. اللسان (حيا) ٣/٤٢٧.

ومنهم:

٤٠- أبو المبارك ابن أبي طالب

المبارك بن الأزهر سعيد، الملقّب الوجيه المعروف بابن الدهّان[*] النحوي الضرير الواسطي. استفسر الفضائل فأصبحت، واستنفر الفواضل[١] فأصحّت. ودعا العربية فأطاعت، ودعا إلى الفنون الأدبية فبذلت ما استطاعت. وبرع في النحو فقوّم صعدته، وقدّم للنجار[٢] عدّته. وكان على خفاء منهاجيه وانطفاء سراجيه ذا بصيرة بالحقائق منوّرة، وللدقائق مصوَّرة. ينظر فطنته حوافيها، ولا يجد فطرته الخوا فيها. فلبّسه الفضل حُليته، ورَأَسه في حَلبته، وكان مرج البحرين دون قلتيه، وسرهج النيرين عوض مقلتيه. وُلد ببلده ونشأبه وحفظ القرآن هناك، وقرأ القرآن. واشتغل بالعلم، وسمع بها من أبي السوادي الشاعر. ثم قدم بغداد واستوطنها. وكان يسكن بالظاهرية وجالس أبا محمد ابن الخشاب. وصحب أبا البركات ابن الأنباري، وجلّ ما أخذ عنه.

وسمع الحديث من أبي زُرعة المقدسي. وتفقّه على مذهب أبي حنيفة بعد أن كان حنبلياً، ثم شغَرَ منصب تدريس النحو بالمدرسة النظامية، وشرط الواقف أنه لا يفوّض إلا إلى الشافعي المذهب، فانتقل الوجيه المذكور إلى مذهب الشافعي وتولاّه. وفي ذلك يقول المؤيد أبو البركات ابن زيد التكريتي. [الطويل]

ومَن مبلغ عنَي الوجيهَ رسالةً ... وإن كان لا تُجدي إليه الرسائلُ
تذهّبت للنّعمان بعد ابن حنبلٍ ... وذلك لما أعوَزتك المآكلُ
وما اخترت رأيَ الشافعيّ تديُّناً ... ولكنّما تهوي الذي منه حَاصلُ
وعمّا قليلٍ أنت لا شكَّ صائرٌ ... إلى مالك فانظر لما أنا قائلُ

(*) ترجمته في: بغية الوعاة ٢ / ٢٧٣. توفي سنة ٦١٢هـ.

(١) الفضائل: المكرمات، والفواضل: الأيادي الجميلة. اللسان (فضل) ١٠ / ٢٨٠.

(٢) النجار: الأصل والحسب. اللسان (نجر) ١٤ / ٥١.

كانت ولادته سنة اثنتين وثلاثين وخمسمئة بواسط، وتوفي ليلة الأحد، السادس والعشرين من شعبان سنة اثنتي عشرة وستمئة ببغداد ودفن من الغد بالوردية.

ومنهم:

٤١ - زيد بن الحسين بن زيد بن الحسن بن سعيد الكندي(*)

أبو اليُمْنِ تاج الدين البغداي المؤلف والمنشأ، الدمشقي الدار والوفاة، المقرئ والنحوي الأديب. وهو الذي تضرب به النحاة المثل، وتضرّب عنه الملل. بلغ شأو القدما، وزاد عليهم زيادة الألف والنون في بعض الأسما. أجمل بذكره المشاهير، فانسلخ أبو الأسود من جلدته، ويئِسَ الكسائي من حدته، وفرَّ الفرّاء، وعرف أن سبب موت سيبويه ممّا ضرب زيداً عمرا. وعذر جمر نِفطَوَيه إذا أصبح وهو جامد، والمازني إذا لم يذكروا وقَبله زيد وعمرو وبكر وخالد. أَعملت الركائب إليه السير، وعُرف الخير منه، فسميَّ زيد الخير. تقدّم في الدولة الناصرية الصلاحية من أولها، وأثرى من تموّلها، وكان له من بني أيوب ما زاد في زهوه وأكرم به لذلك ونحوه. وكان عليه طريقنا في رواية أكثر كتب الأدب وتلقيها ممن كتب. وهي على جلالته وعلمه الذي يسم منكره بجهالته ما خلا من غمز غامز، وذكر نقص، وما هو عايز؛ إلا أنه تلي شيطان ساء قرينَا، وقال ولم يرقُب دينا.

قال ابن خلكان: كان أوحد عصره في فنون الآداب، وعلوّ السماع، وشهرته تغني عن الإطناب في وصفه. أخذ عن الشريف الشجري وابن الخشّاب، وأبي منصور الجواليقي، وصحب عزّ الدين فرُّخْشاه(١) بن شاهنشاه ابن أيوّب، وهو أبن أخي الملك صلاح الدين.

(*) ترجمته في: إشارة التعيين ١٢٢، والبلغة ٨٢، وبغية الوعاة ١ / ٥٧٠، وإنباه الرواة ٢ / ١٠، ووفيات الأعيان ٢ / ٣٣٩، والأعلام ٣ / ٩٦. توفي سنة ٦١٣هـ.

(١) هو ابن أخ صلاح الدين الأيوبي، استخلفه عمُّه على دمشق. خريدة القصر، ١ / ٢٢٠.

واختصَّ به وسافر معه إلى مصر واقتنى من كتب خزانتها كل نفيس.

قال ابن الجيمي: كنت بالقاهرة، فكتب إليَّ الشيخ أبو اليمن من دمشق أبياتاً: [الخفيف]

أيها الصَّاحبُ الحافظُ قد حـمّـ ... لتنا من وَفاءِ عهدكَ دَينا
نحنُ بالشام رهنَ شوقٍ إليكم ... هل لديكُم بمصرَ شوقٌ إلينَا
قد عَجزنَا عن أن ترونا لديكم ... وعَجَزتم عن أن نراكم لَدينَا
حَفِظَ اللَّه عهدَ مَن حَفِظ العهـ ... ـدَ أوفَى به كما قد وَفَينَا

قال: فكتبت إليه من أبيات: [الخفيف]

أيُّهَا السَّاكنون بالشَّامِ من كِنـ ... ـدةَ إنّا بعهدكم مَا وَفينَا
لو قَضَينَا حقَّ المودّة كنّا ... بحبّنا بعد بُعدِكُم قُد قُضِينَا

وكتب إليه ابن الدهان الفرضي: [البسيط]

يازيدُ زادَكَ ربّي من مَواهِبِه ... نُعمَى يقصّر عن إدراكها الأُملُ
لا غيَّر اللَّهُ حالاً قد حَبَاك بهَا ... مادام بين النُّحاة الحالُ والبدلُ
النَّحوُ أنت أحقُّ العالِمين به ... أليس باسمِكَ فيه تُضرَبُ المثَلُ

ومن شعر الكندي وقد طُعن في السنّ: [الطويل]

أرى المرءَ يهوَى أن تطول حَياتُه ... وفي طُولها إرهانُ ذُلٍّ وإرهاقُ
تمنَّيت في عَصرِ الشَّبِيبَة أنَّنِي ... أُعَمَّر والأعمارُ لاشكَّ أرزَاقُ
فلمّا أتاني ما تمنَّيتُ سَاءَني ... من العُمر ما قد كُنتُ أهوَى وأشتَاقُ
يُخيَّل لي فِكْري إذا كنتُ جَالساً ... رُكُوعِي على الأعناق والسَّيرُ إعناقُ(١)
ويَذكُرُني منه النسيمَ وروضَةٌ ... حفائرَ يعلوها من التُرب أطبَاقُ
وها أنا في إحدى وتسعينَ حِجَّةً ... لها فيَّ إرعادُ مخوفٌ وإبراقُ
يقولون تِرياقٌ لمثلك نافعُ ... وما لي إلا رحمة اللَّه ترِيَاقُ(٢)

(١) إعناق: سريع. اللسان (عنق) ٩/ ٤٣١.

(٢) وفيات الأعيان، ٢/ ٣٣٩.

وقوله : [الطويل]

عَليكَ حُقوقٌ للمَعالي وأنعُمٌ وأنتَ بهَا إن لم يحدَّثْ بهَا رَهنُ
حَمَلت يداً من جود أفضل ذي يدٍ هي المنّ لا يغتالُ رونقَها المنُّ
توخّاك عزُّ الدّينِ بالفضلِ بادياً وحازك من وسميّ(١) نائله مُزنُ
فريضاً إذا شَتمُ الرواة فريضةٌ تمنتْ له لو أنَّها للورى أذنُ
إذا شَامتُ الهَيجاء سيفُ انتقامه فليس له إلا رقابَ العدا جَفنُ
عَنتْ لك ساداتُ الشجَاعةِ والنّدى ومَن ذا الّذي يرنو إليكَ ولا يعنُو

وقوله : [البسيط]

لولا ثِقَالَةُ طبعٍ فيَّ أعرفُها وحدي وإن أغفَلَتْها خبرةُ الناسِ
لَزرت لا أجعل الأعيَابَ محمَدةً ولا أزال طُفَيليُّاً بإيناسي
لَكن علمتُ نَداي أنه خَلقٌ ومَاله غيرُ ترك النَّاس من آسي
واعذُر فشعْرِي كطبعِي لست أُنكرُهُ النَّفسُ نفسي والأنفاسُ أنفاسِي

وله : [الطويل]

فُرَخْشَاه عزَّ الدين مكتفلُ العُلا وباعثُ روحِ الجُود والجودُ دارِجُ
لئن حالَت الأقدارُ دون ازديارِه وسُدَّت بأعذار إليه المَباهجُ
فمَن ذكره عندي خَيالٌ مُسامرٌ ومن شَوقُه بين الجوانحِ لاعجُ
وكم عاشقٍ يدنو المزار وقلبُه يكابد أثقالَ النَّوى ويعالجُ

وقوله : [مخلع البسيط]

رُبَّ مليحِ الدلالِ غِرٍّ(٢) داني الهَوى صدرُه سليمُ
يسلِبُني عن ضنا فُؤادي وهو بأسبابه عَليمُ

---

(١) الوسمي : مطر الربيع الأول . اللسان (وسم) ١٥ / ٣٠٢ .

(٢) غِرٌّ: غير فطن . اللسان (غرر) ١٠ / ٤١ .

رغبت عنه إلى وِدادٍ على زوال الرِّضا يُقيمُ
محتضرٌ بالوفاء باقٍ يرنُمُ[1] رَضْواً ولا يَريمُ[2]
من ماجدِ الجودِ أريحيٍّ نصابُ آبائه كريمُ
معشَرُه في الوغى أسودُ وفي صميمِ العلا قَرُومُ
وفي الهَدَى والنَّدى ملاذُ فهم نجومُ وهُم غُيومُ

وله: [البسيط]

بدا النَّوى لكؤوسِ الوصل خادجةً ماراق إلا وللتفريق ترنيقُ[3]
يا من تكدَّر صفوُ العيش بعدَهم اليومَ أيقنتُ أنَّ الوصل راووقُ[4]
أستودعُ اللَّهَ ربعاً دون ساكنه لواحدِ العيشِ تغريبُ وتشريقُ
ولا سقى واصباً أصغو لزُخرُفِه فإنه غَمرُ الأحباب فاروقُ

وله: [الطويل]

بملكِكَ فخرَ الدينَ رثَّت ممالكُ تقضَّت بأطراف الرماحِ العدا عَنها
نَهَاها عن الرُّشد المخالف حقبةً فكنت له بالسَّيف عن غيِّه أنهى
بكَ اليمنُ الكبرى تضاعف يُمْنُهَا فما يبلغُ الوصلُ المحيط لها فيها
يميناً لقد حازت بمجدك سؤدَداً على المدن أضعاف الذي حزتَه منها

وله: [الطويل]

ذريني وخَلقي ما أهمّ فإنني رأيت الذي أُقنو الذي أنا أبذل[5]
عجبت لمن ينتابُه الموتَ غيلةً تروحُ به أو تغتدي كيف ينحَلُ

---

(١) يرنم: يطرِّب الصوت ويرجّعه. اللسان (رنم) ٥/٣٣٤.

(٢) يريم: يبتعد. اللسان (ريم) ٥/٣٩٤.

(٣) ترنيق: تكدير. اللسان (رنق) ٥/٣٣٣.

(٤) الراووق: الصفاء. اللسان (روق) ٥/٣٧٦.

(٥) أقنو: أكسب. اللسان (قنو) ١١/٣٢٨.

وهب أنه ممن مسحا الموتُ آمن ... مسرّته بالعيش لا تتبدل
أليس ترى أنَّ الذي خلق الورَى ... بأرزاقهم ما عمّروا يتكفَّلُ

وله: [الخفيف]

أرعَيناً بكَت بدمعٍ فعيني ... عوضَ الدَّمع قد بكَتْ بالسَّوادِ
أعوَزَتْني الدَّواةُ عند كِتابي ... فأقامتهُ لي مقامَ المِدَادِ

وله: [الخفيف]

لا مَني في اختصار كُتبي حَبيبٌ ... فرَّقت بينه الليالي وبيني
كيفَ لِي قد أطلتُ لكنَّ عُذري ... فيه أنّ المدادَ إنسانُ عيني[1]

وله: [الخفيف]

أيها الغمُّ هَل بِذَا القَلْب فرحه ... من غضوبٍ مازلتُ أطلبُ صُلحَه
يتجنّى ظلماً ويمزح بالهجـ ... ـر ومَن ذَا يُطيقُ بالهجر مَزْحَه
كُلَّ يوم يجني ذُنوباً وعُذري ... واقفاً يرتجي رِضَاه وصَفْحَه
طَالَ ليلي مذْ غِبْتَ عنه فما ... (م) أبصرُ إلاَّ يومَ التَواصُلِ صُبحَه
لاَ مَني فيه نَاصحٌ غيرَ أنّي ... لَستُ ذا سَلوةٍ فأقبلُ نصُحَه
ما ألذَّ القَبولَ لو نفَحتني ... بالهَنا من عُلا فرَّخشاه نَفْحَه
مَنَحتني خِدمةُ عليَاه فكا ... نتْ لديَّ أشرفَ منحَه
أخَرسَتني عن مَدحه بلسَاني ... ثم أملتْ من حُسن حَاليَ مَدحَه
لم ترَ النَّفسُ فُرجَةً من سُرورٍ ... في بعَادي ولا رأى الجِسمُ صِحَّه
بِكَ أبصرتُ حُسنَ وجهِ زمَاني ... حينَ غيري رأى بغيرك قُبحَه

وله: [الطويل]

---

(١) إنسان عيني: إنسان العين: ناظرها، والمثال الذي يُرى في السواد. اللسان (أنس) ١/٢٣٣.

أيا مَالِكِي رِقِّي وليس بفرصة لِنَفسيَ إني بَعدَ مِلكِي أُعتَقُ
لقد غشِيَتْني حَيْرةٌ في فِراقِكُم تَكاد لَهَا نفسُ التحمُّلِ تُزهَقُ
فواللّه ما أدري إذا ما ذَكَرتكُم وقد حال بُعدٌ بينَنَا وتفرُّقُ
أأعلِنُ بالشكوى إليكم من النَّوى وما فَعَلت إني إذَن مُتَمَلِّقُ
أأسكتُ أَي أنّي جليدٌ وصَابِرٌ على فقدكُم إني إذن متخلِّقُ
سلامٌ عليكُم من مَشُوقٍ لِسانُه بغَيرِ حَديثٍ عنكُمُ ليس ينطِقُ

وله: [الطويل]

أيا مالكاً يقُري صَوارمَ عَزمِه إذا حلَّ خطبٌ بالكَرامَةِ نازِلُ
أيُنكِرُ إن ماجَتْ بلادُك مَرّةً بزَلزلَةٍ تَرتَجُّ مِنهَا المنَازِلُ
وأنت الذي هدَّ الطُّغَاةَ بِبأسِه فَفِي كُلِّ قَلبٍ من سَطَاه زَلازِلُ
سَرتْ رَعدَةُ الأجسَامِ فِيمَا اعْتَرتَهُمُ إلى الدَّارِ منهم فاعْتَرتْهَا الأكَافِلُ(١)

وله: [الطويل]

على جوجر(٢) من شاطئِ النيل منزلُ ....
به مَلِكٌ تُزهى الصوارمُ والقَنا به والوَغَى تُزهَى به والكتائبُ
عظيمٌ فلا تُرجى الطَوائلُ عندَه ولكنَّه تُرجى لَديه الرَّغَائبُ
جوادٌ بَكَى والبحرُ ينضُبُ خَجلَةً به وتحرّى أن تَصُوبَ السَّحائبُ
ومن عَبَرٍ أنَّ الأحِبَّةَ أهلُهُ وإنيّ عنهُ بالعَوائِقِ غائبُ
فِداؤكَ عزَّ الدين كلُّ مؤمِّلٍ لفَضلٍ وعنه من جَنَابِكَ جادِبُ
وهُنِّئتَ بالنَّجلِ السَّعيدِ الذي لَه تزقُّ من اليومِ العُلاَ والمَراتبُ
يلوحُ من المَهدِ المجلِّلِ ذِكرُه كما لاح نجمٌ في الدُجُنَّة ثاقبُ
فلازِلت للأحرارِ مَولى ومَوئِلاً تُحاذِرُ إلا في ذُراك العواقِبُ

---

(١) الأكافل: جمع كَفَل، وهو العَجزُ. اللسان (كفل) ١٢/ ١٢٨.

(٢) هكذا ضبطت في المخطوطة، وعجز البيت مطموس.

وله: [البسيط]

قُدَّستَ من مرتدٍ بالملك مؤتزرٍ ... بالكبرياء ولكن بالورى رؤف
يشكو مطال الليالي كلما وعدت ... بأن تزيل وصالاً من نوى قذف
باللّه أحلف أيماناً مغلظةً ... واللّهُ يعلمُ حسنَ الصدقِ في حلفي
لو نلتُ في بُعدك الدنيا بأجمعها ... ما كان في حرزها بالبُعد عنك يفي

وله: [الطويل]

علقتُ بتسحار اللّواحظ فاتنٍ ... كأنّ بعينيه بقايا خماره
يُكسِّر إعراضي بتكسير طرفه ... إذا ظلّ طرفي حائراً في احوراره

وله: [البسيط]

لم يسأل اللّه من جلّى مواهبه ... إلا وكنتُ له في السُّؤل أوَّله
ولم يزُر بابكَ الأعلى ليخدُمَه ... إلاّ وقد رفضَ الأدمى وأهمله

وله: [البسيط]

بالله أحلفُ أيماناً مغلَّظةً ... وبالكتاب الذي يُتلى ويُعتقدُ
لو أن ألفَ لسانٍ لي أبثُّ بها ... شوقي إليك لما استوعبتُ ما أجدُ
وإن يكُن ابطأتْ يوماً مُكاتبَتي ... فما على مثلِ ودّي ذاك يُنتقدُ
أنا الذي ليس يُحصى ما أكابدُه ... من الصّبابة لا وصفٌ ولا عددُ
الصُّحفُ لا تسعُ الشّكوى فاذكُرها ... ولا المطايا بأعباء الهوى تجدُ
لَمْ يخلُ ربعُك من رُسلي ومن كُتُبي ... إلا وذكرُكَ مملوءٌ به الخلدُ
ولستُ أُنكر تقصيري على شغفي ... لكن على حُسْنِ ظنّي، فيك أعتمدُ

وله: [الطويل]

بنفسيَ من أعلقتُ ظنّي بحبله ... فأصبحَ لي من ذُروة المجد غاربُ
تعمّد إيناسي إلى أن ألِفتُه ... كأني له من ضجعة المجد صاحبُ

وأدنى سراري من سرائر قلبه فلم يبق من دون الضميرين حاجبُ
وكان عصا موسى لديَّ ودادُه أصلّي ولي ما عشت فيه مآربُ
ولا عجبٌ أن غيَّر الدَّهر صاحباً وكلُ تصاريف الزمان عجائبُ
وما كانَ ذنبي غير أني ذخرتُه لدهري إلا أنني للدهر تائبُ
ولستُ على هجرانه الدَّهر ناكباً على الودّ لكني على الوصل ناكبُ(١)
سأمنحُه هجراً كما هو مشتهٍ فإنّي فيما يشتهيه لراغبُ
وإن هُوَ بَعدي جرَّب النَّاسَ كُلَّهم ليحظى بمثلي قد رمتهُ التَّجارِبُ

وله أيضاً: [الطويل]

قدمتُ فلم أتركْ لذي قَدم حُكمَا كذلك عادى في العدا والنَّدى قدمَا
إذا وَطِىء الضِّرغامُ أرضاً تطانفت خُطا وَحشِها عنه فوسَّعها هزمَا(٢)
كَمَا مرَّ بازٌ بالفضاء محلّقٌ رأته بُغاثُ الطَّيرِ حتفاً لها حُمَّا
وإن أكُ في صدرٍ من العُمرِ شارداً فكَم نَفَرٍ عن همَّتي لَقنَ الهمّا
سَبَقتُ إلى غايات كلِّ فضيلة تعزُّ على طلاَّبها العُربُ والعُجمَا
وملَّكَني رقّ المناقب أنَّني أحطتُ بآداب الوَرَى كلِّها علمَا
فَما منصبٌ ممن ترقّت به العُلاَ ترى فرقه من أخمصي فوقَه وصمَا
أبى لي مَجدي أن يَراني شاعراً يُريه مَناناً أخذَ جائزة غُنمَا
ولكنَّني أهدي الثَّناءَ لأهله وأكبرُهُ عن أن أملِّكَه قُدمَا
فآونةً نثراً يحلُّ [به] الحيا وآونة تنشا العقولُ بها نظمَا
قريضاً هو السِّحرُ الحلالُ بيانُه تروق معانيه ولو ضمن الشَّتمَا
تعظّم إلا عن عَظيم محلُّه يعظّم ما فيه من الحكمة العُظمَى
هو الفضلُ في الإنسان أمّا أعزُّه فنقصٌ إذا ما سامَه الذلُّ والهَضمَا
ولَولا على المَلكِ الَّذي عزَّ مثلَه على الدهر فُرّخشاه ذي الشرفِ الأسمَى

---

(١) نكب: عَدَل ونحّى. اللسان (نكب) ١٤/ ٢٧٥.

(٢) تطانفت: غشيت وأشفّت. القاموس المحيط ٣/ ١٧٥.

لأظمـأني ثغـرُ المراد ولم أرد — به مَوردًا عذبًا ولا مَشربًا جَمّا
وَجـدتُ به مَن كنتُ لولا لقاؤُه — يئستُ لعَيني أن ترى مثله قَرْمَا
مَليكًا رأيت المجدَ والفهمَ عندَه — ولم أرَ خلقًا جمّع المجدَ والفهمَا
متى عزَّ أفرادُ المعالي فإنهُ — لأوّلُ من يُسمى وآخر من يُسمَى
إذا قولُه والفعلُ في ملّةٍ جرى — يبدّيه في الآراء مُقتضبًا حُكمَا
رأيت العقولَ الباهرات بهيرةً — فأفضلُها ما كان بالحكم مؤتمَّا
أرى فيه مولى كلَّ مولى رأيتُه — مناقبَ إلا عن نقيبته تُحمَى
يحاول كتمانَ العطاء بجُهده — ويأبى شروقُ الشَّمس أن يألف الكَتْمَا
تصوبُ على ظنِّ العُفاة يمينُه — كما أرعفَت في الحرب أرماحُه الصمّا
تناهى وغالى في الشّجاعة والنَّدى — فأقنَى الورى حربًا وأعناقُهم سُلمَا
حوى من أبيه فخرَه بعد جدِّه — ومن عمِّه الفخرَ الذي شاع بل عَمَّا
وباللّه ما احتاجَت مَفاخرُ نَفسه — إلى نسَب يُبدي أبًا، لا ولا عَمّا
رويدَك عزَّ الدين لم تبقَ همَّةٌ — ترقّى إلى حيث التقينا ولا وهمَا
مَلكتَ على الأملاك في كلِّ ساعةٍ — غدا عجزُهم عنها عليهم بها وَسمَا
وحُزتَ العُلا حتى كأنك أقسمتْ — سجاياكَ لا خلّيت منها لهم قسمَا
وأوتيتَ حكمَ الشَّيب في رَنَقِ الصِّبا — كما فُقتَهُم رأيًا ولم تبلُغِ الحُلْمَا
أقلْني من بعد المعاني ولفظِها — وخُذْ بيدي إن زلَّ فكريَ أو غمَّا
فقدرُك لا بَل ندَّ خاطرُك الذي — تَدقُّ معانيه إذا ما رمى أصمَى[1]
وأنتَ الذي لو سُمتَ كلَّ مهذَّب — يخافُكَ في فهم لسمَّيتهم ظُلمَا
ولستُ بمدحي تستزيدُ قُمامةً — ولكن لي من مدحك الشرفَ الفخمَا
بقيتَ على الأيام في ظل نعمةٍ — بها البؤسُ للطاغي وللطائع النُّعمَا
مراضيكَ تستدعي وراجيك يُرتجى — وعونك يُستعدى وغيثُك يستَهْمَا

(١) النَّدّ: يقال: نَدَّت الكلمة، إذا شذَّت. اللسان (ندد) ١٤ / ٨٩.

وله : [الطويل]

ومُـذ قـيـلَ لي تشـكُو سـقـام جُـفـونه تغـيّض بي وَجـدي وجفّ غَـرامي
فـقـيـرٌ غـريبٌ في المَناصِلِ حُـمـرَةٌ وغـيـرُ عَـجِـيبٍ في الجُـفُـون سَـقَـامُ

وكتب إليه ركن الدين الوهراني :

وصلت رقعة مولاي تاج الدين أطال الله بقاه بلفظ أحسن من نور يفتحه الصَّبا، وخط كبيض العطايا في سواد المطالب. يشهد مَن رآه وسمعه أنه رجلٌ عليُّ الهّمة، ريَّان من الحكمة والأدب. ولولا تفاضحه في أول لفظه فيه، وهي قوله: مانقبا، فإنّها وإن كانت فضيحة عربية نطق بها الكتاب العزيز فإنها تقبله الحركة قليلة الاستعمال، لم يأت بعدها ما يناسبها من اللغة، كأنّها من حديث سكان نجدٍ وتهامة، عليها روائح الشيح والقيصوم[١]. فلو أنَّ الشنفرى يخاطب عمر بن برّاق بها فما فهمها إلا بعد جهد جهيد. إنَّها لا ينطق بها اللسان حتى ينخلع منك الفك مع ما فيها من الندّ يصرم، والرفاعة المعجونة بالتبصرم ولأجل ذلك جاوبتها الألسن بأنواع من الضراط.

فصل منها :

وأما كلامه على بيت المتنبي فللّه درّه لقد جاءه ثابت الأصول سالم الفصول في نهاية ما يكون من الحسن والإتقان، وفرح الخادم به فرحاً عظيماً، كالخصِيّ المفتخر بإحليل مولاه، وعرضه على طالبيه من أهل الأدب، فانتقده عليه أفضلهم وزيّف أكثر كلامه. وقال: المتنبي في وادٍ وهذا المتكلم في وادٍ. لعمري لقد حكم بالشهوة ومال مع الهوى: [الكامل]

كضرائر[٢] الحسناء قُلنَ لوَجهِهَا حسداً وبَغياً إنه لدَمِيمُ

حتى سجد له عجباً، وقام به وجْداً. ورقص عليه طرباً. والفضل ما شهدت به الاعداء.

---

(١) الشيح والقيصوم: من نباتات السهل. اللسان (شيح) ٧ / ٢٥٤، (قصم) ١١ / ١٩٨.

(٢) ضوائر: من الضرر. اللسان (ضير) ٨ / ١٠٥.

فالحمد للَّه الذي حقَّق فيه الأمل، ونصر به الخاطر، ولم يخيِّب فيه الظنُّ والسلام.

فصل منها:

أليس يعلم بسعادته أن الإنسان إذا تعصب لايحسن العالم جعله أوحد الزمان، ونصر بخاطره بالحق الباطل. ولا يشتهي أن يظهر من ذلك الشخص إلا الحسن الجميل؛ فَلأجل هذا عيب عليه الخادم في قوله: تحرّك الحار العَزيزي وشاه ظهور ذلك ما كان يحتاج إلى تأكيد. وأظنُّه، ودام الله عزّه، خاف أن يقول: الحرارة العزيزية، فيشبه كلامه كلام العامة والسُّوقة، وكوادن(1) الأطبّة، وجهّال الطبيعيين، فتخطّى هذه الطبقة إلى رتبة الفارابي وابن سينا، فحمل على أفلاطون عشرة آلاف حمار. يامولاي تاج الدين لا تجرد على المدين الأنجس.

فصل: وأما تعريضه لخادمه بالقيادة وعتبه له على زواج النساء العواهر، فسيدنا معدود في ذلك؛ لأنه لم يذق حلاوة هذه الصناعة ولا تطعَّم بنعيمها. ولو أنَّه، أدام الله عزّه، خرج من بيته يوماً، ولم ينزل لبيته إلاثمن الخزَ والخبز، ورجع بعد ساعة وجد فيها المكائب الرفخة والسنبوسك المورَّد والفراخ المصوص، والدجاج المسمَّن والقناني المزوَّقة والفاكهة النبيلة، والرياحين الطريَّة، فيربع في الصدور، وجلس على بطون الفرش. وظهور المخادّ وهشم الثرائد، وفقء عيون البيض، وقطع قلوب الخسّ وأخذ الملآن وردّ الفارغ. واقترح الأصوات، واستعاد الغناء. ولم يخرج في هذا كلِّه إلا التغافل وحسن الحظ، وقلَّة الفضول لعشق هذه الحالة. ودخل فيها بجملته، وسأل الله تعالى أن يحييه قواداً ويميته قوّاداً ويحشره في زمرة القوادين. ويظن الخادم فيما يتلوه عليه من الأساطير كجالب التمر إلى هجر(2). وربَّ حامل فقه إلى مَن هو أفقه منه. [البسيط]

(1) كوادن: الكودن: البغل، أو البرذون الهجين. اللسان (كدن) ١٢/ ٤٨.

(2) هجر: بلد معروف بالبحرين. اللسان (هجر) ١٥/ ٣٦.

وابن اللَّبون إذا ما كَنَّ في قرنٍ لم يستطِع صولةَ البُزلِ القَناعيسِ[١]

ومهما فضّل من جهل النساء العواهر الحسان فلا يجهل أن أكل الحلاوة مع الناس خير من أكل الجزاء مفردا.

فصل: وأمّا اتّهامه للخادم بأنه استقرض منه البقيار[٢] للبيع أنّه استعرض به للطلب، فقد حلف على نفي التهمة، وهو لا يصدقه، فما بقي إلا الكلاب على عيال من رآه أهلاً لذلك قط. ويحمل الحمير على أم الذي يعطيه إيّاه أبداً. ولاشك أن الخوف على البقيار غلب عليه، حتى لو كتب إليه الخادم لا إله إلا الله. قال: هذا تعريض بالبقيار، كما قال تعالى: ﴿ يَحَسبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيهِم[٣] ﴾، إذا رأى غير شيء ظنّه رجلاً، فكيف يجوز للوهراني أن يطلب بقياراً جديداً من رجل بغدادي الحسب، تاجر المكتسب أشعري المذهب. كِنْدي الأصل. وهذه الخلال لا تجتمع في كريم قط. ألا ترى أن أول من اجتمعت فيه ملك كندة امرؤ القيس بن حجر، وهو القائل يوم دارة جلجل، وقد نحر ناقة تساوي ثلاثة دنانير لنساء فيهن محبوبته: [الطويل]

ويَومَ نحرتُ لِلعَذارَى مَطِيَّتي فَواعَجَباً من رَحلِها المتحمَّلِ
فظلَّ العَذارَى يَرتَمِينَ بِلَحمِهَا وشَحمٍ كَهُدّاب الدِّمَقسِ المُفتَّلِ[٤]

فلو كانت محبوبته عاقلة شحّمت وجوه العذارى بشحمها، وأدخلت ما بقي منها في استها. وهذا أبو الأسود الدؤلي شاعر مفلق، وهو أول من تكلّم في النحو. خرج ليلة من داره فسمع حماراً له يعتلف، فقال: إني لنائم في فراشي وأنت تسرّي[٥] في مالي؟ والله لا بقيت لي في مِلْك. وأصبح به إلى السوق فباعه بأبخس الأثمان. وهذا أبو الطيب المتنبي،

(١) البزل القناعيس: الإبل التي تمتنع عن السير وغيره. اللسان (قنعس) ١١ / ٢٤٤.
(٢) البقيار: الأتب،ولعلّه من اللُّبس.
(٣) المنافقون ٦٣ / ٤.
(٤) ديوان امرئ القيس ٣٣.
(٥) تسرِّي: تبدد مالي وتنفقه. اللسان (سرّى) ٦ / ٢٥٤.

شاعر كندي، لمّا أفرغت بين يديه الجائزه المشهورة، وأمر بردِّها إلى كيسها، فعلقت قطعة منها في خلال الحصير، فجعل يعالجها ويقول: [الطويل]

تبدَّت لنا كالشَّمسِ تحت غمامةٍ   بَدَا حَاجِبٌ منها وَضَنَّت بِحَاجِبِ

ولمّا ظفر بها، وخاف العتب من الحاضرين، قال: لا تحقروها فإنَّها تحضير المائدة. فكان عذره أنجس من ذنبه. ولو بيع هذا لطال، ودع عنك هذا كله لو كان الخادم ممَّن يهون عليه التبذل لكدي بني شادي الذين هم فتيان الجود وبرامكة الزمان، لا سيَّما المولى عزّ الدين أدام الله نعمته، الذي يمينه أندى من الغَمام، وعزيمته أمضى من الحسام، ووجهه أبهى من البدر ليلة التمام. وهو على الحقيقة نهر للجود من ماء السماء ابن بحر السماح. [الكامل]

وَرِثَ المكارِمَ من أبيه وَجَدِّهِ   كَالرُّمحِ أنبوبٍ عَلَى أُنبُوبِ[1]

وأي رجلٍ أخسُّ وأعتى من رجل يكدي الكندي الذي لقبه أبى أن يأخذ ويترك المولى عزّ الدين الذي لقبه أبو المواهب. وما هو في ذلك إلا كرجل ورد على هذا النيل فتركه ناحيةً، وحفر إلى جانبه في أرض صلبة سبخة كبريتية، لعلّه أن يَخرج له ماءً ملحاً زعاقا[2]، ويترك الماء العذب الزلال بغير كلفة ولا عناء. وأنشد: [المتقارب]

وإني وتَركي نَدَى الأكرمينَ   وقَدْحي بكفّيَ زنداً شَحَاحَا
كَتاركَةٍ بيضَها بالعراء   وملبسةَ بيضَ أخرى جَنَاحَا

كأني أدام الله عزّه إذا قرأ هذا البيت قال: أحسنت. وهذا ممّا كنّا فيه، لَمّا يئس من العبد رجع إلى المولى. واللَّهِ لا تَمَّ لي معي مضرب أبدا يئيس الأمن، كما ظنَّ. والوهراني ما هو مجنوناً يطْمع فيَّ فيمن يسمع قولك. ويرجع إلى رأيك، وأنت الغالب على أمر، امرأة الواهراني طالق ثلاثا البتة، لا آخذ منه درهماً أبداً. وأشهد أنَّ مالَه عليه حرام، كالدم والميتة ولحم الخنزير.

---

(١) أنبوب: ما بين العقدين من القصب والرمح، وقيل: كعب الرمح. اللسان (نبب) ١٤ / ١٠.

(٢) زعاق: ماء زعاق: مرٌّ غليظ لا يطاق شربه. اللسان (زعق) ٦ / ٤٥.

وأمّا تعريضه له بالصفع، فليته فعل حتى يستوفي ماله عليه، ويترادّ منه في الدنيا والآخرة. وهو أهون عليه من أن يستوفي ذلك منه في حَظيرة الجحيم بأنامل من نار. ورأيه العالي في التقاضي والسلام.

ومولد الكندي بكرة نهار الأربعاء، لخمس بقين من شعبان سنة عشرين وخمسمئة وتوفي يوم الاثنين لخمس خلون من شوال سنة ثلاث عشرة وستمئة.

ومنهم:

٤٢- ابن الشحنة الموصلي(*)

وهو أبو حفص عمر بن محمد بن علي بن أبي نصر. جدَّ في اعتنائه، ووجد في اجتنائه. مَاثَل الصباح باجتلائه، وقابل القمر اللَيَّاح في اعتلائه. كتب لأخيه، وكبَّ إلحاحاً إلى أضيق نواحيه. فسعدت به أصدقاؤه، وصعدت إذ علا به ارتقاؤه. وجهد في مقتبل عمره، وتلف شبابه في خضرِه وقطع الليل مواصلاً للسهر، وواصلاً عاتق العشاء بذيل السحر؛ حتى دعا بالإمامة وعُرف بالعلامة، وانتصب للإقراء؛ وإنما نُصِّب للتمييز لا للإغراء. فلم يحجب عن علياء، ولا مشى على استحياء؛ لفضله البارع وإفضاله المسارع.

ذكره ابن المستوفي، وقال: عالم بالنحو واللغة، أخذ ذلك عن رجال بغداد العلماء، مثل ابن الأنباري وأبي الحسن القصّار، وغيرهما.

وسمع كثيراً من كتبهما، وسمع عليه كتاب إصلاح المنطق. وكان ختم القرآن، وقرأ بمستعمل القراءات[1] وشواذّها. وكان بينه وبين أبي الحرم شحناء عظيمة. كان أبداً يفتري

(*) ترجمته في: بغية الوعاة ٢ / ٢٢٤، والنجوم الزاهرة ١٨ / ٣٣. توفي سنة ٦٠٦هـ.

(١) يقصد، القراءات السبع.

عليه ويأخذ من عرضه، وشيخنا لا يجيبه عن ذلك؛ لورعه ودينه.

وكان خبيث اللسان سيِّئ العقيدة، مقيماً على شرب الخمر. يتمثل إذا أَخَذ منه السكر: اليوم خمرٌ وغداً أمر. هجّاء لكل من صحبه. لم يحسن أحد إليه إلا وقابَلَه بالإساءة. كثير الاستهزاء بالأمور الدينية، كثير الخَلَطة لأوباش الناس والشرب معهم. رحل في صُحبةِ أبي إسحق إبراهيم بن عبد السلام إلى السلطان أبي المظفر يوسف بن أيوب، فمدحه فأحسن صلته. ولّما وصل إلى الموصل تنكّر له صاحبها أبو الفتح مسعود بن مودود. فلمّا ولي ولده أبو الحرث أرسلان بن مسعود أحسن إليه، وولاه بعض أعماله. وكان يحضر مجلس شرابه، فنُقل إليه أنه هجاه فلم يصدِّق ذلك لعدم الموجب له. فاتفق أن أمر بإحضاره وسأله عن ذلك، فأنكر، فأمر بضربه بالدّرة، فلما ضرب سقطت ورقة من عمامته، فيها الهجو الذي نقُل عنه، فشهره في الموصل بأسرها، وحلق لحيته وحبسه، فأقام مدَّة طويلة. ووُلد له بالحبس ولد وتوفي، كما ذكر المواصِلة[1] محبوساً.

قال ابن المستوفي: وحدثني أبو المهنّد سيف بن محمد الزيلعي قال: نزل بي إنسان بدوي، كان حبسه أتابك، أبو الحرث لما أسره مع مَن أُسر من العرب في وقعة كانت له عليهم. قال: رأيت في محبس الموصل رجلاً فاضلاً شاعراً، فسألته عن سبب حبسه، فذكر أنه حُبس لهجو بلغ عنه الأتابك. قال: ووالله ما هجوته؛ وإنما قلت قصيدة منها: [البسيط]

أعيذ مجدَكَ من قُدمٍ أقولُ له ... إني زهيرٌ ولكن ليس لي هَرِم

فحبسني كما ترى.

ومن شعره قوله: [الكامل]

طَرباً أقول إذا الحمامُ ترنّما ... عيشٌ لنا بالأنفقين تصرَّما

قَصُرت مسافته فكان كزائرٍ ... وافاك في سَنَة الرُّقاد مسلِّمَا

أشكَوتنا عِدةً تعيَّن كلَّما ... نهنهت فيض دموعها فاضت دَمَا

---

(١) يقصد بهم، أهل الموصل، مدينة في العراق.

فاعصِ اللوائم في هواك فإنَّما رشد المتيم أن يعاصي اللوَّما
واشرَبْ على زهر الربيع مُدامةً كالشمس تُبدي المرحَ فيه أنجمَا
أوَمَا ترى نوّاره وكأنه نشوانُ أصبح باكياً متبسِّمَا
رقَدَ النسيم بجانبيه فنبَّهتْ أنفاسُه منه عيوناً نُوَّمَا
وسَرى يُنمنمُ وشيَهُ فحسبته وافى بأخبارِ الأحبَّة نُعَّمَا
صَقَلَت حواشي روضِه فكأنَّه من حُسنه قدْ همَّ أن يتكلَّمَا
وكأنما ورقُ الحَمَام فواقدُ في الدوح يبكي النائح المترنِّمَا
تشدُو فتُخبر مُغرَماً عن مُغرَم فيها ويُفصِحُ مُعربٌ عن أعجَمَا
بدع كبَدع في السما حديثه كالغيث أنجَدَ في البلادِ وأتهَمَا
أضحت أغضَّ من الصبا وألذَّ من شكوى المحبِّ إلى حبيب أنعما
مَلكٌ له المجدُ القديمُ وكلَّما قدمتْ مباني المجد أصبحَ محكَمَا
متواضعٌ وأقلُّ ما يعتدُّه فيه التواضعُ أن يكون معظَّمَا
إن ضَاق دهرٌ كان مسرحُ هَمِّه رحباً وإن عيشُ الزمان تبسَّمَا
فإذا ارتقَى من قِلَّةٍ من سُؤدَدٍ هتفت به أخرَى لكي يَتقَدَّمَا
راضَ الخطوبَ الجامحات فاصبحت وأعاد منأدَ(1) الزمَان مُقوَّمَا
وتآلفت فيه القلوبُ فما ترى منهن إلا منبياً ومعظَّما
تتلو الصوارمُ والقناغبَّ القَنَا في كَفِّه مفلولة ومحطَّما
في كل أرض قد أقام لنَصره عُرساً ومن زادِ الأعادي مأتَمَا
تلك النواحي من نَصيبين غدت غَيرَى وأم النشر ثكلٌ أيِّمَا
فالجوُّ أكلفُ والجَنابُ لحربه مُجلٍ وضوءُ نهارها قد أظلمَا
جَورُ الصوارمِ في البرية عادلٌ فإذا سَفَكن دماً حَقنَّ به دَمَا
لا يدرك الآمال من يقتاده وَسَنُ التعلُّل نحو ليتَ وعلَّمُا
هذا النبي وكان أفضلَ مُرسلٍ زجرت قريشٌ منه طيراً أشأَمَا

(1) منأد الزمان: النأد: الداهية، وقصد دواهي الزمان. اللسان (نأد) ١٤/ ٥.

حُجِدَت نبوتُه فقام مُجاهداً ... وأعاد مشركَها حنيفاً مسلمَا
قطعوا له الرحم القرينة بينَهم ... عدداً وقاطع مثلها أن يرحمَا
وافى ابن عمك حَاسراً من كنزةٍ ... رأساً فراحَ من الهوان معمَّمَا
لا قى شكائمَ شدَّة من فارس ... رجَعت به مضمى وكان مضمَّما(١)
لا قى الأماني عذبةً حتى إذا ... ما ذاقَها عادَت أُجَاجاً علقَمَا
نجَّاه ما نجّى أباه وقد رأى ... طيرَ المنايا من عباده حُوَّمَا
متدفِّق لولا تمطِّره به ... لَرأيته بسنا الأسنَّة ملخمَا(٢)
لمّا رأى علمَيك ولّى معلناً ... بالويل منه وبالمذلة معلمَا
سُدماً تُذم له قوائم سابحٍ ... لو أنها غدَرت به لتذمَّمَا
لا يَغرينَّ به الملام فإنما ... يلقى المتيَّم أن يكون متيَّما

ومنها يطلب فرساً:

جُد لي بأجردَ إن تعرَّض خلتَه ... سيْداً تمطَّرُ في الدُّجى فتقحَّمَا
ينمي إلى آل الوجيه ولاحقٍ ... متلاحقِ الأقرابِ ليس بأهضَمَا
مثل الظَليم إذا تهادى مدبراً ... والظبي إن لاقيتَه متقدِّمَا
متناصبَ الأذنين تحسب أنه ... بُهما يحاول أن يَرى أو يُعلمَا
هَرِجُ الصهيل كأنَّما ترجيعُه ... ترجيع نشوانٍ غدا مترنِّمَا

ومن آخرها:

قيَّدتَ بالإحسان نطقي أن يُرى ... في غير حَمدك مُعرِقاً أو مشئِمَا
وحَميتني غدرَ اللئامِ فإن أعُد ... مرتادَهم فغدوت منهم ألأَمَا
فلقد نصبتُ من الثناء حباله ... فاصطدتُ حبَّك لي جواداً منعمَا
وعلمت أن الشكر عندك غرسُه ... يُضحي لمن أولاه غَرساً مطعِمَا

---

(١) مضمَّماً: من انضمام بعضهم لبعض. اللسان (ضمم) ٨ / ٨٨.
(٢) ملخما: اللخم: القطع. اللسان (لخم) ١٢ / ٢٦١.

كن مــعــدمــاً ومن المعــالي مُــقــرباً — من جــدَّ في العليــاء أصــبح مــعــدمــا
واســـمع أقـــامَت في جنابك دولةٌ — يخـشى لهـا البـؤسـا ونرجو الأنـعـمـا
مـــدحـــاً كنَور باتٍ يصـــقله الندى — ليـــلاً وباكَـرَه النسيم مـهـينـمَـا(١)
غـرّاً كـريم الأيد غـيـر مـصـونـهـا — إلا إذا ألِـفَت أغـــــرَّ مكـرَّمـــا
مـا صـافـحت فكرَ الفـصـيحِ ونطقَـه — إلا أعـــادته عَـيِــيًّــا مُــقــحَــمَـا
لو شـام رونقـهـا الوليـد جـفـالهـا — أمــحَلَّتي سلمى بكاظمـــة اسلَمَـــا
واسلم ليـــسلمْ كلُّ مـــجـــدٍ إنّه — لن تسلَمَ العليـــاء حـــتى تسلَمَـــا
شـــرّفت أبكارَ القـــوافي مـــثلمـــا — شـــرّفت دهراً كنت فـــيـــه القـــيّـــمَـــا

قال ابن المستوفي: نقلت من أوَّل مجموع بخطِّه ما صورته: لمّا أنفذ الله سبحانه وتعالى في سهام قضائه، وامتحنني في الدنيا ببلائه، ونظمني في سلك مَن غَبَر من أوليائه، ومن اجتباه من أنبيائه وأصفيائه الذين أنطق بمدحهم كتابه وأجزل لهم ثوابه. فقال: «وَلَنبْلُونَّكم حَتَّى نَعْلَمَ المُجَاهِدِين منكُم وَالصَّابِرين وَنَبلُوا أخبَارَكمْ(٢)»، مدَّت إليَّ الأيَّام باعها، وقرَتْني الأجداف ذراعها، وأدارت على كأس مدامها، وغرَّتني بابتسامها؛ فلم أُفِقْ من نشوتها ولا فقأت خمَّار خمرتها ألا وقد بدّلت بكل قريب بعيدا، وبكل وصل صدودا. وأصبح السجن لي منزلاً أهلاً، والأشجان لي مناهلا؛ حتى رمقتني من الله عين رحمته، وكنفتني ظلال رأفته، فأتاح لي جليسا، جعل الله بوحشة السجن به آنسة الربع والمربع، ومقر متارعه عذبة المكرع. يقصر الخاطر عن تعداد معاليه، ويقصر النطق عن إظهار معانيه. وما محاسن شيء كلُّه حسن؟

فاقترح عليَّ أن أجمع تذكرة ممّا يمليه الخاطر عليَّ، ونسخ به إليَّ، تكون له، إن مَنَّ الله تعالى علينا وعليه بفكاك الأسر؛ لمذاكرة أيَّام البؤس، والزمن العبوس؛ ليواصل حمدَ الله سبحانه على ما انجابَ من غمامها، وانجلى من ركامها. فأجبته إلى ذلك بصدر غير منشرح، وقلب غير فرح، والثغر يفتر، والأحشاء تحترق، والله المستعان وإليه الشكوى من كلِّ بلوى.

(١) مهيمنا: الهينَم: الكلام الخفي. اللسان (هنم) ١٥/ ١٤٨.

(٢) محمد، ٤٧/ ٣١.

وهو حسبي ونعم الوكيل. فانجدر ما يبتدي به ما يغنينا من وصف حالنا، وهو ما يقال في السجن قد قيل: إنَّ السجن محكُّ العقول وتجربة المأمول. به يمتحن الصبر من الأحرار، ويكشف العقل والوقار. وألطف ما قيل فيه قول بعضهم، وهو معلقة: [البسيط]

السِّجنُ أصبح مثلَ النار مَضرَمُه   والحرُّ فيه إذا فكّرت كالذهب
يصلى بنار هموم في جوانحه   تنفي المآثم من حسد ومن لَغبِ(١)

وبشعره أبيات ابن الجهم(٢) بين الناس لم يذكرها، وهي قوله: [الكامل]

قالوا حُبستَ فقلتُ ليس بضائري   حبسي وأيُّ مهنَّدٍ لا يُغمدُ

ولمعلقه: [البسيط]

لا عارَ في السجن للأحرار إن سُجِنُوا   لغير جُرم ولكن سجنهم شرفُ
فإنَّ آل رسول الله كان لهم   منه نصيب ولم يجنوا ولا اقترفوا
كالسيف والدرَّة الزهراء سجنهما   خوفاً وضنّاً بها الأغماد والصدف

قال: وكتب: بعض الأوقات منضجعاً في علوٍّ، كنت آوي أيَّام سجني بِقلعة الموصل، وإذا بحمامة تهتف في أعلى ذلك الموضع، فعرض لي طرب حزن، وجدت منه راحة بالبكاء. فقلت: لله درُّ غيلان(٣) كأنه أوحى إليه قوله: [الطويل]

فإنَّ انحدارَ الدمع يُعقِب راحةً   من الوجد أو يشفي نجيَّ البلابلِ(٤)

فعملت أبياتاً، وهي: [الكامل]

وحمائم غنيَّن في رأدالضحى   طرباً فقلت مقالةَ المحزونِ

(١) لغب: اللغب: الشيء الفاسد، والإعياء، والضعفُ والحمق. اللسان (لغب) ١٢/ ٢٩٤.

(٢) أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر بن الجهم، أحد الشعراء المجيدين، له ديوان شعر مشهور، وله اختصاص بجعفر المتوكل، توفي سنة ٢٤٩هـ. وفيات الأعيان ٣/ ٣٥٥،والبيت مطلع قصيدته في ديوانه،ص٤١ .

(٣) يعني الشاعر (ذو الرمة).

(٤) البلابل: وسواس الصدر. اللسان (بلل) ١/ ٤٩٣،وينظر:ديوان ذي الرمَّة،٥٧٥.

غنَّيْنَ فالوجد الذي تُبدينَه ... وجدي المكتَّمُ والشجون شجوني
ما جامدات الدمع كالجاري ولا ... حالُ الطليق كحالة المسجون

ثم كتبتها على حائط ذلك الموضع.

قال: ورأيت كثيراً من المتقدِّمين يحكون عن دعبل الخزاعي أنه كان يقول: أين من قولي أنا: [مجزوء الكامل]

لا تعجَبِي ياسلمُ من رجلٍ ... ضحك المشيبُ برأسه فبكَى(١)

وليس هو بأجود من غيره على أنه أخذه من قول الحسين بن مطير الأسدي:

تضحك الأرض من بكاء السَّماء(٢)

ولي في هذه المعنى: [البسيط]

أما ترى الروض قد حيَّاك مبتسماً ... لَمَّا استهلَّت عليه أعينُ السُّحبِ
وغنَّت الورقُ في أعلى الغصونِ ضُحَى ... حتى تمايلْنَ أعطافاً من الطربِ

ولي في الورد: [البسيط]

روض أنيق يروض العينَ منظرُه ... أتاك في خير وقتٍ غيرَ منعوتِ
كأنما الطَلُّ في أوراقه سحراً ... لآلئ نُثِرت في صحن ياقوتِ

ولي في الشقائق: [البيسط]

هذا الشقائق قد أبدت محاسنُه ... إلى العيون عُيوناً كلُّها دَعَجُ(٣)
كأنَّه فوق ساقٍ من زمرّدةٍ ... مداهنٌ من عقيق حَشوُها سَبَجُ(٤)

---

(١) ديوان دعبل الخزاعي، ١٠٦.

(٢) شعر الحسين بن مطير الأسدي، ٣١،وصدر اليت: كلَّ يوم بأقحوانٍ جديد.

(٣) دعج: الدعج: شدّة سواد العين. اللسان (دعج) ٤/ ٣٥١.

(٤) سبج: خرز أسود. دخيل معرَّب. اللسان (سبج) ٦/ ١٤٣.

ولي في الثلج: [المنسرح]

أمـا ترى اليـومَ قـد غـدا ثمـلاً من مستهل الغمام مخمورا
والجـوُّ في حُلَّةٍ ممسَّكةٍ ينثر فوق الرياض كافورا

ومن قصيدة: [البسيط]

رقَّ النسيم وراق الماء والراحُ وافترَّ من حُلل النوّار إصباحُ
هذا الربيع ينادينا علانيةً هبُّوا فقد هبَّ للأرواح أرواحُ
أما ترى الروض مهتز الغصون كما يهتز مَنْ ذكَرَ الأحباب مرتاحُ
فللغَمائم في إقطاره زَجَلٌ وللحمائم في أعلاه إفصاحُ
فاتبع ضَلال الهَوى فالرشد مرتبع لا ظلَّ فيه ولا روحٌ ولا راحُ
واشرب مشعشعةً كالشمس مشرقها على الندامى أباريق وأقداحُ
من كفِّ معتدل لا عدلَ فيه ولا لطالب النُّجح مَن أحيته إنجاحُ
لي من عَذارٍ به ريحٌ ومن فمه خمرٌ ومن خدِّه وردٌ وتفاحُ
هذا النعيم فعاد اليوم فيه فتى له على القصف إصرار وإلحاحُ
واعمد إلى من بجاتيلٍ[1] فإن به محاسناً لسرور النفس مفتاحُ
كم فيه من أشعث بادٍ سجومته تهفو لرتبته تلك الأكيراحُ[2]

ولي في هذا الدير، والله يتجاوز عمّا عثر به اللسان، وأسأله الصفح: [الكامل]

يامن بجاتيل وإن بَعُدَ المدى سقِّيت صوب سحائب وبوارقِ
يا حبَّذا نوّار روضك إذ غدا يفترّمن دمع الغمام الدافقِ
معنى خلعت به العذار تصابياً في غَنْج أحداقٍ وزهرِ حدائقِ
أيام أَجري في ميادينِ الصِّبا متخايلاً جري الجَموح السابقِ
أجتاب ثوبَ ظلالها فكأنني ما بينَها طيفُ الخيال الطارقِ

---

(١) جاتيل: اسم موضع.

(٢) الأكيراح: بيوت ومواضع تخرج إليها النصارى في بعض أعيادهم. اللسان (كرح) ١٢/ ٦٢.

ألهو بنشوانِ القوام بوجهه شغل الخلي ونزهة للوامقِ[1]
مازلت أسقيه ويسقيني إلى أن شيَّبَ الظلماءَ وخطُ السَّارقِ
كأساً إذا الساقي اجتلاها في الدُّجى جَعَلت على خدَّيه ثوبَ شقَائقِ
طوراً أناشده النسيبَ وتارةً يشدو فيطربُني بلحن مخارقِ
حتى رأيت السُّكر يخفض صوته وبدا النُّعاس يحل عقدَ عقائقِ
فلثمته عند الكرى فإذا به سلسُ القياد مطيَّةُ للفاسقِ
فجرت هنالك في مطاوي سرِّها مرضاة إبليس وسخطِ الخالقِ

قال ابن المستوفي: ونقلت من مجموعه المذكور بخطِّه ولمعلِّقه: [الكامل]

يا من يدكُ على كريم في الورى حتى أملّكه كرائمَ مالي
هذا الزمان إذا تيمَّم[2] آملٌ أحداً يعود مخيّب الآمال

ومنه قال مُعلقهُ: كان لي في عنفوان الشبيبة وزمن اللهو صديق كنت آنس به ويأنس بي، ويطلعني على الخاص من سرِّه. وكان من أولاد الكتَّاب، فهوي صبياً من أولاد الجند. فكنت إذا ذكرته عنده يضرب عن ذكره صفحاً، ويقول متمثلاً: [الطويل]

ودع عنك نهباً صِيْحَ في حُجُرَاتِه ولكن حديثاً ما حديثُ الرواحل

وان قلت له ها هو قد أقبل انظر إليه، يلوي وجهه عني. ومع هذا كله فكان به كلفاً، وكنت أعلم ذلك منه. فقلت له يوماً وَقد خرجنا إلى بعض الرياض للخَلوة: ما أبردَ حبَّك لمن لا يعلم به، ولا تعمل الحيلة في الوصول إليه، والجلوس معه؛ حتى إنَك تضرب عن ذكره، وتكفُّ نظرك عنه إذا قيل لك: قد أقبل.

فقال لي: يا هذا، إنَّ غرامي به لأحَرُّ من لظَى على ساكنها، ولكن أخاف الفضيحة. وإن يفطن به الناس، أو أني أنظر إليه فيستحي مني. فإن نظر إليَّ قتلني لا محالة. فأريد أن

(١) الوامق: العاشق من غير ريبة. اللسان (ومق) ١٥ / ٤٠٩.

(٢) ورد في المخطوطة: (إذا يتم). والأفصح هو: تيمَّم، بمعنى: قصد.

تعمل في هذا المعنى شيئاً. ثم قال: أزيدك شيئاً إنني لأضرب عن الفكر؛ لتوهمي ربَّما خطر ذلك بباله فيخجل منه.

فقلت له: يا سيدي، وإلى هذه الغاية؟ فقال: نعم. فعملت هذه الأبيات: [البسيط]

إني لأنساه خوفاً أن يلمَّ به فكري فيخرج منّي الفكر خدَّيه

وأمنع الطرفَ يوماً أن يلاحظه فإنَّ سهم المنايا بين عينيه

هذا اعتذاري لخدَّيه ومقلته فما يكون اعتذاري من عَذَاريه

قال معلِّقُه: كتبت إلى بعض إخواني في يوم دجن، وكان قد وقع فيه الميلاد، واتَّفق أنه يوم سبت، ولم أقدر على الخروج من منزلي من كثرة الوحول والمطر، وشدَّة القُرّ. حبانا الله بلقيائك، وأحيانا ببقائك يوم طلعت سعوده وغاب حسوده، وتبرقعت بدُجنِّه شمسه، وانهزم من طلائع إقباله نحسُه، ورقَّت حواشيه، أمِنَّا رُقى واشيه. لم يقترح مثله على الدهر مقترح، ولا ظفر بشكله مغتبق(1)، ولا مصطبح. [البسيط]

سَبْتٌ ودَجْنٌ وكانونٌ وميلادُ وماجنُ لرياض اللهو مرتادُ

وقهوة مِن محيَّا مَن كَلِفت به أو كاعتقاد خليع فيه إلحادُ

رقَّت وراقت فخلنا أنها شفق ملألئٌ في نواحي الكأس وقّادُ

تذكو فيطفئها بالمزج آونةً عنّا ويجمح أحياناً وتنقادُ

يسقيكها ذو دلال في لواحظه برءٌ وسقمٌ وموعود وإبعادُ

ومجلس ظل محفوفاً بأربعةٍ تآلفت وهي في الأوصاف أضدادُ

فالبرقُ مُبتسم والغيث منسجم والورق نائحة والغصن ميَّادُ

فوافيادار تشويق يَحط به مُوَسْوسٌ همُّه نسك وإرشادُ

فليس يحظى بصفو العيش غيرُ فتى يفنى بطالبه غيٌّ وإفسادُ

ولا يصاحبْكَ من هذا الورى أحدٌ إلا خليعٌ وخمّارُ وقوَّاد

عصَابة رَغِبَت فيما تعجَّل من هذي الحياة وفيما قيل زُهَّادُ

(1) مغتبق: الغبوق: شرب آخر النهار. اللسان (غبق) ١٠ / ١٤.

وقال معلِّقه: [الطويل]

سلوتك إن حدَّثت نفسي بسلوة لحبِّك مذ حدَّثتَ أني هائمُ
وأصغيت نحو اللؤم إن كان مسمعي تغلغل فيه ما تقول اللوائمُ
أتيتك وجداً إن تلجلج منطقي به أفصحتْ عنه الدموعُ السواجمُ
فإن هيج ذا الشوق الحمائم في الضحى فمنّي استعارت شجوهنَّ الحمائمُ

وفي آخره عند خاتمته هذه نَفَسُه مصدور، وضجره مأسور، علقتها ولم أعد فيها نظري، ولا عددتها من مهام وطري؛ لأنني مثمود القريحة، دامي الجريحة، مأسور الخاطر والبدن، مشغول بصروف الزمن، وعلى الله، وهو المستعان.

وقد أورد ابن المستوفي من شعره قوله يمدح السلطان صلاح الدين رحمه الله: [الطويل]

سلامٌ مَشُوقٌ قد براه التشوُّق على الحي من وادي الغضا إذ تفرّقوا
أأحبَابَنا كيف التداني وركبُكُم غدا مشئماً حقاً وركني مُعرِقُ

فلمَّا بلغ من مديحها قوله:

وقالت لي الآمال إن كنت لا حقاً بأبناء أيُّوبٍ فأنت الموفَّقُ

قال له السلطان رحمه الله: لقد وفّقت، وأجازه جائزة سنيَّة. فكان هذا ممَّا نقمه عليه أتابك، وأثرَّ في حاله عنده.

وقال ابن المستوفي: أنشدني ابن بكاجك، قال: أنشدني ابن الشحنة لنفسه، وأتمَّها على أبيات الصوري التي أوَّلها: [السريع]

ياجار إنَّ الركب قد جارُوا فاذهب تحسَّس لمن النارُ
تبدو وتخبو إن بدت عَرَّسوا(١) وإن أضاءت لَهُمُ سارُوا
كأنها برق بذات الغضا تبدو ودون البرق أستارُ

---

(١) عرّسوا: عرَّسوا إذا نزلوا أوّل الليل. اللسان (عرّس) ٩ / ١٣٢.

عمرك إن آنست من أهلها ... فالمم بنا نحوك يا جارُ
لعلّها النار التي أضرمت ... في كبدي من أجلها النارُ
يطربني الشوق إليها جوى ... بطَرَبٍ نحو النَّوى ظارُ
ويطّبيني لادّكار الحمى ... شيئان أوطان وأوطارُ

قال: وأنشدني بعض المواصلة لابن الشحنة: [الكامل]

صلى الإله على أميةَ إنه ... بصلاتهم تتمحّضُ الآثامُ
قوم هم القوم الألئ أيامهم ... عن ثغرها تتبسَّم الأيامُ
لا مثل أقوام غدوا من هاشم ... ما سُلَّ فيهم للفَخَار حسامُ
أما النهار فسامدون[1] ودأبهم ... تحت الدياجي الفسق والأزلامُ
الفضل نزرٌ والمثالب جمةٌ ... والذمُّ حلٌ والثناء حرامُ
إن كان قائمهم يضاهيهم فلا ... نشرت له بين الورى أعلامُ

قال ابن المستوفي: وزاد فيها من أنشدني:

لا تفخروا بموالد فبعض ما ... تاقوا به تتقطع الأرحامُ

قال ابن المستوفي: أخبرت أنه توفي بالحبس في قلعة الجديدة سنة ست وستٍّ مئة.

ومنهم:

٤٣- أبو زكريا يحيى بن سعيد بن المبارك(*)

ابن علي بن عبد الله، من وِلْد أبي اليسر كعب بن عمرو الأنصاري. همُّه بقية الأُولى، ورمية العلا. معدود في أبناء الصحابة، وممدود له في الإصابة. قلَّ قريناً، وقرّ؛ إذ كان بيته عريناً. لم يستطع دفاع سيله، ولا رفع شراع ليله.

(*) ترجمته في: بغية الوعاة ٢ / ٣٣٤. توفي سنة ٦١٦هـ.

(١) سامدون: السمد: اللهو. اللسان (سمد) ٦ / ٣٥٦.

رمت به أرومته[١] على السما، وسقت جرثومته[٢] طيب الما. ولم يحل معه قداحا، ولا عنت سواه امتداحا. وساق ابن المستوفي نسبه، وقال: يخرج على أبي الحرم. وكان نحوياً جيداً فيه ذكاء. ورد إربل ثم عاد إلى الموصل. بُشِّر به أبوه وقد أسنَّ. فقال: [مجزوء الرمل]

قيل لي جاءك نسل وُلدُ شَهْمٌ وسيم
قلت عزُّوه بفَقدي وَلَدُ الشَيخِ يَتيم

ثم توفي أبوه وهو صغير، فلمّا كبر انقطع إلى أبي الحرم، فأخذ عنه النحو، وصرف إليه عنايته مراعاة لحقِّ والده.

وأنشد ابن المستوفي أشعاراً منها، قوله: [البسيط]

ما البدر حسناً يضاهي مَن خلُقت[٣] به ولا القضيب اعتدالاً حين يعتدلُ
كم يعذلون[٤] عليه لا أبا لهم وكم يلومون لا لاموا ولا عَذلُوا

قال: وبلغتني وفاته في ربيع الآخر سنة ست عشرة وستمئة.

ومنهم:

٤٤- أبو البقاء، يعيش بن علي بن يعيش[*]

ابن أبي السرايا الموصلي الأصل، الحلبي المولد والمنشأ، موفق الدين المعروف بابن الصانع. رجل يورد منه النيل والفرات ودجلة والصرات، ويقابل منه الأسد الضرغام، والذهب إلا أنه

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٤/٣٩، وإشارة التعيين ٣٣٨، والبلغة ٢٨٩، وطبقات الشافعية ٢/١٤٨، وبغية الوعاة ٢/٣٥١، ووفيات الأعيان ٧/٤٦. توفي سنة ٦٤٣هـ.
(١) أرومته: أصله. اللسان (أرم) ١/١٢٤.
(٢) جرثومته: أصله. اللسان (جرثم) ٢/٢٣٢.
(٣) خلُقت به: كلفت به، صرت جديراً به، أحطت به. اللسان (خلق) ٤/١٩٧.
(٤) يعذلون: العذل هو اللَّوم: اللسان (عذل) ٩/١١١.

الذي لا يسكن الرغام[١]. هذا وغصنه في ورق شبابه، وطيبه يعبق في جلبابه. وازداد حين نوَّر أقاحَه، ودرَّ درُّه ولقاحه. واشتعل رأسه بالمشيب وراع العيون لباسه القشيب. وساوى النجوم ولم يبلغ حدَّ الارتقا. ومات وهو يذكر، أبو البقا.

قال ابن خِلكان: قرأ على أبي السخاء الحلبي والنيروزي، وسمع الحديث على أبي الفضل الخطيب الطوسي، وابن سويدة التكريتي والثقفي والطرسوسي، وخالد ابن القلسواني وأبي اليُمنِ الكندي وغيرهم. وحدَّث بحلب. وكان ماهراً في النحو والتصريف.

رحل إلى بغداد؛ ليدرك أيام [أبي] البركات ابن الأنباري بالعراق، فأتاه في الموصل خبر وفاته. فأقام بالموصل مُدَيدَة، ثم عاد إلى حلب وتصدّر للإقراء. وكان حَسَنَ التفهيم لطيف الكلام طويل الروح على المبتْدئ والمنتهي، خفيف الروح ظريف الشمائل، كثير المجون مع سكينة ووقار.

حكى ابن خلكان، قال: حضرت يوماً حلقته وبعض الفقهاء يقرأ عليه اللُّمع لابن جني، فقرأ بيت ذي الرمَّة في باب النداء: [الطويل]

أياظبية الوعساء[٢] بين جلاخل وبين النقا آأنت أم أمُّ سالم[٣]

فشرع الشيخ يبيّنه، ويقول: إن هذا الشاعر لِعِظَم وجده بهذه المحبوبة وكثرة مشابهتها للغزال شبهاً غلبه الحال، هل هي امرأة أم ظبية؟

وبقي يعيد هذا القول ويكرّره؛ ليفهمه الفقيه، وهو منصب، فقبل على كلام الشيخ بكليته؛ حتى توهَّم الحاضرون أنه قد فهم. فلما فرغ الشيخ قال له ذلك الفقيه: يا مولانا، أيش في المرأة الحسناء يشبه الظبية؟ فقال الشيخ: قرونها وذنبها. فضحك الحاضرون وخجل الفقيه، ثم ما عدت رأيته حضر مجلسه.

---

(١) الرغام: التراب. اللسان (رغم) ٥/٢٥٩.

(٢) الوعساء: السهل اللين من الرمل. اللسان (وعس) ١٥/٣٤٤.

(٣) ديوان ذ الرُّمَّة، ٧٠٠.

ولد لثلاث خلون من رمضان سنة ثلاث وخمسين وخمسمئة بحلب، وتوفي بها في الخامس والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وستمئة. ودفن بتربته بالمقام[1].

ومنهم:

٤٥- أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الدَّولي[2]

ثم المصري، الفقيه المالكي المعروف بابن الحاجب[*]، جمال الدين. فاضل أحسن في كل فنونه، وأحسب من داء الدهر وجنونه. شدَّ جلابيبه للطلب واتّزر وقدَّر، ولا عجب إن مدَّ البحر وجزر، ولم يزل في جدٍّ يتزيَّد، يزيد الأهلَّة، ويتعهَّد تعهُّدَ السحب المستهلَّة؛ إلى أن قَّوض الدجى وأعجب، ورمَّض الثرى فأعسب[3]، فذلَّلَ أعناق الكلام، وفتَّق أخبية الكمام. وكان قديراً على الاختصار، مدبِّراً للعلم على ما يريد من الاختيار فكلف بتصانيفه حذّاق المتكلمين، وجاء وفاق المتعلمين.

قال ابن خلكان: كان والده حاجباً للأمير عزّ الدين موسك الصلاحي، وكان كردياً، واشتغل ولده بالقاهره في صغره بالقرآن الكريم، ثم بالفقه على مذهب مالك، ثم بالعربية

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٤ / ٤١، وبغية الوعاة ٢ / ١٣٤، وإشارة التعيين ٢٠٤، والبلغة ١٤٠، ووفيات الأعيان ٣ / ٢٤٨، ومعجم المؤلفين ٦ / ٢٦٥. توفي سنة ٦٤٦هـ.

(١) وفيات الأعيان، ٧ / ٤٦.

(٢) ذكره السيوطي بـ(الدُّوَيني). بغية الوعاة ٢ / ١٣٤.

(٣) أعسب: ساد، ومنها: اليعسوب، وهو السيد والرئيس والمقدَّم. اللسان: (عسب) ٩ / ١٩٧.

والقرآن وبرع في علومه وأتقنها غاية الإتقان، ثم انتقل إلى دمشق ودرس بجامعها في زاوية المالكية. وأكبَّ الخَلق على الاشتغال [عليه][1] والتزم لهم الدروس، وتبحَّرَ في الفنون. وكان الأغلب عليه علم العربية. وصنّف مختصراً في مذهبه، ومقدّمة وجيزة في النحو، وأخرى مثلها في التصريف، وشرح المقدمتين، وصنّف في أصول الفقه وكلّ تصانيفه في نهاية الحسن والإفادة. وخالف النحاة في مواضع، وأورد عليهم إشكالات وإلزامات تبعِّد الإجابة عنها، وكان من أحسن خلق الله ذهنا. ثم عاد إلى القاهرة وأقام بها، والناس ملازموه للاشتغال عليه. وانتقل في آخر عمره إلى الإسكندرية للألفة بها، فلم تطل هناك. وتوفي بها يوم الخميس، سادس عشر شوّال سنة ست وأربعين وستمئة[2]. ومولده بأسنا في أواخر سنة سبعين وخمسمئه.

ومن شعره قوله: [البسيط]

إن غُبتمُ صورةً عن ناظِرَيَّ فما ... زلتم حضوراً على التحقيق في خَلَدي
مثلُ الحقائق في الأذهان حاضرةٌ ... وان يُرِدْ صورةً من خارج يَجِدِ

وقوله في المعنى: [الخفيف]

إن تَغيبوا عن العيون فأنتم ... في قلوبٍ حضورُكم مُستمِرُّ
مثل ما قامت الحقائق في الذ ... هن وفي خارج لها مستقِرُّ

---

(١) نقلاً عن وفيات الأعيان ٣ / ٢٤٩.

(٢) وفيات الأعيان ٣ / ٢٤٨.

ومنهم:

٤٦ - ابن عدلان(*)

ابن حماد بن علي الموصلي عفيف الدين. شدَّ للطلب فما تراخى، وامتدَّ في أنفاق عمر وتساخى(١). فحمد عارُ إنفاقه، وكسد كلُّ سوق بنفاقه فأنس الحلم بعد نفاره، وارتوى من العلم حتى خرج من أظفاره. ولم يزل لتلك الأفاويق(٢) مرتضعاً، ولتلك التفاريق مجمعا. لا يدع فيها موضعا؛ حتى رأسَ وسادَ، وثُني له الوساد. فأمات حساداً، وبات وما أبقى فسادا.

قال ابن المستوفي: ورد إربل غير مرّة، وآخر ما وردها في شهر ربيع الآخر سنة أربع عشرة وستمئة من بغداد. وكان رحل إليها للاشتغال على أبي البقاء عبد الله بن الحسين وغيره، فأخذ عنه النحو. وكان قبل، فيما أظنُّ قرأ على أبي حفص عمر بن رافع الضرير. وكان بينه وبين أبي عبد الله محمد بن أبي الوفاء القيبطي العمري منافرة. وأورد له شعراً ليس بطائل.

وأنشد عنه لرجل من أهل الحلّة: [الكامل]

وكأن نمنمة العذار(٣) بخدِّه ... خطٌّ من الظلماء فوقَ صَباحِ
وكأن نَملاً قيِّدت خطواته ... في عارضيه فدبَّ في الأرواحِ

قال: ووجدت هذين البيتين في كتاب الخريدة، في ترجمة أبي الجوائز مقدار بن بختيار المطاميري(٤). ومن شعره فيه:

(*) ترجمته في: بغية الوعاة ٢/ ١٧٩. توفي سنة ٦٦٦هـ.

(١) تساخى: اتَّسع. اللسان (سخا) ٦/ ٢٠٨.

(٢) الأفاويق: مقدار ما بين الحلبتين. اللسان (فوق) ١٠/ ٣٥١.

(٣) العذار: الشَعر النابت. اللسان (عذر) ٩/ ١٠٥.

(٤) هو شاعر الدولتين المستظهريّة والمسترشدية، من (مطامير) ضيعة بحلوان العراق. (خريدة القصر، القسم العراقي ٢/ ١٩٥).

وكأن خيط عذاره لَمَّا بدَا   خيطٌ من الظلماء فوقَ صباحِ

قال: وأنشدنا لعلي بن محمد بن حسباني الكوفي، وكان عنده مع جماعة من الشعراء يداعبه: [البسيط]

داعبت وهناً فتى عدلانَ معتَمِداً   إيقاد سمعته لما دَجَا الغَسَقُ
فاصفرَّ ثم انثنى بالغيظ مشتغلاً   وأقبل الدمع من عينيه يستبِقُ
فَخلته شمعة أخرى وأقسم لو   لم أطْفِها كنت بالأنفاس أحترقُ

فقال ابن بطريق:

موفق الدين يا من في فَكَاهته   وفيه يحلو لعين الساهر الأَرَقُ
إنَّ ابن عدلان في إيقاد شمعَتِه   ما شأنه الغيظ من نحل ولا الحنقُ
لكن رأى الليل أولى أن يقضِّيه   في نيِّرات مَعانٍ منك تأتلقُ
لا شيء أحسنُ منها إذ بدت شغلاً   شيء ينظم فيها لؤلؤ نَسَقُ

قال: ومرَّ الكوفي برأس عين بعد مدة طويلة، فأنشد لنفسه في المعنى: [الطويل]

متى ما يصفْ ربع ابن عدلان متصل   بأبيض مطروق العشيات مُفضَلِ
دعَاني ملحّاً فاستحيت ومن يكن   أخا سَعَةٍ في النَّفس يُدعَ ويفضُلِ
فإذ كنتَ من سودِ النواحلِ سمعةً   إلى الدهر أبقى من شماريخ يذبلِ
توارثَها آباؤه عن جُدوده   وكانت قديماً عندهُم للتجُّملِ
أضاءت لنا وَهناً فأظلم وجهُه   وقال أُتذكَى شمعة عند مشعلِ

وذكره اليونيني في الذيل، وقال: كان عالماً فاضلاً أديباً مفنَّناً شاعراً، ومولده بالموصل في الخامس والعشرين من جمادى الأولى، وتوفي تاسع شوال سنة ست وستين وستمئة.

(١) خريدة القصر، القسم العراقي ٢/١٩٨.

ومنهم:

٤٧- أبو بكر ابن محمد بن إبراهيم
عزّ الدين الإربلي النحوي(*)

رجل سلك كلَّ سويّ، وملك كلَّ رويّ. ولَّف بيوت الشعر فصارت مدناً، ومدّت سجفها[١] على بيوت الشَعر ردنا. وأتمَّ مقاصد القصائد، وكثَّر قلائل القلائد. جاء بالأسنى، وحاز كالطيف إلى المقلة الوسنى، وهاجر من بلده حين اشتدَّ بها عظائم البلاء، وسُلّت يد الآلاء ونجا بنفسه؛ خوفاً أن يغشاه اللَّيل، وتخشاه في أحشائه اللِّيَل، فسلم من لفحتها وفرَّ وقد أفرجت له السيوف عن صفحتها. ففرَّ إلى دمشق وقرَّ بها. فلم يشق. ذكره ابن اليونيني[٢]، وقال: كان ديِّناً خيِّراً صالحا حسنَ العقيدة، كثير الذكر والتلاوة عارفاً بالنحو والعربية. عنده فضائل تامة بِحَلِّ المترجم، وله اقتدار على نظم الشعر. وتوفي بدمشق في ثالث عشر ذي القعدة سنة تسع وستين وستمئة.

وممّا أُنشد له من شعره قوله: [الطويل]

ومازال يرميني بكل بليَّةٍ ويُتحِفُني من هجره بالعظائمِ
إلى أن رماه الله بالحبِّ بغتةً وأصغر ممشاه إلى غير راحمِ
وقفت له كالمشتفي في طريقه وأنشدته بيتاً كضرب الصوارمِ
بَليتُ بما قد كنتَ تَبلَى بمثلهِ ولا ظالم إلا سيُبلَى بظالمِ

وقوله: [الوافر]

رفضتُ هواهمُ وسلوتُ عنهُم بلا جزع كذا فِعل الكرامِ

---

(١) سجفها: السجف: الستر. اللسان (سجف) ٦/ ١٨٠. توفي سنة ٦٦٩هـ.

(٢) هو شيخ بعلبك، الحافظ شرف الدين أبو الحسين علي بن محمد بن أحمد اليُونيني الحنبلي، توفي سنة (٧٠٢هـ). شذرات الذهب ٨/ ٦.

وها أنا قد هجَرت النوم كيلا | أرى منهم خيالاً في المنامِ

وقوله: [الكامل]

ومورَّدِ الوجنات معسول اللَّمى | يزهو كغصن التائه الميّاسِ
لما رأى وردَ الملاحة يُجتنى | باللحظ سيَّجَ خدَّه بالآسِ
عجباً له حمل الثياب وجسمه | كالماء كيف يضم قلباً قاسي

[وقوله][(١)]: [الطويل]

يريك سواد العين في صحن خدِّه | فيحسبه خالاً وليس بخالِ
وأعجَبُ مِنْ ذا أنَّ مِن رقَّةٍ به | يؤثر فيه اللحظ كيف خيالي

ومنهم:

٤٨- ابن مالك[(*)]

وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجيَّاني النحوي جمال الدين. مقيم أود[(٢)]، وقاطع لدد[(٣)]، ومزين سماء. موَّهت الأصيل ديباجتها، وشعشعت البكر زجاجتها. وجاءت أيامه صافية من الكدر، ولياليه وما فيها شابية من الكبر. قد حلقها العشاء بردعه، وخلقها الصباح بريعه. فطالت النهار غررا، وأمدّت الأنهار غُدَرا. فكأن كل مستعين حول مسجده، وكل عين فاخرة بعسجده. هذا وزمَرُ الطلاب وطلبة الأجلاب لا

(*) ترجمته في: البلغة، ٢٢٩، وبغية الوعاة ١/ ١٣٠، والأعلام ٧/ ١١١، ومعجم المؤلفين ١٠/ ٣٢٤. توفي سنة ٦٧٢هـ.

(١) لم يورد الناسخ كلمة (قوله) بين القافيتين؛ وإنما ذكرنا ذلك للتوضيح.

(٢) الأود: العوج: اللسان (أورد) ١/ ٢٦٠.

(٣) لدد: خصومة. اللسان (لدد) ١٢/ ٢٦٤.

تزال تزجــي إليــه القِلاص، ويكثــر من سـربه الاقتناص وكلها تفنن عيونـا، وتحسن أبكاراً وعُونا.

قال أبو الفتح ابن اليونيني: كان أوحد عصره في علم النحو واللغة العربية مع كثرة الديانة والصلاح والتعبّد والاجتهاد. وسمع وحدّث. وكان مشهوراً بسعة العلم والإتقان والفضل، موثوقاً بنقله، حجّة في ذلك. وله عدّة تصانيف حسنة مفيدة، وإليه انتهى علم العربية. ولم يكن في زمنه من يجري مجراه، وفي غزارة علمه ووفور عمله. وكانت وفاته بدمشق في ثاني عشر شعبان سنة اثنتين وسبعين وستمئة. ودُفن بسفح قاسيون، وهو في عمر الثمانين.

ورثاه ابن الظهير بقصيدة منها: [الخفيف]

أدرى الخطب من أصابت سهامه ... واستخفَّ الحلوم حزناً حِمَامه
أم درى زائر المنيَّة إذا قدْ ... م ماذا أذاقنا إقدامَه
بالإمام ابن مالك فُجع الديـ ... ن فغشّى ضوء النهار ظلامَه
بإمامٍ أفنى الليالِيَ والأيا ... مَ في البِرِّ والكتابُ أمامَه
خلَّدت ذكرَه الجميلَ علومٌ ... خلَّدتها من بعده أقلامَه
كم سقيمٍ من الكلام شفاه ... بعدما أيأس الأساةُ سقامَه
ومفهَّم من الدقائق ما أمـ ... ـكن منها الفهوم إلا اهتمامَه
خلَّف الفاضل الفريد أبا بشـ ... ـر وآنست أيَّامُه أيَّامَه
لو حواه ومَن تقدَّم عصر ... لأقرَّت بفضله أعلامَه
من لأهل الآداب من بعده ها ... دٍ إلى منهج الصواب كلامَه
فُقِدُوا راغمين منه أباً بر ... اً عطوفاً فكلُّهم أيتامَه
أولع النقص بالكمال فما ... أوجب هذا السرار إلا تمامَه

ومنهم:

٤٩- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح ابن الفضل البعلي(*)

الحنبلي. متدارك للدما، سالك سبيل القدما. نهج إليهم سبيلا، واتَّخذ لديهم قبيلا، ولم يرض من غيرهم قيلا، ولا في أكناف سواهم مقيلا. فما ترك من منهج، ولا أدرك إلا مَن أبهج. قيل إنَّه طالما بادر السهر والنهار ما ارتحل، والليل طَرفُه بالظلماء أول ما اكتحل. وقام ليلته وشُهُبُهَا قعود وفَجرُها لا ينتظر منه غير وعود. وكان على مثل هذا غَمْرَ نهاره الذاهب، وطول يومه إلى أن يلبس حلَّة الراهب. عائماً في نهره الطافح، ومحَلقاً تحت جانحه الطائح، إلى أن تقدَّم إماماً، وحاز الفضائل تماماً. وحدث ابن أبي الفتح، قال: حدثني صاحبنا الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد المولى بن خولان الحنبلي، قال: لمّا كنت ببعلبك، كنت بمقبرة باب سطيحة من مقابر بعلبك في جماعة من الناس، منهم رجل صالح اسمه إسماعيل بن يعقوب الإسكافي، فقرأ القرّاء سورة تبارك، وإسماعيل المذكور تجاهي واقف، ولم يكن به مرض، بل كان سويّاً. فلمّا سمع القراءة تغيَّر وجهه، إلى أن وصلوا إلى قوله تعالى: «إذا أُلقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهاَ شَهِيقاً وَهْيَ تَفُورُ(١)»، رفع يديه كالمصلّي، وخرَّ على وجهه وأنا أنظر إليه، فابتدره رجل فرفعه، فإذا هو ميِّت، ثم كان بعد سبت خرجت إلى المقبرة القِبلية في جِنازة، فلما وضع الميّت في القبر شرع القرّاء في سورة تبارك، وكان القمر ابن عزائم واقفاً تجاهي، فلمّا سمع القرّاء تغَّير لونه، فلما وصلوا إلى الآية المذكورة سقط على جنبه الأيمن، ولم يكن به مرض فابتدره رجل فَرفعه مسرعاً فإذا هو ميّت.

قال: فهاذان رجلان قتلتهما آية واحدة من كتاب الله. وأنا أنظر لمن يخبرني بذلك مخبر.

(*) ترجمته في: معجم المؤلفين ١٠/ ٢٢٥. توفي سنة ٧٠٩هـ.

(١) الملك ٢٧/ ٧.

ومنهم:

٥٠- أحمد بن سباع بن ضياء الفزاري(*)

الشافعي الخطيب، شرف الدين أبو العباس. رجل وُجد له إلى الخير ابتعاثا، وجدّ حتى علق الثريا رعاثا[١]. أعرف في فزارة، وأعتق إلى العلم قراره. وسكت فَطِنا، وسكن العلياء وَطَنا. ورَقِي المنابر فكان المنى بروائه، والريّ بأنوائه. فنوَّر البصائر، وصوّر ما إليه المرء صائر. هذا كله مع تجنُّب التعقيد، وتسلية الفقيد، والتبصير بالدنيا وغرورها، والتذكير بما ردَّ العقول إناثاً من عدم سرورها. ولم يزل على هذا حتى صار مثلاً من أمثالها العوابر. وواحداً من سفارها إلى أن حضر المقابر فلا تَسمع إلا همساً، ولا تطلع لهم إلى يوم القيامة شمسا.

كان من أكابر العلماء الفضلاء، بصيراً بالفقه، فرداً في النحو والعربية ومعرفة اللغة، ضابطاً محرّراً خطيباً فصيحاً، لسناً كيِّساً ظريفاً، دمث الأخلاق ممهِّد الأكناف. ليس بالجافي اللفظ، ولا بالشحيح، لكن إلى دين متين، وورع زائد، يحب الناس ويحبُّونه، ويليهم ويلونه. مَن أخذ عنه أخذ، ومن أخذ عن غيره أتاه عند الانتهاء ليأخذ عنه، وإن كان في غنى بما حصل؛ تشرفاً بالأخذ عنه والانتساب إليه. وكان على رأي أخي العلامة تاج الدين يحضر السماع، ويخرج إلى البساتين والمتنزَّهات، ويتمشّى تحت قلعة دمشق، ويقف على الخلق بها.

وربّما قعد كيّساً وتطرَّفا من غير كبْر يرفعه ولا تبذّل يضعه، ومن كان فوق محلّ النجم موضعه. وكان يحب الوجوه الصِباح، ويميل إلى الكلف بالملاح، مع عفاف يُشهد به، ويتقرّى الليل عن صاحبه. وكانت تجري بينه وبين أخيه تاج الدين نوادر ما تراشق بمثلها

(*) ترجمته في: طبقات الشافعية ٢/١٧٣. توفي سنة ٦٩٠هـ.

(١) رعاثا: الرعثة هي القرط، وجمعها رِعاث. اللسان (رعث) ٥/٢٤١.

الظرفا، ولا نُودم بشبيهها الخلفا.

وحكى لي شيخنا ابن قاضي شهبه، رحمه اللّه: أنه كان معه مرة في بستان دُعي إليه، فأقاموا به يومهم. فلما جاء وقت العشاء قدِّمت إليهم أنواع من الأطعمة، منها لَبَنيَّة، فلمّا أكلوا قال رجل هناك لأصحاب البستان: هذه اللبنية مليحة، بيِّتوها لنا عندكم إلى غد. فقال الشيخ شرف الدين:

لا والله لا كيد ولا كرامة بغد، إنها مليحة ما يبيتها إلا أنا ولا تبات إلا عندي.

وحكى لي المحبّر أبو القسم ابن مبشّر الحولاني، قال: لمّا شغُرت وظيفة الخطابة بدمشق تطلّع كلٌّ متعيّن إليها. فقال والدك: مالَها إلا الفزاري وعيَّنه. فلمَّا وصل التوقيع الشريف له بعثني به إليه، وهو لا يعلم، ففرح ثم قال: قل له يا سيدي قد وصلت الوريقة وبقيت الخريقة، يعني الخلعة. فأتيت والدك وبلّغته ما قال فضحك، ثم أمر بالخلعة فعينّت له وجهّزت إليه.

وحكى عنه اليونيني قال: حججت سنة خمس وسبعين وستمئة، فاجتمع في تلك السنة في الحج جماعة من علماء الأقطار: ابن العجيل من اليمن، وابن دقيق العيد من مصر، وأخي تاج الدين الفِركاح من الشام في ناس آخرين، فاجتمعوا في الحرم، وكان عبد السلام بن غانم الواعظ قد حجَّ من مصر، فجلس تجّاه الكعبة المعظمة وحضر أمير مكّة، وأمر عبد السلام بأن يتكلّم، فقال: الحمد للّه ذي القدرة التي لا تُضَاهى، والحكمة التي لا تتناهى، والقسمة التي لا يطيق خلق يتعدَّاها. ثم ذكر خطبته، ومنها في ذكر الكعبة المعظمة. فسبحان مَن شرَّف هذه البنيَّة واصطفاها، وجعلها حمى لمن حول حماها، وحرماً آمناً لمن وفّى عليه لما وافاها، ووجهةً لمن واجَهَهَا اتجاها، وأراد عندها جاهاً فهي التي هاجر منها الحبيب وما هجرها ولا قلاها، وما انقلب قلبُه إلى قبلة سواها حتى أُنزل عليه جبريل في آيات تلاها: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجِهكَ في السَمَاءِ فَلَنُوَلِيَنَّك قبلْةً تَرضَاهَا[1]﴾.

---

(١) البقرة ٢ / ١٤٤.

قوله: [الوافر]

فولِّ بوجهك الحسن المفدّى ... إليها حيث وجَّهت اتجاها
فإن أباك إبراهيمَ قدماً ... لأجل رضاك عنّا قد بناها
وإسماعيلَ طاف بها ولبَّى ... وطهَّرها لمشتاقٍ أتاها
هي البلدُ الأمينُ وأنت حِلٌّ ... فطاها[1] يا أمين فأنت طه
فهلّل عند مشهده عياناً ... وزمزم[2] عند زمزمه شفاها
فيا حجّاج بيت الله طوفوا ... بكعبتها ولَبُّوا في ذُراها
فهذا الفخر إن حاولت فخراً ... وهذا الجاه إن حاولت جاها

ومنهم:

٥١- كمال الدين عبدالوهاب بن محمد ابن ذؤيب الشهبي الشافعي

أبو محمد المشهور بابن قاضي شهبة[*]. حافظ بقية أحيا مواتها وحيي أمواتها. جهد دهره، وجهل مَن حسب يومه أو شهره. وجدٌّ لا يثنيه نهار يتوقد سعيره، ولا ليل يَملُّ منه سميره. وكان سواء عليه أقبل الصيف بقيظه، والحرُّ يتحرق صدره بغيظِه، وقد انتصبت حرباؤه وانتصفت من الليل حوباؤه[3]، أوجاء الشتاء يمدُّ مضارب غيومه ويقرر ضرائب عمومه. ويرشق نبال وَبله، ويربط خيط سحابه الناس في حبله؛ بل لا يزال على حالة واحدة في الحالتين وعدم استحالهِ في بلواهما الحالتين.

(*) ترجمته في: بغية الوعاة ٢ / ١٢٤، وطبقات الشافعية ١ / ٢٤، وشذرات الذهب ٩ / ٣٩٢. ومعجم المؤلفين ٣ / ٥٧، توفي سنة ٨٥١هـ.

(١) فطاها: هي من وطئ، يطأ.

(٢) زمزِمْ: الزمزمة هي الصوت البعيد له دويّ.

(٣) حوباؤه: نفسه، وقيل: الحوباء: رُوعُ القلب. اللسان (حوب) ٣ / ٣٧٦.

أخذ الفقه عن الشيخ تاج الدين، والنحو عن أخيه شرف الدين وغيره، وبرع فيهما، واقتصر من بقية العلوم عليهما. وعَرف بالنحو حتى صار دليلاً يُرشَدُ إليه، وعَلَماً دالاً عليه. كان يجلس بمسجد الجامع الأموي للاشتغال ويقرئ الفقه والنحو. وكانت الرغبة في أخذ النحو عنه أكثر، وكان به أشهر وكان على سعة فضله وكثرة فقهه لا يُفتي؛ تورعاً. وإذا أتاه مستفتٍ يقول له: رُح إلى فلان. وأكثر ما يدل على وَلَد شيخه، الشيخ برهان الدين. وكان معظماً في الصدور. أراده قاضي القضاة ابن صَيْصَري على أن ينوب عنه فامتنع، ثم طلبه شيخنا قاضي القضاة القزويني الخطيب لذلك فأبى. وكان عنده وسواس، لا يمسُّ كتاباً بيده ولا ورقة ولا غير ذلك. فإذا أراد إمساك شيء أمسكه بمنديل، أو بطرف ثوبه، ثم يغسله بعد ذلك في الغالب. وكان رجلاً ليّن الجانب حسنَ الخُلُقِ.

تحدث عن مشيخةِ الفزاريين، بما كان يجري بينهما من المحاورات الظريفة والمراجعات اللطيفة إلى غير ذلك ممّا هو مشهور عمّا كان يكون بينهما.

وأول ما قرأت النحو عليه في عنفوان العمر وأوان البداه. وكان يجيد التفهيم، ويقرِّب طرق التعليم؛ ولهذا كانت الرغبة إليه مصروفة، والطلبة عليه موقوفة.

حكى لي من غريب الاتفاق: أنه لما كانت نوبة مرج الصفر، وبقي الناس بين قائل: إنَّ السلطان خرج للقاء العدّو، وقائل إنه ما خرج، قال: فبينما الناس في ذلك، وأنا في مكاني بالجامع، وإلى جانبي النبيه أخذ رفقتنا في الاشتغال؛ إذ أتاني رجل يريد القراءة عليَّ، فشرعت اعتذر إليه بشغل الخاطر بما الناس فيه، ويأبى إلا أن يقرأ، فلمَّا رأى النبيه الحاجة عزم على أن أقرِئه، فقلت له: في أي شيء تريد أن تقرأ؟ قال: في كتاب الجمل للجرجاني وأخرج نسخته، فأخذها النبيه، وقال: نأخذ منها فألاً للناس، فقلت له: وأي شيء يكون في هذا الكتاب؟ فقالك لا بدَّ من أخذ فألٍ منه، ثم فتح الكتاب فإذا في أول الصفحة ما صورته، جاء زيد، وطاب الخبر، وذهب القوم. فاستبشرنا وقلنا: الله أكبر، جاء السلطان، وطاب خبر الناس، وذهب العدو وكان كذلك.

وحكى لي أن أباه القاضي شرف الدين كان كثيراً ما يقول: ياليت شعري ما في الأموات عاقل يرجع إلينا ويخبرنا بما جرى لهم. فلما مات جلسنا يوماً على قبره، فذكرنا ما كان يقول، فقال رجل من أصحابه كان حاضراً عندنا:

يا قاضي شرف الدين، أنت رجل عاقل وقد صرت من الأموات، فهلا رجعت وخبّرتنا بما جرى لكم؟ وإذا برجلين مارَّين على خيل لم يسمعوا كلامنا ولا يعرفهم منّا أحد، وإذا أحدهما يقول للآخر: تريد الصحيح، سلَّم إلى الأنبياء تستريح. فقال: هذا والله الجواب، وهذا أيضاً من عجائب الاتفاق، وهو من أول شيوخي الذين عليهم قرأت، ومنهم استمرأت، قرأت عليه النحو. ثم كان جلُّ استفادتي على قاضي القضاة ابن مسلم رحمهما الله تعالى.

ومنهم:

٥٢- الضياء العجمي

ذو جِدٍّ. عَدِمَ الانبساط وعدل على الأقساط، فعكف عليه وعرف ما لديه. ترقَّت أسارير مزنته، وصدقت تباشير منَّته. فأعاد العلم إلى أحسن حالِه، وجاد يخضّب أمحاله. وكان يأبى على الاستعجال بما يعجز على طول المجال؛ فلا يجسر أحدٌ على بحره، ولا يسعه إلى الاستسلام لسحره؛ ولهذا كانت الطلبة تبتدر فوائده بِدارَ الطير إلى طلب أقواتها، وتؤدي إليه الفرائض في أوقاتها. فكان الطالب لا يزال مغترفاً من نَهره، ولا يغتّربغيره متاعاً من دهره؛ إلا أنه عرض له هوى جذبه بأطواقه، وسلبه إلا من أشواقه، إلى بعض أبناء الأمراء بدمشق، فطار هواه بلبّه، وأذكى جواه بقلبه. وكان الصبّي يعرف بابن دِمرداش. وكان يعيِّر الغزال إذا التفت، ويغيّر الهلال محاسنه إذا اختفت. وكان على هذا الحسن ذا كَيَس ينتهب الأحشاء ويحدث الانتشاء فآل به حاله في عشقه وتملّكه له، حتى يئس من عتقه إلا أنه سلب عقله، وأهمل غفله، وسافر إلى مصر سفراً ساقه لحيَنْه، وسباه بطول بينِه. وكان قد تَمَّ

مقتله بسيف السلطان لا بالعشق وتسويل الشيطان. كان فقيراً متصوفاً بالخانقاه السميساطية. وكان يجلس للإقراء بالكلاشة، ويقرأ عليهم النحو واللغة. وكان أكثر إقرائه في مقدِّمة ابن الحاجب، وكان يحبّها. ويثني عليها ويقول: هي نحو ظريف، واستفاد به جماعة. وكان دمث الاخلاق حسنَ العشرة عشاقاً طامح النظرات. وأحبَّ في آخر عمره صبياً من أبناء الجند يعرف بابن الدمرداش. وكان له أخ أحسن منه، وكان يخرج إلى سوق الخيل فيقف به ليراه إذا مرَّ به في المركب، فقال له شيخنا ابن الزملكاني: يا شيخ ضياء الدين، لأيّ الآتيين أنت عاشق؟ فقال: لِغُلام، سمّاه.

فقال له ابن الزملكاني: يا شيخ ضياء الدين، فلأي شيء ما عشقت هذا، فاعشق أنت ذاك. فقال له: إذا أذنت لي عشقته. فقال له: أنت ما تحتاج إلى إذن. قال: ولِمَ قال لآذانك طوال؟

وكان يأخذ في يده حزمةً من الرياحين، ويطوف بها أكناف المدينة، فإذا رأى مليحاً أدنى إليه تلك الرياحين فشمَّمه إيّاها، فإذا عتب به أحد من الرجال، وذو اللِّحى، وقال له شمّمني قلب الحزمة وضَرَبَه بالعروق على أنفه. وقال له رجل يوماً بحضوري: أنت لا تزال في عشقةٍ بعد عشقة، فابتدرت منشداً قول القائل: [البسيط]

الحب أولى بي في تَصَرُّفِه — من أن يُغادِرَني يوماً بلا شَجَنِ

فصاح صيحة عظيمة، ثم قال: أحسنت. اطّلعت على قلبي، وقلت بلساني، ثمَّ خرَّ مغشيّاً عليه.

وأتى يوماً ديوان الإنشاء، ونحن به، وشيخنا شهاب الدين أبو الثناء محمود جالس، ونحن عنده، فلمّا رأى ما به من البلاء، وخروجه حيّز العقلاء أنشده: [الطويل]

يقولون لو دبَّرت بالعقل حبَّها — ولا خيرَ في حبٍّ يدبَّر بالعقل

فصاح صيحة شديدة، وقال: يا مولانا حبُّه جنَّة، ولم يزل يقولها إلى أن غاب عن صوابه، وسقط إلى الأرض مغشياً عليه، وبقي عامة نهاره ملقى على تلك الحال، ثم زاد به

الحال، فخرج سائحاً كالهائم على وجهه؛ حتى أتى مصر وكان له عكّاز يتوكأ عليه، وكان فيه سيف على عادة الفقراء المتجولين، فرأى نصرانياً نازعه في بعض الأمر، فاخترط السيف وضربه به، فأنهي أمره إلى السلطان وحمل عليه كريم الدين لتعصبه للنصرانية. ولم يزل به، حتى أمر السلطان به فقُتل، وكان قد أتى خبره الفقراء المتصوفة بمصر والقاهرة فجَسَروا وطلعوا إلى القلعة ليخاطبوا السلطان فيه، فما وصلوا، حتى قضي الأمر فأخذوه، وتولّوا غسله وتجهيزه، والصلاة عليه ودفنَه.

ومنهم:

٥٣- علي بن داود(*)

ابن يحيى بن كامل بن يحيى بن جبارة بن عبد الملك بن يحيى بن عبد الملك بن موسى بن جبارة بن محمد بن زكرياء بن كليب بن جميل بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي الحنفي، أبو الحسن نجم الدين الفجفاري. علامة عُلما، وعمامة سما، ولسان عرب وبيان أدب، وملقي دروس، ومبقي سحب عنبر على كافور طروس. وفارس منبر وغارس موعظة في قلب من بَرّ. عرض عليه منصب القضا فلم يقابله بالارتضا زهداً في منصبه وكرهاً أن يسرح في مجدبه أو مخصبه. هذا مع كيفٍ ممهد للمحاضر، ولطف منشط للمناظر، وحسن إقبال على الجليس وبشر، لولا أنه حنفي المذهب لما نظره بالبرق من يقيس. وكان ملجأً لمؤمل، ومنجى لسائر متحمل، وصار موئلاً يثاب ومؤملاً لديه حسن مآب، تتخذه الطلبة ثمالا وترد إليه خفافاً وتصدر ثقالاً. لم تزل تشدُّ به اقتقارها، وتوسق منه أوقارها[1]. ولم يبرح على هذا حتى أمسى بلدي المنايا، سلّواً ممزّعاً، وقسماً موزعاً، بعد أن كان إنسان عين، وآي جمال وزين. مزنه سحاب، ومزيُّه

(*) ترجمته في: بغية الوعاة ٢/ ١٦٦. توفي سنة ٧٤٥هـ.

(١) توسق أوقارها: تحمل أثقالها. اللسان (وسق) ١٥/ ٢٩٩.

صحاب. بَعُد مفرعاً وينشر أحسن من ثوب السماء مجزعا؛ ولكنها المنّيات وحوادث الدهر والبليَّات.

شيخ أهل دمشق في عصره، خصوصاً في العَربِّية. قرأ عليه الطلبة وانتفع به الجماعة، وله النظم والنثر والكتابة المليحة القويّة المنسوبة.

قال أبو الصفاء الصفدي(١): وله التبدير الحلو والتدريب الزايد، يكثر من ذلك في كلامه، ويشحن أشغاله الطلبة بالزوايد، ويورد لهم النوادر والحكايات الظريفة والوقائع الغريبة المضحكة. سمعته يوماً يقول لمنصور الكتبي رحمه الله تعالى: يا شيخ منصور، هذا أوان الحج، اشترِ لك منهم مئتي جراب، وارمها خلف ظهرك إلى وقت موسمها تكسب فيها جملة. فقال: والله الذي يشتغل عليك في العلم يحفظ منك جرابا قدْرُه عشر مرَّات.

وقال أبو الصفاء الصفدي: حكى لي نور الدين علي بن إسماعيل الصفدي، قال: أنشد الشيخ نجم الدين يوماً لغزاً للجماعة وهم بين يديه في الحلقة يشتغلون: [الرجز]

يا أيها الحَبرُ الذي　　علم العَروض به امتزجْ(٢)
ابنِ لنا دائرة　　فيها بسيط وهزجْ

ففكّر الجماعة فيها زَماناً، فقال واحد منهم: هذا في الساقية. فقال له: درت فيها زماناً حتى ظهرت لك. يريد أنه ثور يدور في الساقية.

وقرأ القرآن على ابن المطرِّز، وأخذالفقه عن ابن الحريري والصدر علي، وكذلك أخذ الفرائض عنه، وأصول الفقه والهيئة على ابن جماعة، وعن جلال الدين الجاري الأصول خاصة، والنحو عن الفزاري والتونسي، والبلاغة عن ابن النحوية، والمنطق والجدل عن السرَّاج الرومي. وسمع الحديث من ابن الدرجي وجمال الدين الزواوي وشرف الدين البارزي.

---

(١) صلاح الدين بن أيبك الصفدي، مؤرخ، أديب، ناثر، ناظم، توفي سنة ٧٦٤هـ.

(٢) عجز هذا البيت من الكامل.

كتبت إليه : [المنسرح]

من زاخــر البــحــر يُلقط الدررُ ومن فــروج الغــمــامــة المطرُ
ومن جَنى الدَّوح كلَّ مــانعــة كـأنها الشَّـهدُ واسـمـهـا النمـرُ
ومن بديع الرِّياض لاعــجبٌ إذا اجـتنى من خـلالهـا الزهر
ومن سَنا النجم كلٌّ لا مـعـة غــرّاً تجلّى بنورها البـصـرُ
نجم علـى هَدي وفـاض نـدى وهكذا النجم بل هو القـمـرُ
حَـبـرٌ أعـار الربيعَ حلَّتـه حـسـناً إلامَ هـذه الحَـبَـرُ[١]
مكمَّل والبـحـار تشـبـهـه لكنهـا من نداه تُخـتـصـرُ
فـواضل لا يُعـدُّ أيسـرُها والرمل في العـدِّ ليس ينحـصـرُ
زادت على حـاتم مكارمُـه مـا حـاتم عند جـوده بشـرُ
هذا عليٌّ وذو الفـقـار له من حلَّة اللفظ هذه الفـقَـرُ
فـتى قـريش ورأس سـؤددها مـا ضـرَّ رايتـه إن نأت مُـضَـرُ
لا يبلغ المدح فـيـه غـايتَـه أسـتـغـفـر اللّه حـيث أعـتـذرُ
من مـثله والسـمـاء مـوضـعـه والـزاهـر الـنجم رهـطُـه الزَّهـرُ
أنعِمْ بعيش النعـمـان حـيث أتى وهو له في الحـتـوف ينتـصـرُ
وقـوله الفـصل فـوق منبَـره لا الطول يُسيء به ولا القـصـرُ
لو يحـضـر الفـارقي خطبـتـه لَمَا تعـدَّى لسـانه الحـصـرُ
وأبيض الوجـه يوم قـاصـده فـمن أبو الأسـود الذي ذَكَـروا
لو أنشد الغـرَّ من قـصـائده ليـلاً لطالت في دُهمـه الغُـررُ
ولا لعـبـد الرحـيم واجـده شـبـيـه إنشـائه ولا الدُّررُ
إن لم تعـدّوها فـد ونكم ممّا ادَّعـيناه البـحـث والنظرُ
يا طالبـاً في العـلا طريقَـتَـه أقـصـرْ وإلا سـوف تُقـتـصـرُ
ويامطيل المدى ليلحَـقَـه البـرق في السَّـبق مَـالَه أثرُ

---

(١) الحِبَر: ضرب من برود اليمن، مفردها: حِبرة. اللسان (حبر) ٣/١٦.

يا ابن البهاليلَ من بني أسد — ومن سطاه الناب والظُفرُ
يا ابن الزبير الذي يُفلُّ به — حدَّ المواضي وكلُّها زبُرُ
لكنها بالنُّهى محجَّبةٌ — أنّى نراها وحجبها الفكرُ
وجاء يا ابن الزبير يخطبها — إليك كفؤٌ وجدُّه عمرُ
وأنت من لا يُردُّ سائله — وها أنا للجواب منتظرُ

فكتب إليّ :[المنسرح]

يا منعماً رمتُ شكر أنعمه — فحال بيني وبينه الحصرُ
وأنفق الفكر واللسان معاً — عليَّ واستعصيا ولا وزرُ
وأظهر العجزَ عن قيامهما — بشكر ما لا يُحصى ومنحصرُ
وبان لي في الإباء عذرهما — ودافع الحق بالهوى بَطَرُ
والحرُّ من دأبه وعادته — يرقّ للحر حين يعتذرُ
وكيف لي بالذي أروم إذا — لم يسعد النطق لا ولا الفكرُ
لكنني للحسود أذكر ما — يخرج من ذاك صدره الوَجرُ[(١)]
سحب أيادٍ سحّت على جرز — فأنبت الشكر سحُّها الحصرُ
وغادرت من نميرها غُدُراً — لا جنّ[(٢)] ماؤها ولا كدرُ
أضحت ظلال الوداد وارفةً — به تهادى وأينع الثمرُ
في ضمن ذاك الحيا عقود ندى — أصدافها السود حشوها الدُّررُ
يُشرق منها الدجى مفصلَّة — بعنبر عَرفُ طيبه عَطِرُ
تنعم ريَّاه أنف كل فتى — أذابه في حلى العلا غُررُ
وليس فيما وصفته عجب — سيول غيثٍ يزيدها بَحَرُ
يا ملبس الطِّرس من بلاغته — حُلَة وشيٍ بقوسها فِقَرُ

---

(١) الوجر: وجره وجراً. طعنه. وتوجَّر الدواءَ: بَلَعَهُ. اللسان (وجر) ١٥ / ٢٢٠.

(٢) جُنَّ: ستر. اللسان (جنن) ٢ / ٣٨٥.

وغارساً فيه كل عارقة[1] فرائد الجوهري لها ثمرُ
تودّ زهر النجوم من حسد لو أنّها في غصونها زهرُ
إذا تأملتُها يقابلني من كل وجهٍ من أفقها قمرُ
هذا وكم قلّدت عقود علا يمناك قيلاً تحفُّه زُمَرُ
وكم أمور أودعتها فغدت تشبه أرواح معشر قُبُرُ
مالي وعدّي لما حويت وهل بالعدّ تحصى الرمال والمطرُ
لكن جداي لبعضها مننٌ حمّلتُها عاتقي لها خطرُ
وحثّني نحوها مقالك لي بأنني للجواب منتظرُ
فسبقها سير وجهها يدها يمنعها كشفة لك الحقرُ
وكيف لا والذي آتيك به وطرفها بالحياء منكسرُ
هدية جلّ ثمرها حشفُ إلى كريم جنابه هجر[2]
فاقبل يسيري ولا تلم كرماً منا فقاً في ذراعه قِصَرُ
قد أعجزته عن القيام بما يلزم حالان الضعف والكبرُ

ومن نظمه قوله في المنثور: [الطويل]

ولم أرَ في المنثور عرفاً ومنظراً وفرط سخاءٍ في جميع البدائعِ
تراه إذا السارون مرّوا بغفلة عليه مشيراً نحوهم بالأصابعِ

وقوله وقد طلب منه في جارية اسمها قلوب: [السريع]

عاتبني في حبّكم عاذل يزعم نصحي وهو فيه كذوبْ
وقال ما في قلبك اذْكُرْهُ لي فقلت في قلبي المعنّى قُلُوبْ

وقوله: [السريع]

---

(١) عارقة: عرق الشجر وتعرّق: امتدّت عروقه في الأرض. اللسان (عرق) ٩ / ١٦١.

(٢) حشف: تمر لا طعم له ولا لحاء ولا حلاوة. اللسان (حشف) ٣ / ١٩٠. و (هجر) نوع من التمر. وفي المثل: كجالب التمر إلى هَجَر. اللسان (هجر) ١٥ / ٣٦.

حاولت من أهواه في قتله فقال ما يُشفق من عارضي
فقلت يا بدر الدجى مذهبي أنّيَ لا اعتدُّ بالعارضي

وقوله: [السريع]

أضمرت في القلب هوى شادنٍ مشتغل في النحو لا ينصفُ
وصفتُ ما أضمرت يوماً له فقال لي المضمر لا يُوصفُ

وقوله، صدر كتاب إلى ابن نصحان حين سافر إلى البلاد المصرية: [الكامل]

يا غائباً قد كنت أحسب قلبه بسوى دمشق وأهله لا يعلق
إن كان صدّك نيل مصر وأهلها عنهم فلا غرو إلا العدو والأرق

وقوله من أبيات أجاب بها الفاضل تاج الدين اليماني: [المديد]

أقبلت تختال في حلل وشيها من صنعة اليمنِ
فَرعُها يُملي خلائطَها ما يَقول القِرطُ في الأذنِ

ومن خطبه التي تلج القلوب، وتخرج إلى الإقلاع والإقلال من الذنوب قوله:

أيها الناس تأنّسوا في المكارم وسارعوا إلى المغانم، وجانبوا مكاسب المآثم؛ فإنها معادم. وأيقظوا عيون العزائم فإنّها نوائم، واغتنموا أوقات الطاعات فإنها مواسم. هذا، عبادَ الله شعبان وأخذه بكم ركائبه، مملوءة بمتاجر أعمالكم حقائبه، فالسعيد من زكّى فيه بالإخلاص مكاسب أعماله، والشقيّ من أضحت زيوف المعاصي رأس مال آماله. سحقاً له من مغبون. ما أخسر صفقته! ومدلج في دياجي الأطماع ما أبعد شقّته! باع الباقي بما يفنى، واعتاض عن النفيس العَالي بالأدنى. تبرّجت له الدنيا فأخلد إليها، وضمنت له كواذب الآمال سلامته المآل فاعتمد عليها؛ حتى إذا استرجعت منه الأيام ما وهبت، وأخلفته الآمال المواعد وكذبت، ورأى وجود أمانيه عدما، وصحة ظنونه سقما، عضّ على يديه نَدَما، وبكى بذلّ الدموع بالدما، واستصرخ فلم يجد مسعدا ووجد منسي أعماله حاضراً، ولا يظلم ربك أحدا.

وقوله :

اغتنموا أيام المهل قبل انقراضها . وداووا سقم النفوس بذكر هجوم الأجل قبل استحكام أمراضها، وروّضوها عن جماحها في الشهوات فإنّه لا نهاية لأعراضها . واعملوا ليوم لا يجزي فيه والد عن ولده ولا مولود عن والده . ولا محيد لمن غلبت عليه الشّقوة عن مناهل عذابه وموارده، وابتهلوا إلى ربّكم في أوقات البركات؛ فما حُرم فيها من قصده بركةَ مقاصده .

ومنها الخطبة التي خطب بها أول جمعة أقيمت بالجامع السيفي يشكر كافل الممالك الشامية، وهي :

الحمد للّه منشئ أصناف الأمم وصانعها، ومؤلف أشلائها بعد العدم وجامعها، ومنطِق جوارحها بما اخترجت وسامعها، وباعث هممها على الخير ووازعها[1]، ومجري سوابق آمالها في ميدان آجالها، نحو مطامع مطامعها الذي أجزل مواهب السعادة لمن شيَّد بيوت العبادة، وشكر صنيع من قدَحَ بالإحسان زناده؛ فوعده الحسنى وزيادة . وفضَّل بقاع الأرض بعضها على بعض، فاعل في الشرف محلَّها، وناط بها أسباب السيادة فاتخذها صالح عباده معاهد للعبادة . فطوبى لمن حلَّها، وادَّخر من القرب نفائس يحق في مثلها التنافس، ثم وفّق لها قوماً كانوا أحقّ بها وأهلها .

أحمده على ما أسبغ من نِعَمٍ زكت مغارسها فصفت مُلابسها، وأولاه من مِنٍن صيغت مشارعها فنمت مراتعها . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . شهادة أحكم الإخلاص بالقلب معاقدها، وصُفّي من شوائب أكدار الشكوك مواردها، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، والكفر مخصبة مراتعه أهله بالأشقياء مرابعه، قد مدَّ في الأرض خطاه، وتجاوز الحدَّ في الطغيان وتخطّاه . فلم يزل صلى الله عليه وسلَّم يهيج بنانه بجنوب الحق

---

(١) وازعها : الوزع : كفُّ النفس عن هواها . اللسان (وزع) ١٥ / ٢٨٦ .

وضاه، وبيد طغاته رطى[١] الأثمان وشباه[٢]؛ حتى أصبح وارف زرعه غثاءً، وأمسى أنس ربعه قواءً[٣] صلى الله عليه وعلى آله غدوة ومساء، صلاة يبلغهم بها من النعيم المقيم أملاً، ويحقّق لهم رجاء.

أيها الناس جدّوا في الطاعة قبل تعذّر الاستطاعة، وجذّوا حبائل الأطماع بمُدى القناعة. فكم أطلعكم الدهر تقلّبه على الحقائق فاغفلتم اطّلاعه، وكم أسمعكم لسان حوادثه أبلغ المواعظ لو وعيتم إسماعه! فيالها غفلة شاملة، وأمنية باطلة وأطماعاً كاذبة. وآمالاً خابية وقلوباً عن العظات لاهية، وأسباباً من التعلُّلات واهية، فوجهوا رحمكم الله إلى جهة الاعتبار عيون أفكارهم، وانبوا إلى تأمل الإشارات عنه أسماعكم وأبصارهم؛ فإن مَن استمع بخطوب الأيام غني عن خَطب الأنام، ومن اقترع معالق الآثام استأذن على الانتقام.

ومن خطبة في رأس السنة:

الحمد لله الذي لا تُدرِك عظمته ثواقب الأفهام، ولا يحيط بمعارف عوارفه خطوات الأوهام، ولا يبلغ مدى شكر نعمه محامد الأيام. الذي طرّز بعسجد الشمس حواشي الأيام، ورصّع بجواهر النجوم حلّة الظلام، وفصّل بلجين الأهلة عقود الشهور والأعوام. أحمده على نعمه الجلائل العظام، ومننه الشوامل الجسام. وأشهد أن لا إله إلا اللهِ، وحدَه لا شريك له شهادة لا ينقص لها تمام، ولا يحقر لها ذمام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله وسوق الباطل قد قام، ومحبّ الضلال قد هام، وطرف الرشد قد نام، وأفق الحقّ قد عام. فجرَّدَ سيف العزم وسام[٤]، وعنّف على الغي ولام، واقتاد الخليفة إلى السعادة بكل زمام. صلى الله عليه وعلى آله الخير الكرام، صلاة لا انفصام لمسابغها ولا انفصام.

---

(١) رطى الأثمان: أرطت الأرض، أنبتت. اللسان (رطا) ٥/ ٢٣٩.

(٢) شباه: الشبه: شجرة كثيرة الشوك. اللسان (شبه) ٧/ ٢٤.

(٣) قواء: أرض لا أنيس بها. اللسان (قوا) ١١/ ٣٦٥.

(٤) سام: مَرَّ. اللسان (سام) ٦/ ٤٤٠.

وقوله في خطبة عيد الأضحى:

الحمد للّه العظيم شأنه، العزيز سلطانه، القديم إحسانه، الذي أسمع دعوته إلى عرفات عرفاته من كل طريق. قلّبتها قلوب أولي الإنابة، مسرعةً في الإجابة، ووافتها من كل فجٍّ عميق. حَمَده على نعمته التي أحلَّت مغنى الغنى فتحلَّت بفرائد الأجياد، ومننه التي بلغت مِنَى المنى، وكل الأيّام بها أعياد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة لا يخلُق[1] الملوان[2] جديدها، ولا تنال يدُ الشك مشيدها. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أرسله رحمة للبرايا، ومحذراً من سوء عواقب الخطايا، فطهَّر من رجسها السجايا، وساق إلى محلها الهدايا، وبعث الهمم على الضحايا صلى الله عليه وعلى آله المنزَّهين عن الدنايا، صلاة لا تنفكُّ سعادة في البكر والعشايا.

(١) يخلق: يبلى. اللسان (خلق) ٤/ ١٩٥.

(٢) الملوان: الليل والنهار، أو طرفاهما. اللسان (ملو) ١٣/ ١٩٠.

[علماء النحو بالمغرب]

وأما علماء النحاة بالمغرب فذو عدد، وأولو مدَدْ، وأصحاب لسان فيه وَتَد[١].

١- عبد الله بن محمود المكفوف النحوي القيرواني(*)

ذو ذهن ثاقب، وأخو علاً ومناقب. ظهر في بلاد المغرب ظهور وجود من عدم، واشتهر اشتهار نارٍ على عَلَم، وكثرت بتلك الأرض أتباعه، وتنوَّر باطنه لمّا انعكس إليه من ظاهره شعاعه. وكان مفرط الذكاء يكاد يتوقَّد، ولا يزيد حفظ شيء سَمِعه إلا وكان قد[٢]؛ حتى كان لا يناضل إلا في الاعتلاء، ولا يفاضل إن كان إلا بينه وبين أبي العلاء.

كان من أعلم خلق الله بالعربية والغريب والشعر وأيام العرب، وأخبارها وله كتاب في العروض يفضله أهل اللغة على سائر الكتب. وإليه كانت الرَحلة من جميع إفريقية والمغرب. وكان إذا قرئ عليه الكتاب مرتين حفظه. توفّي سنة ثمان وثلاثمئة.

ومنهم:

٢- إبراهيم بن عثمان أبو القاسم ابن الوزّان القيرواني(**)

النحوي اللغوي. إمام الناس في النحو بالمغرب، والإلمام منه بكل مُغرِب. هذا إلى لغة

(*) ترجمته في: البلغة ١١٣، وبغية الوعاة ٢/ ٦٢، وإنباه الرواة ٢/ ١٤٧، والبلغة، وطبقات الزبيدي ٢٣٦. توفي سنة ٣٠٨هـ.

(**) ترجمته في: البلغة ٦، وإنباه الرواة ١/ ١٧٢، وإشارة التعيين ١٣، وبغية الوعاة ١/ ٤١٩، وطبقات الزبيدي ٢٤٧. توفي سنة ٣٤٦هـ.

(١) فيه وتد: كناية عن الثبات.

(٢) وكان قد حفظه. وحذف ذلك لاستقامة السجعة.

جمع أطرافها ومدّ طرافها[١]، وفصائل استتمّ أوصافها، واستكمل جملها لإنصافها. وكان لو وُزِنَ به فتى مازن، أو أبو عثمان لخفَّ في كفّة ابن الوزّان. وكانت العلماء تُجلُّه، وتستملي منه وماتملُّه. وكان ذا بصر حديد، وفكر نَفَسُه مديد. حفظ كتاب العين للخليل والمصنّف لأبي عبيد وإصلاح المنطق لابن السكيت، وكتاب سيبويه وأشياء، وكان يميل إلى كلام أهل البصرة. ويفضل المازني في النحو، وابن السكّيت في اللغة، وقال فيه بعضهم: لو أن قائلاً قال إنه أعلم من المبرّد وثعلب لصدّقه من وقف على علمه.

وذكر جماعة ممَّن جالس ابن النحاس بمصر، وأكمل نظراً. ولقد كان يستخرج من العربية ما لم يستخرجه أحد. وكان غاية في استخراج المُعمَّى. توفي يوم عاشوراء سنة ست وأربعين وثلاثمئة.

ومنهم:

٣- أبو بكر محمد بن عبدالله مِذْحَج

ابن محمد بن عبد الله بن بشر الزبيدي الإشبيلي[*] نزيل قرطبة. رجل كانت له ظلاله وارفة، وأفعاله لا تخلو من عارفة. لم يزل وسَنُه لم يتغير، وفمه للاكتساب لم يُفغر. يغادي العلم ويراوحه، ويماسي الطلب ويصابحه. يوافي كل شيء لميقاته، ويقطع فيه عمر أوقاته. ورسنه ممتد، ووسنه قد أقسم لا يرتدُّ. فلم يستدر خدّه بلثام عارضه، وحان خذّه[٢] ألا يلتأم بسيف معارضه إلا وكان قسورة يتأبى مهاجمته، ويخاف أن يهجم عليه أجمته، فأعملت

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٣/١٠٨، وإشارة التعيين ٣٠٧، وبغية الوعاة ١/٨٤، والبلغة ٢١٨، ووفيات الأعيان ٤/٣٧٢. توفي سنة ٣٧٩هـ.

(١) الطراف: بيت من أدم ليس له كفاء، اللسان (طرف) ٨/١٤٩. وهي كناية عن السعة.

(٢) خذّه: خذَّ الجرح خذيداً: سال صديده. اللسان (خذّ) ٤/٤٢.

إليه اليعملات[١]، وأضحت فوائده مؤمَّلات. واهتدى به هدي الركائب بالعلم، واستهلَّ استهلال السحائب، يرش رشاش ماء الورد.

قال ابن خلّكان: كان أوحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة، وكان أخبر أهل زمانه بالإعراب والمعاني والنوادر، وعلم السّير والأخبار ولم يكن بالأندلس في فنّه مثله في زمانه. أخذ عن القالي لمّا دخل الأندلس. وله كتب تدلُّ على وفور علمه، واختاره المستنصر لتأديب وَلَده، وليّ عهده هشام المؤيد، فعلَّمه الحساب والعربية، ونفعه نفعاً كثيراً. ونال به الزبيدي دنيا عريضة. وولي قضاء إشبيلية والشرطة. وحصل نعمة ضخمة لبسها بنوه بعده زماناً. وكان يستعظم أدب المؤيد زمان صباه، ويصرف رجاحته وحجاه. وللزبيدي شعر كثير منه قوله: [الطويل]

أبا مُسلمٍ إنّ الفتى بجَنانه ... ومِقْوَلِه لا بالمراكب واللُّبسِ
وليس ثيابُ المرء تغني قلامة[٢] ... اذا كان مقصوراً على قِصَر النَّفسِ

وكان في صحبة المستنصر. وقد ترك جاريته بإشبيلية، فاشتاق إليها، فاستأذنه في العود إليها فلم يأذن له. فكتب إليها: [مخلع البسيط]

ويحك يا سلمُ لا تُراعي ... لابدّ للبيْن من زماع[٣]
لا تحسبيني صبرتُ إلا ... كصبر مَيْتٍ على النزاعِ
ما خلقَ اللّهُ من عذابٍ ... أشدَّ من فُرقَة الوداعِ
ما بينها والحِمَامِ فرقٌ ... لولا المناجات والنواعي

وعاش ثلاثاً وستين سنة[٤]، وتوفي يوم الخميس، مستهلّ جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وثلاثمئة بإشبيلية.

---

(١) اليعملات: اليعملة من الإبل: النجيبة المطبوعة على العمل. اللسان (عمل) ٩ / ٤٠٠.
(٢) قلامة: ما قطع من طرف الظفر أو الحافر، وهي مثل في القلّة والحقارة.
(٣) زماع: الزمعةُ: رِعدَة تعتري الإنسان إذا همَّ بالأمر. اللسان (زمع) ٦ / ٨١.
(٤) وفيات الأعيان: ٤ / ٣٧٢.

ومنهم:

٤- محمد بن جعفر

أبو عبد الله القزاز(*) التميمي. لا يُنسَجُ له طرح، ولا يغار لبزِّه على شرح. هو أدرى بنسيج حلله، وأعرف بقدر خُلله.

يسلم القريض منه إلى بزازه. ويقدم منه إلى العلم بما هو أوفق لطرازه. لو سبق ميلاده في تميم لألحقته بفرزدقها(١)، ولرنت شمسه فقمره في أفقها. قال ابن رشيق: كان الغالب عليه النحو واللغة والافتنان في التأليف. وله شعر ربّما جاء به مفاكهة وممالحة من غير تحضر له ولا تجفل. فبلغ بالرفق والدعة أهل القدرة على الشعر من توليد المعاني، وتوكيد المباني علماً بمفاضل على الرحب والسعة أقصى ما يُحاوله الكلام وفواصل النظام ومما أُنشد له، قوله: [البسيط]

هَذَا أخي وشَقِيقي المرتضَى ويَدي (م) اليُمنى ومَوضعُ أسرَاري وإعلَاني
دعَا فعمَّ الورى طوراً وأسقطَني إسقَاطَكَ النُون من ترخيم عُثمَانِ
وكنتُ في النفري(٢) أدعَى فصِرتُ لُقَى(٣) لا أوَّلَ الجَفَلَى أدعَى ولا الثَّاني

وقوله وذكر ثلاثة أقبر فاقتص أثر النجوى في الوزن والرويّ والمعَنى ثم أجادوزاد: [الطويل]

ألا قل لدهر فرّق الدهر شملَهُم فَمن مُنجِد بادي المحلّ ومُتهِمِ
إذا يَمّم الحَادي بكُم قَصْد بَلدَةٍ فَسِرتُم على قَبرٍ هُنَاك معظَّمِ
تحلُّ بمثواه الوُفُودُ رحَالَها وتُنحَر أبناء الجديل وشدقمِ(٤)

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٣ / ٨٤، وإشارة التعيين ٣٠١، وبغية الوعاة ١ / ٧١، ووفيات الأعيان ٤ / ٣٧٤، والبلغة ٢١٤. توفي سنة ٤١٢هـ.

(١) هو الفرزدق، همام بن صعصعة التميمي الشاعر، توفي سنة ١١٠هـ. وفيات الأعيان ٦ / ٨٦.

(٢) النفري: التفرق. اللسان (نفر) ١٤ / ٣٣١.

(٣) لقى: مُرمى. اللسان (لقا) ١٢ / ٣١٩.

(٤) شدقم: هو الواسع الشدق، وقيل: اسم فحل من فحول إبل العرب. اللسان (شدق) ٧ / ٥٨.

فعرّج به واستوقف الرَّكبَ وابكه وصلّ على المقبور فيه وسلِّمِ
ولا تطأ الأرض الفضاء وإن نأت بذي سَنَكٍ رَحْبٍ ولا ذات مَنسمِ(١)
فقد ضمَّ قطراها ثلاثة أقبر تضمُّ نواحيها ثلاثة أنجُمِ
بعيدة مسرى الزائرين غريبةٌ معظمة فيها رمائمُ أعظمِ
تمرُّ عليها الريح وهي مريضة ويشفي ثَراها كلَّ بهتان مُنجمِ
وقد فرَّقت أيدي الفراق لجودها أيادي سَيأتي كلَّ عَقل ومَعلمِ
كأن الردى خَافَ الرَّدى في اجتماعهم فقسَّمهم في الأرض كلَّ مقسَّمِ
فبالغُدوة النَّضوَى من الغرب واحدٌ وآخَرُ ضمَّته رجام المقطَّمِ
وبينهما قَبرٌ غريبٌ ببُرقةٍ بَنَوه على بحر من الجود خَضرمِ(٢)
وأعجب شيء قيس شبر تضمَّنت نواحيه قطري يذبل ويلملمِ
أمستودع الترب المضمّن جسمه طويل البلى من بعد طول التنعمِ
سأبكيك لا أنَّ البكا عدلُ لوعتي ولا أنَّ وجدي فيك كفء تنهُّمِ(٣)
وقلَّ لعيني أن تفضَ دموعها عليك ولو أنّ الذي فاض من دمِ
وأُغضي حياءً أن أعيش مسلَّماً وما أنت ممن يُتَّقى بمسلَّمِ

وقوله في اسم لؤلؤ ملغزاً به: [الكامل المرفل]

لم يكفه أنَّ اسمَه عَلَمٌ يُنبيك مَبسَمُه بصُورَتهِ
حتَّى أراد بأنْ يُعَنوِنَهُ فصفات صِدغيه وطرَّتهِ

قال ابن رشيق: الاسم لؤلؤ وهو الذي أبانه المبسم، والأصداغ بوصف اللامات، والطور يشبه بالواوات، فكأن كلَّ صدغ لام يليها واو من واوات الطرَّة، فيصح ما أراد.

---

(١) منسم: المنسم: طرف خفّ البعير. اللسان (نسم) ١٤/ ١٢٩.

(٢) خضرم: الكثير من كل شيء. اللسان (خضر) ٤/ ١٢٥.

(٣) تنهُّم: النهمة: الحاجة. اللسان (نهم) ١٤/ ٣١١.

ومنهم:

٥- أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن السيد بن مُغَلَّس الأندلسي البلنسي(*)

رجل لاين صعاب اللغة حتى اقتاد أنوفها، وارتاد صنوفها. حسن لما ساعده؛ حتى تسلَّك سبلها وملك ذللها. وكانت قد لجَّت نفارا، ودجت حتى جلاها، وجعلها في التصانيف أسفارا، وخلاها قدوة وأسوة النجوم للمهتدي. فملأ عين المطالع، وقطع بعدها بين طلب التزيد والمطامع.

قال ابن خلكان: كان من أهل [العلم] باللغة والعربية، مشاراً إليه فيهما. رحل من الأندلس وسكن مصر، وقرأ على صاعد والنجيرمي، ودخل بغداد واستفاد وأفاد. وله شعر منه: [المتقارب]

مَريضُ الجُفُون بِلا علَّةٍ ... ولكنَّ قلبي [به] مُمرَضُ
أعاد السُّهادَ على مقلَتي ... بفيض الدُّموع فما تُغمِضُ
وما زاد شوقاً ولكن أتَى ... يعرِّضُ لي أنه مُعرِضُ

وتوفي لست بقين من جمادى الأولى سنة سبع وعشرين واربعمئة بمصر ودُفن بها.

ومنهم:

٦- إبراهيم بن محمد بن زكريا

ابن مفرّج بن يحيى بن زياد بن عبد الله بن خالد بن سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري أبو إسحاق المعروف بالإفليلي(**) من أهل قرطبة، وممّن أهل العلياء [في] المرتَّبة. برزت به

(*) ترجمته في: وفيات الأعيان ٣/١٩٣، وبغية الوعاة ٢/٩٨. توفي سنة ٤٢٧هـ.

(**) ترجمته في: إنباه الرواة ١/١٨٣، والبلغة ٩، ووفيات الأعيان ١/٥١، وإشارة التعيين ١٧. ومعجم المؤلفين ١/٩٤، توفي سنة ٤٤١هـ.

الأندلس في أثوابها القشب وظفرت أقطارُها بقِطار ينبت العشب. فجرَّت به ذيل الأحيان، وهَمت النجوم بالأعيان.

قال ابن خلكان: كان من أهل النحو واللغة، وله معرفة تامة بالكلام على معاني الشعر، حافضاً للأشعار ذاكراً للأخبار وأيام الناس. وكان مُصَدَّراً بالأندلس وإقراء الأدب. وولي الوزارة للمكتفي بالأندلس.

ولد في شوال سنة اثنتين وخمسين وثلاثمئة، وتوفي في ثالث عشر ذي القعدة سنة إحدى واربعين وأربعمئة[١].

ومنهم:

٧- أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي[*]

النحوي المفسّر. نيِّرٌ لا يَخفى وشمعة صباح لا تُطفى. فتَّق للعلم الأذهان، وفتح مقفله حتى هان. ونشأ بالمهدية، القرية التي هي حاضرة البحر، والضاربة منه في النحر كرسيّ الخلافة ومحلُّ الأنافة. فكان حيث كان أسناها، ومكان حسناها. ولم يعد يذكر بحرها الزاخر معه، ولا مَلِكها المطاع إذا دخل معمعه. فسَّر القرآن وألقى الجران[٢]، وأضهر الآي وكف اللأي. أجاد فيه الكلام، وأجال الرأي والأقلام. أصله من المهديَّة من إفريقية، ودخل الأندلس في حدود الثلاثين وأربعمئة، وألَّف كتباً نافعة مثل كتاب التفضيل في التفسير، وهو كثير مشهور في الآفاق. وله تعليل القرآن، أنفع من الحجة لابي علي الفارسي.

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ١/ ٩١، والبلغة، ٢٧، وبغية الوعاة، ١/ ٣٥١، وإشارة التعيين ٤٢، ومعجم المؤلفين، ٢/ ٢٧. توفي سنة ٤٤٠هـ.

(١) وفيات الأعيان ١/ ٥١.

(٢) الجران: باطن العنق. اللسان (جرن) ٢/ ٢٦٢.

ومنهم:

٨- إسماعيل بن خلف بن سعد بن عمران الأنصاري

أبو الظاهر المقري النحوي الأندلسي السرقسطي(*). جدع أنوف الأبطال، وقرع ومنع صنوف الرجال. وكرع وورد المناهل من برنق(١)، ولم يقدر عليها النسيم إلا في آخر رمق. فشرب واضطلع وأنافَ على الشرفات، واطلع فنشر ما طُوي من الأيام السوالف، وأعاد الليالي في أحسن الطرر والسوالف. وغازل بألحاظ كَلِمِهِ الفواتر، وقطع بألفاظ حكمه البواتر.

ذكره ابن خلكان: وكان إماماً في علوم الآداب، ومتقناً لفنّ القراءات(٢) وذكره ابن بشكوال في كتاب الصلة وأثنى عليه، وعدّد فضائله. وتوفي يوم الأحد مستهل المحرّم سنة خمس وخمسين وأربعمئة.

ومنهم:

٩- أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى

النحوي، المعروف بالأعلم(**). كان من إخوان الصفا، وأخدَان الوفا. برع في الفضائل، وترع مترع الأوائل. وكان على عمى عينيه ينظر في العواقب نظر البصير، ويعرف إلى أين

(*) ترجمته في: وفيات الأعيان ١ /٢٣٣، وبغية الوعاة ١ /٤٤٨. توفي سنة ٤٥٥هـ.

(**) ترجمته في: وفيات الأعيان ٧ /٨١، وبغية الوعاة ٢ /٣٥٦، وإشارة التعيين ٣٩٣، وإنباه الرواة ٤ /٥٩، والبلغة ٢٩٢. توفي سنة ٤٧٦هـ.

(١) برنق: البرنق، تِقَن النهر. القاموس المحيط (برنق) ٢٠ /١.

(٢) وفيات الأعيان ١ /٢٣٣، وبغية الوعاة ١ /٤٤٨.

المصير؛ إلى فصاحة لم تَحِل بالغَلمة[1] ميمه، ولا أتت بها في أخواتها ضميمه. وكان بالعيوب منطقا، وبما يبريه من العيون ممنطقا. ولم يمت حتى أنذر بدنّو أجله، وأخبر بقرب وفاته وعَجَله.

قال ابن خلكان: رحل إلى قرطبة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمئة، وأقام بها مدّة، وأخذ عن الإفليلي وأبي سهل الحراني، وأبي بكر ابن أحمد الأديب. وكان عالماً بالعربية واللغة ومعاني الأشعار. كثير العناية بها مشهور بمعرفتها، حسن الضبط. أخذ الناس عنه كثيراً. وكانت الرحلة في وقته إليه. وأخذ عنه أبو علي الجيّاني وغيره. وكُفَّ بصره آخر عمره وله تصانيف عدّة. وكان مشقوق الشفة العليا شقاقاً فاحشاً. وهو العلم يُعرف به.

ولد سنة عشرٍ وأربعمئة. ومات في ذي القعدة سنة ست وسبعين وأربعمئة[2].

قال الرعيني خطيب إشبيلية: مات أبو عبد الله محمد بن شريح يوم الجمعة منتصف شوال سنة ست وسبعين وأربعمئة، فسرت إلى الأستاذ أبي الحجاج الأعلم فأعلمته بوفاته؛ لأنهما كانا كالأخوين محبَّة فانتحب وبكى كثيراً واسترجع ثم قال: لا أعيش بعده إلا شهراً. وكان كذلك.

ومنهم:

١٠ - عبدالله بن محمد ابن السِّيْد البطليوسي(*)

النحوي، أبو محمد. مادة نحو وأدب، وتصنيف ولغة عرب، لا نحّى أحد معه فيها يد

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٢ / ١٤١، وبغية الوعاة ٢ / ٥٥، وإشارة التعيين ١٧٠، ووفيات الأعيان ٣ / ٩٦، والبلغة ١١٤، ومعجم المؤلفين ٦ / ١٢١. توفي ٥٢١هـ.

(١) الغلمة: شهوة النكاح. اللسان (غلم) ١٠ / ١١١.

(٢) وفيات الأعيان ٧ / ٨١.

ولا تصنيف، ولا يَعُدُّ في رحله شيءٌ ولا مضيف. غطّى سيله على الفرَا[١] وطفا درّه فكثر مدد الجوهرى. وكان عالماً بالآداب واللغات متبحراً فيهما، مقدماً في معرفتهما وإتقانهما. سكن مدينة بلنسية، وكان الناس يجتمعون إليه، ويقرأون عليه ويقتبسون. وكان حسن التعليم جيّد التفهيم، ثقةً ضابطاً. ألّف كتباً نافعة ممتعة، وشرح عدّة كتب. وكل شيء يتكلّم فيه فهو في غاية الجودة. ومولده سنة أربع وأربعين وأربعمئة بمدينة بطليوس. وتوفي في منتصف رجب سنة إحدى وعشرين وخمسمئة.

ومن نظمه قوله: [الطويل]

أخو العلم حيٌّ خالدٌ بعد موته ... وأوصالهُ تحت التّراب رَميمُ
وذو الجهل مَيْتٌ وهو ماشٍ على الثرى ... يُظنّ من الأحياء وهو عديمُ

وقوله في طول الليل: [الطويل]

ترى ليلَنا شابت نواصيه كَبرةً ... كما شبتُ أم في الجوّ روض بهارِ
كأن اللّيالي السّبعَ في الجوّ جُمّعت ... ولا فَصْلَ فِيمَا بَينَهَا بِنَهَارِ

قوله من أول قصيدة مدح بها المستعين بن هود: [الطويل]

وهم سلَبوني حُسن صبريَ إذْ بانوا ... بأقمار أطواق مَطالعُها بانُ
لئن غادروني باللِّوى إنَّ مهجتي ... مسايرةٌ أضعانَهم حيثما كَانوا
سقى عهدَهم بالخيف عهدُ غمائمٍ ... ينازعها مُزن من الدمع هتّانُ
أأحبابَنا هل ذلك العهدُ راجعٌ ... وهل لي عنكم آخرَ الدهر سُلوانُ
ولي مقلة عبرا وبين جوانحي ... فؤاد إلى لقياكم الدهر حنّانُ
تنكَّرتِ الدنيا لنا بعد بُعدكم ... وحلَّت بنا من مُعضل الخَطب ألوانُ

(١) تقول العرب: تركته يفري الفرا، أو الفريّ: إذا عمل العمل أو السقي فأجاد. اللسان (فرا) ١٠/ ٢٥٥.

ومن المديح: [الطويل]

رَحَلْنا سَوامَ الحَمدِ[1] عَنها لغَيرِها ... ولا مَاؤها صَدٌّ ولا النَّبتُ سَعْدانُ
إلى مَلِك حَاباه بالحُسنِ يُوسُفٌ ... وشَادَ بها البَيتَ الرفيعَ سُلَيمانُ
منَ النَّفَرِ الشُمِّ الَّذين أكفُّهُم ... غُيوثٌ ولكنَّ الخَواطِرَ نيرَانُ

وهي طويلة.

ومنهم:

١١- محمد بن الحسن بن سعيد الأستاذ(*)

أبو عبد الله ابن غلام القرشي الأندلسي الداني المقَّري النحوي. أحد الأئمة وأحد السيوف في الملمّة. دنت له لدانيه السما، ودرَّت على أكتافه النُعْمَا. وأصبحت به أكناف الأندلس مخضرَّة وأيام الأنس بها لا تخاف مضرّة. قد وضعت مباسمها، ونفحت نواسمها، وهبَت أصلها الصحائح معتلّة، وغدت حدائقها المجنَّنة بسلاسل الأنهار معتلّة. وكانت الحياة بها سهلة المحيَّا، وأيامه الزُّهر ودانية الدنيا.

قرأ القرآن واللغة. وارتحل بابنه إبراهيم سنة بضعٍ وعشرين وخمسمئة، ورجع فتصدّر للإقراء والحديث وتعليم العربية. وكان صاحب ضبط وإتقان، مشاركاً في علوم جمّة، يحقق بها. وكان حَسَنَ الخط أنيق الوِراقة. وكانوا يرحلون إليه للسماع والقراءة. توفي بدانية في ثالث عشر المحرّم سنة سبع وأربعين وخمسمئة، وقد أصابه خدرٌ قبل موته بسنة، مولده سنة اثنتين وسبعين وأربعمئة. وكان ذا حظٍّ من علم الحديث ومعرفة رجاله. وولي خطابة دانية في آخر عمره.

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٣/١٠٥. توفي سنة ٥٤٧هـ.

(١) وفيات الأعيان ٣/٩٦.

ومنهم:

١٢- عبد الله بن عيسى بن عبدالله بن أحمد بن أبي حبيب الاندلسي (*)

أبو محمد الخزرجي. من بيت علم وحشمة، وعُلا وهمّة؛ إلا أن صروف النوى قذفت به وثلمت سيفه من غَرْبه[١]، فرمت به من حيث لم يك ظنّت، ولا قدّ لها ما تمنّت. فأهوي في الأرض هوي الأجدل[٢]، وانحطّ انحطاط الجندل. وشق المخارم بهوي مضيقها وفجاجها، وبرد عذبها وأجاجها حتى كاد ينسى من المغرب ذكر بلده، ويظُن المشرق موضع مولده. وأتى خراسان ولم يعرف، أما لها من إحسان؟ وحلّ من ذلك الأفق داراً نسي بها قديم محتده، ولقّط من مطلع الشهب شيب بدده. ووقف على عين الشمس واغترف غَرْفَة بيده.

أقبل على العلم بإشبيلية، وحصل ما لم يحصل غيره. وولي القضاء بالأندلس مدّة، ثم خرج عنها على عزم الحج. وجاوز سنة ودخل مصر ثم قدم العراق، ثم سار إلى خراسان، فنزل هراة مدة ومرو. وكان خبيراً بالحديث والفقه والنحو والأدب. وسمع وأفاد. ومولده سنة أربع وثمانين وأربعمئة. وتوفي بهراة في شعبان سنة ثمان وأربعين وخمسمئة.

ومنهم:

١٣- أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن يَلَلْبخت بن عيسى الجزولي (**)

إمام يلقب دونه النواظر، وتكف عليه المحاضر. أجاب مصرخاً وانجاب به الروع مفرّحا.

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٢ / ١٢٤، وبغية الوعاة ٢ / ٥١. توفي سنة ٥٤٨هـ.

(**) ترجمته في: إشارة التعيين ٢٤٩، ووفيات الأعيان ٣ / ٤٨٨، وإنباه الرواة ٢ / ٣٧٨، وبغية الوعاة ٢ / ٢٣٦. توفي سنة ٦١٠هـ.

(١) الغَرب: الغرب، حَدُّ كل شيء اللسان (غرب) ١٠ / ٣٤.

(٢) الأجدل: الصقر. اللسان (جدل) ٢ / ٢١١.

وسارت إليه الطلبة يستعجل الشوق حنانها، وتصل الأسباب ربّانها إلى رأي رصين، وعلم بالدين قد صين. فلم يكن مثله في العليا، وزهدٍ خلص من الربا. فسار ذكره كالشمس مغذّاً، ووجد له كالسحر إلى كل قلب نفذا.

قال ابن خلكان: كان إماماً في علم النحو كثير الاطلاع على دقائقه وغريبه وشاذّه. وصنَّف فيه المقدمة التي سمّاها القانون. ولقد أتى فيها بالعجائب، وهي في غاية الإيجاز مع الاشتمال على شيء كثير من النحو، ولم يسبق إلى مثلها. واعتبرها جماعة من الفضلاء فشرحوها. ومنهم من وضع لها أمثلة. ومع هذا كلّه فلا تُفهَم حقيقتها. وأكثر النحاة ممن لم يكن أخذها عن موقِّف يعترفون بقصور إفهامهم عن إدراك مراده منها، فإنها كلّها رموز وإشارات.

ولقد سمعت من بعض أئمة العربية المشار إليهم في وقته، وهو يقول: أنا ما أعرف هذه المقدمة، وما يلزم من كوني ما أعرفها ألاّ أعرف النحو. وبالجملة فإنّه أبدع فيها.

قال: وسمعت أن له أمالي في النحو ولكنَّها لم تشتهر. ورأيت له مختصر التفسير لابن جنّي في شُبَهِ ديوان المتنبي. ونقل أنه كان يدري شيئاً من المنطق. ودخل الديار المصرية، وقرأ على الشيخ محمد بن بري المتقدم ذكره. وقد نقل «الجُمَل»[1] على ابن برّي، وسأله عن مسائل في أبواب الكتاب، فأجابه ابن برّي عنها، وجرى فيها بحث من الطلبة حصلت منه فوائد علّقها الجزولي مفردة فجاءت كالمقدمة، فيها كلام غامض، وعقود لطيفة وإشارات إلى أصول صناعة النحو غريبة، فنقلها الناس عنه واستفادوها منه، ثم قالوا هذا المصنف.

وبلغني أنه كان إذا سئل عنها، هل هي من تصنيفك؟ قال: لا؛ لانه كان متورعاً: ولمّا كانت من نتائج خواطر الجماعة عند البحث من كلام شيخه ابن بري، لم يسعه أن يقول: هي من تصنيفي؛ وإن كانت منسوبة إليه؛ لأنه الذي انعزل بترتيبها.

ثم رجع الجزولي إلى بلاد المغرب بعد أن حجّ وأقام بمدينة بجاية مدة، والناس يشتغلون

---

(١) هو كتاب «الجُمل» للجرجاني.

عليه ، وانتفع به خلق كبير.

قال ابن خلكان: ورأيت جماعة من أصحابه. توفي في سنة عشر وستمئة بمدينة مراكش رحمه الله تعالى. هكذا سمعت جماعة يذكرون تاريخ وفاته ثم وقفت على ترجمته وقد رتَّبها أبو عبد الله ابن الأبّار فقال: توفي سنة ست أوسبع مات الجزولي(١).

ومنهم:

١٤- علي بن محمد بن عبدالله

المعروف بالشلوبيني(*) الأندلسي الأشبيلي النحوي. بحر لا يشقّ، وسحاب لا يصدع إياه برق. تبوأ فوق السماء مسكناوفرّق النجوم سكناً. حلَّ الذروة والغارب، وجلّت أصل ذكره المشارق والمغارب. أوضح النحو وبيَّنه وجعل منه على بيِّنة، فاستصحب آبيه، واستبحر آتيه؛ حتى فتح مُقفله وَوشم مغفله. فقرَّ قراره، واستبشر البدر ولم يخفه سراره.

قال ابن خلكان: كان إماماً في علم النحو. مختصراً له غاية الاختصار. اشتغل على أبي بكر محمد بن خلف بن محمد بن عبد الله بن صافي اللخمي الإشبيلي.

ومن شعره قوله:[البسيط]

قالوا حَبيبُك معلولٌ فقلتُ لَهم ... نفسي الفِداءُ له من كل مَحذورِ
ياليت علّته بي غيرَ أن له ... أجرَ العَليلِ وإني غيرُ مأجورِ

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٢ / ٢٣٢، وإشارة التعيين ٢٤١، ووفيات الأعيان ٣ / ٤٥١، وبغية الوعاة ٢ / ٢٤٤، وطبقات الشافعية ٣ / ٦٨، ومعجم المؤلفين ٧ / ٣١٦. توفي سنة ٦٤٥هـ.

(١) وفيات الأعيان ٣ / ٤٨٨.

ولقد رأيت جماعة من أصحابه وكلُّهم فضلاء، وكل واحد يقول: ما يتقاصر الشيخ أبو علي الشلوبيني عن الشيخ أبي علي الفارسي، ويغالون فيه مغالاة زائدة. وقالوا: فيه مع الفضيلة غفلة وصورة بَلَهٍ في الصورة الظاهرة؛ حتى قالوا: إنه كان يوماً على جانب نهر وبيده كراريس، فوقع منه كرّاس في الماء، وبعدت عنه فلم تصل يده إليها ليأخذها، فأخذ كراسة أخرى وجذبها، فتلفت الأخرى بالماء. وكان له مثل هذه الأسباب الدالة على البله.

وشرح المقدمة الجزولية شرحين كبيرين. وله كتاب في النحو، سمَّاه التوطئة. وكانت إقامته بإشبيلية، وأخباره متواصلة إلينا، وتلامذته واردة في كل وقت، وبالجملة؛ فإنه على ما يقال كان خاتمة أئمة النحو، وكانت ولادته بإشبيلية سنة اثنتين وستين وخمسمئة، وتوفي في آخر الربيعين، وقيل في صفر سنة خمس وأربعين وستمئة بإشبيلية[١].

ومنهم:

١٥- أبو القاسم المغربي[*]

وهو محمد بن أحمد بن الموفق الأنصاري الأندلسي المرسي. رجل حظُّه موفور، وسعيه غير مكفور. ركب البحر من بلده حين ضاق به جانب ذلك البرّ، وساءه طول المقام وأضرّ؛ فطارت به فتحاً لا يردّ من جماحها، ولا يعد فضل جناحها. سمت به في أمواج كالجبال، وأفواج كقطع الجِمال؛ حتى ألقاه البحر إلى الساحل، وآذى به السفر المراحل. وجعل الشام دار مقامه، ودواء أسقامه، ثم رحل مشرقاً وجمع شتيت العلم مفرقا. وكان لا يعدّ الغربة إلا وطنه، والغُلَّة[٢] إلا إذا ورد ماء بلده، أو سكنه. وهو معدود في أهل الحديث الشرقي؛ إذ قدم إليه أول ما عنَّ تمائمه وريش قوادمه.

(*) ترجمته في: بغية الوعاة ١ / ٢٣، ومعجم المؤلفين ٨ / ٩٤. توفي سنة ٦٦٨هـ.

(١) وفيات الأعيان ٣ / ٤٥١.

(٢) الغلّة: شدة العطش. اللسان (غلل) ١٠ / ١٠٦.

ذكـر ابن المستوفي أنه أخـذ النحـو عن الكـندي وأبي البـقـاء العُكْبَري، وأقـام بدمـشق سنتين، ثـم قَدِمَ إربل سنة عشر وستمئة، وقد جاوز الأربعين.

قال: وأنشدني لنفسه: [الكامل]

دَرَسَ الخـلافُ فـمـا يَقـول مـسلّم ... مني وقـولي كلُّه ممنوعُـهُ
إفسـادُ وضعٍ في سُـؤالِ محـبّـةٍ ... أم أصلُه قـد خـالفَـتْـهُ فـروعُـهُ
إن فُـقـتُ بينَ دلالـهِ ودليـلِـهِ ... لَمّا تبـيَّنَ في الدليل شـروعـه
الاقـتـصـاصُ لعـبـدِهِ في ذاتهِ ... ياليتَ شِـعـري مـا يكون صنيـعُـهُ

وأخذه من قول البستي[١]: [الطويل]

خُـذوا بِدَمي هَذا الغـزالَ فـإنَّه ... رَمَاني بسـهـمَي مُقلتـيـهِ على عَـمْـدِ
ولا تقـتُـلوه إنني أنا عـبـدُهُ ... وفي مـذهبي لا يُقـتلُ الحـرُّ بالعَـبـدِ

ومنهم:

١٦- يحيى المالقي(*)

وهو أبو زكريا يحيى بن علي بن أحمد بن محمد بن غالب الحضرمي الأندلسي المالقي.

رجل تحط دونه الأجادل[٢]، وتدك بأدناه الجنادل، ويسكت إذا ناباه من تجادل. نجم والرجال نبات، وانسجم والنوال مغمض الجفون بالسبات؛ فسما سمو حَبَاب الماء حالاً فحالاً، ونما نموَّ فروع الشجر أغصاناً طوالا. ولم يبرح منه زنده يقدح شراراً. ونده يفوح وإن لم يوقد نارا؛ إلى أن أخمده انصرام العمر المكتئب، وكمل له عمله واستتب.

(*) ترجمته في: بغية الوعاة ٢/ ٣٣٧، ومعجم المؤلفين ٩/ ٢١٨. توفي سنة ٧٧١هـ.

(١) أبو الفتح البستي،حياته وشعره، ٢٤٢ وقد ورد:لم أرَ حراً، بدلاً عن: وفي مذهبي.

(٢) الأجادل: الصقور.

قال ابن المستوفي: ورد إربل سنة اربع عشرة وستمئة راحلاً إلى خراسان لسماع الحديث، وكان قد أقام بدمشق، وأخذ عن أبي اليُمن الكندي. قال: وحدَّثني من أثق به أنه كان له حلقة بجامع دمشق للنحو وأثنى عليه أبو الحسن ابن علي بن عبد الكريم الجزري. وقال: لطيف الأخلاق من بين المغربة، حسن العشرة. جرى بيني وبينه عدة مباحثات سألته عن مولده، قال: لا أحقه؛ إلا أني ولدت بمالقة.

وممّا أنشد له قوله: [الطويل]

فُؤادُك مَوقَوف الهَوى حين يمُموا ... وأنت بِهِم هَيمانُ صبٌ متيَّمُ
إذا أعرَقوا أو أشأموا كنتَ سائماً[1] ... بروقاً بها سُحبُ المدامع تسجمُ
يُسائل عنهم كلَّ يومٍ وليلةٍ ... نَسيمُ الصَّبا أين استقلّوا وخيَّمُوا
تفوتُ وجوهُ اليُمنِ واليمنُ فيهم ... ويسترشُدُون النجمَ والنجمُ منهمُ

ومنهم:

١٧- زين الدين المالقي(*)

ضيف قوم كرام، وقطيف قوم بلغ المرام. برع نحواً وأدباً. يصلح لكل نجوى. أتى من الأندلس حاجاً ومعتمراً، وركب ليلاً دجوجياً ومقمرا؛ حتى قضى بقيته، وأمضى ما حمله عليه العزم وبغته. وقد قدم دمشق واستوطنها، واجتنى بطائنها، ونزل على بني السيرجي[2]. وسم في أرباب البيوت بها صدور مجالسها وجنى مغارسها، وامتار أسواقها، وأقمار أنديتها الطالعة من أطواقها؛ بيد أنهم من عدد عدولها، ومدد سيولها، وذوي

(*) ترجمته في: بغية الوعاة ١/٥٧٤، وتاريخ إربل ٢/٣٨٣. توفي سنة ٦٤٠هـ.

(١) سائماً: مستمراً. اللسان (سوم) ٦/٤٤٠.

(٢) وردت عند السيوطي: السُّرَيجي. بغية الوعاة ١/٥٧٤.

التصرف في خدم السلطان وخدم الملوك منذ حلُّوا تلك الأوطان، فألقى إليهم رحل رحلته، وجمع شمل شملته وأقام بينهم يرفد بالجنى الموفور، ويولي الأيادي التي ما استدت إليّ كنور وله فيهم مدائح كنت وقفت على بعضها، ووقعت بين دارين والشر في أرضها وفيما وقفت له على قصيدة وصف فيها طير الواجب تحرك إلى البزز لرمي البندق سواكن الهمم، وبعيد نشاط الشباب لأهل الهرم لعنة كانت لسببه هذا البيت في رمي الطير الجليل والخروج إليه بالصاحب والخليل.

وأولها: [الكامل]

رَكِبَ الدُّجَى لاَ يَرهَبُ الأَخطَارَا وَدَنَا عَلَى بُعْدِ المزَارِ وَزَارَا

ومن نثره من قدمةٍ كتبها للصدر شرف الدين أبي الفتح أحمد ابن السيرجي أولها: الحمد لله مسخِّر الطير في جوّ السما، ومحيي الأرض بما منّ عليها من النعما. الواجب وجوده، فلا يغير بخلقه. المانّ بجوده، وكل حيٍّ يرزقه، المتفضّل على عباده بمحاسن الأخلاق، المتكفل الأجناس مخلوقاته بإدرار أنواع الأرزاق، الحاكم بإقعاد من انتهك حمى حرمه، القادر على إسعاد من تعرض لكرمه.

ومنها: فالربيع يكسب الأرض برطوبته جمالاً وزخرفة، ويلبس الأرض من صنعة يد الشتاء حُللاً مفوَّفة[1]، وأشجاره ترشح من عيونها بماء ورد، وأشجاره تتنفَّس فتخال تنفسها عنبر نَدّ؛ حتى كأن الجوّ عطار يعدُّ طيباً والهزار قد أقام على رؤوس الأغصان خطيبا. ومخايل الأوراق قد لاحت على تلك الخمايل والورق قد غنت على عيدانه والغصن مايل، والروض قد وردت عليه من جداوله مسايل. والشتاء يجود على البطحاء بجود تهطُّله، وتعقب ظله يصيب وبله. وترى سنا برقه بين رعد وسحاب، وتزخ دموعاً شوقاً لأيام الشباب، كأن السماء والرعد فيه تذكر أهوالهما فاستعبرت وتنهّدا.

ومنها: ولمّا كان فلان ثمرة غصن زكت مغارسه، ودرَّة بحر قذفت نفائسه، وزهرة حديقة أينعت أرجاؤها، ونجل رئاسة تشرَّف آباءها أبناؤها، من نسب يعقد بالنجوم دوالبه، وحسب

(١) الفوف: البياض، والفوفة: القشرة الرقيقة، أي: حللاً عليها خطوط بيض. اللسان (فوف) ١٠/ ٣٤٩.

تحط في مفارق النسر ركائبه، وعندما تمت أخلاقه الحميدة، وكملت والتحفت به هذه الأوصاف الجميلة واشتملت؛ رام أن يأخذ حبل السعادة بطرفيه، ويجمع بين محاسن الجدّ والهزل ليحصل من السعد على شرفيه، ولم يزل يقلّب طرفه في محاسن لهو برنصيه[١]، ويدير فكره فما يصلح له فيقتضيه؛ إلى أن شهراً كذا من سنة كذا فعمد إلى نيته المقبولة فأمضاها، ولم تكن إلا حاجة في نفس فلان قضاها. فخرج وقد أرجت نوافح المسك الأذفر[٢]، وماست معاطف الزند الأخضر. والأنهار مطردة بمائها، والأطيار غردة بغنائها إلى مظان الطير الجليل ومكامنه. وطلب كمل يطلب الخير من معادنه، واستصحب معه من الرماة الأزكياء السادة الأذكياء، كل صادق القول زكيّ الفعل كثير الإمساك قليل المثل، ممّن برز في البرزات، وأظهر من يديه خوارق المعجزات. وله الوجوه المشكورة من غير نفاق، والنكت المشهورة بين الرفاق، وقد ارتدوا ملابس الغيار، وأطلعوا من أطواقها وجوهاً كالأقمار، وشدّوا بالمناطق خصوراً تدقّ عن الأفكار، وتقلّدوا حمائل جيوش صانت النجوم عن الأبصار. والتثموا بفضلات العمائم، واستغنوا بالخالق عن الرُقَى والتمائم. وقصدوا في طالع السعد والأمان دير سلمان؛ فلما أذنت الشمس بالفراق، وكادت تبلغ نفس النهار التراق استدارت الجماعة استدارة الأنامل بالأقداح، وامتزاج الأشباح بالأرواح. ودارت عليهم بالسؤال للسرور كؤوس، ومالت منهم للطرب أعناق ورؤوس؛ فلما أنفقت خطتهم، وافترقت خلطتهم انتشروا في تلك الرياض انتشار العيوث[٣]، ووثبوا في تلك النواحي وثوب الليوث. فللّه درُّهم من فرسان مواكب وشجعان كتائب. إن ركبوا خلتَ آساد جفان، وإن ترجلوا قلت ظبا وغزلان. هذا وهو بينهم كالقمر بين النجوم، والشمس في خلال الغيوم.

---

(١) البرنص: البرنس: قلنسوة كبيرة، أو كل ثوب رأسه منه. القاموس المحيط، ٦٨٥.

(٢) الأذفر: الذَفَر: شدة ذكاء الريح. اللسان (ذفر) ٥ / ٤٥.

(٣) العيوث: العيث طلب الشيء باليد من غير أن يبصره،القاموس المحيط، ٢٢٠.

قوله: [الكامل]

السَّعدُ في نظراتِه والموتُ في سطواتِه والفضلُ من أفضالِه
والشمسُ تحجُب وجهَها عن وجهِه والبدرُ يبدو خاضعاً لجَمالِه

وعندما تهندمت الرماة من مواضعها، وبرزت الطيور التي كتب عليها القتل إلى مضاجعها، مرَّت به جفة[1] من العنانيز[2]، كانت على الميت حراصا، وعادت إلى مطرحها بطاناً بعد أن راحت إلى مطرحها خماصا، فرنا إليها بطرف لو خطّ به الارض لاهتزَّت وربت، ورمقها بنظر لو رمق به النجوم شرراً لا نقضت وهوت وسار إليها مسير الشمس عند الشروق، وطرقها طروق الطيف، فحبّذا ذاك الطَروق، وقد أغذّ في يمناه التي لو نازلتها السحب الهاطلة لخجلت، أو باهتها البحار الزاجرة لخَلت. [البسيط]

فَبطنُها حجر الأسباط مُنبَجَس وظهرُها حَجرُ الإسلام مُستَلَمُ

ندباً من البندق المنتسِب شكله، الطيب أصله. بعيد الناظر، رزقاً مقسوماً، ويعدّه الطائر أجلاً محتوماً. وفي يسراه الميسرة للأزرق المعينة على الإطلاق. [الطويل]

هي البحرُ والطِّرسُ النفَّيسُ سفينُهُ فآونةً منجى وآونةً يردى

قوس رشق خطار مستوي العنق والبستار، قد اختيرت له روق[3] الأوعال وسطانا الردينية العوال، فكأنه قضيب شيخ ارتدى بثوب نظار، أو سبيكة ذهب أحرق شطرها بنار وبدا للعيون عاريا؛ ولا إثم عليه في ذاك ولا عار. فياحسنه من موقف رأيت فيه القمر يقذف شيطان الهموم عن هلال بكوكب وضم كافور، يدير في بحر العطايا حركات المنايا بلولب.

---

(١) جفّة: الجماعة. اللسان (جفّ) ٢/٣٠٧.

(٢) العنانيز: مفردها: عنزة، وهي ضرب من السباع. اللسان (عنز) ٩/٤٢٣.

(٣) روق: القَرن من كل ذي قَرن. اللسان (روق) ٥/٣٧٤.

ولم يزل برقها حتى دخلت المقدار، ونادته السعادة البدار البدار، فأرسل إليها رسل المنايا من بنادقه، وأخرج إليها ضبايا الروايا من زوايا جلاهقه[1]، فأصاب منها طائراً خرَّ لديه صريعا، وناداه التقدير فأجاب، ولم يكن قبلها سامعاً ولا مطيعا. [الرجز]

لَم يدرِ من آمن يَنجو خيفَةً وإنما الرَّامي درى كيف رَمَى

وذكر في أحدها قصيدة البدر يوسف بن لؤلؤ، وهي: [الكامل]

هل ذاك برقُ بالغُوير أنارا أم أضرَمُوا بلوى المحصَّب نارا
وكلاهُما إن لاحَ من هَضب الحِمَى لي شائقٌ ومهيِّج تذكارا
فيم التعلُّلُ والشَّتات منكِّبُ عني وقد شطّ الحبيبُ مَزارا
وقد استردَّ الدهرُ أثوابَ الصِّبا وكذاك يُوجدُ ما يكون مُعَارا
فارفِق بدمعك في الفراقِ فما الذي يَبقَى ليُسقي أربعاً وديَارا
وَدَعِ النسيمَ يراوحُ القلبَ الذي أورى زِنادَ الشَّوق فيه أُوارَا
مع أنني أصبُو إلى بَان الغَضَا إن سمتُ برقاً أو شَمَمتُ عَرارا
فاليومَ لا دارٌ بمنعَرَجِ اللِّوى تدنو بمحبوبٍ لنا فيُزارَا
كلاَّ ولا قلبي المشوقِ بصائرٍ عنهم فأبدَت دمنةً أودَارا
فسَقَى اللِّوَى لا بل سقى عهدَ اللِّوى صوت الغمائم هامياً مدرارا
ولقد ذَكرتُ على الصَّراة مراميا يُنسي بحُسن وجوهها الأقمَارا
وعلى الحِمَى يوماً ونحنُ بلهونا نصلُ النَّهار ونقطعُ الأنهَارا
في فتيةٍ مثلِ النجوم تطلّعوا وتخيرُّوا صدقَ المقال شِعَارا
من كلِّ نجمٍ في الدياجي قد لَوى في كفِّه مثلَ الهلالِ فدَارا
متعطِّفاً من جرم داودَ الذي فاقَ الأنام صناعة وفخَارا
فالآن قد حنَّ المشوقُ إلى الحِمى وتذكَّر الأوطانَ والأوطارَا
وصبَا إلى البَرزَات قلَت كلَّما طارت به جزرِ اللغالغِ[2] طارَا

(١) جلاهقة: الجُلاهق: البندق، ومنه: قوس الجُلاهق. اللسان (جلهق) ٢ / ٣٤٢.

(٢) اللغالغ: واحده (اللغلغ)، طائر معروف، وهو غير اللقلق. القاموس المحيط، ١٠١٧.

فلأي مرمَى أرتميهِ وليس لِي ... قوسُ رشيقٌ مدمجُ خطّارا
حليٌ على ضُعفي إذا استعطفته ... ألوى عليّ العنق والدستارا
نُكَتٌ له من كل صنف قد حَوى ... أعيا الرَّماةَ بحسنها إكثَارا
وبوجهه المنقوش أوّل ما بَدا ... وبه أقَام وأقعد الشُّطّارا
وغدا بتحريمي بلا سَبَبٍ بَدَا ... منّي وأودَعُه الرماةَ مِرَارا
يا حسنَه من مخلِفٍ لكنّه ... في الجوّ عالٍ لا يسفّ مَطَارا
ويطير حفظاً عن مقامي عامداً ... ولشقوتي لا يدخلُ المقدَارا
لا يندمي مهما خطرت بباله ... أنّي ينالُ مُراوغاً طيَّارا
وسْنَان من جزر اللغالغ لم يزَل ... يرعى الرّياض وليس يرعى الحَارا
لا راحل بل قادم عنّي إلى ... ماء الفرات يخوض منه غمَارا
وأنا تراني فاقداً ومنعّمَاً ... في الجو ليلاً خلفَه ونهارا
وغنى فقد بَرَدَ الهواء وقد أتى ... أيلول يُطفي للهجيرِ جمَارا
ووراءه سربانُ جاء ورغده ... عجلان يحدو للسَّحاب قِطَارا
والبارقَ الهَامي على قُلَل الحِمَى ... سدّى هناك خيوطَه وأنارا
والفيضُ طامٍ ماؤه متدفقٌ ... والطَّير فيه يلاعبُ التيَّارا
والنهر جَنّ به فراح مسلسَلاً ... صبّاً ببحر لا يصيب قَرارا
نهر النواظرِ حيث آتت شطَّه ... للناظرِين شقائقَاً وبَهَارا
والصُّبح في آفاقه يا سعدُ قد ... أخفى النجومَ وأطلع العذّارا
فانهضْ إلى المرمى الأنيقِ بنا وقدْ ... هبَّ الصباح ونبَّه الأطيارا
وتتابعت خفقاتها في أفقها ... مثلَ النَّعام قوادماً تَتَبَارى
من خُودِ حوراء العراقِ قوادماً ... يا مَرحَباً بقدومها زُوّارا
فاصحُ إلى رشق القسيّ إذا ارتمَتْ ... مثلَ الحريق أطار عنه شَرَارا
واطرَبْ على نَغَمَات أطيارِ بَدَت ... في الجوّ وهي تجاوبُ الأطيَارا
من كلّ طيَّارٍ كأنّ له دماً ... عند الرُّماة فثار يبغي الثّارا
هَل جاءَ في طلب القِسيّ حتفه ... أم جاء يطلُب عندها الأوتارا

فالتمَّ يضرب بالجناح كأنَّه ... أبدى البيان يُحرّك الأوتارا
خاض الظلامَ وغبّ فيه فسوَّ ... د الرِّجلين منه وسوَّد المنقَارا
وأتى يبشِّر باللقاء فضمَّخت ... تلك المغارز عنبراً ونضارا
والكي[1] كالشيخ الرئيس مزَّملٌ ... في بردتيه هَيبةً ووقَاراَ
يسطو على الأسماك يوماً كلَّما ... أذكى له حَرّ المجاعة ثارا
والوزّهَمُّ هاجنا تنغيمُه ... ليلاً وكم قد شَاقنا أسحَارا
فاذا تباشير الصباح ثنى له ... عطفَاً وصفَّق بالجناح وطَارا
وترى اللغالغَ تستبيك بأعين ... حورية صُفرِ الجفون صِغَارا
فكأن ورْسَاً ذاب في أجفانها ... فحكى النُّضَار وحيَّر النُظَّارا
وترى الأنيسابِ النوافر تنثني ... بين الرِّياض كأنهن عَذَارى
يسلُبن أربابَ العقول عقولهم ... ويرُعن منهُ حيلةً ونفَارا
وترى الحُبَارى كالقطا أرياشها ... أو كالرياض تفتحاً أزهّارا
هَجَرَت مناهلها على بُرحِ الظما ... واستبدلته ذَوبة وقِفَارا
والنَّسر سلطان لها لكنَّه ... لم تلفه لدمائها هدَّارا
قد شاب منه رأسُه من طول ما ... كثُرَت عليه عصورُه أدوارا
أرخى جناحَيه عليه كجوشنٍ[2] ... لو كان يمنعُ دونه الأقدَارا
وإذا العُقابُ سَطَا وصَال بكفِّه ... عاينتَ منه كاسراً جبّارا
يُعطي ويمنعُ عزَّة وتكرُّماً ... ويلجُ ممنوعاً ويمنعُ جارا
وترى الكراكي[3] كالرماد وربما ... فرقت فأذكَتْ في القلوب النَّارا
قد سطَّرت في الجوّ منها أسطراً ... وطَوت سماءَ سجلِّها أشعَارا
فإن انصَرَعْنَ فلا تكُن ذا غفلة ... عن أن ينقِّط حَليُهنَّ مرارا

---

(١) اسم طائر.

(٢) جوشن: درع.

(٣) الكراكي: واحدها كركي، طائر.

وبـدت غـــرانـيـق لَـهُـنَّ ذوائـب	لـولا الـبـيـاضُ لخلتـهُـنَّ عَـذارى
حـمـرُ الـعـيـون تدير من أحـداقـهـا	فـيـنا كـؤوسـاً قـد مُلِينَ عـقـارا[1]
والـصـوغ في أفق الـسـمـاء مـحلِّقٌ	مـثل الغـمَـام إذا اسـتـقـلَّ وسَـارا
ذو مـغـرز ذَرِبٍ فلو تـسطـو بـه	فـضح السنان وأخـجل البـتّـارا
ومـرازمٍ بيضٍ وحـمـرٍ ريشُـهَـا	كـمـراوح أضـرمْن منه جـمـارا
وعـجبتُ كـيف صَبَتْ إلى صلبـانها	تلك الرمـاة ومَـا هُمُ بنصَـارى
وشُـبَـيطرٍ مـا إن يُحلُّ له دم	مَـهـمَـا عَـلا شـجـرٌ وجلّ جـدارا
والشَّـرُّ فـيـه إلفُـه لمنَازلٍ	فـاصـبـرْ له حـتَّى يُفَـارقُ دَارَا
هَل عَبَّ في صَرفِ العُقَارِ بمغـرز	أم كَـان خَـاضَ من الدِّمَـاء بحَـارا

وهذه القصيدة وإن لم يكن هذا موضعها، ولا صاحب هذه الترجمة مسيّر شهبها ومطلعها، فقد ذكرتها للاستشهاد بها؛ لأنه كان من سببها. ولما تفرَّدت من حسن مذهبها، وأظنُّه إنّما قصد معارضتها بقصيدته التي ذكرت مطلعها:

إن الـسـمـاء تـطيـر الماء في الرَّزَق

ومنهم:

١٨- البياسي(*)

وهو أبو بكر سعيد بن أحمد بن محمد المغربي البياسي، عماد الدين لا يبلغ خضيضه، ولا يسوغ تذهيبه ولا تفضيضه. أحيا الليالي، وقد أمات النوء الثرى. وأبات السحاب. لا يُغمض جفنه الكرى إلى هواجر كان يصلى تلهبها، ويغلّ في مديد لبّها. لا يتوسد إلاّ مرفقيه، ولا يبيت غير النجم والسهاد مرافقيه؛ حتى مات فخشع له هامد التراب، وخضع له

---

(١) عقار: خمرة.

(*) ترجمته في: بغية الوعاة ١ / ٥٨٢، ولم يورد له ذكر وفاة، وقد أحال ترجمته على ابن فضل الله العمري لاغير.

هامل السحاب، وبكى بكاء الأتراب. ذكره ابن المستوفي، ومما قال: إنه ورد الموصل فنزل في بعض مدارسها متفقهاً، واستظهر بعض كتاب سيبويه، واتصل بأبي الفضائل لؤلؤ المنصوري. مُدَّت وحسنت حاله عنده، ثم قطعه عنه، وأخذ جميع ما حصل بيده من مال وكتب، وضربه ضرباً شديدا. ولم يظهر خبره، وذلك في شوال سنة ست عشرة وستمئة. وكانت وفاته بقلعة الجديدة.

قال: وكان هذا المغربي كما قيل لي رديء الطبع. سمع أبو الفضائل لؤلؤ إنساناً يشكو منه، ويذكر أنه يأخذ من عِرضه، فقال: لعلَّك أحسنت إليه.

ومنهم:

١٩- الصهاجي (*)

وهو أبو علي عمر بن عبد النور بن ماخوخ بن يوسف النحاس النحوي الصهاجي اللزبي. واللّزب قبيلته. أورق ظل الفضائل وأسبغها، وفوَّفَ حلل العلوم حتى أجمل إصبعها. بَهَرَ به المشرق والمغرب، وتفرّد به المألوف والمُغرِب. وامتدَّ ذكره من المغرب امتداد ظلاله، وورد على الشرق وزوّد زلاله؛ فنفث في روع المطلع الشرقي السحر الحلال، وحلي الجانب الغربي بما لاق بمعصم طوده المنيف من سوار الهلال.

ذكره ابن المستوفي، وأنشد له من شعره: [الكامل]

ومُـعَـقـرَبِ الصَّـدغَين خلتُ عـذَارَه ... نونـاً أتى في رَسـمِـه الخُـيَـلاَنُ
فـوقَـفتُ أبكِيـه بعـينـي غـزوه ... حـزناً عليـه كـأنني غَـيْـلانُ

وله في كاتب: [الكامل]

إن كـانَ وصلُكَ قـدتَراه ممنعـاً ... خـوفـاً عليكَ مـلامـةَ العُـذَّالِ
فـالآن مَـشـرفُ عـارِضَيك مخَـبِّـرٌ ... أن العـذارَ مـوقِّعٌ لِوِصَـالِ

(*) ترجمته في: بغية الوعاة ٢ / ٢٢٠.

وحكى أنه أتى إلى الفقيه العلاَّمة كمال الدين بن يونس فألفاه على دجلة وحوله جماعة يتفقهون به، فرأى بحرمته ومنها وعجتين إذ أخذت عنه وعنها، فقال: [الوافر]

تجُرُّ الموصلُ الأذيالَ فخراً ... على كُلِّ المنازلِ والرُّسومِ
بدجلةَ والكمالُ هما شفاء ... بَهيمٌ أو لذي فَهْمٍ سَقيمِ
فذا بحرٌ تَدفَّق وهو عَذْبٌ ... وذا بحرٌ ولكن من عُلومِ

وحكى أنه أتى دمشق فرأى صبياً من أبناء الكتّاب، يعرف بابن عُصَيفير، قد عُصْفِرَتْ ديباجته، وتمت فيه من الحسن حاجته، فوقف حائراً، وسقط قلبه في يده طائراً، فقال: [الوافر]

مَتى نيلُ المؤمَّل من غَزالٍ ... عَلَى الأحيَاءِ سلَّطَ مُقلَتيه
كأنَّ فؤادَ عَاشِقِه المعنّى ... سَميّ أبيه يخفقُ في يَدَيهِ

وهذا من قول المجنون: [الطويل]

كعُصفُورَةٍ في كفِّ طِفلٍ يَظلُّها ... تُقَاسي حِياضَ الموتِ والطفل يلعبُ[1]

عدنا إليه. حكى أنه كان يتعهد درس الفقيه العلامة كمال الدين بن يونس لصحبة كانت بينهما أكيده، وسوالف مدهٌ عديده. وكان ابن يونس لا يبقي من أهل الفضل محصل ولا مَن هو من أفنان العلم متوصل، حتى يحل بداره، ويحمل مما كنز تحت جداره، فأتاه يوماً وقد حضر جماعة قد تطيلسوا[2]، وتعاقدوا على إسكاته. فلما تكلم أبلسوا[3]، فقال الصَّهاجي: [الطويل]

كَمالٌ كَمالُ الدين للعِلمِ والعُلاَ ... فهَا هُو سَاعٍ في مَسَاعيك يطمَعُ

---

(١) ورد في الديوان:

كعصفورة في كفّ طفل يزمّها ... تذوق حياض الموت والطفل يلعب

ديوان مجنون ليلى، ص ٤٤.

(٢) أي لبسوا الطيلسان. والطيلسان ضرب من الأكسية السود. (فارسي).

(٣) أبلسوا: سكتوا. اللسان (بلس) ١/ ٤٨٣.

إذا اجتمع النظّار في كل موطن فغايةُ كلٍّ أن يقولَ ويَسمَعُ
فلا تحسَبُوهم عن عِنادٍ تطيلسُوا ولكن حَياءً واعترافاً تقنَّعُوا

وحكي أنه مرَّ ببلدة فرأى فيها غلامين كأنهما الفرقدان، أو النيران؛ إلاّ أنهما أخدان قد تحابّا حبّاً أكَّد أُلفتهما، ورأيت في ديوان المحبّة معرفتهمَا، يعرف أحَدهما بابن صقر، والآخر بابن فهد، فقال: [الطويل]

أليسَ عَجيباً جَارحَان تَصَايدَا وذلك شيءٌ لا يُكَاد يُرَامُ
فمَن لي بفرْخِ الصَّقر أمسَك سبقَه وأوتَى بجُروِ الفَهدِ ثمَّ ينام

ومنهم:

٢٠- محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي الأندلسي النحوي(*)

شرف الدين أبو عبد الله. فريد كان بغير نفسه. لا يتأنس ولا يسامر إلاّ من الجواري الكنَّس. ألف الوحدة، وعرف بما تفرَّد به وحده. ولم يجزم إلاّ بفضله ولم يجرّ ذيل الأفق على مثله إلى دار حتى زَهَرَتْها، وجلا من تحت خدر المجرّة زهرتها، فبرزت باسمة لا تغيرها القطوب، ولا تنكرها الخطوب؛ كأنّما ضرّست بدُرر، أو غرست في منابت اللآلئ، فضمتها غزلان المسك في السرّ.

وذكره ابن اليونيني، ووصفه بالمعرفة بالفقه على مذهب مالك، وبعلم الكلام والأصول، والتصنيف في التفسير.

وقال: مولده في ذي الحجة سنة تسع وستين، وقيل سنة سبعين، وقيل إحدى وسبعين

(*) ترجمته في: البلغة ٢٢٨، وبغية الوعاة ١/ ١٤٤، وإشارة التعيين ٣١٩، ومعجم المؤلفين ١٠/ ٢٤٤. توفي سنة ٦٥٥هـ.

وخمسمئة. وقرأ القرآن الكريم ببلده على أبي محمد بن غلبون، وأخذ النحو عن الشلوبين، وسمع بالمغرب والحجاز والشام العراق وخراسان. وحدّث بالكبير[1]، وجاور بمكة زماناً طويلاً. وكان من الأئمة العلماء الفضلاء، ذا معارف متعدّدة، بارعاً في علم النحو واللغة العربية والتفسير. وهو على هذا كلِّه متزهّد مطّرح تارك للرئاسة، حسن الطريقة قليل المخالطة للناس، كثير الصلاح والعبادة والحج. مقتصد في أموره. له قبول، لا يحل ببلد إلا ويكرمه رؤساؤه وأهله. وتوفي في خامس عشر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وستمئة بين الزعقة والعريش وأنشد له: [الطويل]

أَتجهلُ قَدري في الورَى ومكَانتي تزيد على متن السِّماكَينِ والنَّسرِ
ولي خصَب[2] لوأنه متقسِّمٌ على أهل هذا العَصرِ تاهُوا على العَصْرِ

ومنهم:

٢١- حافي رأسه(*)

محمد بن عبد الله ين عبد العزيز بن عمر الزناتي المازني النحوي محيي الدين، أبو عبد الله. لا يعدل الدرُّ لفظه الموزون، ولا ودائع المعادن حفظه المخزون. ولا يقاس أبو عثمان فتى مازن. عُرِف بحافي رأسه، وكان وافي رئاسه وكافي من شبهه بالبحر، أو قاسَه. لم يجهد منهله المباح، ولم يجهل فضله المماح[3]. ذكره شيخنا أبو حيّان، وقال: كان شيخ أهل الإسكندرية في النحو. تخرَّج به أهلها، وكان منجبا. ولا أعلمه صنّف شيئاً في النحو. رأيته في درس قاضي القضاة ابنْ المنير سنة تسع وسبعين وستمئة أول قدومي من الغرب، ثم رأيته سنة إحدى وتسعين وفيها توفي. وله نظم، فمنه قوله: [الطويل]

(*) ترجمته في: بغية الوعاة ١/١٣٨، وإشارة التعيين ٣٢٢، والبلغة ٢٣٠. توفي سنة ٦٩١هـ.
(١) لعله يريد المسجد الكبير.
(٢) خصب: رجل خصب: كثير الخير.
(٣) المماح: الجاري. اللسان (ميح) ١٣/٢٢٨.

ومعتقد نَيلَ الرئاسةِ في الكِبْرِ فأصبح ممقوتاً بها وهو لا يدري
يجرُّ ذيولَ الكِبْرِ طالبَ رِفعةٍ ألا فاعجبوا من طالبِ الرفْعِ بالجَرّ

وقوله في أهل الثغر: [الكامل]

يا مُنكِراً من بُخلِ أهل الثَّغر ما عرف الورى أنكرتَ ما لَم يُنكَرِ
أقْصِرْ فقَد صَحَّتَ نَتَانةُ أهلِها ومن الثغور كما علمت الأبْخَرِ[١]

قلت: والبيتات الأولان أنشدني إياهما الأديب جمال الدين محمد بن نباتة، وزعم أنهما للصاحب تاج الدين محمد بن جنا. وقول شيخنا أبو حيَّان أثبت[٢].

ومنهم:

٢٢- علي بن إبراهيم التُّجاني البجلي[*]

بحرمته مدد القاله، ويدر عليه مجمع الهاله. كان بتونس صدر إقرا، يؤخذ من حفظه ورتبته الذرى، ذا قبس بلفظه وجُلّى، وندي يد ملكها، وتفرَّد في المكارم ومسكها. وكان لا يعقب الصفو منه كدر، ولا يقاس بنائله المطر، ولا يشبه بسواه إلا إذا استوى حجر الياقوت والحجر. لعلم نفعه كثير، وحِلم يغفر الذنب ويعفو عن كثير. يناظربه السحاب وقد تلظَّى حقداً، وأعطى قليلاً وأكدى. هذا إلى بأس يكاد منه قلب البرق ينفطر. وَقَد الخطا بناظر، وكان لا يزال يعمر به مجلسه، ويدنيه منه ويؤنسه، ويأخذ منه العلم ببلده ويغرسه.

وقد ذكره شيخنا أبو حيان في مجاني النصر، وقال فيه: أستاذ يُقرَأ عليه بتونس النحو والأدب، قدم علينا القاهرة حاجّاً.

(*) ترجمته في: بغية الوعاة ٢ / ١٤١.

(١) الأبخر: نتن الفم.

(٢) ينظر: بغية الوعاة ١ /١٣٨.

وأنشد له قوله: [السريع]

إنَّ الَّذي يَروي ولكنَّه يجهَل ما يَروي وما يكْتُبُ
كصخرةٍ تنبع أمواهها تسقي الأراضي وهي لا تشرَبُ[1]

وقوله يمدح رجلاً وهبه مالاً عوناً على الحج: [السريع]

ياسَيِّداً قامتَ لدهري به على الَّذي بُغيتُه الحُجَّه
جودُك للنَّاس ربيعٌ ولي منكَ رَبيعَانِ وذو الحِجَّه

ومنهم:

٢٣- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيّان النَّفْزِي(*)

سحاب الفضل المنهل وسخا ختام الفضل، من قبل طريقه سهل، وتحقيقه يثرى من ذا الجهل. تاه به الأندلس على كل إقليم، وملك به عنان التقديم. ولو تقدم عصره حتى كان منذ قرنين في ذلك المكان، حيث يتغادى على الآداب من ملوك الطوائف، وتتهادى رياحين تلك اللطائف، لما احتفظ صاحب الذخيرة بأكثر من جوهرِه. ولا استضاء الحميدي في جذوة المقتبس إلاّ بنور نيرِّه؛ بل كان يفتح به القلائد الفتح بن خاقان، ويقدم ابن الإمام ذكره في سمط الجمان، ولَمَا كان يسع ابن اليسع إلاّ أن يقتصر عليه في المغرب، ولا يجيد ابن دحية في المطرب. ولكان في الاختيارات لأبي سهل حظّه الوافر، ولهان بدّرة اليتيم ما جاء به ابن بحر في زاد المسافر. بشرّبه التوحيدي أبو حيان، وبصّر. سمَّى حفيده ابن حيّان. وقدم مصر منذ ستين حجّة، وأتمَّ نسكه وحجَّه، ثم عاد إلى القاهرة واستوطنها، واستطاب في

(*) ترجمته في: إشارة التعيين ٢٩٠، وبغية الوعاة ١ / ٢٨٠، والبلغة ٢٠٣، والدرر الكامنة ٤ / ٣٠٢، ونفح الطيب ٩ / ٣٣١، وطبقات الشافعية ٣ / ٦٧. ومعجم المؤلفين ١٣ / ١٣٠، توفي سن ٧٤٥هـ.

(١) لم يذكر العمري سنة وفاته. ينظر: بغية الوعاة ٢ / ١٤١.

الأرض وطنها. ومنذ قدمها خوطب بالإمام؛ ومع هذا ممّا تأبّى عن لقاء الأعلام. ولم يكن يقصر بجناح إلى تمام يقع في الأوهام؛ وإنما أراد الزيادة بما يحصل باقتداح الأفهام. ومنذ ذاك الطلبة إلى إفادته ومن حياض آفاته تكرع؛ حتى انتشر مددهم في البلاد انتشار الصباح، ونظر أهل الشغف بالعلم من كتبه ما ينظر في الوجوه الصباح. وهو الآن نفع الله به هودج اللآلئ الذاهبين وكنز الطالبين. كل الطلبة من عشبه درجوا ومن نبت دواسته خرجوا، وبشذاه أرَّجوا، وبسناه سقوا عطاء الإفهام وفرجوا، وبشهاب توفيقه أدلجوا، ومن أثواب تصنيفه إلى العلم ولجوا. وأنا ممن قرأ عليه، وتشرفت لمّا مثلت لديه.

وأمّا تصانيفه فسارت أوقار الإبل، وأما تفريقه للأدب بشيء عليه جُبِل. إن شعر أخفى ابن خفاجة، أو نثر كتم[(١)] خصاله ابن أبي الخصال وأطفأ سراجه فإذا نحا من شبه سيبويه، وإذا تكلّم في اللغة محا ابن سيده ما أحكم في المحكم وضرب عليه. وإذا روى عن الأعراب فإليه تقريب ابن قُرَيب[(٢)]، وأبو عبيدة عبده الواقف بين يديه، وإن فسّر رأيت ابن عطية منقصاً، والقرطبي لا يجد مثل بلدة الماسورة مخلصا، أو السريري قد علل إلى بعض الدواوين منكصا، وابن القيِّم واقفاً على بابه في يده العصا. مع رواية في حديث النبي صلى الله عليه وسلَّم وفقه؛ كأنما طبع منه في مرآة جليَّه، ودين يعتصم به المرء، وعدم محاباة إن لاقت به، فلا غرور مع ما بلغه من هذا السنّ والعمر الذي تهدأ به البديهة وتسكن، لا تخمد له قريحة ولا تطمئن به فكرة مريحة، ولا تعزب عن ذاكرته قضية ولو كانت حقيرة أو قصيَّة؛ هبةً من الله لا تكافى ولا تجدها في غيره، ولو عددت آلافا. قرأ القرآن بالروايات، وسمع الحديث بجزيرة الأندلس وبلاد إفريقية، وثغر الإسكندرية وديار مصر والحجاز، وحصل الإجازات من الشام والعراق، واجتهد وطلب وحصّل وكتب، وله اليد الطولى في علوم التفسير والحديث، والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم وحوادثهم. وله التصانيف العديدة، وتنيف على خمسين مصنَّفاً. ولمّا قدم البلاد لازم الشيخ بهاء الدين ابن

---

(١) كتم: اقتصَّ. اللسان (كتم) ١٢/ ٣٩.

(٢) يعني بذلك الأصمعي.

النحاس كثيراً، وأخذ عنه كتب الأدب. وقرأت عليه الأشعار الستة، والفصيح لثعلب والمقصورة لابن دريد، وشعر أبي تمام إلى آخر المديح. وكتبت عنه من أخبار العرب وأدباء الأندلس وفوائد الأئمة شيئاً كثيراً. وكانت المراجعات لا تكاد تنقطع بيني وبينه.

كتبت إليه:

يقبل البساط المنيف، بل البساط الشريف لا زال فوق السها[1]، وفي الغاية التي لا تبلغ إلى منتهى، ويسأل في شيء مما سمح به فكره، وقذفه في البحر درّه من النثر الذي لا يقدر عليه في النظم المحضور بالقوافي، المقدور بالميزان. ولا يمكن الترجيح في وزنه الوافي؛ ليثبته في مكانه، وينبته رَوْحاً مثمراً في بستانه والمسؤول منه ما هو من الدرّ أعلى قمة وأخف حملاً؛ مع التعجيل ببرقه المومض وودقه الذي لساعته يرفضّ[2]؛ فإن الدفتر قد خرج صدره لكنه في شفافه، والناسخ قد فتح فاه لالتقافه، والقلم قد سابق البيان لا ختطافه، والسمع قد علّق مقطفه لاقتطافه، والمراد الإسراع قبل غلبة السكر بما يمنى من سلافه.

فكتب إليَّ يقبل الباسط، ويقول: أشغل الخلّ أهله أن يعارا وينشد: [الطويل]

وبلّغت من عُمْري ثمانين حجةً وسبعاً أرى الأشياخَ ليست كمَا هيَا
وفي عَيبَتي اليسرى وفي شَقّ هَامَتي وقَلبيَ فِكرٌ يتركُ الفكرَ نابيَا
ولا نَظمَ إلاّ بانتظامِ منيَّتي ولا نثرَ إلاّ بانتثارِ عظَامِيَا

أيها الإمام اكفف عن عزمك فما نحن من ضربك مَن باراك بالنظم حتى بأبهى درّه، وجعلته يرفل في أسنى حَبْره، فأنت أشعر هذا الجنس، بل أنت أشعر الجنّ والإنس. إن أوجزت أعجزت، أو أسهبت دهيت، أو مدحت أعليت، أو قدَحتَ أوريت.

وكتب من نثره قوله: وقد استوحش المملوك لمولانا عند التفرج في مصر ونيلها، وحادرها وحيلها، وبهجتها وخيرها، والصور المتولدة بين الترك وغيرها التي يجول السحر في

(١) السها: كويكب صغير خفيّ الضوء. اللسان (سها) ٦/ ٤١٦.

(٢) يرفضّ: يجري ويسيل. اللسان (رفض) ٥/ ٢٦٧.

عيونها والصبا في فنونها، ذوي الذوائب المضفرة، والمحاسن الموفرة. إن سدلوا الشعور فبدور تحت الدياجي، أو ضفروها فأراقم سواجي. من كل أملد[١] أهيف القوام، كأن ريقه مُدام، وشَعْرَه ظلام، ووجهه بدر تمام؛ إن نطق فالسحر في كلامه، أو رشق فالموت في سهامه.

وقوله:

ورد على القلب ما شَّرفه، وعلى السمع ما شنَّفه[٢] من الأدب الغضّ، والفضل الخالص المحض، نظم يودّ الغواني لو يكون لها عقداً على النحر، أو تاجاً على الرأس فاق تأرّجه الزهر، وراق تبلّجه الأنجم الزهر. وكيف لا، ونور أهل الأدب من نور الشمس يستمد، ولتحصيل فضائله وفواضله يستعدّ؛ لكن صادف مني ذهناً كليلا، وجسماً عليلا، وقلباً جريحاً، وطرفاً قريحاً. وماء قريحة قد غاض وهمي تيهٍ قد فاض. يتجلى في خلب كبدي، والمحبوب من ولدي، واغترافي من اللكن لفقد السكن، ومن الوجل يورد الخجل؛ ما حضر لساني أن يفوه في حق هذا الفاضل بما يحب، وأن يتهذب في الثناء عليه كما ينبغي أن ينتدب فعيٌّ فاضح، وعذري إليه واضح.

وقوله:

إن دفق فالبحر، وإن نطق فالسحر. ألفت إليه الآداب عنانها، وتفتقت به بديعها وبيانها. وأطاعه عصيّها، ودنا إليه قصيّها. فمن فقره دره وتقسيم قسيم، وترجيز وجيز، وقافية وافية طرزت بأنواع البديع، ووشعت[٣] به أحسن التوشيع؛ فأصبحت آدابها في جيد الزمان قلائد وفي سَلْك الأوان فرائد. يجنس فيها الجنس، وتنوّع وتأصل منها وتفرّع. نزلت من الآداب

---

(١) أملد: الملَد: الشباب الناعم. اللسان (ملد) ١٣/ ١٧٥.

(٢) شنَّفه: الشنف: الذي يلبس في أعلى الأذن. اللسان (شنف) ٧/ ٢١٤.

(٣) وشعت: التوشيع: دخول الشيء في الشيء. اللسان (وشع) ١٥/ ٣٠٧.

منزلة الإنسان[١]، والذهب الإبريز من العين. وقضت بالتمييز على ذوي التبريز، وبالاختيار على ذوي الاختبار. تطرب الأسماع للسامع، وتحسد العيون عليها المسامع، وكالحميّا[٢] شجت بماء غمامها، والثريا علّقت في مصامها. فكأن سامعها لا لتذاذه في أغناء الفجر، ووصل الحبيب بعد الهجر، يتوقل[٣] منها نوعاً نوعا، ويتعجب منها بما جمع فأوعى، ويوشّيها ما كان مرتَّقا، وسبق إلى أعلى مرتفقا، وأضحى بها الفرد الذي لا نظيرله في الاجساد، والأوحد الذي يُرى فضله على الأنداد والأضداد.

وقوله:

وإني وإهدائي الصدف للدرر، والوَشَل[٤] للذر كمهدي البرية إليهما والنغبة[٥] للدما. أما السيد عينه في قديم شرف ارتجاه الأكابر باتساق رباه، وفنيت المحابر في وصف محاسن محيَّاه. تضمَّخ النادي بنشره[٦]، وأعلن المنادي بنشره[٧]؛ فهو الشرف المشهَد، والمحتد الذي شرف به المشيّد؛ ولكنها السيادة إلى مدى ما تحلت به المآثر، وتجلب به من المفاخر، ويظهر به من الأدب الغضّ ما يقال فيه، كم الأول للآخر، ولا يمكن أن يعصى الأمر، بل يمتثل ما رسمت به الأوامر.

وكان شيخنا أبوحيّان رحمه الله قد ذللت له صعاب اللغات فاقتادها بأعناقها، وجذبها أخذاً بدائرة نطاقها. وتعدّى لغة العرب إلى العجم، فصنّف عدة كتب في تراجم اللغات المختلفة، والتزم فيها بالصحيح. وإن من تكلم فيها بَلَغهُ من تلك اللغات

---

(١) الإنسان: يعني بذل إنسان العين، وهو المثال الذي يُرى في السواد، اللسان (أنس) ١/ ٢٣٣.

(٢) الحميّا: حميَّاكل شيء: شدّته وغضبه. اللسان (حما) ٣/ ٣٥٠.

(٣) يتوقل: يتصعَّد. اللسان (وقل) ١٥/ ٣٧٦.

(٤) الوشل: الماء الذي يقطر من الجبل. اللسان (وشل) ١٥/ ٣١٠.

(٥) النغبة: الجرعة. اللسان (نغب) ١٤/ ٢١٨.

(٦) بنشره: بعطره.

(٧) بنشره: بإعلان خبره.

الشتّى على ما ضبطه كان خارجاً عن النقل المسموع في تلك اللغة عن صريح أهلها. وكأن المتكلم به قد تكلّم بخطأ أو لحن؛ إما منه، وإمّاما طرأ على أهل تلك اللغة بمداخلة من ليس منهم. كما داخل العرب بمداخلة النبط وفارس والروم؛ حتى كان ينكر على رجال من صليبة الترك، ورجال من صليبة الفرس في كلمات تقع على غير الصحيح في أصول لغاتهم.

ورأيت رجالاً منهم ممن عرف معرفته يتحاكمون إليه فيما شجر بينهم في ذلك، ولقد أراني فيما صَنَّف في ذلك، فمنه: الإدراك في لغة الأتراك، ومنه: زهو المُلك نحو الترك، ومنه: منطق الخرس في لسان الفرس، ومنه: جلاء الغبش في لسان الحبش، ومنه: المخبور في لغة الخمورِ، وهي لغة قديمة كانت لأهل دمياط، يتحدثون بها في قديم الزمان، فرأيت منها العجب، وعلمت بها أنه قد حكم على ألسنة العجم والعرب.

هذا ولم يكن رحمه الله يعرف هذه الألسنه معرفة يَخيّل في ميدانها لَسِنه؛ وإنما كان قد أكثر التقصي عن كل لسان، والسؤال من أهل المعرفة عن مفردات كلمها اسماءً وأفعالاً وحروفاً وتصريف الأفعال، وتركيب الكلم، ثم نزّلها على قواعد اللغة العربية، وأجراها عليها في مصطلح الترتيب بعد إتقان معرفة ما في تلك اللغة من صيغة الجمع والمثنى والمضاف والمضاف إليه، وغير ذلك؛ حتى ضبطه كلَّ الضبط.

وكان يراني أتهلّل به بشراً وسروراً؛ باعتلاقي بسببه، وما يسَّر لي من إدراك مثله والاستضاءة بقبسه. وكان لي من شكره حظّ علمه أهل عصري وحسدي عليه أهل مصري، ومنها: أنه لما أوقفني على هذه التأليفات الغرائب وأراني من بحره العجائب، أشار لتشريف قدري وتعريف نكري أن أكتب عليها ما يبلغ به الجاهل مبلغها، ومقدار النعمة التي سوّغها، ومدى الهمة التي حطّم بها أنوف هذه الصفات النوافر، وأبرز من ليل الأعجمية صباحها السافر فقيّدتُ في أسفارها ما سنح، وأعدت إليه ما منح، وأعدتها إليه إلاّ منطق الخرس؛ فإن بعض الأصدقاء آثر الوقوف عليه، فأوقفته عليه، على أن يقضي منه أربه، ثم

يوصله إليه. وعرضت لي عوارض حال، فيها الجريض دون القريض[1] ونوائب يكفي في ذكرها العريض. ثم تمادت المدَّة وطالت ودالت دول الشواغل واستطالت. ومؤدى تلك الأمانة قد شغله عنها النسيان، وأغفله عنها عدم مرورها منه على الخاطر. وكان شيخنا رحمه الله على سعة بحره يظنّ من حزازاته حتى بقَدْر ظفر الإبهام، ويغزو بالمطالبة لها غزو الجيش اللهام. وداخَلَه الظنّ أنني تعمّدت تأخيرها لقصورها عن حسن أخواتها، أو لأدرجها بالمطالة تحت ذيل قَواتها، فكتب إليَّ: [البسيط]

منطقَ الخُرسِ صَبراً لا يَراك أبو ... حيّان حتى يعود القارظ العَنَزي
حَصَلت في كَفّ شهم لا ينال له ... غورٌ كريمُ الثنا والأصل محترَزِ
إذا استَعارَ كِتاباً لا يَعودُ لمن ... أعادَه فعل أب للضَّيم محتَجَزِ
حُبُّ الفضائل قد ألهاه لا طَمَعٌ ... منه ولا يَحُلّ إلى نداه عَزي
هَذا وشيمَتُه بذلُ اللُّهى ويَرى ... إسداءَه للنَّدى من أعظَمِ النُّهَزِ
اضطُرَّ قلبي لِتَأليفي لِتُبصِرَه ... عيني كما اضطُرَّ صدر اللَّبيبِ للعَجُز
ومن يقابل بالنبراس شَمس ضحى ... كَمَن يُقَابِلُ لُجَّ البَحرِ بالنَّزَزِ
وقد تشَوَّقتُ للبكر التي نَشَأت ... من فكرِه طَفلةً[2] ليست من العَجَزِ
فابعثْ بهَا يا إمامَ العَصرِ سالمةً ... وحُلِّها بنفيس الدرّ لا الخَرز
بحر تناءى يفوق المسك نافحُهُ ... إنَّ الكرامَ لما قد حُزتَ لم تَحُزِ
يَسرى ثنائيَ في الآفاق منتهباً ... يَجوزُ حيثُ الدَّراري السَبع لم تَجُزِ
مَا فَازَ ذُو شَرَفٍ بالمدحِ من أحدٍ ... إذا بمدحِ أبي حيَّان لم يَفُزِ
ولَم يَمِزْ جاهلاً من عَالِم أحدٌ ... إذا يكون أبو حيَّان لم يَمِزِ
وقد جَزيت مسيئاً بالجميل فلا ... أكونُ ممن بسوء في الجميل جُزِي

---

(١) هو من أمثال العرب. والجريض: الغصَّة، والقريض: ما يردُّه البعير من جرَّته في أثناء المضغ. اللسان (قرض) ١١/ ١١٢.

(٢) طفلة: رخصة، ناعمة. اللسان (طفل) ٨/ ١٧٤.

إني لأخزى بكثر الرُّسلِ مطّلباً بناتُ فكري وغيري لا أراه خزي
وإنَّ من سامني سوءَ الفعال كمن يرش بالطلِّ صخرَ التُّربة الجرزِ
أرضُ بها ينبتُ الشَّرْيُ(١) الكريهُ فمن يذقْه ذاق وجيّ الحبَّة الجمز(٢)
لكنَّما صنعتي حَول القريض فما نسجي سوى بُرْد قدْحٍ معلم الطُّرُز
وقد تقدّم لي في مدحكُم مِدَحٌ قصائد ثبتنا عنه ولم نجزِ

ولما أتاني قاصده بهذه القصيدة وقف يطلب الجواب، وأبى أن ينصرف إلاَّ به. وألحَّ في الطلاب هذا. وعندي من بقايا تلك الهموم ما أصدأ مرآة الخاطر وقشع سحاب الفكر الماطر، ولم يسعني إلاَّ إجابة داعيه، وإحالة رائد القريحة لمساعيه، فنقفت(٣) ما حظر عليه. وكتبت به إليه وهو: [البسيط]

مَديحُ مثلكَ كالعَلياء بالطُّرُز في بَعضه فرصَةٌ تبدو لمنتهزِ
لو جاء شعرُك والصَّهباء دائرةٌ ورُمتَ تمييزَه في الذوق لم يَمزِ
مكمَّل ليس يَحتاجُ الصَّدور به إلى تتمَّة ما ينساق في العَجُزِ
في كُلّ بيتٍ له معنى يتيه به وربَّة البيت ذات الخَصرِ والعجَزِ
ممكُورة طَفلَة عزَّت أماثلُه يَسقي عجوزَ طُلىً ليست من العَجَزِ
في طيِّها كلّ ما يغنَى الأنامُ به كأن أبياتها كنزٌ من الكُنُزَ
بديعُ نظم أبو حيان ناظمُه ولا قَصيدي يحاكيه ولا رَجَزِيَ
اسمعْ بَقيتَ أبا حيّان ما بَقيَتْ زهرُ الكواكب قولاً غيرَ محتَجَزِ
ولا تُبادرْ إلى عَيني معاجَلَةً واعرفْ حقيقَةَ عُذري حيثُ لم أَجُزِ
مَن ذا يطاولُ آفاقَ السَّماء علاً ومن يقابلُ نظمَ الدُرّ بالخَرَزِ
واللّه يعلمُ أني لا أقول سُدى قولاً ولا المينُ(٤) في طبعي بمرتكزِ

(١) الشري: الحنظل. اللسان (شري) ٧/١٠٦.

(٢) الجمز: برعوم النبت الذي فيه الحبة. اللسان (جمز) ٢/٣٥٣.

(٣) نقفت: نظرت. اللسان (نقف) ١٤/٢٦٨.

(٤) المين: الكذب. اللسان (مَين) ١٣/٢٣٦.

وإنما العُذرُ أبديه وتعلمُه ... واسمعْ يميزُ مقالي أحسنَ الميزِ
بأنني عندَ موتِ الوالد اجتمعَتْ ... عليَّ أنواعُ همٍّ دغدغت نشَزي(١)
حتى رحلتَ ولا ألوي على أحدٍ ... رحيلَ محتفلٍ للبين محتفزِ
وعدتُ والسُّقم ملتاثٌ به جسَدي ... ومثلُه سقمُ قلبٍ حرّ كالخرزَ
وليتني لم أعُدْ من سَفرةٍ كُتبتْ ... عليَّ حتّى يعودَ الفارطُ العنَزي
وربّما قد علمتَ الحالَ أجمعَهُ ... وكيفَ حالُ فتى فيما يُحب رُزي
وجاءت الرُّسلُ تترى يستحثُّ بها ... منطقَ الخُرس يبغي أعظم النُّهَزِ
ولم أكُن شَهِدَ اللّه العظيمُ بمن ... يَضيعُه وهو عندي أشرفُ الحيَزِ
لكنني كنتُ في نفسي يضيقُ به ... وَسعُ الفضاء وحالي حالُ مُحترزِ
فلم أجِد ليَ وقتاً أستَعينُ به ... على تَطلّبه لو كان في حَجَزي
وعدتُ أرسلتُه معْ مَنْ وثقتُ به ... وكان ظنّي به إيصالَه فخُزي
وما أضاعَ على علمي أمانتَه ... ما خان قطّ ولا هذا إليه عُزي
أمَا يكونُ من النِّسيان آخرُها ... وإنه بَعْدُ بالعذراء لم يَفُزِ
اسمع وُقيتَ أبا حيَّان كلَّ أذى ... وعشتَ شرُّ العطايا غيرذي نزَزِ
أفي كُريريسَةٍ إن ضاع ضائعُها ... يغدو كما لَكَ فيها ظاهرُ العوَزِ
إن فُتّقت فمقالاتٌ وجدتَ لها ... من مثلِها حُلَّةً محبوكةَ الدُرُزِ
تقول مَن سامني سوءَ الفَعال يرش ... بالظلِّ حرّاء صخر التربة الجُرُزِ
باللّه قل ليَ هذا منكَ عن حَنَقٍ ... أو لِلفكاهةِ أو هذا من الطنَزِ(٢)
لو قال غيرُك هذا كنت تُنكرُهُ ... ولو سألناكَ عنه قُلتَ لم يَجُزِ
وَلو يكونُ سَمينَ الضَّأن قد جُمعَت ... لَهانَ لكنّه عَيبٌ من المعَزِ
واستغفرِ اللّهَ هذا نزعه عرَضت ... كَما الجَوادُ بها من شدّة اللّزَزِ
وأنت سيّدُنا حقّاً ووالدُنا ... وحُزتَ بالسَّبق تفضيلاً ولم يَحُزِ

---

(١) نشزي : النشز : المتن المرتفع من الأرض وغيره . اللسان (نشز) ١٤ / ١٤٣ .

(٢) الطنز : السخرية . اللسان (طنز) ٨ / ٢٠٧ .

ومَن تَطِيُر مَع النِّسرين أرجلُه فليس يُدركُه بَضِّي ولا خَرَزِي[1]
فامنُن بعَفوٍ جَميلٍ لا تُكدّره فالعفوُ في شِيَمِ الأشراف كالطُّرُزِ

فكرَّ رسوله راجعاً في بكرة غده، وأتى إليَّ بورقة يحملها في يده ثم ناولنيها، وقد برقعه الحياء بصفرة، وأطرق كأنه يُردى في حُفرة.

وكان الشيخ قد علّم ذلك الصبي هذه الحيلة، وأراد أن يكبر عندي هذه الطلابة القليلة. وفطنت للمراد ووطيت من جمره على الرماد، وقرأت قصيدته غير مكترث، وقلت له: يعين الله على خلاصي من الذمة قول منبعث، فقال: أنا في قيد الجواب، لا أبرح حتى استصحبه، وأرى معي أبيات إنباته مصحبه، فتتبعت أثره ورددت عليه أو أكثره، وعدلت له فرحاً بمصاب، وخلطت له عسلاً بصاب، وعرّفته قدر صنائعه وقيمة رائعه وإنَّ تحفته ليست سنيَّه، وثمرات رطبه غير جَنيَّه. ثم ثبت له على الحق وقطعت بإرسالها سبيةً من غير رقّ؛ إلاّ أنني أخّرت له أوراقاً من الكتاب المعار، والطلب الذي عقد لأجله النقع المثار؛ حبّاً لمداعبته، وإيثاراً لدوام مطالبته. وكان الذي كتب إليَّ: [البسيط]

مَا إن للكَرَم الموعودِ إنجازُ يا مَن له الفضلُ والإحسانُ ينجازُ
أشبهتَ في النظم باللفظ البديعِ وبالـ ـمعنى الغريبِ لنَظمٍ فيه إنجازُ
ما يُشبه البحرِ في أمواجه ثمدٌ[2] ولا الصدورُ نشا المذكيِّ إعجازُ
إن كانَ أشبهكَ الأعلام في شَرفٍ فأنت بالعِمَّة العلياء تمتَازُ
سَمَوتَ للعالَم العُلويّ حيث يَرى للنيِّرات به فخرٌ وإعزازُ
يمضي زَمانٌ ونورُ النيِّرين معاً يخفَى وللشُّهْب في الآفاق إبرازُ
فلا يملْنَ إلى ما كانَ من عَرَضٍ للجوهَر الفردِ فالأعراض أوفازُ
في لذَّة العلم ما يَعني الأريبُ به عن رَيبه غيركم ما إن بها فازُوا
ما كَان إلاّ انتقالٌ من علٍ لعَلٍ فيه لمنصِبِ فضلِ اللّه إحرَازُ

---

(١) بضي وخرز: أسماء الطيور الصيد.

(٢) ثمد: الماء القليل. اللسان (ثمد) ٢/١٢٥.

أنت الكبيرُ وقد هذّبته زمناً ... وليس بينكُم في الفَضْلِ إفرازُ
مَن ذا يُساميكَ في علم وفي أدبٍ ... ما الجاسِمِيُّ ومن ضمَّته شيرازُ[1]
إنّ البَراعةَ قد حطَّت براعتكُم ... في طِرس نفس به للمُلك أنشازُ
لأنتم زهرةُ الدُّنيا وبهجتُها ... لها جَمالٌ بكم ما فيه إعوازُ
أُثني عليك ولا أنفكُّ ذا طلب ... فمنطقُ الخرس أوبى للثَّرى حازْ
فلا تجزني بوَعدٍ منك يَمطلُني ... إن الملحَّ لعطف الجود هزّازْ
الحجب في هزِّ عِطفٍ للنَّدى خَطَلٌ ... خلِّ الوعودَ فمثلي ليس ينجازُ

وأما جوابها التي ملأته بما حوى، وعكست عليه ما نوى، وأتيت به على ما تفتحت به بادرة القريحة، وبلغته ركائب الخاطر وهي غير مستريحة، فهي هذه: [البسيط]

بديع شِعركَ للأعطاف هزّازُ ... وفيه معنى لقَلبِ المرءِ جَزّازُ
خلطت بالصاب فيه الأريُ[2] فاختلطا ... حتَّى تعذَّر للتمييز إفرازُ
يلذُّ في ذوق راويه وسَامعه ... وكلَّما قال إكرام وإعزازُ
حُلْوُ اللَّمى سكريّ الرّيق مَعدِنُه ... أرضُ الجَزيرَةِ لا مِصْرٌ وأهوازُ
من المنكَّب أو ماحَلَّ جانبُه ... ووادي أشّ وفي الحمراء ركَّازُ
من أرض حيّان الحرير وذا ... بُزُّ الحَرير وذا إذبَزَّ بزّازُ
ممكَّن في القوافي القفر تُعرفُ من ... صدورِه ما حَوتَه منه إعجَازُ
كأنَّهُنَّ النجومُ الغُرّ واضحةً ... وليس فيهنَّ إلغاءٌ وألغازْ
بعثتَ لي يا أبا حيّان زائدةً ... ومنه للرَّوضة الغنّاء إحرَازُ
أبديتَ لي آيةً غرَّاء محكمةً ... للخَلق منها مَعَ الإعجَاب إعجَازُ
رفعتَ قدري بأبيات شَرُفتُ بهَا ... فيهَا من الفَضلِ إيْجاب وإيجازُ
حُزْنَ الكمالَ فلا شيءٌ يقال به ... هذا ينقَّصُ أوذا فيه إعوَازُ
أصبحتَ بالحِلْم طَوداً لا ارتقاءَ لَهُ ... بل دونه فَلَك الأطوادِ أنشازُ

(١) الجاسمي، هو أبو تمام، المولود في قرية جاسم في الشام، والذي ضمته شيراز هو الصاحب بن عبَّاد.

(٢) الأري: ما التصق من العسل. اللسان (أري) ١/١٢٧.

سَبقتَ بالعفو ما ضاق المُسيءُ به ... وَحَانَ من فعله المستور إبرازُ
بعثتَ لي تتقاضَى الوعدَ بل تتقا ... ضى فَوْرّيَ وبالإعضاء يمتازُ
ولم أكن مهملاً حتى تذكرني ... هل زاد جريَ جيادِ الخيل مهمازُ(١)
وقلتَ إنّيَّ لا أنفكُّ ذا طلبٍ ... منطّقَ الخُرسِ أوبي للنَّدى حازوا
وما تأخَّرَ إلاّ أنَّ حامله ... أمدَ أوقاتَه في البيت أوفازُ(٢)
أرسلتَ تلقَاهُ في رِسلِي فما ظَفروا ... به وجَدوا للُقْيَاهُ فما فَازوُا
ولم يَزلْ دابياً حتى وقفتَ به ... وكاد يمنعُه ظنٌّ وإحرَاز
منطّق الخُرسِ كنزٌ لا نفادَ له ... وهل يجودُ بما في الكَنز كنّازُ
ولا أصرِّحُ من هذا بقيَّته ... فما الكريم على الإخوان غمَّاز
وما أتيتُك عُذراً لستَ تعلمُه ... وفي البريَّة همَّاز ولَمّازُ
من كان مثلُك قد أبلى بهجرَته ... هذا الزمان فقل لي كيفَ ينحازُ
جاوزتَ في الأفق الجوزاء جوزتَها ... وللكواكب في الآفاق أجوازُ
لا بل ديارك في أعلى منازِلها ... وفي المنازل أطراف وأجوَاز
بلغتَ من قدرِهم فوق الذي بلغُوا ... وحُزتَ من فضلهم أضعافَ ما حَازوا
مفسَّرٌ لكتاب الله يفهمُه ... على الحقيقة فهم منكَ مُمتاز
وعدتني بلقاءٍ بتُّ أرقبُه ... ولي من القول نظَّام ورجّاز
موكَّل بطلوع النَّجم في نَظَرٍ ... كأنَّما نَظَري للنجم جوَّازُ
فاسمحْ بزورتك الحسناء إنَّ لها ... من النواظر حسناً حيث يجتازُ
يُكحِّلُ الطرفَ مرآها بنور هُدَى ... يمتارُ من رشده الهادي ويمتازُ
ودُم وعِشْ تمنحِ الآدابَ زاجرَه ... وأنت بحرٌ وكلُّ الناس أنزازُ(٣)
أبليتَني بحُروفِ الزاي أنظمُها ... ثلاثةً تتجَافى وهي تنحازُ
لقدّمت لي في الشطرنج واحدةً ... وذي وتلكَ وحرفُ الزَّاي معوَازُ

---

(١) المهماز: حديدة تكون في مؤخر خفّ الرائض. اللسان (همز) ٥ / ١٣٢.

(٢) أوفاز: جمع، وَفز، وهو العَجَلَة. اللسان (وفز) ١٥ / ٣٥٥.

(٣) أنزاز: النزّ: ما تحلّب من الأرض من الماء. اللسان (نزز) ١٤ / ١٠٥.

إن كنتَ مختبِراً فاعنَتْ وقُلْ أَبَداً ... ما شئته لَتَراني لستُ أعتازُ
ومن عديٍّ بنِ كعب أسرتي ولنا ... ببطن مكةَ في البطحاء أركَازُ
والآن أرسلتُ ما أرسلتَ تطلبُه ... منطّق الخُرس قول الحق أرمَازُ
نَجِزْتَ وعدَكَ لَما قلت منتدباً ... ما إنْ للكرَمِ الموعودِ إنجازُ

فأخذ قاصده الجواب، ومعه منطّق الحزس، خلا ما أخرته؛ قصداً للمطايبة وحبّاً لدوام المطالبة، ثم ذهب هذا وعمر اليوم قد تصرَّم، ولهب الأصيل قد تضرّم، والنهار سائل لجينه على المغرب قد تكرم. والطير قد أكثر الصياح كأنه لفراقه قد تبرّم. وقطعت سواد تلك الليلة مفكراً في الشيخ ونشاطه وخفة روحه وانبساطه. ولا أظن أنه يزورني في صبيحة غد؛ ليتم ما يصنعه في الغضب، ولا يظهر أن زاخره الهائج نضب. فما كان إلاّ أن شقَّ النور ثوب الظلماء، وبدَّل بياقوت الشفق لؤلؤ سماء، ووقت الفجر ما ضاق، وجدول الصباح قد شرع بتموج نهره الرقّاق؛ وإذا بالباب يطرق وحِسٌّ حمار ينهق. فأمرت مَن حضر بفتح الباب للطارق، وزجر شيطان ذلك الحمار الناهق وقلنا: ألا طارق يطرق بخير، وراكب حمار لا يخاف منه ضير، وإذا بالشيخ قد دخل، وسلَّم، وسكت وإلاّ كان تكلَّم. فلم أر ساعة أسرّ من حين مقدمه، ولا خفاً كان وفيه أكثر من تقبيل قدمه، وما كان إلاّ أن حضر يطوي ما كان في أمس وطلع علينا هو والشمس. وظلّنا في يوم لا عيب فيه غير قصر، وسرور لا شيء فيه إلا فرط نداه في يد مهتصر[1]. واستشدى موشحات كبت نظمها وبلغته، ولم يقف عليها ولا سوغته .فأبرزت له ما ظنّ أنه من الأندلس وزفّ من الغرب فاق العُرس، فقال فيها ما هو أهله من الجميل، وما عهدت من جنابه الجزيل. ثم أخذ يسألني عن الشخص الذي أشرت إليه في القصيدة فوفيت بما ضمنت من كتما نه وبحثه عن طريقه؛ فظنَّ أنّ الفاضل شمس الدين محمد ابن الصائغ الزمردي هو ذلك الشخص. وكان لا يراه إلاّ بعين النقص فلما اشتدَّ هذا عنده وتصوّره، ورجع بباطنه فيه إلى آرائه المنكره، فبعث إليَّ بقصيدة يذكّر فيها، ويذكر الإمام أبا عبد الله ابن الصائغ الأموي ذكرى متوافية، ولم يك للأول كنت ولا للثاني،

(١) مهتصر: الهصر: الكسر، والجذب والميل. اللسان (هصر) ١٥/ ٩٦.

وانما أساء في ذلك الظن، وهذا ما جرّته القافية .

وهذه القصيدة هي التي بعثها، ولوافح سمومه التي نفثها : [الطويل]

أيا سيّداً جازَ المعاليَ والمجدا ... ليهنكَ مولى محسنٍ أنجز الوعدا
على أنه قد راحَ جزء من اوَّلٍ ... وجزآن فاختلَّ الكتاب وما أجدى
يذكرني ما قد بقي حسنَ ما مضى ... فينشئ لي غمّاً ويُنبت لي حقدا
وفقدي لبعضٍ منهُ فقدي لكلّه ... فياليتَ أني كنت أذكره فقدا
فابكيه ما شبَّته نار بفارس ... بطرفٍ زكا دمعاً وقلبٍ ذَكَا وقدا
واندُبُه ندبَ الهلول[1] وحيدَها ... وقد نظَمت من دار أدمعها عقدا
ومن عَرضِ الحسناء يبدى عُصارةً ... بلا خطأ من راغب في الورى نقدا
أراك ازدَرتْ عيناك حُسنَ شبابها ... فأزريت بالمهُدى وما كان قد أهدى
ولو سحتَ نجلاً لا غنى عزّ أمةٍ ... فلم ينتجزْ وعداً ولم ينتهزْ ردّا
ولو كنتَ قد شطَّت بنا غربة النَّوى ... فأذكرني ما قد جَرى السؤددُ العدَّا
فلا تعجَبنْ من سيّدٍ نجلِ سيّدٍ ... يلاطف بالإحسان رِقّاً لَهُ عندا
ببابك أضحى الناسُ يجمعهم هوى ... ولم أرَ فيه من غَدَا للورى ضدّا
كمشتركين اسماً ووصفاً كلاهُما ... يميّزه وصفٌ غدا لقباً فردَا
أنافَا على الصَّوّاغ في أذنيهمَا ... فمن صاعدٍ نجداً ومن هابطٍ وهدَا
ينفّق بالإيمان سلعة ما ادَّعى ... فيعرفُه علماً ويُنكره جَحدا
كتابيَ ملكي إن أكُن بائعاً له ... ولا واهباً بل مزجُ نظمٍ له أدَّى
أَيسلبُه هذا الصُّوَيّغ عُنوةً ... وأتركه إني إذن لم أكن جَلْدَا
فلا تحسَبَنْ أني تَروك طلابَه ... ولو أنني في الرمس أسكنه لَحدَا
فإن أُحضرَ الديوان يقضي إلى الرضا ... ويقضى له بالسّكْن أتبعُه حَمدَا
وإن لا يَكنْ علماً فإني أبينُها ... عقارب سُمٍّ تلسب[2] العظمَ والجلدَا

---

(١) الهلول : الأم التي سقط جنينها ميتاً . اللسان (هلل) ١٥ / ١٢١ .

(٢) تلسب : تلدغ . اللسان (لسب) ١٢ / ٢٧٣ .

وهأنذا أرسلتُ سهواً رسالةً يخبِّطه مسّاً ويربطُه شَدًا
يطوف به بحراً وبراً إذا أتى بذنبٍ فقد ألقى بها هائماً بَردَا
يعلِّم فيه النحوَ من كان من بني أبي مرَّة عندى الطلى بدناً مُردَا
فيُعنَى بمرد الجنّ عن مُرد إنسنا ينادمهم فيما أعادَ وما أبدَى
وما الشعرُ والآداب إلاّ فكاهةٌ ترى الجدّ هزلاً أو ترى هَزْلَهُ جِدّا
ومن لم يكنْ في طبعه أدبٌ فما يلذّ به أن سْمعُه عنه قد سدّا
ومُحكَمُ نفح للكَلاَم هو الذي يقلّب في أنواعه باذلاً جُهدَا
يقبِّل روض العلم أحصَلُه الندى فيقطفُه زهراً وينشقُه نَداً
وينظمُ ممَّا كان نثراً وينشر الـ ذي كان نظماً سالكاً منتَهى قصداً
فلا بمُدَالِ اللفظ سوقيةٌ ولا بحوشية قد بات ينحته صلدا
ولكنّه سَهلُ المناحي لطيفُه فلذّ به سمعاً ويرشفُه شَهدَا
ومن حاز آداباً وعلماً وسؤدُدَاً يكن كابنِ فَضلِ اللّه أسنَى الورَى حَدّا
على أنه لا مثلَ أحمد في الورى أعزُّهم نفساً وأشرفُهم جدّا
وأوقدُهم ذهناً وأنقدهم لغاً وأبعدُهم صيتاً وأقربُهم ودّا
يلوذ الندى والعلم والحلم والتقى بحقويه(١) لا يلقى له أبداً ندّا
غنيٌّ بأوصَافِ الكلامِ فلا يُرَى يُريدُ بمَدحٍ لا تجَاراً ولا مَجداً

فوقفت على هذا الجواب، ورأيت السكوت الصواب؛ إذ لا يمكنني الممالاة عليهما، لا سيَّما وهما أبريا. ولا الممالاة على الشيخ لما يقتضيه الحيا. واضطربت على القصيدة صفحا، وأضرمت خاطري فتآكل بنار لفحا. وخفت أن يؤدي الفحص إلى معرفة الشخص، فحيل الوفاء بالضمان، وبحل ما عقد الزمان. وقلت للرسول الحامل بصحيفته ما لا يحضرني الآن نصه، ولا أعرف كيف كان عنقه ونصّه؛ إلاّ أنَّ معناه المباسطة، وباطنه للمغالطة؛ خشية على تلك الشياه من ذلك الذئب الغايب والرجل المغايب. استغفر الله، بل الأسد الملتقم

(١) حقويه: الحقو: الإزار. اللسان (حقا) ٣/٢٦٦.

والبحر الملتطم، والسهم الذي لا يردّ إذا خرج من اليد، والسيف الذي إذا ضرب، لا يرجع حتى يفجع. والأرقم الذي لم يقبل بل أسقم. وتماديت على ناظر ما أسقطت، وإظهار الضنانة بما التقطت. فلم ألبث أن عاد رسوله إليّ مسرعاً وسلّم عنه، إمّا أدى الأمانة أو قال متبرعا، ثم أخرج إليّ منه ورقة كاغد، فقرأتها، فإذا فيها: [الطويل]

أتاني من الأوراق ثِنتَان فلْتجُد بثالثة مَن كان جَادَ وأفضلاَ
بهَا يكمل الجزءُ الذي كان ناقصاً وكم ناقصٍ كمَّلته فتكمَّلا
وكم لشهاب الدين عنديَ من يدٍ بتقبيلها كادت يدي أن تقَبَّلا
ومن يكن الفاروق جدّاً له يكن لذي العالم العُلوي أشرفَ منزلاَ
دعوت أمير المؤمنين لأنه به بدأ الإيمان واعتزّ واعتلَى
فأنجُلُهُ منه مشابهُ علمه وعزة نفس قد أتتّ أن تذلّلا
تجافَى عن الدنيا وعن زهَراتها وأعرض عمّا غيره كان مُبتلَى
فلا ذكرَ إلاّ في علوم يُبينها ولا فكرَ إلاّ في القُرآن إذا تَلاَ

فأرسلت له الورقة المعوَّزة، وتقاضيت بتجهيزها مدائحه المنجزة، وأعدت إليه الرسول على الحافر، بقصيدة تحكي صبحها السافر: [الطويل]

بقيتَ أبا حيَّان كنزاً مؤملاً ودمتَ لأهل الفضل كهفاً وموئلاَ
فأنت إمامُ العصر غيرُ منازَعٍ ولا نازلٌ إلاّ السِّماكين منزلا
سحابُ الندى بحرُ الجدا علَمُ الهدى خصيمُ الردَى كبتُ العدا كوكبُ العلا
وأقسمتُ ما ضمَّت شبيهاً لفضله مجاري مدار الشُّهب بَرّاً مفضَّلاَ
إمامٌ تقيٌّ ما تقدَّم مثلُه أتى آخراً عصراً وقد بزَّ أوّلا
عقائلُ تصبينا ولم تدرِ ما بنَا لَهان عليها أن تقول وتفعلا
أما وهواها لم أقل لصبابتي أما وهواها غدرةٌ وتَنَصُّلا
فعند رضا الأحباب جبرٌ وديمة وعند العتاب الموجري متنصَّلا
تألّق بَرْقَا ثم أرسَلَ مُزنَةً فخوّفَ أحياناً بها ثم حوّلا
أتاني قصيد منه ما السحر غيرها فكم غادرت لفظاً لبالي مُبلَبَلا

بعثتَ أثيرَ الدين برداً منمّقاً بعثت أثيرَ الدين عِقداً مفصَّلا
فيعذب فيها للمسامع مجتنى ويحْسنُ فيها للنواظر مجتلَى
بلا ميّةٍ حسناء ما لام عارض بأحسن منها في الخدود مقبِّلاً
ومن قبلها جاءت على الدال مثلُها وقد جُليت مثل الأهلّة مُنجلى
فعاينت نور النيِّرَين مقابلاً وعاينت نوء(١) الغيث والبحرَ مقبلاَ
بدال ولام بعدها قد توافيا وذلك مّما دلَّ فكراً مضلَّلا
ذُللتُ على ما ضاعَ لو كان لحظُه له عن عواديه فداءٌ معجّلا
صحيفةُ تصنيف أحاط بعينه بكل لغات الفُرس في الدولة الأُلَى
منطّق خرسٍ لا يفوه بلفظة من القول لولاه ولم يدر مقوَلا
بألسن فُرس كان يخفى حديثُهم فعرّفنا منه طريقاً موصَّلا
وما هو إلا ترجمانُ لعلمهم سنفتح منه كلّما كان مُقفَلا
له الثمنُ الغالي على لُطف حجمه كذلك حَجمُ الدرّ في القدر والغَلا
لبثنا على تلك الصحيفة مدّةً نحاول منه للصحيفة صيقَلا(٢)
ونسأل عنها وهي ليست تجيبنا كذلك ذات الجود أن تتبدّلا

فعاد إليَّ رسوله بالجواب إلاّ أنه انتقل في الوزن والرويّ، وجاء بما أضاءبه من قدح زنده : [البسيط]

منطّقَ الخُرس إنسُ قد كَمُلْتَ فلا ترى كمثلك شعراً قد سما وعَلا
لما اعتنى بك مولى لا نظيرَ له صرنا بعزِّك فينا نضرب المثَلاَ
تزين الفَلَكُ الأعلى بزينته زان الوجود وزان النيرين عُلا
مولى بذِكراه أفواهُ الورَى أَرجَت مسكاً ودافت بها من ذكره عسلا
قد زيّن الله بالتقوى سريرتَه وحسَّن القول منه الله والعمَلا
رشيدُ فعل شديدٌ في مقالته فلا نرى خطأً فيه ولا خطَلا
فالقول آيات قرآن يردّدها بالفكر والعمل الزاكي به اتّصَلا

---

(١) نوء الغيث : النوء : النجم إذا مال إلى الغروب . وقيل : المطر الشديد . اللسان (نوأ) ١٤ / ٣١٥ .

(٢) صيقل : الصيقل : شحّاذ السيوف . اللسان (صقل) ٧ / ٣٧٧ .

ومن يكن عُمَرُ الفاروق محتِدَه فلا يكون بغير الله مشتغلا
ألهاه عن نهجه الدنيا وزهرتها علمٌ ودين وزهد أبطَلَ الأَمَلا
وصبر نفسي على تقوى توصّله لجنّة الخلد إذ كانت له نُزُلا

فلم ألبث أن كتبت إليه، وأعدت رسوله بالجواب عليه: [البسيط]

هذا الفريقُ جَنوبي الحمى فسلا إن كان قلبيَ من بعد الفراق سَلا
وهل وقفتُ بربع دون كاظمة أبكي وأندب من أطلاله طَلَلا
ماذا أقول لبرق بات يُومضُ لي لولا الثنايا لما أذهبتُه قُبَلا
ما بتُّ أنكر من حال الشغوربه إلاّ افتقادي به الصهباء والعَسَلا
بل كيفما نُكرُ راحٍ كنت أشربها ممّا جلاه أبو حيّان كأسَ طِلا
صهباء يزداد عقلُ الشاربين بها ما نال عقلي بها قد راع أو عقلا
فرُحت أهتز في بردي بها عجباً لا أنني رحت منها شارباً ثَمِلا
إن لم يكن من رضابِ الغيْدِ ريقتُها فإنّها قد أعارت سحَرها المقلا
دَعجٌ تنهّض نحو الفتك ناظرها لكي يدرّ على أجفانها الكَسَلا
وأنت تذكر شيئاً فاتَ من زمن ما غالَه النقصُ إلاّ أنّه كَمُلا
أقسمتُ ما كان محتاجاً لتكملة وكيف يحتاج طرفُ الأكحل الكُحُلا
معرَب للسان الفرس ما نطقت إلاّ به صادق في كلِّ ما نقلا
منطّق الخرْس لولاه لما عرفوا سُبْلَ الكلام ولا اقتادوا له الذُلُلا
هو الأثيرُ ومنه أهلُ عنصره أما تراه بنار الكُفرِ مشتَعِلا
لقد أتانيَ فيه كلُّ غانية قد حاكت الريم إلاّ الصدر والكَفَلا
ترمُّ بيتي لا بيتاً لجارتها مثل السحابة لا ريثاً ولا عجلا
خُودٌعليها من اللامات سابغة فهل رأيت الرداح[1] الخودَ أو بطلا
لا بل هي الخود لكن حشوُ مقلتِها بيضٌ تسل لِقَدٍّ يُشبه الأَسَلا
فمرحباً بأثير الدين حيث أتت فريدةً أصبحت في حسنها مثلا

(١) الرداح: امرأة رداح، ثقيلة الأوراك.، اللسان (ردح) ٥ / ١٨٣.

عقيلةٌ من بنات الفكر ما برزت إلاّ ونكّس وجهُ البدر أو خَجِلا
عقدٌ من الدرّ إلاّ أنَّ ناظمه خلّى به الدرّ ملقى يشتكي العَطَلا
ثنّى لبيداً بليداً والبُعَيْث بلا بُعَيث رأي وألقى الأخطل الخطلا
هل كالإمام أبي حيَّان قدوتنا من يأخذ العلمَ عنه يرتقِ العملا
وأين مثل أبي حيَّان من رجل لا يعدلُ الدهرُ في الدنيا به رجلا
يمّمْ حماهُ ومعناه وصورته تلقَ الهدى والندى والبدر مكتملا
ليث الشَّرى غضباً صوبُ الحيا كرماً طودُ النهى شرفاً أفقُ السماء عُلا
كأنَّه البحر لا بل بعضُ فكرته كأنه السيل لا بل ذاك إن سُيلا
لقد حبَاني بتشريف أجرُّ به على المجرَّة من أذياله حُلَلا
في كل وقت توافي منه مكرمةٌ يفوق آخرُها في فضله الأُوَلا
ومن يكن بأبي حيَّان سلوتُه آتى بياناً إذا ما فارق الدولا
صدقتُ أني بزهدٍ قاطع أملي لولا التفاؤل لم أبقِ لي الأملا

ومن نظم أبي حيَّان رحمه الله تعالى، قوله: [السريع]

راضَ حبيبي عارضٌ قد بدا يا حسنَه من عارض رائضِ
وظنّ قوم إنَّ قلبي سلا والأصل لا يعتدُّ بالعارضِ

وقوله: [الخفيف]

سبق الدمع بالمسيل المطَايا إن نوى من أحبّ عنيَّ نقلَه
وأجاد السطورَ في صفحة الخدّ ولَمْ لا يجد وهو ابن مُقلَه

وقوله: [الخفيف]

مَن نَصيرُ المشوقِ من لَحظ خَصْر كلَّم القلب كلمة ليس بترا
تبع القلب شخصَه إذ تولى وكذاك الكليم[1] يتبع خِضرا

---

(١) الكليم، هو النبي موسى (عليه السلام)، وقصته مع الخضر (عليه السلام).

وقوله: [الطويل]

عداتي لهم فضل عليَّ ومنَّةُ فلا أذهبَ الرحمنُ عنّي الأعاديَا
همُ بَحثُوا عن زلتي فأجبتُها وهم نا قشوني فاكتسبتُ المعاليَا

وقوله: [المديد]

حبيس بها سود العيون وناظرٌ ويا ظالماً كاد الجنون يسودا
لقد طعنت والقلب ساهٍ فما دَرَى أبالقدِّ مهّى[1] أم بصعدة شمّرا

وقوله: [المديد]

قد سباني من بني الترك رشا جوهريُّ الثغر مسكيُّ النَفَسْ
ناظري للورد منه غارسٌ ما لَهُ لا يجتني ممّا غَرَسْ
لستُ أخشَى سيفَه أو رمحَهُ إنّما أرهب لحظاً قد نَعِسْ
لمس الكأس لكي نشربَها فاعتراه هزة ممّا لمسْ
ثم أدّى جوهراً من جوهر وتحسَّى الكأس في فرد نَفَسْ
وبدا يمسح بالمنديل ما أبقت الخمرةُ في ذاك اللعسْ[2]
عَجَباً منها ومنه قهقهت إذ حساها وهو منها قد عَبِسْ

وقوله: [البسيط]

أرحتُ روحي من الإيناس بالنّاس لمّا غنيت من الإكياس باليأسِ
وصِرتُ في البيت وحدي لا أرى أحداً بنات فكري وكتبي هُنَّ جلاسي

وقوله في مثلّم ثغر: [الطويل]

ثناياك درّ والرِّضابُ الذي بها رحيقٌ وقد أضحى خِتاماً على الخمرِ
تأرَّجَ منها عَرفُها فغدت بها نشاوى نفوس لا تملٌّ كما تدري

(١) مهّى: بلغ حاجته. اللسان (مها) ١٣/٢١٤.
(٢) اللعس: سواد الشفة. اللسان (لعس) ١٢/٢٩٨.

ورامت وصولاً للندامى فلم تجد سبيلاً بفيض ما يعوق من الدرّ
فلا تحسَبُوا أنّ انكسار ثنيّه بشين فكلُّ الخير في ذلك الكَسر
تأشّر منها بعضها ولعابها وأحسن ما في الثغر إن صار ذا أشر[1]
وصرنا متى نلثمْهُ نرشفْ رضابَه فتجري لنا الصهباء من لثمة الثغرِ
رضابٌ به يشفي الأوام أخو الصبا فكالشّهدِ في طَعْمٍ وكالمسكِ في نَشرِ
حَباني به فرخٌ من الترك لم يصل من العمر إلاّ أربعاً فوق ما عَشرِ
يكوّن من نُور قَوافِي نهاية من الحسن إذ أضحى كيوسف في مصرِ
أنسنًا بقربٍ منه من بعدِ وحشةٍ وأبدَلَنا الوصلَ المهنّأ بالهجرِ
وأمتَعَنا من ريقه وجبينه بأشهى من الصَّهبَا وأبهَى من البدرِ
بجسم حكى لوناً سبيكةَ فضّة وقد أُشربت شيئاً يسيراً من التِّبرِ
وعين له لحظاً لفتنة ناظرٍ كأن بها هاروت ينفُث بالسحرِ
تناسَبَت الأعضاءُ منه فلا ترى بهن اختلافاً بل أتَين على قدرِ
أُسرِّح عيني في الملاح فلا أرى شبيهاً له فيهم ولا جال في فكرِ
تمازج روحانا هوى وصبابة فبالجسم في شَفع وبالروح في وِترِ
وجاء لنا طوعَ المراد فلا يرى عصياً لنا في الطوع والنهي والأمرِ
نُقضي به عيشاً من الدهر صالحاً ونجني به الآمال دانيةَ الثمرِ

ومنه قوله: [الطويل]

هي الوجنةُ الحمراء والشَّفة اللميا لقد تركاني في الهوى ميتاً حيّا
هما ألبسا جسمي سَقاماً وواريا فؤادي غراماً حملُه الصعب قد أعيَا
فمن مهجتي نارٌ ومن مقلتي حَيا متى اشتعلت هذي يزيّد ذا جريا
وبي مَن إذا ناجيتُه ذبتُ هيبةً وجانبته جهراً وهِمتُ به خُفيا
مليح إذا مالاح أبهتَ مَن رنَا فاردى الذي أنأى وأحيا الذي حيا
عليم بنيّات النفوس وما حوت كأن له من نجو أسرارها وَحيا

(١) أشر: الأشر: الحزّ في الأسنان. اللسان (أشر) ١ / ١٥٠.

تجـمـعـت الأضـداد فـيـه مـحـاسـناً ... فـعـبـسـتـه موتٌ وبـسـمـتُـه مـحـيَـا
وغـــــرَّتُـه بـدرٌ وطُـرَّتُـه دُجَـى ... وأعـطـافـــه ظـمـــأى وأردافـــه ريًّا
أغـار اعـتـدالاً كلَّ غـصـن كـمـثل مـا ... أغـار السـنـا والناظـر الشـمـس والظيَّـا
وأخـــجَـلَ نـور البَـــدْرِ لَمّا تقـــابلا ... فكُلفَةُ وجه البدر من فرطِ ما استَحْيا
عـجـبـت لخـالٍ حلَّ في وسط أنفـه ... وعـهـدي بـه وسْطَ الخـدود يُرى وشْـيَـا
ولـكـنمـــا خـــدّاه فـــيـــه تَغَـــايرا ... هوى فـابتـغى من وجـهـه أوسطَ الأشـيا
وحسن الفتى في الأنفُ والأنف عاطلٌ ... فكـيـف إذا مـــا الخـــال كــان له حَليَـــا
أيا باخــلاً حـتى بتــقــبـيــل كــفِّــه ... على من سَخَا حتى بحوباه في الدنيا
ألم تَرَأني طوعُ حــسنك دائمـــاً ... وقَلبِي لا يَعـصـيـك أمـراً ولا نَهـيـا

ومنه قوله: [المديد]

أدمـــعي أَجْـــرَى ودمـــعي قـــد مَلَك ... قـــمـــرٌ قـــد لاح من سُـحـب الحلك
بدرُ حـــســـن حين يبـــدو للورى ... كلّ قـلـب ودَّ لـو أضـــحـى فـلَك
صـــيغَ مـن نُور فـــلا يعـلم هل ... بـشـــراً أنـشـــاه ربّي أم مَـلَك
من بني التُّـرك صـغـيـرٌ لم يدع ... لِفُـــؤادي جـلـداً أو لا تـرك
نـاسِمٌ عن نفـحـةٍ مـسـكيَّـة ... بـاسم عن لؤلؤ فـيـهـا احـتـبك
فـــتـنة تدعـــو القـلوبَ للهـــوى ... لـو رآه نـاسـكٌ لَمَـــا نسَك
ضـــاع قلبي في هـواه فـــأنـا ... لستُ أدري أيَّ شـعْب قـد سَلَك
يا غـــزالَ القَـــفْـــر عِـــدني زَورةً ... تحيي قلبـاً في التـصـابي قـد هَلَك
بين جـسـمي والضَّنَى صلحٌ كـمـا ... بين قـومي وجـفـوني مُـعـتَـرَك
فـغـرامي في الهـوى قـد انتـهى ... وسـقـامي مـذ عـرا قـد انتُـهك
نـصـب المعـشـوق عـيـنيـه لنا ... شـركـاً والقلب أضـحَى في الشَّـرك

ومنه قوله: [الطويل]

هو الحسنُ حُسنُ التُّرك يَسبي الورى لُطفَا ... ويعطف سالي القلب نحو الهَوى عَطفا

يَدرْنَ من اللحظ السواجي[١] مدامةً فللّه ما أحلى وللّه ما أصفَى
وينصبنَ من هدب المآقي حبائلاً فكم أنفسٍ أسرى لِذي المُقْلَة الوطفَا
وبي قمرٌ منهن تبدي فأصبحت منازلُه من جسمي القلبَ والطُّرفَا
حكى الشمس وجهاً والغزال التفاتةً وغصن النقا[٢] عطفاً ودعص[٣] اللوى ردفا
أبدر بني خاقانَ رفقاً بعاشق براه النَّوَى حتى لقد كاد أن يَخفَى
وقد عُدتني يوماً فعُدني بمثله لعلّي من الأوصاب إن زرتَني أُشفَى
يُداوى أناسٌ بالبعاد فما شُفوا ولا شيء أبرَى من وصالٍ ولا أشفى
وما أنسَ لا أنسى زيارةَ مالكي أُلاحظُ منه البدرَ والغُصن والحَشْفَا
هصرتُ بذيَّاك القوَام أراكه وأفنيتُ تلك الراحَ من ريقه رشفَا
أيا ذهبيَّ اللّون روحي ذاهبٌ فرفقاً بهيمانٍ على الموت قد أشفى[٤]

ومنه قوله: [الكامل]

شرفُ الحرير بأن غدا لك مَلبسَا لِمْ لا وجسمُك منه ألينُ ملمَسا
يا شادناً ما ازداد مني وحشةً إلا وزاد القلب فيه تأنّسَا
طلَست[٥] عقول الناس لمّا أن غدا يمشي الهُويَنَا في قُباء أطلَسَا
متنسِّمٌ عن نفحةٍ مسكيَّةٍ متبسمٌ عن أنشبيٍّ في الغَسَا[٦]
هو ثالثُ القمرين وهو أتمُّهَا نوراً وأبعدُها مدى أن يُلمَسَا
إنَّ التفاوتَ في العلو لَموضحٌ من كان أعلى في المنازل مجلسَا
فالبدر في أولى السما والشمس في وسطى ومن أهواه حلَّ الأطلَسَا

---

(١) السواجي: امرأة سجواء الطرف: فاترة الطرف. اللسان (سجا) ٦ / ١٨٤.

(٢) النقا: دقة عظم اليدين والرجلين والفخذ. اللسان (نقا) ١٤ / ٢٧٤.

(٣) دعص: الدعص، قورٌ من الرمل، مجتمع. اللسان (دعص) ٤ / ٣٥٤.

(٤) أشفى: يقال: أشفى على الهلاك، إذا أشرف عليه. اللسان (شفي) ٧ / ١٥٨.

(٥) طلست: الطلس: المحو. اللسان (طلس) ٨ / ١٨٢.

(٦) الغسا: الظلام. اللسان (غسا) ١٠ / ٧٣.

ومنه قوله: [الطويل]

وما كنتُ أدري أن مالكَ مهجتي ... يسمَّى بمظلوم وظلمٌ جفاؤُه
إلى أن دعاني للصِّبا فأجبته ... ومن يك مظلوماً أجيب دعاؤُه

قال شيخنا أبو حيان: أنشدت هذين البيتين قاضي القضاة تقي الدين ابن بنت الأعز، قال: وكان يشعر شعراً جيداً، لكنه لا يتظاهر به، فأنشدني لنفسه بيتين حفظت منهما الأول، وهو: [مجزوء الرمل]

أنتَ مظلومٌ بظَلمي[1] ... لست مظلوماً بظُلمي

ولم أستبن الثاني.

وعدنا إلي أبي حيّان، ومنه قوله: [مجزوء الرمل]

أتُرى يدري حَبيبي ... ما أقاسي من لَهيبِ
ياحبيبي ذاب قلبي ... من غَرامي ونحيبي
أنت بدرٌ أنت شمسٌ ... أنت معشوقُ القلوبِ
يا هلالاً يا غزالاً ... ما لكاً قلبي الكئيبِ
لك وجهٌ قمريٌّ ... وقَوام كالقَضيبِ
وعيونٌ رامياتٌ ... لِيَ بالسَّهم المَهيبِ
وخدودٌ داميات ... مثل تفاحٍ خَضيبِ
وفمٌ عذْبٌ صغيرٌ ... مُنبتُ الدرِّ العجيبِ
فيه شهدٌ فيه مسكُ ... لمذاقٍ ولطيبِ
يا غريبَ الحسن رِفقاً ... بمعنّاك الغريبِ
أنت في كل زمانٍ ... لستَ تخلو من رَقيبِ
فمتى يرجو محبٌّ ... اجتماعاً عن قَريبِ

(١) الظَّلم، بفتح الظاء. رقة الأسنان وشدَّة بياضها. والظُلم: وضع الشيء في غير موضعه. اللسان (ظلم) ٢٦٣/٨.

يا حبيبي إن يدم ذا ... متُّ شوقاً للحبيبِ

ومنه قوله: [الرمل]

وبروحي مَن إذا أبصرتُه ... ذَهَبَتْ روحي عليه حسراتُ
شادنٌ سكرانُ من دلّ الصِّبا ... منه أضحت مهجتي في حبكرات(١)
شبَّهُوه في الهلال بالسنا ... أين منهُ خَفِرٌ في الوجَنات
من بني الأتراك معسولُ اللَّمى ... قمريُّ الوجه نوريُّ الصفات
أسمرٌ قد هزّ لي من قدّه ... أسمراً يدري بخطيّ القَنَاة
قوسُه الحاجبُ والسهم له ... طرفُه والقدُّ يسطو بالظُبَات
قد غدا في حُسنه في شكّه ... يهزم العشاق منه بالتفَات
إن دنوا منه فسيفٌ يُنتضَى ... أو نأوا عنه فسهم منه آت
أو تكونوا بين قرب ونوى ... أعمَلَ الخطيَّ في ذي النظَرات

ومنه قوله: [الطويل]

تلمَّحَ في عشَّاقه فأشاحَا ... وشدَّ على الخصر النحيل وشَاحَا
وأضفَى على الجسم النحيل مفاضةً ... فشاهدتُ ليلي قد أجنَّ صَبَاحَا
وجرَّ قناةً كالقَوَام لدونه ... وسلَّ حُسَاماً كاللِّحاظ جراحا
وأوترَ قوساً كالهلال انحناؤه ... وفوّق(٢) سهماً كالقضاء مُبَاحَا
رأى منه أوصافاً فضمَّ شبيهَهَا ... إليهن فازداد المليحُ سلاحَا
وقد كان يُغنيه عن الدِّرعِ درعَه ... وعن رُمحه ما قد يفوق رمَاحَا
وعن قَوسه والسهم قوسُ وحاجبٌ ... وعن سيفه لحظٌ يفلّ صفَاحَا
مجذِّب عين جاذب بفتورِهَا ... إليه قلوباً بالحياة شحَاحَا
يقيّد من يرنو إليها بحسنها ... فمُدنِفُها ما يستطيعُ سَرَاحَا

---

(١) في حبكرات: في حيرة. القاموس المحيط (حبكر) ٤٧٤.

(٢) فوّق: الفُوق من السهم: موضع الوتر. اللسان (فوق) ١٠/٣٥٣.

وما ضاق منه العين إلاّ لبخله ... بوصلي وإن فاقَ الأنامَ سَماحا
أرى رَشَداً فيه الغواية مثلما ... فسادي أراه في هَواه صَلاحا
وقد جدَّ حُبِّي في هواه نهاية ... وكان ابتداء الحبّ فيه مِزاحا
وما الحبّ إلاّ نظرةٌ إثر نظرةٍ ... تزيد نمواً إن تزدْهُ لَحاحا

ومنه قوله في طبيب: [الكامل]

كتم اللسانُ ومدمَعي قد باحا ... وثوى الأسى عندي وأنسَى الرّاحا
إني لصبٌّ طيَّ ما نشرَ الهَوى ... نشراً ومازال الهَوى فضّاحا
وبُمهجَتي من لا أصرِّح باسمه ... ومِنَ الإشارة ما يكون صَراحا
ريم أروم جفوَّه وجنوحَه ... ويروغ عني جفوةً وجِمَاحا
أبدى لنا من شَعرِهِ وجَبينه ... ضدَّين ذا ليلاً وذاك صَباحا
عجباً لنا يأسو الجسوم بطِبّه ... وكما بأرواح أثار جراحا
نادمتُه في ليلة لا ثالثٌ ... إلاّ أخوه البدر غار فَلاحا
يا حُسنَها من ليلة لو أنها ... دامت ومدّت للوصالِ جَناحا

وقوله: [المتقارب]

غُزيِّلةً ترتَقي في الحشَا ... سميراً تزرّى بسُمر الرِّمَاح
حمى البطن عن بردها نهدُها ... كما قد حمى المتن رِدفٌ رَدَاح
شكى غلظَ الساق خلخالُها ... كما رقة الخصر تشكو الوشاح
فلو خطَّ هذا بموضع ذا ... لقد كان هذا وذاك استراح
لها أعينٌ هنَّ غيَّبْنَني ... سُودٌ تخيف أسودَ الكفَاح[١]
فلا تغترَرْ بسَقَام بها ... فكم كسَّرَتْ من قلوب صِحَاح
ولا تعْتَقدْها سوى أسهُمٍ ... ألم ترَ ما أثَّرتْ من جِراح

---

(١) الكفاح: مصادفة الوجه بالوجه مفاجأة. اللسان (كفح) ١٢/١١٧.

وقوله في غلام أسود عثمان، ومعه عبد له أسود: [الطويل]

وريمٍ حكَى بدر الدُّجى في جمـالـه ... وغصن النَّقَا في القدّ والظبي في اللَّمحِ
شكا وَهَجَاً من طول صوم وحرّه ... فخفَّف عنه بعضَ ذلك بالسَّبحِ
تجرّد عن جسم سَبِيكةَ فِضّة ... فيا حُسنَ ما انشقَّ الظلامُ عن الصُّبحِ
وقارَنَهُ في العَوم زنجي جلده ... فلاحا لنا ضدّين بالحسن والقُبحِ
وقالوا غُروبُ الشمس في البحر آيةٌ ... ونحن رأينا ذاك في الحلو لا المِلْحِ
وكم مرَّ لي وقت تمنَّيت وصلَه ... وذو الصبر للأيام يَظفَر بالنُّجحِ
فسُحقاً لأيام تقضّت بَخِيلَةٍ ... وسقياً ليوم صالح بالمُنَى سمحِ
رأيت الذي أهواه فيه مُجَالسي ... تعاطى كؤوسَ الأنس بالجدّ والمزحِ
ويبسم عن سِلْكٍ من الدّر أشنبٍ ... وينسم عن مسك ذكيٍّ على النَّفحِ
همو شبَّهوا بالشمس نورَ جبينه ... وبينهما فرقٌ سليمٌ من القَدحِ
تغيبُ ونور الشَّمس لاشكَّ واحدٌ ... وعثمان ذو النورين يمشي كما يُضحي
وما أنسَ لا أنسَ انفرادي بوصله ... عشيةَ ما أشكو أقاسِي من البُرحِ
فنام قريرَ العين ملءَ جفُونِه ... وجَفني ذو قَرْحٍ ودَمْعِي ذو سَحٍّ

ومنه قوله: [الكامل]

ذو غُرَّة نوريَّة ذوطرة ... ظُلَمِيَّة فيها ضَلالُ مَنِ اهتَدَى
شركُ النواظر والخواطر طرفه ... فلكم به طيرُ القلوب تصيَّدا
ما إن يهزُّ منفَّقاً من قدّه ... إلاّ وكان به فؤادي مُقصَداَ
ولما يسيل مُهَنَّداً من لحظه ... إلاّ غدا وسْطَ الجوانح مُغمِداَ
ولما يعنِّيك الفُريض مردَّداً ... إلاّ وأنساك العريض ومعبدا
غنّى فأطرب كل شيء لحنُه ... حتى الجماد غداه منه ما غَدا
كم حرَّكت نغم له من ساكن ... ولَكَم بها نعماً لدينا أوجدا
كادت تطير من السرور قلوبُنا ... لو لم يكن قلبُ لجسم قيّدا
شَرُفَتْ على أبصارِنا أسماعُنا ... إذ قام فيها بالأغاني مُنشِدا

فلئن غـدا في الحـسـن أوحـدَ عـصـره فـلقــد غــدا في الحــزن قـلبي أوحــدا
يا نائمــاً ملء الجـفــون دَعِ الجــفَــا وارحـم مليًّـــاً من هواك مـــســـهّـــدا
ولـقــــــــد بـداه مـنـك ودٌّ ظـاهـرٌ ياليت شـــعـــري مـــا حـــدا ممَّا بـدا

ومنه قوله: [الكامل]

نـورٌ بـخــــــدِّك أم تـوقُّـــــد نـارِ وضـنى بجـفنك أم خِـمَـار عـقـــارِ
وشـــذى بـريقك أم تأرّج مــســكه وسـنـاً بـثــغــرك أم شـعــاع دراري
جُمعت معاني الحسن فيك فقد غدت قـــيــدَ القـلوب وفـــتـنةَ الأبـصـــارِ
مـتـصـاون خَـفِـرٌ[1] إذا نا طقـتـه أغــضـى حـيـــاءً في سكون وقـــارِ
في وجـــهــه زهرات روض تُجـــتَلَى مــن نـرجـس مـع وردة وبَـهَــــــــارِ
خـــاف اقــتـطاف الورد من وجناته فـــأدار من أَسْـــرٍ ســـيَـــاج عـــذار
وتسلقت نمل[2] العـذار[3] بخـدِّه لـيـــردن شـــهـــدة ريقــه المعطار
وبخـــدِّه نارٌ حـــمـــتـــهـــا وردُها فـــوقـــفـن بين الـورد والإصـــدارِ
كم ذا أواري في هواه مـــحـــبَّــتي ولـقــد وشى بي فـيــه فــرط أواري
حكم الجـــمـــال عليَّ أني عـــبـــده وجـــمـــاله مُـــســـتـعـبِـدُ الأحـــرارِ

ومنه قوله: [البسيط]

عَـشـقـتُـه عندمـا تمَّت مـحـاسـنُه وقـــد تـســـيّـج ورد الخـــدّ بـالزَّغَبِ
حلوُ الحـديث لطيفُ الروح طيّـبـه كـــأنما صِـــيـغَ من درٍّ ومـن ذهـبِ
مـضـارعٌ لِيَ فـيــمـا قـد يرومُ بـه من غـيـر فـحـشـاءَ نأتيـهـا ولا رِيَبِ
مكمَّل الخلق من فـــرع إلى قـــدم مـبـرَّأ الخُلقِ من عُـجب ومن غَـضـبِ
رشـفـت مـنـه رضـابـاً طيـبـاً لعـسـاً[4] وذقت من ريقــه أحلى من الضَّـــرَبِ

---

(١) خَفِرٌ: شديد الحياء. اللسان (خفر) ٤ / ١٥٢.
(٢) نمل: النمل: الحذر. اللسان (نمل) ١٤ / ٢٩٤.
(٣) العذار: الحياء. اللسان (عذر) ٩ / ١٠٥.
(٤) لعَس: اللعْوس: الخفيف في الأكل، كأنه الشره. اللاسن (لعس) ١٢ / ٢٩٠.

سكرت من ريقه المعسول إنَّ به ... لخمرةً هي تزرى بابنة العنبِ
جذبت من قدِّه غصناً فجاذبني ... ما أثقل الغصن من أردافه الكُثُبِ
وقد عجبت لبدر فوق خوطته[1] ... وقيلَ ما إن عَهدنا البدر في القُضُبِ
وكان في خدِّه خال فـفارقه ... لما رأى حمرةً ترميه باللَّهبِ
وفرَّ محتمياً بالأنف محتجباً ... واسودّ من لفحة أدنته للعطبِ
وخاف من حُمرة نمل العذار وقد ... رام التنزل من علوٍ إلى صَبَبِ
فظل حيران رفقاً فوق عارضه ... يظما إلى شهده من رَبقة الشُّهبِ

ومنه قوله: [الرمل]

وبروحي شادن مسكيّه ... مقلةٌ تهمي وقلبٌ يجفُ[2]
قمريُّ الوجه نوريُّ السنا ... لو رآه هام فيه يوسفُ
غصنُ بان تحته دعصُ نقا ... فوقه شمسٌ ولا ينكسفُ
عينُه صادٌ ونونٌ حاجب ... صدغُه واو وقدٌ ألفُ
عَجَباً للواو لا تعطفه ... وهي وسطُ خدِّه تنعطفُ
بان عُذري في عذارٍ حلَّ في ... أبيضٍ تحميه سودٌ وُطفُ[3]
إن تلك الأضداد فيه اتفقت ... فعلينا بالهوى نختلفُ
مَنْ نصيري من غزال غزلٍ ... عن هواه الدهرَ لا أنصرفُ
قَد كتمتُ عنه حبّي زمناً ... وهو لاشكَّ به يعترفُ
كلَّما كلَّفت قلبي عنكم ... صبره زاد بقلبي الكلَفُ

ومنه قوله: [الطويل]

إذا كان إحساني لكم تهدُرُونَه ... على غير شَيء كنتُ أولى لهم هدرا

---

(١) خوطته: الخوط: الغصن الناعم. اللسان (خوط) ٤/ ٢٤٧.

(٢) يجف: يخفق، يضطرب. اللسان (وجف) ١٥/ ٢٢٢.

(٣) وطف: الوطف: كثرة شعر الحاجبين. اللسان (وطف) ١٥/ ٣٣٨.

إذا كان بدرُ الأفق يأبى بزوغَه علـيَّ منعتُ العينَ أن تنظر البدرا
إذا كان حلّى مظهراً لي تكبراً عليَّ فإني أملأ الارض لي كِبرَا
إذا كان ذو جاه ومال تزوره سنين فلم ينفعك فاخطُط له قبرا
إذا كان مأمولاً ترجي بلوغه وفات فلا تُحدثْ له أبداً ذكرا
إذا كان سرٌّ ضقت صدراً بحفظه فلا تعتبَنْ مَن ضاق يوماً به صدرا
إذا كان بعض المال يكفيك فاقتنع تصون به وجهاً وتُحيي به حرّاً
إذا كان عُسرٌ قد أضرك فاصطبر له وارتقب من بعده عاجلاً يُسرَا
إذا كان فضلُ المرءِ وافاك بادياً أجزْهُ به فضلاً وزد فوقه شُكراً
إذا كان سعد لم تبال بكل من يعاديك فاعمل صالحاً وادَّخر أجرَا
إذا كان خبث في صديقك فاحترز فإنَّ خفايا الخبث تَبغي لك الشرَا
إذا كان ودّ المرء فيك معلّلا بأمر تقضَّى إن قضى فلك الأمرا
إذا كان سوءُ الظنّ حزماً فعوِّلَن عليه فحُسْن الظن يُرجى لك الضرَّا
إذا كان هفوٌ من مواليك فليكن له منك عفو تلقه صاحباً برّا

ومنه قوله : [الوافر]

جديد الحسن في خلق تبدَّى فحار الطرفُ وارتَاعَ الفُؤَادُ
فقلتُ وقد مضى قلبي إلَيْه أعِدْه فقال مَاضٍ لا يُعادُ

ومنه قوله : [الطويل]

فلما تدانينا ودون كلامنا كلام الرقاق البيض والذبّل السُّمر
بكيت وأبدى ثغرها لي تبسماً ولا عَجبٌ أن يبسم الزَّهرُ للقطرِ

ومنه قوله : [الطويل]

على قدْرِ حبّي فيك وافانيَ الصَّبر فلست أبالي كان وصلُك أم هجرُ
وهل نظري ألاّ سلام ونظرةٌ وقد حصلا والذُلُّ يأنفه الحُرُّ
سأسلوك حتى لا أراك بناظري وأنساك حتى لا يمرَّ بك الفكرُ

ومنه قوله: [الطويل]

وقالوا الذي تهواه أصبح قد بدا بخدَّيه شعرٌ سالبٌ كلَّ ناظرِ
وما الخدُّ منه غيرَ مرآة صيقلٍ وما الشَّعر فيه غيرَ هدب النَواظرِ

ومنه قوله: [البسيط]

وارحمتَا لفؤادي كم أعنِّفُه فليس يردعه قولٌ ولا عملُ
مرّت عليه دهور لايصيح إلى داعي الهوىَ ولَه نحو الصِّبا مَيَلُ

ومنه قوله: [مخلع البسيط]

بعيد ودٌ قريب صدٌ كثيرُ عَتب قليلُ عُتْبَى
كالشمس طَرْفاً[1] كالمسك عَرفاًى كالخشف ظَرفاً كالصخر قلبَا

ومنه قوله: [البسيط]

إني لأسمعُ من خَلدٍ وحين أرى حتى يحدثَني أُصغي على صَمَمِ
كيما يلذّ بتكرار الكلام مَعِي أدني ويلفظ منه الدرّ في الكَلِمِ

وحكى شيخنا أبو حيَّان، قال: قدم علينا الشيخ المحدّث أبو العلا محمود بن أبي بكر البخاري الفرضي القاهرة في طلب الحديث، وكان رجلاً حسناً طيب الأخلاق لطيف المزاج، فكنّا نسايره في طلب الحديث. فإذا رأى صورة حسنة، قال: هذا على شرط البخاري. فنظمت هذه الأبيات: [الطويل]

بدا كَهلال العيد وقتَ طُلوعه وماس كغُصن الخيزُران المنعَّم
غزالٌ رخيم الدلّ[2] وافى مواصلاً مواصلةً منه على رَغم لُوّمي
مليحٌ غريب الحسن أصبح مَعلَماً بحُمرة خدٌ بالمحاسن مُعلِمِ
وقالوا على شرط البخاريّ قد أتى فقلنا على شرط البخاري ومُسلمِ

---

(١) طَرفاً: الطَرْف: إطباق الجفن. اللسان (طرف) ٨/١٤٥.

(٢) الدلّ: الدلال. اللسان (دلَّ) ٤/٣٩٢.

فقال مولانا: أنا البخاري فمن مسلم؟ قلت: أنت البخاري وأنا المسلم. قال: وتشبه هذه الحكاية ما جرى بين الحافظ أبي عمر ابن عبد البرّ النمري والحافظ أبي محمد علي بن أحمد اليزيدي، كانا يتسايران في سكة الخطابين من إشبيلية فاستقبلهما غلام وضيء الوجه. فقال أبو محمد: إن هذه لصورة حسنة. فقال أبو عمر: لعلَّ ما تحت الثياب ليس هناك. فأنشد أبو محمد ارتجالاً: [الطويل]

وذي عذلٍ صعبٍ سباني حسنُه ... يُطيل مَلامي في الهوى ويقولُ
أفي حسن وجهٍ لاح لم تَرَ غيره ... ولم تدر كيف الجسمُ أنت قتيلُ
فقلت له أسرفتَ في اللَّوم عاذلي ... وعنديَ ردٌّ لو أردتَ طويلُ
ألم ترَ أني ظاهريٌّ وأنني ... على ما بدا حتى يقومَ دليلُ

وحكى أبو حيّان أيضاً، قال: اجتمعت أنا والقاضي علاء الدين بن بنت الأعز والقاضي فخر الدين بن درباس في متنزّه، وإذا بغلام يعوم في النيل ويتلطخ بالتراب ويسبح، فنظم كلٌّ منّا قصيدة في ذلك من غير أن يطّلع على نظم الآخر أو يتقارب في المعنى: [الكامل]

ومترَّب قد ظنَّ أن جماله ... سيصونه منّا بتربٍ أعفَرِ
فغدا يضمّخه فزاد ملاحةً ... إذ قد حوى ليلاً بصبح أنورِ
وكأنما الجسمُ الصَّقيل وتربُه ... كافورة لطخت بمسك أذفرِ[1]

وقال القاضي علاء الدين: [الكامل]

ومترّب لولا التراب بجسمه ... لم تبصر الأبصار منه منظرا
وكأنه بدرٌ عليه سحابةٌ ... والتُّرب ليلٌ من سناه أقمرا

وقال القاضي فخر الدين: [الكامل]

ومترَّبٍ تَرِبَت[2] يدا من حازه ... لقَضِيب تبر ضمّخوه لعنبرِ

---

(١) أذفر: ذكي الريح، طيب النشر. اللسان (ذفر) ٥ / ٤٥.

(٢) تربت يداه: دعا له بالخير. اللسان (ترب) ٢ / ٢٤.

وكـــأن طرّتـه ونورَ جـــبـــينه ... ليلٌ أطلَّ على صـــبـــاح أنورِ

وتوفي رحمه الله ورثاه جماعة من الفضلاء. فمنهم الفاضل العلامة صلاح الدين أبو الصفاء الصفدي، رثاه بقوله: [السريع]

مـــات أثيـــرُ الدين شـــيخُ الورى ... فـاســتـعـر البـارق واسـتـعـبـرا
ورقَّ من حُـــزْنٍ نـســيمُ الصَّـبـــا ... واعـــتلَّ في الأســحـــار لَمّا ســرى
وصـــادحـــات الأيك في نَوحِـــهـا ... رثتـــه في الســجع على حـــرف را
يا عـينُ جـــودي بالـدمـــوع التي ... يروي بهـــا مـــاضَـــمَّـــهُ مَن ترى
واجـــري دمـــاً فـالخطب في شـــأنه ... قـــد اقـــتـــضى أكـــثـــرَ مما جَـــرى
مـــات إمـــامٌ كـــان في علمـــه ... يرى إمـــامـــاً والورى مِنْ ورا
أمـــسى منادي للبلى مـــفـــرداً ... فـــضـــمَّـــه القـــبـــر على مـــا يُرى
يا أســـفـــاً كـــان هدى ظاهراً ... فـــعـــاد في تربتـــه مُـــضـــمَـــراَ
وكـــان جـــمعُ الفـــضل في عـــصـــره ... صحَّ فلمَّـــا أن قـــضى كُـــسِّـــرا
وعـــرِّف الفـــضل به برهـة ... والآن لَمّـا أن مـــضـــى نُـكّـرا
وكـــان ممنوعـــاً من الصـــرف لا ... يطرق من وافـــاه خـطـبٌ عـــرا
لا أفـــعَلُ التـــفـــضـــيل مـــا بينه ... وبين مَن أعـــرفـــه في الورى
لا بَدَلٌ عن نعـــتـــه بالتـــقى ... فـــفـــعله كـــان له مـــصـــدرا
لم يُدَّغَم في اللحـــد إلا وقـــد ... فكَّ من الصـــبـــر وثيق العُـــرى
بكى له زيد وعـــمـــرو فـــمن ... أمـــثـلة النحـــو وممَّن قـــرا
مـا أعـقـدَ التـسـهـيلَ من بعـده ... فكم له من عـــســـرة يَسَّـــرا
وجَـــسَّـــرَ الناسُ على حـــوضـــه ... إذ كـان في النحـو قـد استـبـحـرا
من بعـــده قـــد حـــال تمـيـــيزه ... وحظه قـــد رَجَعَ القـــهـــقـــرى
شـــارك مَن قـــد ســـاد في فنِّه ... وكم له فنٌّ به اســـتـــأثـرا
دأب بني الآداب أن يغـــســـلوا ... بدمـــعـــهم فـــيـــه بقـــايا الكَرَى
والنحـــو قـــد ســـار الردى نحـــوه ... والصـــرف للتـصـريف قـد غـيّـرا

واللغةُ الفصحى غدَت بعدَه ... يُلغَى الذي في ضبطها قُرّرا
تفسيره البحرُ المحيطُ الذي ... يُهدي إلى وارده الجوهَرا
فوائدٌ من فضله جمةٌ ... عليه فيها يُعقَدُ الخُنصُرَا
وكان نبتاً بقلةً حجةً ... مثل ضياء الصبح قد أسفرا
ورحلُه في سنّة المصطفى ... أصدق مَن يُسمعُ إن خُبِّرا
له الأسانيد التي قد علّمت ... فاستثقلت عنها سواجي الذُّرى
ساوى بها الاحفادُ أجدادَهم ... فاعجب لماضٍ فاته مَن طَرَى
وشاعراً في نظمه مبلغاً ... كم حذّر اللفظ وكم خبراً
له معانٍ كلَّما خطّها ... يستر ما يرقم في تُستُرا(١)
أفديه من ماضٍ لأمر الردى ... مستقبلاً من ربّه بالقرا
ما بات في أبيض أكفانه ... إلاّ وأضحى سندُساً أخضَرا
تُصافح الحُور له راحةً ... كم تعبت في كلّما سطّرا
إن مات فالذِّكرُ له خالدٌ ... يحيا به من قبل أن يُنشَرا
جاد ثرى واراه غيث إذا ... مسّاه بالسقيا له بكّرا
وخصَّه من ربه رحمةً ... تورده في حشرة الكوثرا
وأحسن الله العزا فيه للـ ... ـمولى فريد الدين بل للورى

(١) تُستُر: بلدة، وسورها أوّلُ سور وضع بعد الطوفان. القاموس المحيط، ٤٥٥.

[علماء النحو بمصر]

١- أبو جعفر النحّاس(*)

وأما المصريون فمنهم أبو جعفر النحاس، أحمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي المصري. فقير لا يلحق بتابع، وممسك ضمت في راحتيه الأصابع. لو أن الماء في كفه لجمد، أو الضياء في وصفه لخمد. وكان لو أراد لتوسع كثرا، أو انقلب في الثرى لأثرى. هذا وفهمه لا يفشل وعلمه لا يستوشل، بفطنة أورى من الزناد، وأروى من العهاد[١]. تقدّم في أول الرعيل. ويتوقد وقد نفط نفطويه وخمدت نار الخليل. وكان عالماً بالقرآن والفقه. رحل إلى العراق وأخذ عن الزجاج وكان ينظر بابن الأنباري ونفطويه. وكان ربّما وهبت له العمامة فيقطعها ثلاث عمائم، من شدة التقتير على نفسه. وصنّف إعراب القرآن، وكتاب المعاني وكتاب اشتقاق أسماء الله الحسنى، وتفسير أبيات كتاب سيبويه. وكلّ من جاء بعده استمدَّ منه. وفسَّر عدة دواوين وأملاها. وله رواية كبيرة عن علي بن سليمان الأخفش. ولقي بالعراق أصحاب المبرّد. وتوفي بمصر سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة، وقيل سنة ثمان وثلاثين.

(*) ترجمته في: تاريخ العلماء النحويين، ٣٣، وطبقات الزبيدي ٢٢٠، وإشارة التعيين ٤٥، والبلغة ٢٩، وإنباه الرواة ١/ ١٠١، وبغية الوعاة ١/ ٣٦٢، ووفيات الأعيان ١/ ٩٩، ونزهة الألبا ٢١٧. توفي سنة ٣٣٧هـ.

(١) العهاد: جمع عهد، وهو مطر بعد مطر. اللسان (عهد) ٩/ ٤٥٠.

ومنهم:

٢- طاهر بن أحمد بن بابشاذ(*)

أبو الحسين النحوي المصري العراقي المحتد. رجل محتد ذكي الألعبة زكي اللوذعة[١]. سديد النظر شديد الرأي المحتضر. دنا من مجالس الخلفا، ووسع لتقريبه محالّ الاصطفا. وكان من وراء الخلفاء الجليس، الذي لا ينافس في دنوّ محلّ، ولا يناقش في إبرام عقد ولا حلّ؛ حتى كان فرداً للنظرا، وقياس الآرا والمخصوص بخَصب الجناب وقرب المحل قبل ابن الخبّاب. هذا إلى ما وكل به من تهذيب الكتب وتذييب تلك الأعلام الكتب. مع شيء قديم ومرمى قويم، ومال موروث وثرا، ومال منه فضل للفقرا، وكان جدّه جوهريا من بغداد. قدم مصر تاجراً فسكنها، وكان متولى بتحرير الكتب الصادرة عن ديوان الإنشاء بمصر في الدولة المصرية. وله رزق سنيٌّ على ذلك، وعلا التصدر للإقراء بجامع عمرو بن العاص. ثم إنه في آخر عمره تزهد وانقطع في غرفة بالجامع، واشتمل على العبادة. وهو شيخ محمد بن بركات السعيدي اللغوي المتولي بعده لوظيفته. وقيل بسبب تزهده أنه كان له قط يأنس به قد ربّاه أحسن تربية، وكان طاهر الخلق لا يخطف شيئا ولا يؤذي، وأنه اختطف يوماً من بين يديه فرخ حمام مشوي فعجب له، ثم عاد به لحظة فخطف فرخاً آخر، فذهب فتبعه إلى خرق في البيت، فدخله وقفز منه إلى سطح قريب وقد وضع بين يدي قط هناك، فتأمل الشيخ القط فإذا القط أعمى مفلوج فخصره قلبه، واتعظ بذلك وتزهّد، وضمَّ أطرافه وباع ما حوله. فبقي كذلك مدَّة ثم خرج ليلة إلى سطح الجامع في بعض الطاقات، فسقط ميتاً، وأصبح ميتاً شهيداً وذلك في سنة أربع وخمسين واربعمئة، وقيل بعد ذلك.

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٢/ ٩٥، وإشارة التعيين، ١٥١، والبلغة، ١٠٠، ووفيات الأعيان ٢/ ٥١٥، وبغية الوعاة ٢/ ١٧، ونزهة الألبّا ٢٦٣. توفي سنة ٤٥٤هـ.

(١) اللوذعة: اللوذعي: الحديد الفؤاد واللسان الطريف. اللسان (لذع) ١٢/ ٢٦٨.

ومنهم:

٣- ابن برّي (*)

واسمه عبد الله بن برّي بن عبد الجبار بن برّي النحوي اللغوي المصري. دخل في خدمة الخلفاء على طريقة ابن بابشاذ، ورفعت به مصر رأسها على بغداذ، وكان من بيت المقدس تربته، ومن الأقصى بها غربته؛ على أن واديه المقدس كان أوطانه إليه وأوطاره. ولو خلع شراك جبينه قبل نعليه. بلغ بعد فراق بيت المقدس غاية في اللسان العربي، ورحل عن الطور فنودي من جانبه الغربي؛ إلاّ أنه ماخلا ممّن تكلّم ورماه بسهامه. وما تألم إلاّ أنه كان منغمساً في غمار الغفلة، وبُعد الذهن الذي ما فيه قلّة، وتعوذ بالله من خلل النسا ولعب السفلة بالرؤسا. أرادت تهذيب أخلاقه فغدرته من مخ جحش شويا، كما حفظت قدرة للثرى كذا رُفعت قربةً للثريا.

ولد بمصر سنة تسع وتسعين وأربعمئة، وقرأ على مشايخ زمانه، وانفرد بهذا الشأن. وقصده الطلبة من الآفاق، وكان عالماً بكتاب سيبويه وعلله. قيمّاً باللغة وشواهدها، وكان إليه التصفّح في ديوان الإنشاء، لا يصدر كتاب عن الدولة إلى ملوك النواحي إلاّ بعد أن يتصفّحه ويصلح ما فيه من خلل خفيّ. وهذه كانت وظيفة ابن بابشاذ. وكان ينسب إلى الغفلة في غير العربية، وتجلّى عنه حكايات.

وتصدّر غير واحد من أصحابه وبرع، وكان قليل التصنيف. له مقدّمة سمّاها اللباب، وجواب المسائل العشر التي سأل عنها أبو تراب ملك النحاة. وحاشيته على صحاح الجوهري فإنها أفردت فَجاءت ستة مجلّدات.

قال ابن خلكان: ورأيت له حواشي على درّة الغوّاص في أوهام الخواص للحريري. وله

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٢ / ١١٠، ووفيات الأعيان ٣ / ١٠٨، والبلغة ١٠٦، وإشارة التعيين ١٦١، وبغية الوعاة ٢ / ٣٤، ومعجم المؤلفين ٦ / ٣٧. توفي سنة ٥٨٢هـ.

جزء لطيف في أغاليط الفقهاء. وله الردّ على ابن الخشاب في الكتاب الذي بيّن فيه غلط الحريري في المقامات، وانتصر للحريري وما أقصر فيما عمله. وتوفي بمصر في شوال سنة اثنتين وثمانين وخمسمئة وكان وسخ الثوب رديء الهيئة واللبسة. يحكي عنه المصريون عجائب منها: أنه اشترى لحماً وخبزاً وبيضاً وحطباً، وحمل الجميع في كُمّه، وجاء إلى منزله فوجد أهله قد ذهبوا لبعض شأنهم والباب مغلقاً، فتقدّم إلى كوّة هناك تُفضي إلى داره، فجعل يلقي منها الشيء بعد الشيء، ولم يفكر في تكسير البيض، وأكل السنانير اللحم والخبز إذا خلت به. ومنها أنه اشترى عنباً وجعله في كمّه، وحادث بعض أصحابه وجعل يعبث بالعنب حتى سال على رجليه، فقال لصاحبه: نجي المطر؟ فقلت: لا، فقال: فما هذا الذي سقط على رجلي؟ قال: فأملته، فإذا هو العنب، فاخبرته فخجل واستحيا ومضى.

ويحكون عنه من الحذق وحسن الجواب عمّا يُسأل عنه ما يعجب. وله نسختان، الجامع بين الأضداد. ويحكى عنه أنه كان لا يتكلف في كلامه، ولا يتقيد في الإعراب بل يسترسل في حديثه كيفما اتّفق، حتى قال يوماً لبعض تلامذته ممن يشتغل عليه: اشترِ لي هندباء بعروقو، فقال له التلميذ: بعروقو، فعزّ عليه كلامه، وقال له: لا تأخذه إلاّ بعروقو، وإن لم يكن بعروقو لا تأخذه. وكانت له ألفاظ من هذا الجنس، لا يكترث بما يقوله، ولا يتوقف على إعراب.

ومنهم:

٤- بهاء الدين ابن النحاس (*)

محمد بن إبراهيم بن محمد ابن أبي نصر، أبو عبد الله الحلبي، شيخ العربية بالديار المصرية. طالما سهر جفنه للسهر بالإغرا، ورفع خبر ليله بمبتدأ الليلة الغرّا. برع بمصر ففاض فيض النيل في جنباتها، وقال مقيل النعيم في جنّاتها. وكان محسوداً على ما أتاه الله من

(*) ترجمته في: بغية الوعاة ١/ ١٣، وطبقات ابن قاضي شبهة ٢/ ٤٥، وشذرات الذهب ٧/ ٧٧٢. توفي سنة ٦٩٨هـ.

فضله، وواتاه مـن حسـن فعلـه إلاّ أنّ حسـاده علـى كثـرة عددهم لم يُجمعـوا لديه إلا جمع القلّة، ولا متّ الصحيح إليه إلاّ بما يلزمه من حروف العلَّة؛ لعلوّ رتبة اخترق أطباقها، وجارى النجوم وبذّ[١] سباقها فحلّ النجاد[٢]، وخلّى البجاد[٣] وأجاد، وغيره في أبي جاد.

ولد في سلخ جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وستمئة بحلب. وسمع ابن الليثي وابن النفيس النحوي وابن رواحة وابن خليل ووالده. وقرأ القرآن على أبي عبد الله الفاسي، وأخذ العربية عن الجمال بن عمرون، واستوطن مصر لمّا خربت حلب.

وقرأ على الكمال الضرير وغيره. ثم جلس للإفادة، وتخرج به جماعة من الأئمة وفضلاء الأدب، وكان من الأذكياء. وله خبرة بالمنطق وإقليدس، وكان مشهوراً بالصدق والعدالة والدين مع اطّراح الكلفة وصِغَر العمامة ويمشي في الليل بين القصرين بقميص وطاقية على رأسه. وكان حسن الأخلاق فيه ظَرَف النحاة، وكان له مكانة من الناس. وإذا انفرد بشهادة حكم فيها، واقتنى كتباً كثيرة نفيسة، ولم يتزوج. وكان له أوراد من العبادة، كثير التلاوة، كثير الذكر. يسعى في مصالح الناس.

قال أبو الصفا: حكى لي عنه القاضي عماد الدين إسماعيل ابن القيسراني أنه لم يأكل العنب، قال: لأنه كان يحبّه فآثر أن يكون نصيبه في الجنّة.

وقال: أخبرني الحافظ ابن سيد الناس اليعمري، قال: زكّى بعض الفقهاء تزكية عند بعض القضاة ما زكّاها أحد قطّ؛ لأنه أمسك بيد المزكي، وقال للقاضي: الناس ما يقولون: ما نؤمن على الذهب والفضة إلاّ حمار. قال: نعم. قال: وهذا حمار. وانصرف بحكم القاضي بعدالة ذلك المزكي.

---

(١) بذّ سباقها: غلبهم وفاق عليهم. اللسان (بذذ) ١/ ٣٥١.

(٢) النجاد: ما وقع على العاتق من حمائل السيف: اللسان (نجد) ١٤/ ٤٩.

(٣) البجاد: كساء مخطط من أكسية الأعراب. اللسان (بجد) ١/ ٣١٧.

قال: وأخبرني غير واحد عنه أنه لم يزل عنده في بيته من الطلبة ومن أصحابه من يأكل عنده على ما يديه، ولا يدخر شيئاً، ولا يخبئه عنهم. ويدخل الداخل عليه فيجد في بيته هنا أناس يلعبون بالشطرنج وهنا أناس يطالعون وكل واحد في شأنه، لا ينكر أحدٌ على أحد شيئاً، ولا يزال رضياً حتى يكون وقت الاشتغال فيتنكَّر. وكان ربّما تنسَّم فقام وأكمل إلقاء الدروس للطلبة بين القصرين وهم يمشون. وكان لا يتكلم في حلّ النحو إلاّ بلغة العوام، لا يراعي الإعراب.

قال شيخنا أبو حيّان: كان بهاء الدين ابن النحاس، ومحيي الدين محمد بن عبد العزيز المازوني، المقيم بالإسكندرية شيخي الديار المصرية، ولم ألق أحداً أكثر سماعاً منه لكتب الأدب. وانفرد بسماع الصحاح للجوهري. وكان ينهى عن الخوض في العقائد، ويتردد إلى من ينتمي إلى الخير. وَلِيَ التفسير بالجامع الطولوني وبالقبة المنصورية، والتصدر بالجامع الأقمر وتصادير بمصر، ولم يصنف شيئاً إلاّ ما أملاه على سنان الدين الرومي شرحاً لكتاب المقرَّب، إلى أول باب الوقف أو نحوه. وكنت أنا وإيّاه يمشي بين القصرين فعبر علينا صبي يدعى بجمال وكان مصارعاً، فقال ابن النحاس: لينظم كلٌّ منّا في هذا المصارع. فنظم ابن النحاس: [البسيط]

مُصارعٌ تصرع الآسادَ سمرتُه ... تَيهاً فكل مَليحٍ دونه هَمَجُ(١)
لما غَدا راجحَاً في الحسن قلتُ لهم ... عن حُسنِه حدّثوا عنه ولا حَرَجُ

ونظم شيخنا أبو حيّان: [الطويل]

سباني جمالٌ من مليح مصارعٍ ... عليه دَلالٌ للمَلاَحة واضحُ
لئن عزّ منه المِثلُ فالكلُّ دونَه ... وإن خفَّ منه الخصرُ فالرِّدف راجحُ

وسمع شهاب الدين الفزاري بذلك فقال: [السريع]

(١) همج: رعاع. اللسان (همج) ١٥/ ١٢٩.

هل حَكَمٌ يُنصفني في هوى ... مصارعٍ يصرَع أسدَ الشَّرى
مذ فرَّ مني الصبرُ في حُبِّه ... حكى عليه مدمَعي ما جَرى
أباح قَتلي في الهَوى عامداً ... وقال لي كم عاشق في الورَى
رميتُه في أسرجيٍّ(١) ومن ... أجفَان عينيه أخذتُ الكَرى

قال أبو حيّان: وانشدني ابن النحاس لنفسه يخاطب الشيخ رضي الدين الشاطبي وقد كلّفه أن يشتري له قطرا: [الخفيف]

أيّها الأَوحدُ الرضيُّ الذي طا ... ل عَلاءً وطابَ في الناس نَشرَا
أنت بحرٌ لا غروَ إن نحن (م) واقيناكَ راجينَ من نَداكَ قَطْرَا

وقال يرثي الشيخ أحمد المصري النحوي: [الطويل]

عَزاؤك زين الدينِ في الواحدِ الَّذي ... بكتهُ بنو الآداب مَثنى وَوَاحدَا
هُمُ فقدوا منه الخليل بنَ أحمدٍ ... وأنت ففارقتَ الخليلَ وأحمَدَا

وقال مما يكتب على منديل: [الخفيف]

ضاعَ مني خَصرُ الحبيب نُحُولاَ ... فلهذا الضُّحَى عليه أدورُ
لَطُفَت حُرقَتي ورقَّت فجلَّت ... عن نظيرٍ مما حكتهَا الحضورُ

وقال: [الكامل]

إني تركتُ لذا الورى دنيَاهُمُ ... وظللت أنتظر المماتَ وأرقبُ
وقطَعت في الدنيا العلائق ليس لي ... ولدٌ يموت ولا عقارٌ يُخرَبُ

وقال: [الرمل]

---

(١) أسرجي: وجه حسن. اللسان (سرج) ٦/ ٢٢٩.

قلت لما شطوه وجرى دمعه القاني على الخد اليقق[1]
ليس بدعاً ما أتوني فعله هو بدر ستروه بالشفق

توفي بالقاهرة يوم الثلاثاء. سابع جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وستمئة وغالب روايات شيخنا أبو حيّان. كتب الأدب عنه، وكتب الخط الفائق. وقيل: كان يحفظ ثلث الصحاح للجوهري.

(١) اليقق: شديد البياض، ناصع. اللسان (يقق) ١٥ / ٤٥٤.

[أرباب المعاني والبيان]

وأما أرباب المعاني والبيان، وهم خواص أهل العربية وأعيان من نظر منهم في أسرارها ونقَّب عن تمام بدورها الكوامل وسرارها(١)، وقليل ما هم ومَن هم.

وقد تكلموا على المعاني والألفاظ، وسمَّوا الأول المعاني والبيان. وسمَّوا الثاني البديع. وهو كاشف عن عجائب الكتاب والسنّة، ومخرج من خبايا معانيه غرائب الأجنّة. وقد ذكر ابن أبي الإصبع في كتابه، تحرير التحبير أن ابن المعتزّ وقدامة أول من اعتنى بعلم البديع، وقال ما معناه: أن ابن المعتز هو الذي سمّاه البديع واختصر في كتابه بهذه التسمية على خمسة أبواب، قد ذكرها في العيون ضمن المعاطلة؛ لأنه قال: ولا أرى المعاطلة إلاّ ما حسن من الاستعارة سمّاه المعاطلة. والحَسَنُ منها سمّاه ابن المعتز بديعاً. ولم يبوب قدامة في المحاسن. وانفرد ابن المعتز بتبويبه غاية في البديع، التجنيس والطباق متوارداً مع قدامة عليهما، وردّ الأعجاز على الصدور منفرداً به وختمها بخامس عزا تسميته إلى الجاحظ، وهو المذهب الكلامي منفرداً به. وإن كان ما قبله من الأسماء قد سبقت المغرب إلى وضعها؛ لكن لا على مراد ابن المعتز وربّما سبق ابن المعتزّ إلى نقلها عن مسمياتها إلاّ وله إلى ما أراد.

وقال ابن المعتز في صدر كتابه: وما جَمَعَ قبلي فنونَ البديع أحدٌ، ولا سبقني إلى تأليفه مؤلف، وألّفته سنة أربع وستين ومئتين. وأول من نسخه مني علي بن يحيى بن منصور المنجِّم. ثم قال بعد سياقه الأبواب الخمسة: وهم الآن، نذكر محاسن الكلام والشعر؛ وإن كانت محاسنها كبيرة، لا للعاقل العالم أن يدعي الإحاطة بها حتى تبرأ من شذوذ بعضها عن عمله. واجبنا بذلك أن نذكر فوائد كتاب للمتأدِّبين ويعلم الناظر فيه أنّا قد اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة؛ اختياراً من غير جهل بالطريقة، ولا ضيق في المعرفة. فمن أحبَّ أن يقتدي بنا، ويقتصر عن تلك الخمسة بالبديع فلْيفعل. ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئاً إلى البديع وارثاً غير رأينا فله اختياره، وهذا ذكر المحاسن(٢). ثم ذكر

---

(١) سرارها: السرار: الليلة التي يستسر فيها القمر، اللسان (سرر) ٦ / ٢٣٥.

(٢) كتاب، البديع،٣، ولعل ابن فضل الله قد تصرَّف في كلام ابن المعتز.

الالتفات[١]. وقد توارد عليه هو وقدامة. وذكر اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه، ثم يعود المتكلم فيتمه في بيت واحد أو جملة واحدة. وسمّاه قدامة، التمام. وسمّاه الحاتمي في الحلية، التتميم[٢]. وهو ممّا توارد عليه قدامة وابن المعتز، ثم ذكر من المحاسن الخروج من معنى إلى معنى، وسمّاه الحاتمي الاستطراد، ناقلاً تسميته لا مخترعاً، وهو إفراد ابن المعتز. ثم ذكر تأكيد المدح بما يشبه الذم منفرداً وذكر تجاهل العارف، وهو الذي سمّاه المتأخرون الإغباب والتشكيك.

والتشكيك باب مفرد، أورده بعضهم، وبينه وبين تجاهل العارف فرق، وتجاهل العارف من إفراد ابن المعتز، ثم ذكر الهزل الذي يُراد به الجدّ منفرداً به. وذكر الكناية منفرداً به، وذكر الإفراد في الصنعة متوارداً عليها مع قدامة، وسمَّاها قدامة المبالغة. وذكر التشبيه متوارداً عليه مع قدامة. وذكر عتاب المرء نفسه منفرداً به وذكر حسن الانتداب منفرداً به ، وسمّاه من بعد، براعة الاستهلال.

فهذه اثنا عشر باباً من المحاسن تضاف إلى أبواب البديع الخمسة، فيصيربها ما أخبر عنه ابن المعتز جميعه من ذلك سبعة عشرباباً، وهي: التشبيه، والتمام، والمبالغة، والالتفات، والطباق، والجناس متوارداً هو وابن المعتز على جميع ذلك، وانفراد قدامة بالتكافؤ[٣]. وإن كان هذا تداخل على قدامة في باب الطباق وصحة الأقسام وصحة المقلابلات، وصحة التفسير، وإسلاف اللفظ مع المعنى، وهو باب فرَّع منه قدامة ستة أبواب، وهي: المساواة والإشارة والإرداف والتمثيل، ثم فرّع من ائتلاف اللفظ مع المعنى أيضاً الطباق والجناس. وقد تقدّم ذكر توارده مع ابن المعتز عليهما. وذكر ائتلاف اللفظ مع الوزن. وجعل المتأخرون هذين البابين باباً واحداً، وسمَّوه التهذيب والتأديب؛ لكنَّ قدامة خصَّ بهما الشعر، وربَّما

(١) الالتفات: ترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد، أو مخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب. معجم المصطلحات البلاغية ١ / ٢٩٤.

(٢) التتميم: اعتراض كلام في كلام. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ٢ / ٢٧.

(٣) التكافؤ: هو التضاد والتطبيق والطباق والمطابقة. معجم المصطلحات البلاغية ٢ / ٣٣٧،وينظر:نقد الشعر، ١٤٣.

من سمّاه تهذيباً لا يخصُّ بهما الشعر دون النثر، ولا النثر دون الشعر. وذكر ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت، وسمّاه مَن بعده التمكين. وخصَّ به الشعر أيضاً وهو لا يخصُّه. وفرّع قدامة من هذا بابي التوشيح والإيغال، وذكر الترصيع[1] في ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت في ضمن كلامه، ولم يفرده.

فهذه ثلاثة عشر باباً صحَّت لقدامة بعد إسقاط ما تداخل عليه، وهو التكافؤ؛ فإذا أضيفت إلى ما انفرد به ابن المعتز من البديع، وأضافه إليه من المحاسن وتوارد عليه مع قدامة صارت هذه الأصول من كتابهما بعد حذف النوارد والتفاضل ثلاثين باباً سالمة من التداخل.

قال ابن أبي الإصبع: فهذه أصول ما ساقها الناس في كتبهم من البديع ثم اقتدى الناس بابن المعتز في قوله: فمن أحبَّ أن يضيف فليفعل، فأضاف الناس المحاسن من البديع، وفرّعوا من الجميع أبواباً أُخَر، وركّبوا منها تراكيب شتّى، واستنبطوا غيرها بالاستقراء من الكلام والشعر؛ حتى كثرت الفوائد ورأو ابن المعتز قد غَلَّب اسم البديع على المحاسن، فسمى كتابه، البديع. وهو جامع لهما معاً، فاقتدوا به؛ لانه المخترع الأول، فسمّوا أنواع كتبهم بالبديع؛ وإن سمّى كلّ منهم كتابه باسم مرجعه إلى معناه؛ إلاّ أن يكون قد ألَّف في مجموع البلاغة وكنه الفصاحة، فإن له أن يسميه بما شاء[2]. ثم إن ابن أبي الإصبع زاد في كتابه، تحرير التحبير، وجمع بعد ما تقدّم من أصول الأبواب ستين باباً من الفروع، وأضاف هذه الستين إلى الثلاثين الأصول، فصارت الفذلكة[3] تسعين باباً قال ابن أبي الإصبع: ثمَّ عنَّ لي استنباط أبواب تزيد بها الفوائد وتكبر بها الإمتاع، نسجاً على منوال مَن تقدَّمني، واتباعاً لسنّة من سبقني ظني إلى شيء منها، اللهم إلاّ أن يوجد في زوايا الكتب التي لم أقف عليها شيء مما اخترعته، فأكون أنا والسابق إليه متواردين عليه. وما أظنُّ ذلك والله أعلم. ثم قال: ولما انتهى استخراجي إلى هذا العدد أمسكت عن الفكر في ذلك، ليكون ما أتيت

---

(١) الترصيع: تساوي الألفاظ في البناء والانتهاء، معجم المصطلحات البلاغية ٢ / ١٣٥.

(٢) تحرير التحبير،٨٧ .

(٢) الفذلكة: فذلك حسابه: أنهاه وفرغ منه. القاموس المحيط (فذلك) ١٢٢٧ .

به وفق عدد الأصول، ثم سرد الثلاثين باباً بعد أن سرد الستين المضافة إلى الثلاثين الأصول التي اخترعها ابن المعتز وقدامة. ثم قال: فصارت أبواب هذا الكتاب مئة وعشرين باباً، سوى ما انشعب من أبواب الائتلاف وغيره. وجملة الأبواب على ضربين ضربٍ يختص بالشعر، وضربٍ يعمّ الشعر والسنن والنثر، وذلك ظاهر لمن تبحّر في الكتاب.

١- ابن المعتز

وهو أبو العباس عبد الله ابن أبي عبد الله الزبير المعتز(*) بالله ابن جعفر المتوكل ابن محمد المعتصم ابن هارون الرشيد المهدي محمد ابن أبي جعفر عبد الله المنصور ابن محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم. نسب كان عليه من شمس الضحى نورا، ومن فلق الصباح غمورا. ملك تفرّد بالصفات الحسان، وجمع العدل والإحسان، وأقدم وقد خرس كلّ لسان يقب(١) عن أسرار الكلام، وإخراج زهره من الكمام. فوضح البيان، ولمح ملء العيان. واجتليت أقماره الطوالع واجتنيت أفواده اللوامع. وكان زينة لسمائه، وحلية لصباح زمانه ومسائه. يخال ذكره عنبراً يفوح في الأسحار، وجوهراً يلوح في قلائد الأسمار. مَن أثرى مِن حاصل ديوانه أوسع إن كان منفقا، وأيسر ولو كان مملقا. وتقدّم والناس وراءه، والنهار يلبس آراءه. فوقف وقفة قدامه يتعلم، وقال أو سكت لا يتكلم. ولم يكن أولى منه بالخلافة، ولا أحقّ منه أن يرث أسلافه؛ وإنما أخّره تقدمه، وعرض سمهريّه على النار مقوّمه. ومازال الزمان مغرى بخط كل رفيع، ولا ساءه إلى من لا يحتاج محاسنه إلى شفيع، وله ذكر في الخلفاء. ولد لسبع بقين من شعبان سنة سبع واربعين ومئتين وأبوه المعتز. أمه أم ولد، اسمها قبيحة، سميت بذلك لفرط حسنها. وزعم ابن خلكان أنه كان حنفي المذهب. قال: ويدل على هذا قوله في الخمرة المطبوخة: [الطويل]

(*) ترجمته في: إنباه الرواة ٣ / ١٧٩، وشذرات الذهب ٣ / ٢٤٦، ووفيات الأعيان ٣ / ٧٦، ونزهة الألباب ١٧٦ .والأعلام ٤ / ١١٨، توفي سنة ٢٩٦هـ.

(١) يقب: الوقوب: الدخول في كل شيء. اللسان (وقب) ١٥ / ٣٦٠.

وقَتنِي من نار الجَحيم بنفسِها وذلك معروفٌ لها ليس تُجحَدُ (١)

والأغلب والله أعلم أنه كان حنبلي المذهب على ما يأتي؛ وإنما قال هذا في الخمرة تفسحاً في القول على عادة الشعراء في التقبيح في القول.

وأخذ الأدب عن المبرّد وثعلب وغيرهما. وكان محبّاً للعلماء معدوداً منهم ولم يزل مرشحاً للخلافة مؤهلاً للملك، يُخاف ويرتجى إلى أن كان ما كان من المقتدر من فساد الأمور، وضياع الجمهور؛ لصغر سنّه، وغلبة النساء عليه. ورأى العباس بن الحسن الوزير أن هذا يفتقر إلى خلع المقتدر، ومبايعة أبي العبّاس فدعا إلى ذلك الحسن بن أحمد،، فقام إليه داعياً، وتردّد في التمام له ساعياً إلى أن انقاد غالب العامة، وخاصة أرباب العقد والحل، كمحمد بن داود القاضي، وأبي المفتي أحمد بن يعقوب، وبدر الأعجمي، وصوارتكين التركي، ثم راسلوا أبا العباس فأجابهم على ألاّ يُسفَكَ دَمٌ. ثم بدا للوزير لاقتداره على المقتدر وضعف أيسر أهل رأيه متخلياً عن الفريقين، بعد أن شبّ نهارها، وشدَّ أوزارها، فلحق به حمدان وبدر الأعجمي ووصيف فقتلوه، ثم قتلوا في غد ذلك اليوم فاتك المعتضدي، وكان عضداً للمقتدر، وذلك يوم السبت لتسع بقين من ربيع الأول سنة ست وتسعين ومئتين. وركض ابن حمدان إلى الحلبة نحو المقتدر يطلبه بالتدمير، وكان المقتدر هناك يلعب بالكرة، فلما بلغه مقتل الوزير أطلق عنان جواده والتحق في القصر بأمداده، ثم أمر فغلّقت أبواب القصر وطوّق بالمقاتلة مستعداً للحصير، فكرَّ ابن حمدان راجعاً يتلظّى ندماً؛ لكونه لم يبدأ به، وأحضر أبا العباس في يومه، وبايعه الناس بالخلافة على يد محمد بن سعيد الأزرق، ولقِّب الغالب بالله، وقتل المتصف. والأول أصح. ولم يتأخر عن بيعه سوى الحسن بن الفرات فاستوزر محمد بن داود، وقلّد علي بن عيس الدواوين، وكتب الكتب ببيعته إلى الآفاق وأرسل إلى المقتدر يأمره بأن ينتقل إلى دار عبد الله بن طاهر، فأجابه بالامتثال، وسأله في المهلة، وأصبح ابن حمدان إلى دار الخلافة، والمقتدر بها ليخرجه منها فقاتله الغلمان والخدم عامة النهار، ولم يكن قد بقي مع المقتدر سوى مؤنس الخادم

---

(١) ديوان شعر ابن المعتز، ٢ / ٩٣.

وبعض حاشية الدار. وتربَّص ابن حمدان الغفلة، فلما نصل الدجى الذي صبغه المغرب، ووضع حمله الليل المقرّب، وجنين الفجر قد كاد أن يرمي سقطا، وأنامل الصبح قد كادت تأتي على دراهم النجوم لُقَطًا، وقد تثاءب المشرق وآن المغرب الذي تمطّى، وتمشّى نسيم السحر وتخطّى فاقتعد جَمَلَه وقبل السرى أمله، والحذر يستطيره، والخوف يدني منه جناح طائر يستعيره ودام سارحاً في نهاره، وسارباً في أنهاره؛ حتى إذا دميت في الأصل أخفاف مطيه الخفيّة، وطُفِيَتْ جديدة النهار في عين شمسه الحميَّة، نزل ليريح ويقيم جنب نضوه الطريح؛ فبينما هو قد ترك بَقيته، ومسك الليل قدد رقيته أدركته بادرة الخيل وألقته جدا سهيل. وكان سبب رحيله أن أبا العباس عدل بالحجبة عنه، وكان يريدها ويحضّها، ولو قطعت أوداجه ووريدها، فحقدها عليه وأرقدها لديه. ثم إن أهل القصر أجمعوا على الصعود من الماء لاغتيال ابن المعتز، فلمّا رآهم أصحاب ابن المعتز أكبروهم، وقالوا: هذا رأي ابن حمدان، ولهذا تَرَكَنا وفرّ، وظنّوها من رأيه، فخرج ابن المعتز، ومعه محمد بن داود الوزير، وبين أيديهما غلام ينادي، يا معشر المسلمين، ادعوا لخليفتكم هذا السني البربهاري؛ إشارة إلى أنه على مذهب أهل السنّة، خلافاً للمقتدر، وأهل بيته. والبربهاري، هو أبو الحسن ابن أبي القاسم البربهاري مقدّم الحنابلة؛ وكان لأهل السنّة وسائر العامة فيه رأي جميل. وكان ابن المعتز على مذهبه، ثم سار إلى الصحراء وهو يظنّ أن الجنود تتلاحق وراءه فلم يلتحق به أحد، ولا مدّ إلى بصره مدى خطوة، ولا ساعد يد، فَهِمَ مقصد شرٍّ من راء ليشدَّ بها سلطانه، ويجتمع عليه فيها، فلمّا أخفقت أمانيه نزل عن دابته، وقطع أطماع إرادته، والتحق بابن الجصاص الجوهري، فاستجار بجواره واختفى في داره، فوشى به خادم لابن الجصاص صغير، فأمسكه المقتدر وسلّمه إلى مؤنس لأمر قد قُدر، فأخرج إلى أهله في اليوم الثاني من خلافته قتيلاً في كساء لا ثائر له إلا دموع النساء. فرحمه الله وغفر له وأكرم لديه في الجنة نزله. ورثاه علي بن محمد بن بسام بقوله: [البسيط]

للّه درّك من مَيْتٍ بمضيَعةٍ ... نَاهيك في العلم والآداب والحَسَبِ

مَا فيه لوٌّ ولا لولا فتنقصه ... وإنما أدركَتهُ حرفةُ الأدبِ

قلت: ومن غرائب الأمور وعجائب ما جرى به القدر المأمور أنّ ابن حمدان هذا؛ بل كل بني حمدان كانوا في غاية التشيع، وخصوصاً هذا الحسن فإنه كان رأساً في الغلاة، وكان ذا لسن، وكان ابن المعتز غاية في التسنُّن وخصماً في الجدال، تخرس له الألسن. وكان ابن حمدان هو القائم في قيام ابن المعتز على بُعد ما بينهما وتنائي جانبيهما، وكل واحد منهما لم يبرح للآخر مناقضاً، ولقواعده في المذهب معارضاً ؛ إلاّ أنّ الله إذا أراد أمراً أتمّه وكان أمرالله مفعولا.

وكان ابن المعتز رأس أهل اللغة والنحو، متقناً للأدب عالماً بالبيان عارفاً بفنونه، مطّلعاً على مكنونه. أعرف أهل زمانه، بل الناس، مطلقاً به، مائلاً إلى الغزل وضروبه، مولعاً بالتشبيه والأوصاف، مجيداً فيهما وفي التشبيه أكثر. وكان يقول: لو قيل لي: ما أحسن شعر؟ لقلت: قول العباس بن الأحنف: [البسيط]

قَد سحَّب الناسُ أذيالَ الظنون بنَا وفرَّق الناسُ فينا قولهم فِرَقَا
فَكاذبٌ قد رمى بالظنِّ غيرَكُمُ وصادقٌ ليس يدري أنه صَدَقَا(١)

ومن مأثور كلامه في علم البديع قوله في الالتفات:

الالتفات، انصراف المتكلم عن الإخبار إلى المخاطبة، ومثاله من القرآن العزيز بـ« الحَمدُ للّه رَبِّ العَالَمينَ» ثم قال: «إيَّاكَ نَعبُدُ وإيَّاكَ نَستَعِينُ(٢)». ومثاله في الشعر قول جرير: [الوافر]

متى كان الخيام بذي طلوح سُقيتِ الغيثَ أيتها الخيَامُ(٣)

أو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، كقوله تعالى: ﴿حَتَّى إذَا كُنتُم في الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ(٤)﴾. ومثال ذلك من الشعر قول عنترة: [الكامل]

(١) ديوان العباس بن الأحنف، ٢٢٤، وردت (جاهل) بدلاً عن (كاذب).
(٢) الفاتحة ١/ ٢، و ٥.
(٣) شرح ديوان جرير، ٦١٣، شروح: إيليا الحاوي.
(٤) يونس ١٠/ ٢٢.

ولقد نزلتُ فلا تُظنّي غيرةً   منّي بمنزلة المحبّ المُكرمِ[1]
كيفَ المزارُ وقد تربّع أهلُها   بعنيزتَين وأهلُنا بالغَيلمِ

وقال: التمام، هو اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه، ثم يعود المتكلم فيتمّه وهو أن الكلمة التي إذا طرحت من الكلام نقص حسن معناه ومبالغته أن لفظه يوهم بأنّه تام. ومثاله، قول تعالى «مَن عَمِلَ صَالِحاً مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤمِنٌ فَلَنُحيِيَنّهُ حَيَاةً طَيبَةً[2]». فقوله تعالى: «من ذكر أو أنثى» تتميم، وقوله تعالى وهو مؤمن تتميم ثان في غاية البلاغة التي يذكرها ثم معنى الكلام. وقد ذكر شيخنا أبو الثناء الكاتب في البديع عتاب المرء نفسه، ولم ينشد فيه سوى بيتين، ذكر أن الآمدي أنشدهما عن الجاحظ، وهما: [الطويل]

عَصَانيَ قَومِي والرَّشادُ الذي به   أمرت ومن يَعصِ المجرّبَ يندَمِ
فصبراً بني بكرٍ على الموت إنّني   أرى عارضاً ينهلُّ بالموت والدَّمِ

قال شيخنا رحمه الله في حسن التضمين، ومن إنشادات ابن المعتز في هذا الباب :[السريع]

أعوذ لمّا بتُّ ضَيقاً له   أقراصُه مني تناسين
فبتُّ والأرضُ فِراشِي وقَد   غنّت قِفَانبكِ مَصَارِيني

وذكر في الاستطراد أنَّ ابن المعتز سمَّاه: الخروج من معنى إلى معنى، وفسَّره بأن قال: هو أن يكون المتكلِّم في معنى فيخرج بطريق التشبيه، أو الشرط أو الإخبار أو غير ذلك إلى معنى آخر يتضمّن مدحاً، أو قدحاً، أو وصفاً ما. وما أنشد فيه: [الطويل]

وإنّا لَقَومٌ ما نرَى القتلُ سُبّةً   إذا ما رأته عامرٌ وسلولُ

وله نثر بديع منه قوله: والأرض عروس مختالة في حُلَلِ الأشجار، متوجة بأكاليل الأزهار. والجوّ خاطب لها، قد جعل يشير بمحضرة البرق، ومتكلم بلسان الرعد، وينثر من القطر أبدع نثار.

---

(١) ديوان عنترة، ٥٤.

(٢) النحل ١٦/ ٩٧.

قوله: وطارت به كل خوّارة[١] العنان نازعة الأشطان، تنفر نفار الظليم[٢] وتنظر بمقلة غزال تحت سالفة[٣] ريم. كأنما خلقت قوائمها من الرياح، واعتصبت ثوب الظلام فلطمها في وجهها الصباح.

ومنه قوله: فكم تسنّم من حبل يعطس بأنف شامخ في الهواء ويتفنس، فتصدأ مرآة السماء منه.

وقوله: ولولا أن ساحة هذه الأيام قصيرة المساحة، يكاد يشير بالراحة لقصده سعياً على القدمين، ونقل التهنئة إلى قلبه من طريق السمع لا من طريق العين.

منه قوله: وسار فلان في جنود عليهم أردية السيوف وقمصان الحديد فكأن رماحهم قرون الوعول، وكأن دروعهم زَبَد السيول على خيل تأكل الأرض بحوافرها، وتمد بالنقع سُرَادُقَها. وقد نُشِرَت في وجهها غرر كأنها صحائف البرق، وأمسكها تحجيل كأنه أساور اللجين، وقرطت غدرا كأنها الشنوف تتلقف الأعداء أوائله، ولم ينهض أواخره. قد صبَّ الله عليهم وقار الصبر، وهبَّت معهم ريح النصر ومن نظمه قوله: [الطويل]

لِذي الدَّار مني زَفرةٌ ونَحيبُ وقَلبي شجٍ إن لم يَمُت فَكئِيبُ
خَلا الرَّبعُ من سكَّانه ولقد يُرى جميلٌ بهم والمستَزارُ قريبُ
إذِ العيس حُلوٌ ليس فيه مَرارةٌ هنيٌّ وإذ عُودُ الزَّمان رَطيبُ
وفي كُلّ تَسليم الزَّمان تحيةٌ وفي كُلّ لحظٍ للحَبيبِ حَبيبُ

ومنه قوله: [الكامل]

وبَكيتُ من طَربِ الحمائمِ غُدوةً تدعو الهديلَ وما وجَدتُ سَميعَا
ساعَدْتهنَّ بنوحَةٍ وتفجُّعٍ وغلبتهنَّ تنفُّساً ودمُوعَا

---

(١) خوّارة: سهلة، ليّنة. اللسان (خور) ٤/ ٢٤٢.

(٢) الظليم: الذكر من النعام. اللسان (ظلم) ٨/ ٢٦٨.

(٣) سالفة ريم: ما تقدَّم من عنقها. اللسان (سلف) ٦/ ٣٣٢.

أفنى البكاءُ همومَ قلبٍ مُوجَعٍ لو كنَّ في صَخْرٍ لكنَّ صُدُوعا
يَا قلبُ ليس إلى الصِّبَا من مَرجِعٍ فاحزن فَلست بمثله مفجوعا

ومنه قوله: [الكامل]

كم ليلةٍ شَغَل الرُّقادُ عَذُولها عن عاشقَينِ قواعدَ اللُّقَياءِ
عَقَدا عِناقاً طول لَيلِهما معاً قد ألصقا الأحشاءَ بالأحشَاءِ
حتى إذا طَلَع الصَّباحُ تفرَّقا بتنفُسٍ وتلهُّفٍ وبُكَاءِ
ما راحَنا تحت الدُّجى شيءٌ سوى شبهِ النجوم بأعيُنِ الرقباءِ

ومنه قوله: [الطويل]

أُصانِعُ أطرافَ الدُّموع فمُقلَتي موقَّرةٌ بالدمع غرْباً على غرْب(١)
وهل هي إلاّ حاجَةٌ قُضِيَتْ لنا ولومٌ تحمَّلناهُ في طاعَةِ الحُبِّ

ومنه قوله: [الكامل المرفل]

لَمّا رأيت الدمعَ يفضَحُني وقَضَتْ عليَّ شواهدُ الصَّبِّ
ألفيتُ غيرَكَ في ظُنُونِهِمُ وسترتُ وجهَ الحبّ بالحُبِّ

ومنه قوله: [المديد]

غَضِبَ الإدلالُ من رَشَأ لا بسٍ للحُسن جُلبَابَا
غُصُنٌ يهتزُّ في قَمَرٍ راكضاً للوشيِ سحّابَا
أثمرتْ أغصانُ راحَتِهِ لجُنَاة الحُسنِ عنّابَا(٢)

ومنه قوله: [الطويل]

هِيَ الدارُ إلاّ أنها منهم قَفْرُ وإني بها ثاوٍ وإنهم سَفْرُ

---

(١) غرب: غرب كل شيء حدُّه. اللسان (غرب) ١٠/ ٣٤.

(٢) ديوان ابن المعتز ١/ ٣٥، ٣٦.

حَبَستُ بها لَحظي واطلقتُ عبَرتي ... وما كَان لي في الصَّبرِ لو كَان لي عذرُ
كأنّي وأيامي التي طَوت النَّوى ... نجيَّان بَاتَا دُونَ لُقيَاهُما سِتْرُ
فدع ذكرَ شيءٍ قد مَضَى ليس راجِعاً ... فذلك دَهرٌ قد تولّى وذا دهرُ(1)

وقوله: [المنسرح]

وَشَمسِ لَيلٍ طرقتُها فبَدَا ... منها صدودٌ ما كنت أحسَبُهُ
تَقولُ من جاء وَهي تعرِفُني ... يالِصَّةَ القلب جئتُ أطلُبُهُ(2)

ومنه قوله:

ثُمَّ أتيتُه بحُسنِ صورتِه ... عَبَثَ الفتورُ بلحظ مُقلتِه
وكأنَّ عقربَ صدغِه احترقتْ ... لَمّا دنت من نارِ وَجنَتِه

ومنه قوله: [البسيط]

قالوا الفراقُ غداً لاشكَّ قلتُ لَهم ... بل موتُ نَفسيَ من قبل الفراق غَدَا
إني إذَن لَصبورٌ إن بَقِيتُ وقد ... قَالوا الفِراقُ وإن لم يرحَلوا أبَدَا

ومنه قوله: [الخفيف]

رُبَّ ليلٍ أحييتُه بزَفيرٍ ... وهُمومٍ تكوي الحَشَا والفؤادَا
باتَ طرفي يشيِّع النجمَ فيه ... كلَّما خلتُه يسير تَمادَى

ومنه قوله: [الطويل]

ومُستكبرٍ يزهي بخصر وسارب ... وفترة أجفان وخدٍّ مورَّد
تبسَّم إذ ما زحته وكأنّما ... تكشف عن درّ حجابُ زَبَرجَد

---

(1) ديوان شعر ابن المعتز 1/116.

(2) ديوان شعر ابن المعتز 1/234.

ومنه قوله: [السريع]

وفَاحِمٍ مَالَ على الخَدِّ ... مثلَ العَنَاقيدِ عَلَى الوَرْدِ
وصَولَجَانُ الصَّدغِ مُستمكِنٌ ... للضَّرب من تُفَّاحةِ الخدِّ

ومنه قوله: [الكامل المرفل]

لمَّا وَقَفتَ بذلْت بالهَجرِ ... ورميتَني من حيثُ لا أدري
مَا كُنتَ تدري كيفَ تقتُلُني ... فهجرتَني وفَطَنتَ للهَجرِ

ومنه قوله: [الخفيف]

ياهلالاً يدورُ في فلك الـ ... بارودِ رفقاً بأعين النُظّاره
قِفْ لنَا في الطريق إنْ لم تَزُرنَا ... وقفةٌ في الطريق نصفُ الزِّيَارَه

ومنه قوله: [السريع]

مَا أقصَرَ اللَّيلَ على الرَّاقدِ ... وأهونَ السُّقمَ على العائدِ
تفديك ما أبقيتَ من مُهجَتي ... لستُ لما ألويت بالجاحدِ
كأنَّني عانقتُ ريحانةً ... تنفَّسَت في ليلها البارِدِ
فلو تَرانا في قَميصٍ حسبـ ... ـتَنا من جَسَدٍ واحدِ

ومنه قوله: [السريع]

إن جاءَ في الليل تجلَّى وإن ... جاء صباحاً زادَنا نُورَا
فكيفَ أحتال إذا زارَني ... حتى يكونَ الأمرُ مستورَا

ومنه قوله: [الكامل المرفل]

قَالَت لأختيها ألم تَريَا ... إن قد أجدّ البَين بالسَّفرِ
ما للمَضاجعِ لا تُلائِمُني ... وكأنَّ قلبي ليسَ في صَدرِي

ومنه قوله: [الطويل]

أَلـسـتَ تَـرى الـنَّجـمَ الـذي هُـوَ طَـالـعٌ عَلَيكَ فَـهَـذَا لـلمُـحـبِّين نـافِعُ
عَـسَى يلتـقي في الأفق لحظي ولحظُه ويجـمـعُنا إذ ليسَ في الأرض جَـامعُ

ومنه قوله: [الطويل]

ومن دونِ مـا أبديتَ لي يُقتل الفَتَى ويمشي جَليـدُ القَـوم وهو ضَـعِـيفُ
ولم أدرِ أنَّ البـانَ يُغـرَس في النَّقـا[١] ولا أنَّ شَـمـسًـا في الظلام تَطوفُ[٢]

ومنه قوله: [البسيط]

إني لأحـسُـدُ كَـاسًـا حين يلثـمُـهـا حـتى أبيتُ سـخينَ العين مـرتفـقـا
وتَـنطَوي النَّفسُ من وجـدٍ ومن أسفٍ إذا غـدا لنجَـادِ السَّـيفِ مُـعـتَنِقَـا

ومنه قوله: [الكامل المرفل]

لجَّ الفـراق فـويحَ من عَـشِـقَـا مـا الـدمع إلاّ للنَّوَى خُـلقَـا
أرأيتَ لحظتَـهـا ومـا صَنَعت هل بعـدَها للعـاشـقين بَقَـا
ياصـاحِـبَيَّ ترقَّـبـا تلَفِي إن لم يَطِرْ قلبي فـقـد خَـفَـقَـا

ومنه قوله: [الكامل]

ومُـتَـيَّمٍ جَـرَح الفـراقُ فـؤادَه فـالدَّمعُ من أجـفـانه يتـدفَّقُ
هزَّته سـاعـةُ فُـرقـةٍ فكأنما في كُلِّ عـضـوٍ منه قلبٌ يخـفِقُ

ومنه قوله: [الخفيف]

شـفِّـعـيني ياشِـرُّ في ردِّ قلبي فلقـد طال حَـبْسُ قَلبِي لديكِ[٣]

---

(١) النَّقا: عظم العضد. اللسان (نقا) ١٤/٢٧٣.

(٢) ديوان شعر ابن المعتز ١/٣٢٩.

(٣) كذا في الديوان ١/٣٥٠.

وَأْذَنِي في الرُّقَـادِ لي إنَّ عَـيني ... تستعيرُ الرُّقَادَ من عَينيكِ
أوهِبي لي صبراً أردّ به الدمـ ... ـعَ فإني أخافُ دمعي عليكِ

ومنه قوله: [البسيط]

إنّ الّذينَ بخيرٍ كنتَ تذكرهم ... قضَوا عليك وعنهُم كنت أنهَاكا(١)
لا تطلبنّ حياةً عند غَيرِهم ... فليس يُحييك إلاّ من توفّاكا

ومنه قوله: [الطويل]

أعاذِلَتي لا تعذِلي عاشقاً مثْلي ... ولكنْ دَعيه واعذُري الحبَّ من أجلي(٢)
ونُوحي على صبٍّ بكت عائداتُه ... صريعُ القدود الميلِ والأعيُنِ النُّجلِ
رَمينَ فلما أن أصَبْنَ مَقاتلي ... تولّينَ فانضمّت جراحي على النَّبلِ

ومنه قوله: [المنسرح]

صدّت شُرَيرُ فما تُكلِّمُني ... كم ذا التجنّي على المحبّ كَم
دَعَتْ خلاخيلُها ذوائِبَها ... فجئن من رأسها إلى القَدَمِ

ومنه قوله: [مخلع البسيط]

تَعالَ قد أمكنَ المكانُ ... واجسُر على القلب يا جَبَانُ
عجّل فإنَّ الزمانَ غِرٌّ ... مِن قبلِ أن يفطِنَ الزَّمانُ

ومنه قوله: [الكامل]

كم ليلةٍ عانَقْتُ فيها بدرَها ... حتى الصباح موسّداً كفيّه(٣)
مازلت أشرَب خمرةً من ريقه ... وتحيَّتي تفاحتَا خَدّيه
فَسَكِرْتُ لا أدري أَمِنْ حَبلِ الهوى ... أم كأسِه أم فِيْهِ أم عَينيه

(١) كذا في الديوان ٣/٣١٨.
(٢) كذا في الديوان ١/٣٦٣.
(٣) كذا في الديوان ١/٤١٦، ٤١٧.

ومنه قوله: [الوافر]

قلوبُ الناس أسرى في يديه — وثوبُ الحسن مخلوعٌ عليه[1]
أسَرّ إذا بليت وذاب جسمي — لعلَّ الريح تحملُني إليه

ومنه قوله: [الكامل]

وبكَيتُ من جَزْعٍ لنوحِ حمامةٍ — تدعو الهديلَ فظلَّ غيرَ مُجيبها
نُحْنَا وناحت غيرَ أن بكاءنا — بعيوننا وبكاءَها بقُلوبِهَا
مُنِعَ الزيارةُ من شُريرةَ خائفٌ — لو يستطيع لباتَ تحتَ جيوبِهَا
ساءَت بك الدُّنيا وسرّت مرةً — فأراك من حَسَناتها وذُنُوبِهَا
ويجرُّ لي بالمطلِ موعدُ حاجةٍ — لو شئتُ قد برَد الغليل بطيبِهَا
محبوسةٍ في كفَ مطلِك طالمَا — عَذَّبتِني وشَغَلت آمالي بِهَا

ومنه قوله: [الكامل]

صدَّت وأغرَت طيفَها بمتيَّمٍ — إن الفَراق لَمغرم بالمغرمِ
وبدَت فحسبك من وِشاحٍ ناطقٍ — كثُرت وساوسُه وحجل مُفحَم[2]
وكأن فَاها بعد آخر رقدَةٍ — متسَحِّرٌ بعَقار دنٍّ معلَمِ

ومنه قوله: [المنسرح]

وكم عناقٍ لنا وكم قُبَلٍ — مختلساتٍ حَذَار مرتقبِ[3]
نَقرَ العصافيرِ وهي خائفةٌ — من النَّواطيرِ يانعَ الرُّطَبِ

ومنه قوله: [الخفيف]

قُلْ لأحلَى العِبَاد شَكلاً وقَداً — أَبجِدٌ ذَا الهجر أم ليسَ جِدّا

---

(١) كذا في الديوان ١ / ٤٢١.

(٢) وردت في المخطوطة: بحجل مفعم، وأصلحناها من الديوان، ٣ / ٧٧.

(٣) وردت في المخطوطة: كم من عناق، وأصحلناها من الديوان، ٢ / ٢٦.

مـا تَرى في مـتـيَّمٍ بك صبٍّ خـاضعٍ لا يَـرَى مـن الـذُلّ بُـدَّا
إن زَنَت عـينُه بغـيـرك فـاجلدْ ها بطول السُّهـاد والدمعُ حـدًّا[1]

ومنه قوله: [الوافر]

لقـد هَتَكَت دمـوعُ العَينِ سِـتـرِي وأحـرَقَـني هواهُ بغـيـرِ نَارِ
ويخـجَل حين يلقَـاني كـأني أنـقِّط خـدَّه بـالجُلّـنـارِ

ومنه قوله: [المتقارب]

وفي عِطفِـه الصَّـدغ خـالٌ له كـمـا أخـذَ الصـولجـان الكره

ومنه قوله: [البسيط]

سـقى الجـزيرةَ ذاتَ الظل والشـجـر ودير عَـبـدون هطالٌ من المطرِ[2]
فطالما نبَّـهـتني للصـبـوح بهـا في غُرَّة الفجر والعصفورُ لم يَطرِ[3]
أصـواتُ رهبـان ديرٍفي صَـلاتهمُ سـود المدارع نعّارين في السَّحـرِ[4]
مـزنّرين على الأوسـاط قـد جَـعلوا على الرؤوس أكَـالِيـلاً من الشَّـعـرِ
لاحظتُـه بالهـوى حـتى استـقـادَ له طوعـاً وأسلَفَني الميـعـاد بالنظرِ
فـقـمتُ أفـرش خـدِّي في الطريق لَه ذُلاً وأسـحـبُ أذيالي على الأثرِ[5]
وكَـان مـا كَـان مما لستُ أذكـرُه فَظُنَّ خـيـراً ولا تسـألْ عن الخـبـرِ

ومنه قوله: [الطويل]

لَه شـافِعٌ في القلب مَعْ كلّ زلَّةٍ فليس بمحـتـاج الذُّنوبِ إلى العُـذرِ

---

(١) كذا في الديوان، ٢/٨٧.

(٢) وردت في المخطوطة: فدير عبدون، وأصلحناها من الديوان ٢/١٠٢.

(٣) وردت في الديوان: قد طالما، ٢/١٠٣.

(٤) وردت في الديوان: سود العثانين، ٢/١٠٤.

(٥) وردت في الديوان: وأسحب أكمامي، ٢/١٠٥.

تُجـاذِبُني الأطرافُ بالوصل والقِلَى فـتختصمُ الآمالُ واليأس في الصَّدرِ

ومنه قوله: [الطويل]

ولمّا لحـقنَا الظَّاعنين وأرقلت[(١)] جِمَـالٌ بنا تشكو الكلال ونوُقُ
أثرْنَ على خوف بأغصَانِ فضَّةٍ مقوَّمة أثمارُهنَّ عَقيقُ
سلاماً كأسقاط النَّدى تحتَ ليلةٍ سرى حينَ لم يعلم إليه طريقُ
وشكوى لو انَّ الدمع لم يُطفِ حَرّها تولَّد منهَا بينهُنَّ حَريقُ

ومنه قوله: [الطويل]

ألا لاَ أرى كالدَّار إذ نحن جيرةٌ تُسافرُ فيما بينَنا الكتبُ والرُّسلُ
بِسَرٍّ أحاديثٍ عِذَابٍ لواتَّها جَنَى النَّحلِ لم تلفظ حلاوَتَها النَّحلُ

ومنه قوله وتروى لغيره: [الوافر]

نَضَتْ عنها القَميصَ لِصَبِّ مَاءٍ فورّد خدّها فرطَ الحَياءِ
فلمّا أن قَضَت وطراً وهمَّت على عَجَلٍ لتأخذ بالرِّدَاءِ
رأت شخصَ الرقيب على تدَانٍ فأسبلتِ الظلام على الضِّيَاءِ
فغابَ الصُّبح منها تحت ليلٍ وظلَّ الماء يقطُر فوق مَاءِ

ومنه قوله: [الطويل]

فيا ربَّ يوم لا يُواري نجومَه مددتُ إلى المظلوم فيه يدَ النَّصرِ
فسبحانَ ربّي مالقوم أرى لهم كوامِنَ أضغانٍ كواكِبُها تسري
إذا ما اجتمعنا في النديِّ تضاءَلوا كما خفِيَت مَرضى الكواكب في الفجرِ

ومنه قوله: [الخفيف]

قد تردَّيت بالمكارم حَولي وكَفتني نفسي من الإفتِخَارِ

---

(١) أرقلت: أسرعت. اللسان (رقل) ٥ / ٢٩٠.

أخزُن الغيظَ في قُلوبِ الأعَادي ... وأحلّ العدوَّ دارَ الصَّغارِ(١)
أنا جيشٌ إذا غدوت وحيداً ... ووحيدٌ في الجحفَلِ الجرَّارِ

ومنه قوله: [الطويل]

سلي [بي](٢) إذا ما الحربُ دارت بأهلها ... ولم يكُ فيها للجبَانِ قَرارُ
وقامَ لها الأبطالُ بالبِيْضِ والقَنا ... وهبّت رياحُ الآخرين فطارُوا
إذا شئتُ أوقدتُ البلاد حوافراً ... وسارت ورائي هَاشِمٌ ونِزَار

ومنه قوله: [الكامل]

كم فتنةٍ لا قَيْتُ فيها فُرصَةً ... فحَسَمتُها وَوَثَبْتُ قبل وثوبِهَا
أسد الفوارس في الوقائع لا تطَا ... إلاّ على الأقران يوم حُروبِهَا
راعيتُ جَانِبَهَا بلحظٍ حازمٍ ... فطنٍ بعقرب غلّةٍ ودبيبهَا
بعزَائمٍ أغمرتُها في ضَمنة ... لا يكشف الأوهام سترَ غُيوبهَا(٣)
ولربّ سمعٍ قد قرعتُ بحُجَّةٍ ... هذّبتها من شكّها وعُيوبهَا
أثنى عليهَا بالصواب حَسُودُها ... وقضى عليها خصمُها بوجوبِهَا
أعطى لها التوفيقَ من قسماته(٤) ... بيضاءَ ساطعة لمن يسري بهَا

ومنه قوله: [المديد]

جُمَع الله(٥) لنا في إمام ... قَتَلَ البخلَ وأحيَا السَّمَاحَا

---

(١) وردت في الديوان: واصلّ الجبار دار الصغار، وقد تقدّم البيت الثاني على الأول، ١/١٠٨.

(٢) الإضافة من الديوان، ١/١٠٢.

(٣) وردت في الديوان:

وعزائم أعهدتها في صمته ... لا يكشف الأوهام ستر عيوبها

١/٤٣٦.

(٤) وردت في الديوان: إعطاؤها التوفيق من كلماته.

(٥) وردت في الديوان: جُمّع الحق، ١/٤٦٢، و ٤٦٣.

إن عـــــفَـــا لم يُلغِ للّه حـــقّـــاً أو سَطَا لم يُخْشَ منْهُ جُناحَــا
ولَهُ مِنْ رأيِه عَـــــزَمَــــاتٌ وصَلَ اللّه بهن النَّجَــاحَــا

ومنه قوله: [الكامل]

أوكالسَّماءِ على الأنام فحيثُما كنتُم رمتُكُم لَفْتَةٌ من خَالِقِ[1]
لا تحسَبوا اليوم الجديدَ كأمسكُم أين الصباحُ منَ الظلام الغاسقِ
فَطِنَ الصنائعَ بالوفاء وأهله وسيوفُهُ يعرفنَ كلَّ منافقِ

ومنه قوله: [الطويل]

جَفَوني ورامُوا موضِعي فسَبَاهُمُ قُصُورُهُمُ عني وإني مع النَسرِ
تميل صروفُ الدهر حيث أميلُها وأُقسِمُهَا حالين بالنَهي والأمرِ

ومنه قوله: [البسيط]

تُمري أنامله الدنيا لصاحبها ونصلُه من عِدَاهُ قاطرٌ دامي
كالسَّهم يبعثه الرَّامي فصفحَتُه تلقى الرَّدى دونَه والصيدُ للرامي
مُستيقظٌ لا يَفكُّ الشكَّ عزمتَه كأن أوهامَه أنصارُ أقوامِ
لا يشتكي الدهرَ إن خطبٌ ألمَّ به إلا إلى صَعدةٍ أو حدِّ صمصَامِ

ومنه قوله: [الطويل]

قَدحتُم زنادَ الحربِ أولَ مرّة لنا وخَلَعْتُم بينَنا ربقَةَ[2] العَهدِ
وفاخرتُمُ قوماً بهم فازَ قدْحُكُم وهم علَّموكم في الملا حَبوة المجدِ
فلُذنا بُركنِ الصَّبرِ وانتصَفَتْ لنا صوارمُ تعدينا إذا قلَّ من يُعدي

---

(١) وردت في الديوان: رمتكم كفّه عن حالق. و (حالق)، الجبل المرتفع، ١/٥٢٦.

(٢) ربقة: الربق، بكسر الراء، الحبل. اللسان (ربق) ٥/١٢٣.

ومنه قوله: [الطويل]

ولَمَّا تَلاقَينَا وهزَّت رماحُنا وجُرِّدَ منها كلُّ أبيضَ باترِ
رأوا معشراً لا يُبصرُ الموتَ غيرُهم فما بَرِحُوا إلاّ برَجم الحوافرِ

ومنه قوله: [الكامل]

يا من يدس(١) لي العداوةَ صنعةً أسريت لي فاصبِرْ على الإدلاجِ
فَتحَ العدا بابَ المكيدةِ والأذى فاعجَب لخرّاجٍ لها ولاّجِ(٢)
أنا كالمنيَّةِ سقمُها قُدّامَها طَوراً وطوراً تبتدي فتفاجي

ومنه قوله: [الطويل]

إذا أظلمَت آراءُ قومٍ رمَاهُمُ برأيٍ يجلّي الخطبَ والخطبُ مظلمُ
ويرعَى صوابَ القوم منهم بفكرةٍ إذا جَمعَت أقطارُه نَطَق الفمُ
له كَرَمٌ من نفسه وعَطائه وبعضُ عطاءِ المفضلين تَكَرُّمُ
إذا ما جَنى الجاني وإن جَلَّ جُرمُه فَغُفْرَانُه في سُخطِهِ يتحكَّمُ

ومنه قوله: [الطويل]

أبا حسنٍ ثَبَّتَّ في الأمرِ وَطأةً وأدركتَني في المعضلات الهَزائزِ
وألبستَني دِرعاً عليَّ حَصينةً فناديتُ صرفَ الدهر هَل من مُبارِزِ

ومنه قوله: [الكامل]

أبَت الحوادثُ أن يدوم بقاءُ أو أن يردّ قَضاءهنَّ قَضاءُ
يعدُو فتفترِسْ النفوس كأنَّه أُسْدٌ توثَّبُ في السَّوام(٣) ضراءُ
والدَّهر أهوجُ عاثرٌ بخِطَامِه عَسِرُ الخليقةِ هادمٌ بنّاءُ

(١) وردت في المخطوطة (يدين) بدلاً من (يدسّ)، الديوان ٢ / ٢٧٣.
(٢) وردت في المخطوطة: فاعجب لنحراح لها ولاّج، واصلحناها من الديوان ٢ / ٢٧٣.
(٣) السَّوام: الإبل الراعية. اللسان (سَوَمَ) ٦ / ٤٤٠.

ومنه قوله: [الطويل]

وَغَرسٍ من الأحباب غُيِّبَ[1] في الثَّرى ... وأسقَتْهُ أجفَاني بسحٍّ وقاطرِ
فأثمرَ همّاً لا يَبيدُ وحسرةً ... لقَلبي يجنّيها بأيدي الخَواطرِ

ومنه قوله: [الكامل المرفل]

ما قرَّ في أيدي قوابِله ... حتى أذيق الصَّابَ بالعَسَلِ
والدَّهرُ لا يُبقي على أحدٍ ... والموت هجّام على الأجَلِ

ومنه قوله: [المتقارب]

وإنْ فرصةٌ أمكنَتْ بالعَدوّ ... فلا تُبد فعلَكَ إلاّ بهَا
فإن لم تَلِج بابَها مُسرِعاً ... أتاك عدوّك من بابِهَا

ومنه قوله: [البسيط]

أَشكو إلى اللَّه أحداثاً من الزمنِ ... برينَ جسمي بريَ القِدْحِ بالسَّفنِ[2]
وكلٌّ بي دونَ خلقِ الله كلِّهم ... فليتَني لم أرَ الدنيا ولم ترني
يا نفسُ صَبراً وإلاّ فاهلكي جَزَعاً ... إنَّ الزمانَ على ما تكرهين بُني
تلقَّتي وسلي هذا وذاك وذا ... بأنهم لم يَخُس دهرٌ ولم يخُنِ
لا تحسَبي أنعماً سرّتك صحَّتُها ... إلاّ مفاتيحَ أبوابٍ من الحَزَنِ
ما المرءُ إلاّ كَعَبْدِ السُّوء يضربُه ... سوطُ الزمانِ ولا يمشي على السُّفنِ

ومنه قوله: [الطويل]

مَضَى عجَبي من كل شيء رأيتُه ... وباتَت لعَينيَّ الأُمورُ اللَّوابسُ
فإني رأيتُ الدَّهرَ في كلِّ ساعةٍ ... يسير بنفس المرءِ والمرء جالسُ
وتقتادُه الآجالُ حتى تحطَّهُ ... إلى تربة فيها لَهنَّ فرائسُ

---

(١) وردت في الديوان (غيبَّت) ٣ / ٤٣.

(٢) السُّفَن: جلد خشن غليظ، أو حجر يُنحَتُ به. اللسان (سفن) ٦ / ٢٨٦.

وأصدعُ شكّي باليقينِ وإنَّني ... لِنفسي على بعض المسَاءةِ حابسُ

ومنه قوله: [مجزوء الرمل]

إنما شَيْبُ الفتى ... ناصحٌ إن فَعَلا
ما على الناصحِ أن ... ينتهي مَن جَهلاَ

ومنه قوله: [الطويل]

رأت أقحوانَ الشَّيب لاح وأذَّنتْ ... ملاحات أيَّام الظبا بوداعِ
فقالت مَحاكَ الدَّهرُ من صِبغَةِ الصِّبَا ... وكنت من الفتيَان خيرَ مَتاعِ

ومنه قوله: [الكامل]

لا تقصِرَنَّ عن الشَّبابِ وطيبِه ... ونفاقِ رُتبَتِه على الأحبَابِ
واغمُرْهُ باللَّذات ما صَلُحَت له ... فإذا مضى لم تبكِ فَقْدَ شَبابِ
هذا الذي يَبكي الشباب وطيبَه ... أبداً ويرفع شيبَه بخِضَابِ
لو كان أعطى نفسَه لذّاتِها ... لتفرَّغت بعد الصبا لِمتَابِ

ومنه قوله: [المتقارب]

تفقَّدْ مساقط لحظ المُريب ... فإنَّ العيونَ وجوهُ القلوب
وطالع بوادره في الكلام ... فإنك تُحيي ثِمارَ الغُيُوب

ومنه قوله: [مجزوء الكامل]

خلِّ الذنوبَ صغيرَها ... وكبيرَها فهو التُّقَى
كن مِثلَ ماشٍ فوق أر ... ضِ الشَّوك يَحذَر ما يَرى
لا تحذرنّ صغيرَه ... إنّ الجبال من الحَصَى

ومنه قوله: [الطويل]

وكيف التَّصَابي بعدما ذَهب الصِّبا ... وقد ملَّ مِقرَاضي عتابَ مَشِيبي

خَلَتْ من طَرُوقِي كُلِّه وحــجــالِهــا ... وبانت كــلابُ الحي بعــد هُبــوبِ

ومنه قوله : [الوافر]

فـــإن يكن المشــيبُ طرا علينا ... وأودَى بالبــشَــاشَــةِ والشَّبــابِ
فـــإنـي لا أعــــذِّبه بشيء ... أشــدَّ عليــه من نَتَنِ الخِــضَــابِ
رأيت الشَّــيبَ والحنّاءَ عَــذباً ... فــسلَّطتُ العــذابَ على العَــذابِ

ومنه قوله : [السريع]

ســـابقْ إلى مـــالك ورَّاثه ... مـــا المرء في الدنيـــا بلبَّـــاثِ
كم صــامتٍ[1] يخنق أكيــاسَه ... قــد صــاحَ في مِــيزانِ مِــيراثِ

ومنه قوله : [البسيط]

وعَــاقــدٍ فــوق أمــوال يجــمِّــعُــهَــا ... قد أصــبحَت بعده محلولةَ العُــقَــدِ
ومُــبــرِمٍ أمــرَه والدهرُ ينقــضُــه ... هل غــالبَ الدهرَ يالَلناسِ من أحــدِ

وقوله في ضدّ هذا : [السريع]

يا ربَّ جــودٍ جَــرَّ فــقــرَ امــرئٍ ... فــقــامَ للناس مَــقَــامَ الذَّليل
فــاشــدُدْ عُــرى مَــالكَ واســتبــقِــه ... فــالبُــخلُ خــيــرٌ من سُــؤَال البَخيل

وقوله : [مخلع البسيط]

لم أُخــضِب الشَّــيبَ للغَــوَاني ... أرجُــــــو بــه عــنــدَهــا ودَادَا
لكنْ خِــضَــابي على شَــبَــابي ... لَبــســتُ من فَــقْــدِه جِــرادَا[2]

---

(١) صامت : الصامت ، المال من العين ، من الذهب والفضة خاصة . اللسان (صمت) ٧ / ٤٠١ .

(٢) جرادا : الجرد : الثوب الخَلَق . اللسان (جرد) ٢ / ٢٣٥ .

وقوله: [الكامل]

غَضِبَتْ شُرير وأزمَعَتْ هَجري وصَغَتْ ضمائرها إلى الغدرِ[1]
قالتْ كَبِرْتَ وشِبْتَ قلتُ لَهَا هَذَا غُبَارُ وقائعِ الدَّهرِ

وقوله: [الخفيف]

لستَ تنجُو من كلّما حُدْتَ عنهُ فاسحَبِ الصَّبرَ دائماً واستَعِنْهُ
وتيقَّظْ إذا اضْطرِرْتَ إلى وصـ ـلِ عدوّ وكن على الخوفِ منهُ

وقوله: [الطويل]

وقلتُ لنفسي هل لجَهْلِكِ غايةٌ فقالتْ قد انتَهَيتُ منه إلى العلمِ
تردّد أنفاسي بباقي حُشَاشةٍ ضَعيفَةِ سلطانِ الحياة على جِسمِي
وأرخي لهم أنّي صحيح تجلدي وكم تحتَ صَبري لو تكشّفَ من كَلْمِ

وقوله: [الطويل]

ألستَ ترى شَيباً لرأسي شَامِلاً وَنَتْ حيلَتي فيه وضَاقَ به ذَرعِي
كأنّ المقاريض[2] التي تعتَوِر به مناقيرُ طيرٍ تنتقي سُبلَ الزَّرعِ

وقوله: [المتقارب]

كأنّ نجومَ الدُّجَى في الدُّجَى موار يُفرِّقنَ عن صائدِ[3]

وقوله: [الطويل]

وخِلتُ نجومَ اللّيل في حومةِ الدُّجى حصَاصا أرى منهَا النهار وأنقَابا

---

(١) صغت: صغا، مال وعوَّل. اللسان (صغا) ٧ / ٣٥٣.

(٢) وردت في المخطوطة (المناقير)، وأصلحناها من الديوان، ٣ / ١٦٧.

(٣) موار: مار، يمور، موراً: اضطرب وتحرَّك. اللسان (مور) ١٣ / ٢٢٠.

وقوله : [الطويل]

كأنَّ نجومَ الزهر في حُجُرَاتِها دراهمُ زَيفٍ لم يحُزْنَ على نقدِ

وقوله : [الطويل]

وقفتُ نهارَ الصُّبحِ ينتهِبُ الدُّجى بأضوائه والشُّهب تركض في الغَرْبِ

وقوله : [الطويل]

كأنَّ نجومَ اللَّيلِ في حَومةِ الدُّجى رؤوسُ مَدَارٍ رُكِّبت في مَعَاجِزِ

وقوله : [الرجز]

كأنَّما الجوزاءُ في أعلى الأُفُقْ أغصانُ نَوْرٍ أو وشاحٌ من وَرَقْ

وقوله : [الطويل]

وقد صيغَت الجوزاء حتى كأنَّها وراءَ نجومٍ هاوياتٍ وغُوَّرِ
صنوج[1] على رقَّاصةٍ قد تمايَلت لتُلهِي سِرباً بين دفٍّ ومُزهِرِ

وقوله : [السريع]

قَد لاحتِ الشِّعرَى وجوزاؤُها كمثل زجٍّ جَرَّه رامحُ

وقوله : [الطويل]

وقد لاح للساري سهيلٌ كأنَّه على كُلِّ نجمٍ في السَّماء رقيبُ

وقوله : [الكامل]

ورنا إليَّ الفرقدانِ كما رَنَت زرقاءُ تنظر من نِقَابٍ أسودِ

---

(١) صنوج : الصنج : هو الذي يكون في الدفوف، يتخذ من صُفر (نحاس)، يضرب أحدهما بالآخر . اللسان (صنج) ٧ / ٤١٨ .

وقوله: [الرَّجز]

قد صِيغَتِ العقربُ للمغَاربِ بذَنَبٍ كصولجانِ اللاَّعبِ

وقوله في الثريا، وتسمّيها العرب: النجم: [الرَّجز]

والنجمُ في غرّة فجرٍ مسرجِ كالمستَظِلّ باللَّهب المزجَّجِ

وقوله: [الرَّجز]

والنجم في طُرَّة ليل مُسفرِ كأنه غرّة مُهرٍ أشقَرِ

وقوله: [مجزوء الرمل]

والثُّرَيَّا مثل كأسٍ حين تبدو ثم تغرُبْ
وكأن الشرقَ ساقٍ وكأن الغرب يشرَبْ

وقوله: [الكامل]

وأرى الثُّرياً في السماء كأنَّها قدمٌ تبدَّت في ثيابِ حِدَادِ

وقوله: [الطويل]

فناولَنيهَا والثريَّا كأنَّها جنى نرجسٍ حَيَّا الندامَى به السَّاقِي

وقوله: [مجزوء الخفيف]

والثُّريَّا كنَورِ غُصنٍ عَلَى الغربِ قد نُثِرْ

وقوله: [الطويل]

كأنَّ الثُّريَّا في أواخِرِليلِها تفتُّحُ نَورٍ أو لِجَامٌ مفضَّضُ

وقوله فيها وقد طلعت عند الصباح: [مجزوء الرجز]

والصُّبحَ في أفقِه ذو غرّة واقِدَه
تَهوِي الثُّريَّا له في غَربها ساجِدَه

وقوله: [الوافر]

وقَـــد لاَحـتْ لســـاريهـــا الثُّـــرَيَّا   كـــأنّ نجـــومَـــهـــا نَورُ الأَقَـــاحِي

وقوله: [البسيط]

والنجمُ في أخـريات اللَّيلِ مـضطربٌ   كـــأنه خَـــابِطٌ في لجَّـــةِ غَـــرِقُ

وقوله فيها وقد طلعت عند الصباح: [مجزوء الرَّمل]

وكـــأنَّ الصُّـــبح لـمّـــا   لاحَ مـن تحـتِ الـثُّـــريَّـا
مَـلِكٌ أقـــبـلَ في التـــا   ج تَـقَـــرَّى وتَـحـــيَّـــا

وقوله: [البسيط]

وقـد هَوَى النجمُ والجـوزاء تتـبَـعُـهُ   كـذاتِ قُـرطٍ أرادته وقـد سَـقَطَا

وقوله في النيرين: [مجزوء الكامل]

ولـقـــد رأيتُ الـشـــمس تـتـ   ـلو البـــدرَ في أُفُقِ الـسَّـــمـاءِ
فـكـأنَّـهـــا وكـــانَّـه   قـــد حَـــان من جـــمـــر ومـــاءِ

وقوله في البدر تحت الغيم: [البسيط]

والبـــدرُ يأخـــذه غَـــيمٌ ويتـــركُـــه   كـــأنَّه ســـافِـــرٌ عن خـــدّ ملطُومِ

وقوله في الهلال عند الصباح: [الرَّجز]

إذا الـهِـــلالُ فـــارقَـــتْـــهُ لَيلَتُـــهْ   بَدَا لمن يُبـــصـــرُه وينعـــتُـــهْ
كـــأنَّه أســـمـــرُ شَـــابَت لحـــيَـــتُـــهْ

وقوله: [البسيط]

وَلاحَ ضَـــوء هلال كـــان يفـــضَـــحُنـا   مـثل القُـلامـةِ قـد قُـدَّت من الظفَـرِ

وقوله: [الكامل]

هذا هلال الفطر جَاءَ مبكّراً فالآن فاغدُ على الصَّبُوحِ وبَكِّرِ

وحكي أنه اجتمع هو وابن الرمي، فقال له ابن المعتز: أنا أحسن تشبيهاً منك. قال: بماذا؟ قال: بقولي في هلال الفطر، وانشده إيَّاهما. فقال ابن الرومي: أنت ملك وأنا سُوقَةٌ. وأنت شبهت بما له مثال عندك ولا مثال لهذا عندي؛ ولكن سلني تشبيه ما عندي، ففتح ابن المعتز كوّة في داره ترمي على صانع رقاق. فقال له: دونك وما شئت، فقال ولم يتوقَّف: [البسيط]

ورب صانع خبز قد مررت به يُدحي الرُّقَاقةَ وشكَ اللَّمح بالبَصرِ
مَا بين رؤيتِهَا في كفِّه كرةً وبين رؤيتها قوراءَ كالقمَرِ
إلاَّ بمقدارِ ما تنداحُ دائرةٌ في صفحة الماء تُلقى فيهِ بالحَجَرِ

فقال له ابن المعتزّ: أحسنت والله، أنت أشعر منّي.

عدنا إلى أبي العباس ابن المعتز، ومنه قوله في محاق هلال الصيام مع طلوع الثريًا: [المنسرح]

قد انقَضَت دولةُ الصِّيامِ وقد بشّر سَقمُ الهلال بالعِيدِ
يتلو الثُّريَا كفاغرٍ شرهٍ يفتح فاه لأكل عُنقُودِ

وقوله في هلال المحاق وطلوع الصبح مع المشتري: [الكامل]

في ليلةٍ أكل المحاقُ هلالَها حتى تبدّى مثلَ وَقفِ[1] العَاجِ
والصُّبحُ يتلو المشتري فكَأنَّه عُريانُ يمشِي في الدُّجى بسِرَاجِ

وقوله في الليل المقبل: [مجزوء الكامل]

حتى رأيتُ الليلَ في الـ آفاق مسودَّ الذوَائبْ
فكأنَّه لمَا تبدى في الـ ـمَشارق خطُّ شَارب

---

(١) وقف: الوقف، سوار من عاج، اللسان (وقف) ١٥ / ٣٧٥.

والشَّمسُ تنزَع نصفَها والغَرب محمرٌّ الجَوانِب

وقوله يصف الليل وهو من التشبيهات العُقم: [المتقارب]

عَسَى الشمس قد مُسِخَت كوكباً وقد طَلَعت في عِداد النُّجوم

وقوله في النهار ووصف قِصَره: [الطويل]

ألا ربّ يومٍ لي وقصر نهاره كسلّةِ سَيف أو كرجمَة كَوكبِ

وقوله في الفجر: [الرجز]

حتى إذا النَّجم بدا لي كالقَبَسْ قامْ النهار في ظلام قَد جلسْ

والفجرُ في المشرق كالثغر النَّسق كأنَّه ألقى على الأرض الطَبق

وقوله: [المنسرح]

أما ترى الفَجرَ تحتَ لَيلَتِه كَموقدٍ بات ينفُخ الفَحمَا

وقوله في الصباح: [الوافر]

كأن الصُّبحَ تحت الليل بادٍ جوادٌ أشهبٌ ملقَى الجِلالِ

وقوله: [البسيط]

وقَد أحاذِي عنَان الصبح مُبتكِراً واللَّيل مفتضَحُ الأكناف منصرفُ

والرِّيحُ تصقُله ريحٌ شآميةٌ والصُّبح كالفرق تحتَ الليلِ منكشفُ

وقوله: [البسيط]

واللَّيلُ كالحُلَّةِ السوداء لاحَ بها منَ الصباح طرازٌ غيرُ مرقومِ

وقوله: [الرَّجز]

قد أغتدي والصُّبحُ في إهابِه كالحَبَشيّ فرَّ من أصحَابِه

والصُّبح قد كشَّف عن أنيابِه كأنهُ يضحَك من ذهابِه

وقوله في المزنة: [البسيط]

ومُزنةٍ جادَ من أجفانها المَطَرُ ... فالرَّوضُ منتظِمٌ والقَطر منتَثِرُ
تَرى مواقعَه في الأرض لائحةً ... مثلَ الدَّراهمِ تبدو ثم تستَتِرُ

وقوله في مثله: [مجزوء الكامل]

وسَحَابةٍ مملوءةٍ حيـ ... ـلاً رواياها مواقرْ[1]
تَدَعُ السَّماءَ كأنَّها ... وَشَلٌ تكدِّره الأعاصِرْ

وقوله: [مجزوء الرجز]

باكيةٌ تضحَكُ عن بَروق ... سَرَتْ بجيبٍ في الدُّجى مشقوقِ
مالَت إلى المحل اليبيسِ الرِّيقِ ... كَمَيلِ عُشّاق إلى مَعشُوقِ
تَبكِي بدمعِ الواله المعشوق[2]

وقوله في البرق خلل الرعد والودق: [الخفيف]

وكأنَّ البرقَ مصحفُ قَارٍ ... فانطباقاً مرةً وانفتاحَا
في رُكَامٍ قد ضَاقَ بالماء ذَرعاً ... حيثما مالتْ به الريح سَاحَا
لم يزل يطمَعُ بالليلِ حتَّى ... خِلتَه نبَّه فيهِ صَبَاحَا

وقوله في البرق والودق: [الطويل]

لذي لَيلة خوَارةِ المُزن كلَّما ... تَنَفَّسَ في أرجائها المزنُ أسبَلاَ
كأنَّ عليها من سقيطِ قِطارِهَا ... جُماناً وهَت أسلاكُه فتفصَّلا

---

(١) وردت في المخطوطة (حيلاً) بدلاً من (حبلاً)، كذا في الديوان ٣ / ٤٠، والمواقر، مفردها وقر، وهو الحمل الثقيل.

(٢) لم يرد في الديوان ذكر لهذا الشطر من البيت، وإنما ورد:

واشتملت على الثرى كالزيق ... حتى غدا في منظر أنيق
كأنما يحكي بُكَا المشوق

الديوان ٢ / ٥٦٠، و ٥٦١.

وقوله في البرق : [الكامل]

كَم في ضَمائِرِ وَمضةٍ من روضَةٍ   بمسيل ماءٍ أو قرارة وادِ
تبدُو إذا جاء السَّحابُ بقطرةٍ   فكأنّما كانا على ميعادِ

وقوله : [المديد]

هل تَرى برقاً عناني سَناه   خاضَ نحو الليل والليل غَمْرُ
مثلَما مدَّ سُرادقَ ملكٍ   فهو يسمُو انارة وبحرْ
لاحَ لِي أوّل ما لاحَ منهُ   طائر في الأُفقِ لا يَستقِرّ

وقوله : [الطويل]

وشقّقَ أعرافَ السحاب التماعُهُ   كما انصدعت بالمشرفي القوانِسُ
كأن النساء البيض في حُجُراته   تَكشّفُ عن أجسادهن الملابِسُ

وقوله : [الرمل]

مَن رأى خفقةَ برقٍ لامعٍ   في أديم الأرض يَفري ويَدعْ
سَابقٍ حَبْلَ سَحَاب أوقرتْ   تَعدُ الوادي سَيلاً ما اتّسعْ
ضَمِنَت أيدي جَنوبٍ أنَّها   أبداً تقبلُها حتى تَضعْ
وغَدَت تنفضُ ريحانَ النَّدى   كسِراجٍ في دُجا اللَيلِ لَمَعْ

وقوله : [الطويل]

وإني بضَوء البَرقِ من نَحوِ دارِها   إذا ما دَعَانا لمحة لموكَّلُ
تَشقّق واستدنَى كما صدَّع الدُّجَى   سَنَا قَبَسٍ في جذوة يتآكَلُ

وقوله في البرق وقت الأصيل : [السريع]

شَوَّقَنا البارق عندَ الأصيلْ   والشمس ترمينا بلحظ كَليلْ
يبدو ويخفَى ضوؤه ساعةً   عنّا كتقديرِ زِنَادِ البَخِيلْ

وقوله في رياح ساقت مطرا: [الكامل]

حَمَلَت كواهلُها رَوَايا مُزنةٍ كالبَحر ذي الآذيّ والأَمواجِ
مفتونةً بالبرقِ يضحَكُ أفقُهَا في لَيلةٍ ظلماءَ ذات دَواجِي
فتحَمَّلَت عُقَدَ السمَاءِ بوابلٍ واهِي المُراد محلّلِ الأسرَاجِ

وقوله في الاستسقاء: [المنسرح]

قلت وقد ضجَّ رافعٌ يَدَه دَعُوا البَرَايا فاللَّه يكلأُهَا
واستيقنوا منه بالرُّواءِ كمَا أبطأ وقرِ الدلاء أملؤُهَا

وقوله في زناد النار: [الطويل]

مُشَهَّرةٌ لا يحجُب الخل ضوؤُها كأن سيوفاً بين عيدَانها تُجلى
تفرّح أغصان الوقود إذا ارتقَت كما شقَّت الجَوزَاء عن مسِّها جَلاً

وقوله في النسيم الرطب: [الخفيف]

وَنَسيمٍ يبشِّر الأرض بالقَطْـ ـرِ كذيل الغُلالَة المبلُولِ
ووجوه البلاد تنتظرُ الغَيـ ـثَ انتظار المحبّ ردَّ الرسولِ

وقوله في وصف الروض: [البسيط]

وَروضةٍ بات ظلُّ الغيث يَسجِمها حتى إذا ألجمت أضحى يُدبِّجُها
تبكي عليها بكاءَ الصبّ فارقَهَا إلفٌ فيُضحكها طوراً ويبهجها
إذا تنفَّس فيها وردُ نرجِسِهَا ناجى جَنيّ خزاماها بَنَفْسَجُها

وقوله: [البسيط]

تُضاحكُ الشمس أنوارُ الرياضِ بها كأنما نثُرَت فيها الدنَانيرُ
وتأخذُ الريح من دخَانها عَبَقاً كأن من تُربها مسكٌ وكافورُ

وقوله في تبسم الزهر بعد تجهُّم المطر: [مخلع البسيط]

فـي كُـلِّ يـوم جـديـدُ روضٍ عليـه دمـعُ النَّدى حَـبِيـسُ
ومـأتم في الـسَّـمـاءِ يَبـكِي والأرضُ من تَحـتِـهِ عَـرُوسُ

وقوله فيه: [مجزوء الكامل]

دِمنٌ كـأن رياضَـهـا يُـكـسِـينَ أعـلام المَـطَـارِفْ
وكـأنَّمـا غـدرانُهـا فـيـهـا عـشـورٌ في مـصـاحفْ
وكـأنَّمـا أنـوارُهـا تـهـتـزُّ بـالرِّيح العـواصف
وكـأنَّ لمعَ بُـروقِـهَـا في (م) الجـو أسـيـافٌ منـاقف(١)

وقوله في النزول مع الصباح على عالٍ من البطاح: [الطويل]

ولَمّا تعـرّى اللَّيلُ من حلَّة الدُّجَى وغمّض جَفنُ النجمِ من مَضَضِ السَّهَرْ
نَزَلنا على عَليـاءَ كـالطَّودِ يُرتقَى إليـهـا نـسيمٌ ليس في صـفـوه كَـدرْ

وقوله يصف القصور بالثريا، وكتب بها إلى المعتضد: [الطويل]

حَلَلتَ الثُّـريـاَ خـيـرَ دار ومنزلِ فـلا زال مـعـمـوراً وبُورِكَ مِن قَـصْـرِ
وَمَـا زال يَـرعَـاهُ الإمـامُ بـرأيِه إلى أن تـردَّى فـوق عطفـيـه بالفَـجـرِ
وتمَّ فَـمَـا في الحـسن شيءٌ يَزيدُهُ لـسـانٌ ولا قلبٌ بـقـولٍ ولا فكرِ
جنـانٌ وأسـحـارٌ تلاقَت غُـصـونُهـا فـأوقـرنَ بالأثمـارِ والوَرَق الخُـضـرِ
ترى الطيـرَ في أغـصـانِهنَّ هواتفـاً تـنقَّـلـن من وَكـرٍ لهنَّ إلى وَكـرِ
وبُنيَـانُ قَـصـرٍ قـد عَلَت شُـرفَـاتُه كـصفِّ نسـاءٍ قَـد تربَّعن في الأزرِ
وأنهـارُ مـاءٍ كـالسَّـلاسلِ فَـجَّـرت لـتـوضـعَ أولادِ الريـاحـين والزَّهـرِ
ومـيـدانُ وَحيٍ تركض الخَـيلُ وسْطه فـتـأخـذ منهـا مـا تشـاء على قَـسْـرِ

---

(١) أسياف مناقف: النقاف: المناجزة بالسيوف. اللسان (نقف) ١٤/ ٢٦٨.

وقوله يصف منزلاً حسناً : [الكامل]

مَا مثلُ منزلة الدُّويرة منزلٌ   يَا دارُ جادكِ وابلٌ وسَقَاكِ
بُؤساً لدَهر غيّرتكِ صُروفُه   لم يَمح من قلبي الهوى ومَحَاكِ
لم يَحلُ بالعينَين بعدكِ منظرٌ   ذُمَّ المَنَازلُ كلُّهن سِوَاكِ
أيُّ المعاهد منك أندبُ طيبةٍ   مَمساكِ ذا الاصال أم مَغدَاكِ
أم بردُ ظلِّكِ ذي الغُصُون وذي الحَيَا   أم أرضُكِ الميثَاء[1] أم ريّاكِ
وكأنَّما[2] سَطَعت مجامرُ عَنبرٍ   أم فتَّ فأر[3] المسكِ فوق ثَراكِ
وكأنَّما حَصباءُ أرضكِ جوهرٌ   وكأنَّ ماءَ الوردِ دمعُ نَدَاكِ
وكأنَّما[4] أيدي الربيع ضحيةً   نشرت ثيابَ الوَشي فوق ثَراكِ
فكأن درعاً مفرغاً من فضّةٍ   مَاءُ الغديرِ جَرَت عليه صَبَاكِ

وقوله في مثله : [الخفيف]

يا دياراً في رُبى الخُلد أضحَت   تلبَس الرَّوضَ عليها وشَاحَا
لَو حللنَاكِ وسْطَ جنّة عَدْنٍ   لا قترحنَاكِ عليها اقترَاحَا

وقوله في منزل داثر : [مجزوء الكامل]

ولقَد عفت آياتُه   فكأنها ترقيشُ سَاطِرْ
وكأنَّما سَحَبَت علي   ها الرِّيحُ أطرافَ المآزِرْ

وقوله : [الرجز]

على حَفَافَي جدول مسحور   أبيضَ مثل المُهرَق المنشُورِ

---

(١) الميثاء : الأرض الليّنة . اللسان (ميث) ١٣ / ٢٢٨ .

(٢) في الديوان (فكأنما ، وأوفتَّ) ٢ / ٣٤٢ .

(٣) فأر المسك . الدم الجامد المأخوذ من كيس يتدلّى من حيوان يذبح بعد صيده ، ويقطع الكيس منه . اللسان (فأر) ١٠ / ١٦٦ .

(٤) في الديوان (فكأنما) ٢ / ٣٤٢ .

أومثلَ متنِ المنصَلِ المشهُورِ ينساب مثل الحيَّة المذعورِ

وقوله: [الخفيف]

فتبدّى لهنَّ بالنَجَفِ المقـ ـفر ماءٌ صافي الجمَام عَريٌّ
تَتمشّى على حصىً يسلب الما ءَ قذاه فمتنه مَجليٌّ
وإذا ضاحَكَتْهُ ذرّة شمسٍ خلتَه كُسِّرت عليه الحُليُّ

وقوله في منهل: [الطويل]

وكم[1] منهلٍ يُنضي المطايا طرقتُه وما صاحبي إلاّ المطيَّةُ والرحلُ
له طُرق تأتيه من كل جانبٍ جديد وبالٍ مثلما نُقضَ الحَبلُ
يُذيب عليه الظلَّ أفنانَ سِدرةٍ كمُهرةِ خيلٍ مال عن متنِهَا الجلُّ

وقوله في لجّة صافية: [الطويل]

تَرى فوقَها مثلَ الدُّروع وربَّما رأيت لها أعكانَ[2] جاريةٍ بكرِ
يُريك بَعيدَ الماء صفوُ قريبها وتُعطيك سِرَّ الأرض والأرض لا تدْري

وقوله في النرجس: [البسيط]

وزَعفَرانيَّةٍ في اللون تحسَبُها إذا تأملتَها في ثوب كافُورِ
كأن حبّ سقيط الظل بينَهُما دمعٌ تحيَّر في أحداق مهجور

وقوله في الآذريون[3]: [مجزوء الرجز]

عيون آذَرْيُونها[4] للشَّمس فيها كَاليَه[5]

---

(١) وردت في الديوان: (فكم) ٢/ ٣٥٢.
(٢) أعكان: العكنة، ما انطوى وتثنّى من لحم البطن. ولم يرد البيت من ضمن القصيدة. الديوان ٢/ ٣٠٣.
(٣) الآذريون: نبات زهري خريفي، زهره أصفر أو أحمر ذهبي، في وسطه خملٌ أسوَد.
(٤) في الديوان وردت (كان آذريونها)، ١/ ٤١٣.
(٥) كالية: تحرس وترقب معجبة. وهو اسم فاعل من الثلاثي الذي أريد به معنى الرباعي.

مَداهِنٌ من ذَهبٍ   فيها بَقايا غاليَه

وقوله في الشقيق: [الطويل]

تحمَّل آذريونةً فوق أذنه   ككأس عقيق في قَرارته مسكُ

وقوله في السرو: [الكامل]

حفّت بسروٍ كالقيان تلبَّسَت   خضر الثِّياب على قَوامٍ معتَدِلْ
فكأنَّها والريح يخصرُ بينَها   تنوي التعانُقَ ثم يمنعها الخَجَلْ

وقوله في لجة أخرى في السفن: [السريع]

وخيلِ ماءٍ لِيَ طيَّارةٍ   تُدبِرُ بي إن شئتُ أو تُقبِلُ
تلاطِمُ الماءَ مجاذيفُها   موقورةٌ حاملةٌ تُحمَلُ

وقوله في السفينة: [الطويل]

كأن جَواريهَا وقد حثّ جريُها   بهنَّ نسور قد هَوينَ إلى وَكرِ
كَستهنَّ كفُّ الماء أثوابَ طُحلبٍ   فجئن لشطّ النَّهر في حُلَلٍ خُضْرِ
تراهنَّ فوق الماء طَوراً مَوائلاً   وطوراً كأمثَال المثقفَّة السُّمرِ
كَمِثلِ النَّشاوَى تُبصِرُ الخمرَ مرَّةً   عليهم وأخرَى يبصرون على الخَمرِ
سأختَار من دُهمِ السفين جنيبةً   مودَّعة الجنبين والصَّدرِ والنَّحرِ
كَريحِ سُليمانَ النبي غدُوُّها   مَدى الشهر والإمساء منهَا مدَى الشَّهرِ
تَخوضُ أهاويلَ الظَّلامِ بصيرةً   شُمُوساً ولكن لا تُطيعِ عَلى قَسْرِ
إذا طَرقت تحتَ الدَّياجي رأيتُها   كأحشاءِ محبوبِ الفُؤاد من الذّعرِ

وقوله في الدليل: [الكامل]

ثم استَشارَهُمُ دليلٌ فارطٌ   يسمُو لغايَته بعينَي أجدلِ
سارٍ بلحظَته إذا اشتبه الهُدَى   بين المجرّة والسِّماكِ الأعزلِ

وقوله في اتفاق القلوب: [الكامل المرفل]

يا ربَّ إخوانٍ صحبتهُمُ ... لا يملكون لسلوةٍ قَلْبَا
لو تستطيعُ نفوسُهم رَكِبَتْ ... أجسامها وتعانَقَت حُبّا

وقوله في الجلالة: [الكامل]

وإذا بدا ملأ العيونَ مهابةً ... فتظلُّ تَسرِقُ لحظها وتسرُّهُ
وكأنما رَفْعَ الحجابَ لناظرٍ ... عن صبحِ ليلٍ قد توقَّد فجرُهُ

وقوله في حاسد مبتسم: [الكامل المرفل]

متضاحكٌ نحوي كما ضَحِكَت ... نارُ الذُّبالة وهو يَحترقُ

وقوله في ولد جميل جاء من سوداء: [الطويل]

وجاءت به أمٌّ من السودِ أنجبت ... كَلَيلَةِ سِرٍّ طوّقت بهلالِ

وقوله في كتمان السرّ: [البسيط]

وربّ سرٍّ كنار الصَّخرِ كامنةً ... أمُتُّ إظهاره مني فأحياني
لم يتَّسِع منطقي فيه ببائحةٍ ... حزماً ولا ضاق عن مثواه كِتمَاني

وقوله: [الرَّمل]

لا تلُم مَن لم يَصُن سرّك إذْ ... لم تصنه وتوقَّ وانتَبِهْ
لا يكون السرّ إلا كاسِمِه ... لا يسمّى السرُّ ما قد بُحْتَ بِهْ

وقوله في كاتب: [البسيط]

تظل أقلامه ينظمنَ من حِكَمٍ ... دراً مباحاً لنا منه بلا ثَمَنِ

وقوله في كاتب حنكته التجارب: [الطويل]

عليمٌ بأعقابِ الأمور كأنه ... بمختلسات الظنّ يسمع أو يَرى

إذا أخـذَ القـرطاسَ خِلتَ يمينَه ... تُفَـتِّحُ نوراً أو تنظِّم جوهَرَا

وقوله في عنين: [المتقارب]

وأَفْتَى[١] النميري قوّادَه ... وفتيا النُّميري فسقٌ ورعيُ
فإنَّكَ[٢] قَينٌ[٣] تحدّ السلاح ... وليس عليه من القَطعِ شيُّ

وقوله يصف مصلحاً: [الكامل المرفل]

إن يغفلوا يُسرعْ لحاجَتِه ... وإذا رأوه أحسنَ العذْرَا
فَطِنٌ يؤدي ما يقولُ لَهْ ... ويَزيد بعضَ حديثنا سِحرَا

وقوله وقد قصد الخليفة: [الخفيف]

إنما غيَّب الطبيبُ سنا المبـ ... ـضَعِ في نفس مهجةِ الإسلامِ

وقوله في خيبة الآمال لذي قوم: [الطويل]

فأصبحتُ أرجوهم رجاءً يكدّني ... فليس له حتى القيامَةِ آخرُ
كَمُرسِلِ دلوٍ في رِشَاءٍ مُوَصَّلٍ ... يلاطم أرضَ البئر والبئرُ غامرُ[٤]

وقوله يصف عودَيه: [الطويل]

وقُمريَّةِ الأصوات حمرٌ ثيابُها ... تهين ثيابَ الوشي جرّاً وتَسحَابَا
وتلقط يُمناها إذا ضربَت به ... وتنشر يُسرَاها على العُود عنّابَا

---

(١) في الديوان (أفتى) من دون (واو) ١/ ٧٩٩.

(٢) في الديوان:

بانك قين تحدّ السلاح ... وليس عليك من القتل شيٌ ١/ ٨٠٠.

(٣) ورد في الديوان أن القوّاد يكنّى بالقين. هوامش ٤٩٧، ١/ ٨٠٠.

(٤) وردت في الديوان: (غائر) بدلاً من (غامر)، ١/ ٧١٢.

وقوله يصف حسن الحديث: [المديد]

وحديثٍ قد جعلتُ له دون علم النَّاس حُجّابَا
لا يملّ السمع[1] رجعته مفتنٍ يعجب إعجابَا

وقوله في وصف الموتى: [الطويل]

وسكان أرض لا تزاور[2] بينهم على قُرب بعض في التجاور من بعضِ
كأن خواتيماً من الطين أفرغت[3] فليس لها حتَّى القيامة من فَضّ

وقوله في رؤوس حُملت على رماح: [الكامل]

بيض[4] ومسَّهم الهجيرُ بسمرةٍ مثلُ البُدُور سطعن تحتَ شُحوبهَا
حتى بحمل رؤوسهنَّ خطيئةٌ لايَحسد الماشي علوَّ رُكوبهَا

وقوله يصف دواة من أبنوس محلّى بفضّة: [الطويل]

وزنجية رومية[5] الحلي فوقَها جناح لها فردٌ على الماء يخفقُ
يؤدّبها أولادها بعصيّهم فتحبس قسراً كيف شاؤوا[6] وتطلَقُ

وقوله في القلم: [الرجز]

أرقطُ ذو لون كشيب المكتهَل يقيم وزنَ العقل حتى يعتَدلْ
يخاطب اللَّحظ بنطق لا يكلّ ولا يمَلّ صاحباً حتى يملّ

---

(١) وردت في الديوان: (النشر) بدلاً من (السمع)، ١/ ٣٦.
(٢) وردت في الديوان: (لا تواصل) بدلاً من (لا تزاور)، ٣/ ١٦٤.
(٣) وردت في الديوان: (فوقهم) بدلاً من (أفرغت)، ٣/ ١٦٤.
(٤) وردت في الديوان: (بيضاً)، ولم يرد البيت الثاني في القصيدة، ١/ ٤٣٤.
(٥) وردت في الديوان: (كردية) بدلاً من (رومية)، ٢/ ٥٥٧.
(٦) وردت في الديوان: (شاء) بدلاً من (شاؤوا)، ص/٥٥٧.

وقوله في الأقلام: [الكامل]

يَحمِلْنَ وَفْدَ الشُّكرِ فوق رِحَالِها ... والشاكر النَّعمَاءَ كالجازي بِهَا

وقوله في انهمار الدرّ: [الطويل]

إذا مَا أراد اللّه جادَتْ بحَافِلٍ ... كما سُلَّ خيطٌ من سدى الثَّوبِ فانسَابَا

رأيت انهمَارَ الدرّ بين فُروجِها ... كما عَصَرت أيدي الغواسل أثوَابَا

وقوله إذا بشّر الديك في الصباح بالصياح: [المنسرح]

بَشَّر بالصبح طائِر هتفَا ... مستوفياً للجدار مشترفَا

مذكِّراً بالصلاة[1] قَام بنا ... كخَاطِبٍ فوق منبَرٍ وقَفَا

صَفَّقَ إمّا ارتياحه لسَنَا الـ ... فجر وإما على الدُّجى أسِفَا

وقوله في الحيَّة: [البسيط]

وأنعَت رقطاء لا نَحْيَا لِلَدْغَتِهَا ... لو قدَّها السيف لم يلحق به البَلَلُ

تلقى إذا انسلَخَت في الأرض جِلدَتُها ... كَأنَّها كُمّ درعٍ قدّه بطلُ

وقوله يصفها: [البسيط]

كأنَّها حين تبدو من مَكامنِهَا ... غُصنٌ يُفتِّح فيه النَّورُ والبُرُقُ

يسلّ منها لسان تستغيث به ... كما تعوّذ بالسبَّابةِ الفَرِقُ

وقوله في خيل دُهْم: [المديد]

وغَدونا عنه على ظهر خَيلٍ ... تأخذُ الأرض بأيدٍ عِجَالْ

زيَّنتهَا غُررٌ ضاحكةٌ ... كبدور في وجوهٍ ليالْ

---

(١) وردت في الديوان: (بالصبوح) بدلاً من (بالصلاة)، ٢ / ١٦٤.

وقوله: [الوافر]

خَرجْنَ وبعضُهُنَّ قَريبُ بعضٍ سوى فَوتِ العِذَارِ أو العِنَانِ
تَرى ذا السَّبقَ والمسبوقَ منهَا كما بَسَطَت أناملها اليَدانِ

وقوله يصف خيل السباق: [البسيط]

كأنهُنَّ قناً ليست لها عُقَدٌ يهزها الشدُّ[1] في كَرٍّ وإقدَامِ
قبٌ[2] البطون كطيّ العصب مُضمَرةٌ تقرّب الثأر بين البيضِ والهَامِ

وقوله في الخيل: [المديد]

وجيادٍ[3] تأكل الأرضَ شَدّا ملجمات يبتدرن الصياحَا
قاصدات كلَّ غرب وشرقٍ ناطقاتٍ بالصَّهيلِ فصَاحَا
وكأنَّ الركض ذرَّ عليها سَبَخاً من مائهنَّ مِلاحَا

وقوله فيها: [الطويل]

وخَيلٍ طواها القَودُ حتى كأنَّها أنابيبُ سُمرٍ من قَنَا الخط ذبَّلُ
صَبَبْنا عليها ظَالمين سياطَنَا فَطارَت بها أيدٍ سراعٌ وأرجلُ

وقوله [في] أشقر أغرّ محجّل: [الطويل]

ولي كلُّ حوَّار العنان مجرَّبٌ كُمَيتٌ عناه الجري فهو مُطَارُ
كأن الرياحَ الهوجَ تحمل سرجَه إذا ابتلَّ منه محزِمٌ وعِذَارُ

---

(١) وردت في الديوان: (الزجر) بدلاً من (الشدّ)، ١/ ٥٥٠.

(٢) قبّ البطون: ضامرة، دقيقة الخصر.

(٣) وردت في الديوان: (وبخيلٍ) بدلاً من (جياد)، ١/ ٤٦٤.

[وقوله][1]: [الكامل]

ولقد عدوت على طِمَرٍّ[2] سابحٍ عقدت سنابكُه عَجاجةَ قسطَلِ[3]
بأغرَّ يفرق بين شطرَي وَجهه نورٌ تخال سناه سلَّة منصَلِ
ومُحجَّلٍ غيرَ اليمين كأنَّه متبخترٌ يمشي بكمٍّ مسبلِ
وكأنما تحتَ العذار صفيحةٌ عُنيت بصفحتها مداوس صَيقلِ
مُتلَثِّمٌ لجمَ الحديد يلوكُها لوكَ القناة مساوكاً من أسْحَلِ

وقوله في مثله، أشقر أغرّ: [الكامل]

وكأنَّ غرَّته إذا استقبلتَها صبحٌ تبسَّم أفقُه بطلُوعِه

وقوله في أدهم أغرَّ: [الرجز]

أدهمُ مصقولُ ظلامِ الجسمِ
منتعلاً بجَندلاتٍ صُمِّ
قد سمِّرت جبهتُه بنَجْمِ

وقوله في أغرّ غرته سائلة: [البسيط]

تمّت له غرّةٌ كالصبحِ سائلةٌ يكاد سائلُها من وجهه يكفُ
إذا تقرَّط يوماً بالعَذار بدا كأنه غادةٌ قد زانها[4] الشَّنَفُ[5]

وقوله في أغرّ: [الطويل]

إذا ما بَدا أبصَرتَ غرّةَ وجهه كعنقودِ كَرْمٍ بين غُصنين نورّا

---

(١) لم يفرد الناسخ فاصلة بين البيتين وما يليهما، ولقد آثرنا ذكر ذلك للفصل بينهما.

(٢) طِمِرٌّ: الطِمِرٌّ: الفرس الجواد. اللسان (طمر) ٨ / ٢٠٠.

(٣) قسطل: القسطل: الغبار الساطع، وقيل: الغبار الكثيف. اللسان (قسطل) ١١ / ١٦١.

(٤) وردت في الديوان: في أذنها شنف، ٢ / ٣٣٣.

(٥) الشنف: ما يلبس في أعلى الأذن.

وقوله في محجَّل: [مجزوء الكامل]

مـن كـل ورّاد الـعـشـيّ ... مـروّع الـغـدَوات
يحلو إذا ما ذاقَه ... متعنّتُ النظرات
وكأنما يخطو من الـ ... تحجيل في حلَقات

وقوله في كميت: [الخفيف]

وشديد القُوى كملمومة الصَّخـ ... ـر كُميت ينسيك لونَ الشراب
ضاقَ عنه القميص واتَّسع المنـ ... ـخرُ عنه وطار عند الوثاب
وله أربعٌ نراها إذا همـ ... ـلَجَ تحكي أناملَ الحُسّاب

وقوله في مثله: [الخفيف]

ولقد أغْتَدي علَى طرَفِ اللَّيل (م) بذي ميعةٍ كُميتٍ مُطارِ
بلَّل الركضُ جانبيه كما ... فاضت بكَفِّ النَّديمِ كأسُ العَقارِ
معرقٌ في الجياد يهدي إلى الـ ... ـموتِ ولا يهتَدي سبيلَ الفِرارِ

وقوله يصف فرساً: [مجزوء الرجز]

قد أغتَدي بقارحٍ ... مسوَّمٍ يَعبوبِ[1]
ينفي الحصا بحافرٍ ... كالقَدَح المكبُوبِ
قد ضَحكت غُرّتُه ... في مَوضعِ التَّقْطيبِ
إذا عَدَتْ أربعةٌ ... لقَنَصٍ مَطلُوبِ
لم ينقطِعْ غبَارُهَا ... قبل دمٍ مصبوبِ

وقوله: [السريع]

ويحسَب الجالس في متنهِ ... بأنه في جَدول سائلِ

(١) يعبوب: اليعبوب: الفرس الطويل السريع. اللسان (عبب) ٩ / ٧.

ولو عرى من سرجه تارةً لكان مثلَ الغادة العاطلِ
وينثُر الجوهرَ من نُطقِه من غيرِ سكّيت ولا صاهل

وقوله: [الرَّجز]

وقارحٍ مسوّمٍ يَعبُوبِ ذي أذنٍ كخُوصة العَسيبِ
أو آسة أوفت على قضيبِ وحافرٍ كقدمِ المسلُوب
أكحلَ مثلِ القَدَح المكبوبِ ذي مَخبرٍ يُحمَد في التجريبِ
أسرعُ من ماء إلى تصويبِ ومن رجوعِ لحظِه المريبِ
ومن يَقود الفِكرَ في القلُوبِ يستغرقُ البعيدَ بالقريبِ
نارُ لظى باقيةُ اللَّهيبِ

وقوله: [الرَّجز]

وطائرٍ شَقَّ الظلامَ كوكبُهْ يَفتن من يُبصره ويُعجبُهْ
يكاد أن يُحرقَه تَلَهُّبُه أضيعُ شيء صوتُه إذ تركبُه
شهابُ نارٍ يتعرّى لهبُه ذو مُقلة قلَّت لديها رُتَبُه
وأذنٌ أمينةٌ لا تكذبُه يكاد أن يَطيرَ لولا لَهَبُه

وقوله: [الطويل]

له أيطلا ظبي وساقَا نعامة ووثبةُ نَمرٍ والتفاتُ غَزَالِ
وأحسن من ذا كلّما خطَّ حافراً يخط هِلالاً من وراء هِلالِ

وقوله يصف فرساً مؤذياً: [الرَّجز]

يدرك ما يشاء إن أطلقتَه ولا يعاصيك وفيه مرتقبْ
أسرعُ من لحظتِه إذا عَدا أطولُ من عِنانه إذا جَذَبْ

وقوله: [المديد]

ربما أَسري وتحتيَ طرفٌ لاَ حِقٌ بالهاديات طمرٌ

بَحَرٌ يجري يملأ الأرضَ شدواً … مَا عَليه لذوي الشَدِّ صَبرُ
فهو نَارٌ والترابُ دخَانٌ … مستطيرٌ وحصَا الارض جَمرُ

وقوله: [الكامل]

يُعطي العِنانَ إذا نَهَاهُ رأسُه … طوعاً ويُعطي سوطَه ما ينبغي
وكأنما شُقَّت عليه غُلالةٌ … بيضاءُ من زَبَدِ الحَميم المفرَغِ
وتخالُه يومَ الرِّهانِ غمامةً … حُفِزتْ بريحٍ في غمائم فُرَّغِ

وقوله يصف جملاً: [الكامل]

وكأن رحلي فوق أحقبَ(١) لاحَه … لفحُ الهَجيرِ بمشعَلٍ أجَّاجِ
كالبَرق يلتهمُ البلادَ مجاهراً … بالشدِّ بين مَفَاوزٍ وفِجَاحِ
وترى(٢) السماءَ إذا غدت مملوءةً … من نَقعِه والأرضَ ذاتَ ضِجَاجِ

وقوله في مثله: [الطويل]

وأصبح يجدي للنَّوى كلَّ بازلٍ … سفينةَ أسفارٍ على الأرض تسفَحُ
وقد ثَقُلَتْ أخفافُه فكأنها … من الأين(٣) أرجَاءٌ تسالُ وتُطرَحُ

وقوله يذكر ناقة: [الطويل]

وأرحلُ هوجاءُ البديهةِ حرَّةٌ(٤) … خفيفةُ وقع الرِّجل محمودةُ الظهرِ
صقيلةُ أرجاءِ الأديمِ كأنما … صَبَبْتَ على أرجائِها ذائبَ التِّبرِ

---

(١) أحقب: زُعِم أنه اسم بعض الجنّ.

(٢) وردت في الديوان: (فترى)، بدلاً من (وترى)، ٢ / ٢٧١.

(٣) الأين: الإعياء والتعب. اللسان (أين) ١ / ٢٩٤.

(٤) وردت في الديوان: (جسرة) بدلاً من (حرَة) ٢ / ٥٠٧.

وقوله فيها : [الكامل]

ولقد تجوب بي المَهامهَ حرَّةٌ والصبحُ قد فَلَق الدُّجى بعمود
شملالةٌ(١) أَخْذٌ(٢) كأن فُروجَها أبوابُ قصر فُتِّحَتْ لوُفود

وقوله في النياق : [مجزوء الكامل]

والعيس يخبطن السَّريح(٣) كأنه مِزَقُ الجَوارِبْ
وكأنَّما قِطَعُ الغَمامِ على جَوانِبِهَا عصائِبْ
وكأنما أضلاعُهَا للنبع أقواسٌ مساحِبْ
وكأنما أجفانُها تقضي على قُلُبٍ نَواصِبْ

وقوله فيها : [الطويل]

فلا يُدرك الحاجَات إلاّ صريمةٌ من الرأي حتماً والقِلاصُ الجوامزُ
خَرقنَ إلى الإصباح أرديةَ الدُّجى فهنّ على حدّ النهار نوارزُ
لهمٍّ أزالَ القلبَ عن مُستَقَرِّه وباتَ لَه في جنّة القَلب واجِزُ
فداويتُه بالعيس تغترفُ الخُطا كما ابتدَرَتْ غرفاً لها لا نواهزُ
ضمنَّ ضياءَ الصُّبحِ في لُجّة الدُّجى فوفّى به وعدٌ من السير راجِزُ

وقوله فيها : [الطويل]

وعجَّت بأعناق المطيْ كأنَّها هياكل رُهبانٍ عليها صَوامِعُ
تلاعبُهُ الأيدي على قُلُب الدُّجى كأشطانِ بئرٍ وهي منه نَوازِعُ

وقوله يذكر سيفاً : [الطويل]

ولي صَارمٌ فيه المنايا كَوامنٌ فما ينتضى إلاّ لسفك دِماءِ

---

(١) شملالة : سريعة . اللسان (شمل) ٧ / ٢٠٤ .

(٢) أخذٌ : الأخذ من الإبل : السمينة : اللسان (أخذ) ١ / ٨٦ .

(٣) السريح : نعال الإبل . اللسان (سرح) ٦ / ٢٣١ .

ترى فوق مَتنَيه الفرند[١] كأنه ... بقيةُ غيمٍ رقَّ دونَ سَماءِ

وقوله فيه: [المنسرح]

وقد تردَّيتُ بابْنِ صاعقةٍ ... أخضرَ ما في غِراره قُلَلُ

أبعدُ شيءٍ بقايا غُصَّةٍ ... وأدنى شيءٍ لهُ الأَجَلُ

وقوله في السيوف: [المتقارب]

وصلّت صوارمُ أيمانِنا ... تُحسيهِمُ الموتَ من غير كأسِ

يَصلْنَ السيوف بآجالها ... ويقطَعْنَ ما بين جِسمٍ ورأسِ

وقوله: [المديد]

والوغى يضحَكُ عن بارقاتٍ ... باكياتٍ بدماء الرجالْ

واقعاتٍ في نفوس الأعادي ... رُويت من رونق وصِقالْ

وقوله في النشّاب: [الخفيف]

وَسِهامٍ تردي الرَّدى من بعيدٍ ... واقعاتٍ مواقعَ الأبصارِ

وقوله في نشاب: [الكامل]

وقضيبِ نبعٍ كالشُّجاع[٢] معطَّفٍ ... لرسائلِ الموت الزُّعاف مبلِّغِ

وقوله في الرمح: [الطويل]

وما راعَه إلاّ أسنّةُ عسكرٍ ... كظُلمةِ ليلٍ ثُقِّبَتْ بنجُومِ

وقوله في الدرع: [السريع]

كم بطلٍ بارزني في الوَغى ... عليه دِرعٌ خِلتُها تطردُ

---

(١) الفرند: السيف. اللسان (فرند) ١٠/٢٥٢.

(٢) الشجاع: الثعبان. اللسان (شجع) ٧/٣٨.

وقوله في البيض: [الطويل]

وَبيضٍ كأنصاف البدورِ أبيَّةٍ إذا امتحنتهنَّ السيوف جُبارُ

وقوله في موقف حرب: [المديد]

في مكرٍّ يحسَبُ الهامَ فيهِ حنظلاً في غمرةِ السيل طَاحَا

وقوله في جيش: [الطويل]

وجيش كَمِثْلِ اللَّيلِ سَوَّدَ شمسَه ويحمرُّ من أعدائه البَرُّ والبحرُ

وقوله في قوس البندق[1]: [المتقارب]

وماءٍ به الطيرُ مربوطةٌ كأن الحليَّ بأطواقِهَا
عَدَونا عليهِ وشمسُ النها ر لم تكس حلّة[2] إشراقِهَا
فَظَلّنا وظلَّت عيونُ القِسيِّ (م) ترمي الطيورَ بأحداقِهَا

وقوله في الصقر: [الطويل]

إذا ما أرادَ الصيدَ حلّق نحوه وهزّ جناحيه كحاشيتَي بُرُدِ
وإن طار أعطَى كفَّه ما يعينُه وقرَّب منه ما يشاء على بُعدِ

وقوله فيه: [الرجز]

وأجدلٍ يزين[3] نطقَ الناطقِ ململمِ الهَامةِ نجم العانقِ
طبٌّ بخطف السابحات حَاذقِ ذو مخلب أقنى كنون الماشق[4]
وجؤجؤ(٥) لابس وَشْيٍ رائقِ كمبدأ اللأمات في المَهَارِقِ

---

(١) ورد في الديوان بعنوان: القوس والبندق، ٢ / ٤٣٠ .
(٢) وردت في الديوان: لم تكسها ثوب إشراقها، ٢ / ٤٣٠ .
(٣) وردت في الديوان: وأجدل يفهم نطق الناطق، ٢ / ٤٢٨ .
(٤) وردت في الديوان: أقنى المخاليب طلوب مارق كأنها نونات كفّ المشاق (٢ / ٤٢٨).
(٥) وردت في الديوان: ذي جؤجؤ، ٢ / ٢٤٨ .

أوكبقايا[١] الكُحل في الحمالقِ يمر كالرّيحِ بعزمٍ صادقِ
كما سَمِعْتَ هَجَسَ الصَّواعقِ

وقوله فيه: [الرجز]

وأجدلٍ أحكمُ بالتأديب معمَّم بالملبس القَشيب
يهوي هويَّ الدَّلو في القليب[٢] ما طار إلاّ لدمٍ مصبُوبِ

وقوله في البازي: [الرجز]

وأقمرٍ للصيد ذي ارتياح قمّص ريشاً حَسَنَ الأوضاحِ
عليه منهُ لُحُبابُ الرَّاحِ يركض في الهواء بالجَناحِ

وقوله فيه: [الرجز]

قد أُذعرُ الصَّيدَ ببازٍ أقمرِ ذو مُقلة تَسرَح فوقَ المحجَرِ
ومِنسَرٍ[٣] ماضي السنا كالخَنجَرِ تخاله مضمَّخاً بالعَصفَرِ
بهامةٍ كالحَجَرِ المدوّرِ وجؤجؤ منمنَمٍ محَبَّرِ
كأنه رقٌّ خفيُّ الأسُطرِ وذَنبٍ كالمنصَلِ المذكَّرِ
قلَّص فوق الدستبَانِ الأحمرِ أرقط ريش الدفَّتين أنمرِ
كأنه في جوشن[٤] مزرّرِ

وقوله فيه: [الرجز]

ذو جُؤجُؤٍ مثلُ الرخام المرمارْ أو مصحف منمنَمٍ ذي أسطارْ
ومقلةٍ صفراءَ مثلِ الدِّينارِ ترفع جَفناً مثلَ حرفِ الزّنارْ[٥]

(١) وردت في الديوان: أوكامتداد الكحل، ٢ / ٢٤٩.
(٢) القليب: الدلو.
(٣) منسر: منقار. اللسان (نسر) ١٤ / ١٢٢.
(٤) جوشن: الصدر والدرع. القاموس المحيط (جوشن) ١٥٣٠.
(٥) الزنار: شدّة النظر. اللسان (زنر) ٦ / ٩٢.

ومخلَبٍ كمثلِ عطفِ المسمَار آنس طيراً في خليجٍ هدّارْ
مضطربُ اللجّة صافي الأقطار سوابحاً تفري حَبَاب التيّارْ
من كلِّ صدّاحِ العشيِّ صفّار كأنّه مرجّع في مزمَارُ
وذاتُ طوقٍ أخضرٍ ومنقار كنصف مضرابٍ يرى منه البارْ
فصادَ قبل فترة وإضجَار خمسينَ فيهنَّ سماتِ الأظفارْ
يخبطُها خَبْطَ مليكٍ جبّار مظفَّر يطلبها بأوتارْ
قد حُكِّمت سيوفُه بالأعمار كأنه فيها شُواظ من نارْ(١)

وقوله فيه: [الرجز]

مُختَضب في كل يوم بعَلَقْ ذو مقلة تصدقُه إذا رَمَقْ
يُنشِب في الأثباج حتى ينفتقْ(٢) مَخالباً كمثل أنصاف الحَلَقْ
كأنما أترجّةٌ بلا ورق(٣) مباركٌ إذا رأى فقد رُزِقْ
إن رَمَتْهُ الكفُّ وكاد يحترق يسبق ذعرَ الطَّيرِ من حيثُ رَمَقْ

وقوله في البزاة: [الوافر]

وفتيانٍ سروا واللَّيلُ داجٍ وضوءُ الصبح متّهمُ الطُّلوعِ
كأن بُزاتهم أُسَراءُ جيشٍ على أكتافِهِم صدأُ الدُّروعِ

قوله في الزرّق: [الرَّجز]

وزرّقٍ ريّان من شَبابه ذي مِخلَب مُكّنَ من نِصَابه

---

(١) الديوان ٢ / ٤٠١، وقد وردت في المخطوطة على غير تنظيم.

(٢) وردت في المخطوطة: في الأوداج، بدلاً عن (الأثباج)، والأثباج: جمع (ثبج) وهو ما بين الكاهل إلى الظهر. الديوان ٢ / ٤٢٦.

(٣) وردت في الديوان: كأنها نرجسة بلا ورق. كما أن القصيدة وردت مختلفة عمّا هي عليه في المخطوطة من حيث تداخل الصدر في محل العجز، ٢ / ٤٢٦.

كأن سلخ الأيم[1] من أثوابه يكاد أن يخرجَ من إهابه

وقوله أيضاً: [الرَّجز]

وزرّق أرضى به وأرضى لمّا حملناه أراد النّهضا
أقلَّ بعضاً ومنعنا بعضا كما رأيتَ الكوكب المنْقضَّا

وقوله: [الرَّجز]

وزرّقٍ مجرَّبٍ ومقدَامِ يضمنُ زادَ الجحفلِ الهُمَامِ
كأنّه فوقَ يدِ الغُلامِ صبحٌ له درعٌ من الظَلامِ
ذو جؤجؤٍ كنَمَش الرّخامِ أو أسطرٍ خفيَّة الأقلامِ
بمقلةٍ تُسرجَ كالضَّرامِ ومنسَرٍ عضبِ الشباة دامي
كعقدك الخمسين بالإبهام[2] منتزع لغامض الطعامِ
أشرع من بارقة الغمامِ ذو ذنبٍ كطَرَفِ الحُسَامِ
يَمرُقُ عند الصيد كالسِّهامِ

وقوله أيضاً: [الرجز]

ذو جُؤجُؤٍ محبَّرٍ موشيِّ بمقلَةٍ تلحقُ بالقَصيِّ
قد عَلقَت بالشَّبحِ الخفيِّ كأنّه دينارُ صَيرفيِّ

وقوله في الباشق: [الرَّجز]

وبَاشقٍ يعطيكَ ما ابتغيت سهمُ مصيبٌ كلَّما رَميت
لاعيبَ فيه غيرُ عشقِ الموت

(١) الأيم: الحيَة، وقيل: الذكران من الحيّات. اللسان (أيم) ١ / ٢٩٠.

(٢) كعقدك الخمسين بالإبهام: طريقة للحساب عند العرب. الديوان ٢ / ٤٣٤، وينظر: نهاية الأرب.

وقوله في صيد الطيور والكلاب : [الطويل]

وقِيدَت لحَتفِ الطيرِ عُصفٌ كَواسِرُ كَمِثلِ قِداح البارِيات لحائفُ(١)
إذا انخرطَت عنها القلائدُ خلتَها ترامى بها هوجُ الرياح العواصفُ
تقاسَمَها قبضُ النفوس أجادلٌ ففي الأرض نهَّاش وفي الجو خاطفُ
كأن دلاءً في السَّمَاء تحطُّها وترقَى بها أيدٍ سِراعٌ عوارِفُ
يشقَّق آذانَ الأرانب صكُّها كما شقَّ أنصافَ الكوافير جَارِفُ
فأصبحَ خزّانَ القريّة عدوُهُ شَياطينُ في أفواهِهِنَّ المتالِفُ
ونبّه وسنان التُّراب صحيةً إلى الجوّ شدّ يأكل الأرضَ عاصِفُ

وقوله في صفة فهدة تصيد : [المتقارب]

ولا صيد إلاَّ بوثَّابةٍ تطير عل أربعٍ كالعَذَبْ
وإن أُطلقَت من قلاداتِهَا وطارَ الغبارُ وجدَّ الطَّلبْ
فزَوبَعةٌ من بنات الرِّياح تُريكَ على الأرض شدَّاً عَجَبْ
تضمُّ الطريدَ إلى نحرِهَا كضمّ المُحبَّة من لا يُحبّ
إذا ما رأى عدوَها خلفَه تناجَت ضمائُره بالعَطَبْ
ومقلتُها سائلٌ كحلُها وقد جليت سَبَحاً في ذهبْ
غدت وهي واثقةٌ أنها تقوم بزاد الخميس اللجبْ
فظلَّت لحومُ وحوش الفلاة علَى الجَمرِ معجلَةً تُنتَهَبْ

وقوله في الفهد : [الرجز]

ولا حق الوثبَة مُمتَدٌ النَفَسْ
نعمَ الرديف نائباً عن الفَرَسْ
ينفي القَذَى عن مُقلَة فيها شَوَسْ(٢)

---

(١) لحائف : طويلة الذنب . اللسان (لحف) ١٢ / ٢٥١ .

(٢) شوس : النظر بمؤخر العين، من الغضب والتيه . اللسان (شوس) ٧ / ٢٣٦ .

وقوله فيه أيضاً: [الرَّجز]

ومُخطِفٍ ذي أربَعٍ خِفَافِ يملأُها شدًّا بكَيلٍ وافِي
كأنما أظفَارُه أسافِي[1] ليسَ له غيرُ الدّمَاء شَافِي

وقوله في كلاب الصيد: [الطويل]

وأطلَقتُ أشبَاهاً يخلْنَ عقَارباً إذا رُفِعَت عند الحفيظة أذنَابَا
فطَارت سِرَاعاً فَاغِراتٍ كأنَّها تحاول سَبقاً أو تبادرُ إنهَابَا

وقوله فيها: [الرَّجز]

أنعتُهَا ضوامِراً نواحِلاَ حائلةً تجاذبُ السَّلاسلاَ
إذا ارتقَتْ رأيتُهَا مواثلاَ كمِثْلِ كفٍّ رفَعَت أنامِلاَ
وإن هَوَت حسِبتُها جَداوِلا محفُورةً تطَّلب المسَايِلاَ
كأنَّ في أفواهِهَا معَاوِلاَ

وقوله فيها: [المتقارب]

يقُود مكلِّبُنا ضُمَّراً سُلُوقيةً طالما قادَهَا
معلَّمةً من بَنَات الرياح إذا سألت غُدوهَا زَادَها
وتخرجُ من أفْوَاهِهَا ألسناً كَسَيفِ الخَنَاجِر أغمادُهَا
وأمسكنَ صيداً ولم تُدمِهِ كضَمّ الكواعِبِ أولادَهَا

وقوله في ذكر منها أو أنثى: [الرَّجز]

قُدْنَا لحتفِ الوحشِ والظِّباءِ داهيةً محذورةَ اللُّقاءِ
شائلةً كالعقرَبِ السَّمراءِ تحملها أجنحةُ الهَوَاءِ
أسرع من جفنٍ إلى إغضاءِ ومخطف مُليّن الأعضَاءِ

---

(١) أسافي: السفّ: حيّة تطير في الهواء، وقيل: الريح التي تثير التراب. اللسان (سفف) ٦ / ٢٨٤.

كأثرِ الشِّهابِ في السَّماءِ بأُذُنٍ ساقطة الأرجاء
كوردة السوسنة الشهلاء بعقلة قليلة الإقراء
صافية كقطرة من ماء تنساب بين أكم الصحراء
مثل انسياب حيّة الأنقاء

وقوله في الراح: [البسيط]

وآبَ في آبَ يَجنيها لعَاصِرِهَا كأنَّ كفّيه قد عُلَّت بحنّاء
كأنّه صبَّ سَلسَال المِزَاجِ على سبيكة من بَنَاتِ التِّبرِ صفراءِ

وقوله فيها: [الكامل]

داوِ الهمُومَ بقهوةٍ صَفْرَاءِ وامزُج بنَارِ الرَّاحِ نورَ المَاءِ
لم يتَّرك منها تقَادُمُ عَهدِهَا في الدنّ غيرَ حُشَاشَةٍ صَفراءِ
مَازَالَ يصقُلُهَا الزمانُ بكرَّة ويزيدُها في رِقَّةٍ وصَفَاءِ
حتَّى إذا لم يَبقَ إلاّ روحُهَا في الدنّ واعتزلتْ عن الأقذَاءِ
وتوقَّدَت في ليلةٍ من نَارِهَا كتوقُّدِ المَرّيخ في الظّلمَاءِ
بَذَلَت كمِثْلِ سَبِيكةٍ قد أفرغت أوحَيَّةٍ وثبت من الرَّمضَاءِ
واستبدلتْ من طِينَةٍ مَختُومَةٍ تُفَّاحَةً في رأس كلِّ إناءِ

وقوله فيها: [الخفيف]

فَتَنَتْهُ السُّلافَةُ العُذراءُ فلَها ودُّ نَفسِه والصَّفَاءُ
روحُ دنٍّ لها من الجِسم كَأسٌ فهيَ فيه كالنَّارِ وهو هَواءُ
فإذا مجَّت الأباريقُ ماءَ الـ ـمُزنِ فيها شابَتْ وشَابَ الماءُ
وكأن الحُبَابَ إذ مَزَجُوهَا وردةٌ فوقَ وردةٍ بيضَاءُ
وكأنَّ النَّديمَ يَلثِمُ فَاهَا كوكبٌ[1] كفُّه عليه سَمَاءُ

---

(١) وردت في الديوان: (كوكباً) ٢/ ١٤.

وقوله في صفة فهدة تصيد: [المتقارب]

ولا صَيدَ إلاّ بوثّابةٍ تطيرُ على أربعٍ كالعَذَبْ
وإن أطلقت من قلاداتها وطار الغبار وجدَّ الطَّلَبْ
فزوبعةٌ من بنات الرياح تُريك على الأرض شدًّا عَجَبْ(١)

وقوله فيها: [الخفيف]

قَهوةٌ زوّجت بدمعِ سَحابِ فَكَسَت وجهَها نقابُ حُبَابِ
مثلُ نَسجِ الدروع أو مثل واواتٍ تدانت سطورُها في كِتابِ

وقوله فيها: [المتقارب]

وصفراء باكرتُها والنُّجومُ خافقةٌ كقلوب تَجَبْ
كأنَّ الحُبابَ إذا صفَّقت سماءٌ من الدرّ فوقَ الذَّهبْ
وتحسَبُها قَبَساً مزعجاً إذا خَرسَته الرِّياحُ التَهَبْ

وقوله: [المنسرح]

يمجُّ إبريقُه المزاجَ كما امتدَّ شِهابٌ في إثر عِفريتِ
كأنه فوقَ كأسِها عَجَبٌ كمِثلِ نَقشٍ في فصّ ياقُوتِ

وقوله: [الكامل]

ومُدامةٍ يكسو الزُّجاجَ شُعاعُها كالخيطِ من ذَهَبٍ إذا ما سُلَّتِ
قد حَثَّني بكؤوسها ذوعَتَّةٍ صَامَتْ له صورُ المِلاحِ وصلَّتِ

وقوله: [الكامل]

مَن لي على رَغمِ الحَسُودِ بقَهوةٍ بكْرٍ ربيبةِ حَانةٍ عذْراءِ
موجٌ من الذَّهبِ المذاب يضمُّه كأسٌ كقِشْرِ الدرّة البيضاءِ

---

(١) جاءت هذه المقطوعة مكرَّرة، فقد وردت في ص ٣٣٢.

وقوله: [البسيط]

أمــا تَرى يومَنا قــد جــاء بالعَـجَب ... فــلا تعطِّلْه من لَهــوٍ ومن طَرَبِ
فـقـامَ مـثلَ قَـضـيبٍ حـرّكـتـه صَـبـاً ... حلوَ الشَّمائلِ مطبوعٍ على الأدب
يَزُفُّ كــأســاً بمنديلٍ مـتــوَّجــةٍ ... ورأسُـهـا فـضـةُ والجسمُ من ذَهَبِ

وقوله: [الخفيف]

شـابَ منهـا البـيـاضُ لونَ اصـفـرارٍ ... فـلهَـا لـونُ عـاشـقٍ مَكـروبِ
هي تَـدعــو إلى الـذُّنوبِ ولَـكـن ... هي لـلمَـرءِ حـجَّـةٌ لـلذُّنوبِ

وقوله: [المنسرح]

قم فَـاسـقِـنـي قـهـوةً عـروس (م) دسـاكـيـرٍ عليـهـا طوقٌ من الحَـبَبِ
فـصـبَّ فـي الـكـأس مـن أبَارِقـه ... مـائين من فِـضّـةٍ ومن ذَهبِ

وقوله: [البسيط]

وقـد يُبـاكـرُني السَّـاقي فـأشَـربُهـا ... راحـاً تريحُ من الأحـزان والكَرَبِ
وأمطرَ الكـأس مـاءً مـن أَبَارِقـه ... وأنبـت الـدُرَّ فـي رَوض مـن الـذَّهـب
وسـبّحَ القـوم لمّا أن رَأوا عَـجَـبـاً ... نـوراً مـن المـاء فـي نـارٍ مـن الـعِـنَـبِ
لم يَبْقَ منهـا البلى شيـئـاً سـوى شَبَحٍ ... يقـيـمـه الشَكُّ بين الصِّدق والكَذبِ
سـلافـةٌ ورِّثـتـهَـا عـادُ عنِ إرمٍ ... كـانت ذخـيـرةَ كِسرَى عن أبٍ فَـأبِ

وقوله: [البسيط]

حطوّا الرِّحَالَ إلى خـمـاّر دسكرة[1] ... مـستَـعجلٍ بانفـتـاحِ البَـاب مَحثُـوث
تَمـيلُ من غَـمَـرَاتِ السُّكر قـامَـتُـه ... كَـمـثلِ مـاشٍ على دفٍّ بتَـخنيثِ
وفُضَّ خـاتمه عن رأس مـدَّخـرٍ ... من الدنَان قـديمِ العـهـد مـورُوث
تحـيي زُجَـاجَـتُـه هذا وتقـتُل ذا ... فـالناس مـا بَين مَـقـتـولٍ ومـبـعُـوث

(١) دسكرة: بيوت الأعاجم، يكون فيها الشراب والملاهي. القاموس المحيط، ٥٠١.

وقوله: [الخفيف]

وعَروسٍ زفّت على بَطن كأسٍ ... فوق كَفٍّ منقّش بزُجَاج
فهي بعدَ المزاجِ توريدُ خَدٍّ ... وهي مثلُ الياقوت بعدَ المِزَاجِ

وقوله: [البسيط]

أقولُ سِرّاً لساقينَا وفي يَدِه ... كأسٌ كشُعلَة جَمرٍ إذ يؤجّجُها
لا تَمتَزجْهَا بغير الرِّيق منكَ فإن ... تبخَلْ يداك فدَمعي سوف يمزجهَا

وقوله: [البسيط]

خُضنا الظّلام إلى خَمّارِ دسكَرةٍ ... منفّر النوم يَقظان المَصَابيح
فصبَّ في كَأسه راحاً مُعتّقةً ... ظلّت تحدّث عن عَادٍ وعن نوحِ
كَمِثلِ ياقوتَةٍ في كفّ تَاجرِهَا ... فكلَّ يومٍ يلاقيهَا بتَسبيحِ

وقوله: [الكامل]

خلِّ الزمانَ إذا تقاعَسَ أو جَمحْ ... واشكُ الهُمومَ إلى المدُامةِ والقَدَحْ
واحذَر فؤادك إنْ شَربتَ ثلاثةً ... واحذَرْ عَليه أن يَطيرَ من الفَرَحْ
هذا دواءٌ للهُمومِ مُجرَّبُ ... فاقبلْ مشورةَ صاحبٍ لَكَ قد نَصَحْ
وَدَعِ الزَّمانَ فكم شَقيقٍ مُصلحٍ ... قد رَام إصلاحَ الزَّمانِ فما انْصَلَحْ

وقوله: [الوافر]

خليلَيَّ اترُكَا قَولَ النَّصيحِ ... وقُومَا فامزُجَا راحاً برُوحِ
فقَد نَشَر الصَّباحُ رداءَ رُوحٍ ... وهبَّتْ بالنَّدى أنفاسُ رُوحِ
وحَانَ ركوعُ إبريقٍ لكَأسٍ ... ونادَى الدِّيك حيَّ على الصَّبُوحِ
وحنَّ النَّايُ من طَربٍ وشَوقٍ ... إلى وَترٍ يكلّمه فَصيحِ
هَلِ الدُّنيَا سِوَى هَذا وهَذا ... وساقٍ لا يخَالِفُنا مَليحِ

وقوله: [الكامل]

هذا العقارُ من الدِّنانَ بزلتُها فجلوتُها بجواهرِ الأقداحِ
ناهيك رُوحاً في الخُدورِ مصُونةً محبوبةً زفّت إلى الأرواحِ

وقوله: [الكامل]

وأتى بها كالنَّار تأكلُ كفَّه بشُعاعِهَا من شدَّة الإيقادِ
لمّا وجاها وَجْيَةً في نَحرِهَا بمذلّق لطعانِها مُعتادِ
جادَت له بدمٍ كأنّ نفيَّهُ شررٌ يطيّرُهُ بقَرعِ زنَادِ

وقوله: [الطويل]

ونارٍ جنَاها لي سَراعاً بسحره متى ما ترقَّ ما عَليها توقدِ
يجولُ حُبَابُ الماء في جَنَباتِها كما جَال دمعٌ فوق خدٍّ موردِ

وقوله: [السريع]

شربتُها صفراء كَرخيَّةً كأنَّها في كأسِهَا تتَّقِدْ
وتحسَب الماء زُجَاجَاً جَرى وتحسَبُ الأقداح ماءً جَمُدْ

وقوله: [الوافر]

وليلٍ قد سَهِرتُ ونامَ فيه نَدَامى صرّعٌ حَولي رقودَا
أسَامِرُ فيه قهقهةَ القَنَاني ومزمَاراً يحدثني وعُودَا
فكادَ الليل يَرجُمني بنجَم وقال أراه شَيطاناً مَرِيدَا

وقوله في خمرة مطبوخة: [الطويل]

خليليّ قد طاب الشَّرابُ المبرّدُ وقد عُدتُ بعد النُّسكِ والعَودُ أحمَدُ
فهَاتِ عَقاراً في قَميصِ زُجَاجَةٍ كَياقُوتَةٍ في دُرّة تَتَوقَّدُ
يَصُوغُ عليها الماءُ شُبَّاكَ فِضّةٍ لها حَلَقٌ بيضٌ تُحَلُّ وتُعقَدُ
من الدَّاءِ مسَّتها منَ النّارِ لفحَةٌ فظلّت بما فيهَا تفُورُ وتزبِدُ

وعنها لنا في جوفها حبشيةٌ ... عليها سراويلُ من الماء مجسَدُ
فظاهرُها حُلْمٌ صبورٌ على الأذى ... وباطنُها جهلٌ يقومُ ويقعُدُ
ولمّا جنيناها قطافاً رويّةً ... تذوبُ إذا مسَّت عنا قيدَها اليَدُ
وقَتْنيَ من نارِ الجحيمِ بنفسِها ... وذلكَ معروفٌ لها ليس يُجحَدُ

وقوله: [الخفيف]

علّلاني بصوتِ ناي وعودِ ... واسقياني دمَ ابنةِ العُنقُودِ
أشربُ الرّاحَ وهي تشربُ عقلي ... وعلى ذاك كان قتلُ الوليدِ
ربّ سُكرٍ جعلتُ موعدَه الـ ... صُبحِ وساقٍ حششتُه بمَزيدِ

وقوله: [مجزوء الكامل]

وكأنّما جُنيَتْ من اليـاقُوت ... ليستْ بنتُ كَرْمْ
رقت ففاتت ناظراً ... يرنو فلم تُدرك بوهمِ

وقوله: [الطويل]

خليليَّ قُم حتّى نموتَ من السُّكرِ ... بحانةِ خمّارٍ مماتاً بلا قبْرِ
ونشربَ من كرخيَّةٍ ذهبيَّةٍ ... ونصفحَ عن ذنبِ الحوادثِ والدَّهرِ

وقوله: [الكامل]

قد حثّني بالكأس أو من فجرِه ... ساقٍ علامَةُ ذنبِه في خصْرِه
وكأن حُمرةَ لونِها من خدِّه ... وكأنَّ طيبَ نسيمِها من نشرِه
حتّى إذا صُبَّ المِزاجُ تبسَّمتْ ... عن لؤلؤ فحسبتُه من ثغرِه
مازال يُنجِزُ لي مواعِدَ عينِه ... فمَه وأحسبُ ريقَه من خمرِه

وقوله: [المنسرح]

تخرُجُ من دنِّها وقد جدِبَتْ ... مثلَ هلالٍ بَدا بتقويسِ
من لا منِي بالمُدام فهْو كمَن ... يكتُب بالماءِ في القراطيسِ

وقوله: [المنسرح]

قد رُكِّبَت كفُّه مشعشعةً إبريقها في الكؤوس هدّارُ
أودعَ صفوَ الزّجاجِ صفرتُها كمثلِ نورٍ ضميرُه نارُ

وقوله: [الوافر]

وبيضاءَ الخمارِ إذا اجتلَتْها عيونُ الشُّرب صفراءُ الإزارِ
جَمُوحٌ في عنانِ الماءِ تنزُو إذا ما راضَها نزوُ المَهاري

وقوله: [الطويل]

وكرخيَّةِ الأنسابِ أو بابليَّةٍ ثوتْ جفناً في ظُلمةِ القارِ لا تسري
نظرتُ صفاءَ الماءِ فوقَ صفائها فخلتُهما سُلاًّ من الشّمسِ والبدرِ

وقوله: [الرَّجز]

ولَيلةٍ من حسناتِ الدَّهرِ سريتُ فيها بخيولٍ شُقْرِ
سِياطُها ماءُ السَّحابِ الغُرِّ كأنه دربُ لُجَينٍ يجري

وقوله: [المتقارب]

وشُربٍ سقَيتُهُم والصَّباحُ في وكرِه واقعٌ لم يطِرْ
كأنَّهُمُ بينَهُم حريـ ـقٌ فأيديهُمُ تستعِرْ

وقوله: [الوافر]

شَربنَا بالكبيرِ وبالصَّغيرِ ولم نحفَلْ بأحداثِ الدُّهورِ
وقد ركَضَت بنا خَيلُ المَلاهي وقد طِرنَا بأجنحةِ السُّرورِ

وقوله: [الكامل المرفل]

ومهفهفٍ يهدي إلى النَّفس ذهبيةً صفراءَ كالوَرسِ
وكأنَّ كفَّيهِ تقَسّمُ في أقداحِنا قِطَعاً من الشَّمسِ

وقوله: [الخفيف]

وشَمولٍ أرقَّها الدَّهْرُ حتَّى   مَا تَوارَى قَذاتُها بِلَبوسِ
وَرْدَةُ اللَّون في خُدودِ النَّدامَى   وهي صَفراءُ في خُدودِ الكُؤُوسِ

وقوله: [المنسرح]

لا عيشَ إلاّ بكفّ جاريةٍ   ذاتِ دلالٍ في طَرفِها مَرَضُ
كأنَّ في النَّاسِ حين تَمزِجُها   نجومُ رَجمٍ تعلُو وتنخَفِضُ

وقوله: [الطويل]

وشَمسِ نَهارٍ قد سَبَقتُ طلوعَها   بشَمسِ عقَارٍ في الزَّجاجَةِ تطْلُعُ
فما اشتَهَر الإصباحُ حتى رأيتُني   أقومُ إلى برّ النَّديمِ وأركَعُ

وقوله: [الطويل]

يَدورُ علينَا الرَّاحُ من يَدِ شَادنٍ   له لحظُ عينٍ تشتكي السُّقمَ مُدنفُ
كأن سُلافَ الخَمرِ من ماءِ وَجهِهِ   وعنقودَها من شعرِه الجَعدِ يُقطَفُ

وقوله أيضاً وهما من جرثومة: [السَّريع]

وَقهوةٍ في كأسِهَا تزهُو   يفوحُ منها المسكُ والعنبرْ
يحثُّها في كَفّه شادنٌ   كأنَّهَا من خَدِّه تُعصَرْ

وقوله يصفها في كأس أزرق: [الكامل]

وإذا رأى حمراءَ ساطعَةَ السَّنَا   أبقَت بخدّ الشُّرب منها عندَمَا
وتوقَّدَت في جوفِ كأسٍ أزرقٍ   كتَوقُّدِ المَرّيخِ في جَوّ السَّمَا

وقوله: [الطويل]

وناوَلَني كأساً أضاءَ بيانُه   يدفْن ياقُوتاً ودرّاً مُجَوَّفا
ولما أذقنَاها المزاجَ تسَعَّرتْ   فخلْت سَنَاها بارقاً متكشِّفَا

وقوله: [الوافر]

وَنُدمَانٍ سقَيتُ الرَّاحَ صِرفاً وأفقُ الصبح مرتفعُ السُّجُوفِ
صَفَت وَصَفَت زجاجَتُها عَلَيها كمعنى دقَّ في ذِهْنٍ لَطِيفِ

وقوله: [المنسرح]

اشرب عقَاراً كأنها قَبَسٌ قد سَبَكَ الدَّهر تبرَها فَصَفَا
أُرتِقَ فيها المِزَاجُ فاشتَعَلَتْ كمِثلِ نارٍ أطعمتُها سَعَفَا

وقوله: [البسيط]

وقد يُباكِرُني السَّاقي فأشربُهَا كأنَّها قَبَسٌ في الكف مَشهورُ
يُرِيقُ في كأسِهَا من صَوبِ غَادِيَةٍ فالخَمرُ يا قوتةٌ والماء بلُّورُ

وقوله: [المتقارب]

إذا ما طعنَا بُطُونَ الدِّنَان سَال دمُ الكَرمِ منهُنَّ سُورَا
كأنَّ خَرَاطِيمَهَا في الزُّجاج خَرَاطِيمُ نَحلٍ ينقّبن نَورَا

وقوله: [الطويل]

وعَاقِدِ زنّار على غُصُن الآس دَقِيق المعَاني مُخطفُ الخُصْر ميّاسِ
سقَاني عَقاراً صُبَّ فيها مِزاجُها فأضحَكَ عن ثغر الحُبَابِ فمُ الكَاسِ

وقوله: [المنسرح]

لاشيءَ تُسلي هَمِّي سوَى قَدَحٍ تَدمَى عَليه أوداجُ إبْرِيقِ
يكتُبُ فيه كفّ المِزَاجِ لنا ميماتِ سَطر بتَعبِير تَعرِيقِ

وقوله: [البسيط]

ظبي تجلَّى منَ الأحزَانِ أودَعَني ما يعلَمُ الله من حُزنٍ ومن قَلَقِ
كأنَّه وكأنَّ الكأسَ في يَدِه هلالُ أول شَهرٍ غَابَ في شَفَقِ

وقوله: [الوافر]

ونُدمَانٍ دَعوتُ فَهبَّ نحوي ... وسلسلَها كما خُرطَ العَقيقُ
كأنَّ بكاسِها ناراً تلظّى ... ولولا الماءُ كانَ لَهَا حريقُ

وقوله: [الوافر]

كأن عمامةً بيضاء بَيني ... وبين الرَّاح تَخرِقُهَا البُرُوقُ

وقوله: [الطويل]

ومَشمولَةٍ صاغ المِزاجَ لرأسِهَا ... أكاليلَ دُرّ ما لمنظُومِهَا سلكُ
جَرَت حركاتُ الدَّهرِ فوقَ سُكُونِهَا ... فذابَتْ كَذَوبِ التِّبرِ أخلَصَه السَّبكُ
وقد خَفِيَت من صَفْوِها فكأنها ... بَقَايا يَقينٍ كاد يُذهِبُه الشَّكُّ

وقوله يعارض من أنفق جراف(١) عمره في غير سرور المدام: [الطويل]

إذا شئتُ سقَّاني غَزَالٌ دساكر ... يبقّرُ أحشاءَ الدِّنان بمبزَلِ
يكلّل بالمنديلِ أقداحَ قَهوةٍ ... كجَمرٍ جلَته الرِّيحُ قدَّامَ مُصطلي
يَطوفُ بهَا والصُّبحُ عُريانُ خالعٌ ... بقيةَ ليلٍ كالقَميص المرَعْبَلِ(٢)
عَلى كُلِّ مَجرُورِ الرِّداء سَمَيدعٍ ... جوادٍ بما يحويه غيرِ مُبَخَّلِ
يَصبُّ ويَسقي أو يُسَقَّى مُدامةً ... كَمثل سراجٍ لاحَ في اللَّيلِ مُشعَلِ
ولَستَ تراهُ سائلاً عن خليفةٍ ... ولا قائلاً من يعزلون ومَن يَلي
ولا صَائحاً كالعيرِ في يوم لذّةٍ ... يُناظرُ في تفضيلِ عُثمانَ أو عَلي
ولا حَاسِباً تقويمَ شَمسٍ وكَوكبٍ ... ليعرفَ أخبارَ العلوّ من اسْفَلِ
يَقُومُ كَحرباءِ الظَّهيرةِ مَائلاً ... يقلّب في إسطرْلابه عينَ أجولِ
ولكنّه فيما عَناه وسَرَّه ... وعن غيرِ ما يَعنيه فهو بمَعْزَلِ

---

(١) جراف عمره: الجراف، الذاهب بكل شيء.

(٢) القميص المرعبل: الممزّق. القاموس المحيط (رعبل)، ١٣٠١.

خليليَّ بالله اقعُدَا نصطَبِحْ ولا [قفَا نبك من ذكرى حبيب ومنزل][1]
ويا ربّ لا تنبت ولا تسقط الحَيَا [بسقْط اللّوى بَين الدخُول فحَوملِ]
ولا تقرِ مقرَاة امرئ القيس قطرةً من المُزن وارحَم ساكِنِيهَا بِجَندَلِ
ولكِنْ ديار اللّهوِ ربّ فأسقِهَا ودلّ على خَضرَائها كلَّ جَدولِ

وقوله: [المتقارب]

وخمّارة من بنات اليهو د ترى الزقّ في بَيتِهَا سَائلاَ
وزنّا لهَا ذَهَباً جامِداً فكالت لنا ذهباً سَائلاَ
عقاراً تنفَّس عن مسكة ترى فوقَها لؤلؤاً جائلاً
فلم أرَهمّاً سوى فقدها لا غيرَهَا فَرَحَاً عَاجِلاً

[وقوله][2]: [الطويل]

إذا قُرعَت بالماء حلَّ بكَأسِهَا مَدبٌّ دباً[3] تَعلُو أكارِعُه رَملاَ
مشَعشَعَةٌ كالشَّمس تأكل نُورهَا زجاجَتُها في كفّ شَارِبِها أكَلاَ
عَرُوساً جَعَلنا مَهرَها بَعْضَ دِينِنَا فَمَا رَضِيتَ حتّى وَهَبنَا لَها العَقْلاَ

وقوله: [البسيط]

وَلم يَزَلْ ليلُنا يسقى مشَعشَعَةٌ كأنما الماءُ يُغرِيها بتَصمِيمِ
أبقى الجديدان[4] من موجودها عَجَباً لوناً ورائحة من غير تَجسِيمِ
كأنَّ في كأسِهَا والماءُ يُفرعها أكارع النمل أو نقشَ الخَواتيمِ

---

(١) ما بين المعقوفتين تضمين من معلقة امرئ القيس.
(٢) الأبيات التالية ألحقها الناسخ بالأبيات الآنفة، فارتأينا فصلها، لأنها من البحر الطويل، وما سبقها من بحر المتقارب.
(٣) دباً: الدبا: صغار الجراد.
(٤) الجديدان: الليل والنهار.

وقوله : [الطويل]

يَمُجُّ سُلافَ الخمر في عَسْجَديَّةٍ تَوَهّجُ في يُمناهُ كالكَوكَبِ الفَردِ
محفّرة فيها تَصاويرُ فارسٍ وكِسرى غريقٌ حوله حِزَقُ[1] الجُند

وقوله : [الخفيف]

اسْقِني القَهوَةَ التي تَصِفُ العِتـ ـقَ بلَونٍ صافٍ وطَعمٍ زُلازِلِ
طعَنَت نحرَها الأكفُّ ولكن تأخذ الثَّأرَ من عُقولِ الرِّجالِ
روحُ دَنٍّ صفراء تستخلف (م) الشَّمسَ سَنَاها على سَوادِ اللَّيالي
وكأنَّ السُّقاةَ قد مَسَحُوها بِدِهَانٍ في رأسِها[2] وصِقالِ

وقوله : [مخلع البسيط]

قد أظلَم اللَّيلُ يا نَديمي فاقدَح لنَا النَّارَ بالمُدامِ
كأنَّني والوَرَى رقودٌ أقبِّلُ الشَّمسَ في الظَّلامِ

وقوله : [الطويل]

وصفراءَ من صِبغ الهَجير لرأسِها إذا مُزِجَت إكليلُ دُرٍّ منظَّمِ
قَطَعْتُ بها عُمرَ الدُّجَى وشَربتُها ظلاميَّةَ الأجسام نوريَّةَ الدَّمِ

وقوله : [السريع]

يا رُبَّ ليلٍ سَحَرٌ كلُّه مفتضحُ البَدرِ عليلُ النَّسيمْ
لم أعرفِ الإصباحَ في ضَوئه لَمّا بَدَا إلا بسُكرِ النَّديمْ

وقوله : [الطويل]

كأنَّ أباريقَ المُدام لديهمُ ظِباءٌ بأعلى الرَّقمَتين قِيَامُ

---

(١) حزَق : الجماعة من الناس ينضمّ بعضهم إلى بعض . اللسان (حزق) ٣ / ١٥٤ .

(٢) وردت في الديوان : في كأسها، ٢ / ١٩٧ .

وَقَد شَرِبَوا حتَّى كأنَّ رِقَابَهم … من اللِّينِ لم يُخلَقْ لَهُنَّ عِظَامُ

وقوله: [الكامل]

وكأنَّ إبريقَ الُمدامَةِ بينَنا … ظَبيٌ على شُرُفٍ أنافَ مُدلِّهَا
لّما استحثُّوه تَذكَّرَ إلفَهُ … فَبكَى على قَدَحِ النَّديمِ وقَهقَهَا

وقوله: [الوافر]

سقاني من مُعتَّقة الدِّنان[1] … مليحُ الدُلّ مختضبُ البَنَان
وَحمَّل كفَّه كأساً تلظّى … بنارٍ لا تُقنَّع بالدُّخَان
فلمّا صبّ فيها الماءَ سَارت … كما سَارَ الشُّجاع إلى الجَبَان
وقد لَبِسَت نقَاباً من حُبَابٍ … كَسَلخ الأيمِ أو درّ الجُمَان
فَخِلتُ الكأسَ مركَزَ أقحوانٍ … وتربتَه سَحِيقَ الزَّعفَرَان

قوله: [مجزوء الرمل]

قُل لمن حيّا فأحيَا … مَيِّتاً يُحسب حَيّا
ما الذي ضرّك لو أبـ … ـقيتَ لي في الكأس شَيّا
أتَراني كنتُ إلاّ … مثلَ مَن قبّل فيّا
واسقِني في كُلِّ حينٍ … قَهوةً ذات حُمَيّا
إن يَكُن رُشْداً فرُشداً … أو يَكُن غِيّاً فغِيّا

وقوله: [الوافر]

وكأسٍ من زُجاجٍ فيه [أسْدٌ][2] … فَرائسهُنَّ ألبابُ الرِّجَالِ
إذا ما صَرَّعت منّا نَديماً … توسَّد باليَمين وبالشِّمَالِ

---

(١) وردت في المخطوطة: سلط على الأحزان، وأصلحناها من الديوان، ليستقيم الوزن، ٢/ ٢٣٦.

(٢) سقطت من قلم الناسخ وأكملناها من الديوان، ٢/ ١٩٦.

وقوله: [المديد]

قــد أُسَـقَّى الراحَ صــافـيَـةً تـنشُـرُ الإصـبـاحَ في الظُّلَمِ
فـإذا مـا المـاءُ خـالَطَهـا راض مـنهـا سـهـلةَ الشِّـيَم
واكـتَسَـتْ من شَكلِه حُـبَـباً بـين مَـنشـورٍ ومُـنـتَظَم
وتـبـدّتْ في أسِـرَّتـهَـا أسطـرٌ مَـجـهُـولـةُ الكَـلِم
رَحلُهَـا كَفٌّ تَسِـيـرُ بِهَـا مِن فَمِ الإبريقِ نحـوَ فَمِي

وقوله في الهجاء: [الطويل]

وإخـوان شَـرٍّ قـد حـرثت إخـاءَهُمْ وكـانوا لغَـرس الوَردِ شَـرَّ بقَـاعِ
قَـدَحتُ زِنَادَ الوَصلِ بَيني وبينَهُمْ فَـأذكَـيتُ ناراً غـيـرَ ذاتِ شُـعَاعِ

وقوله في غدر بني الدهر: [المتقارب]

بَلوتُ أخـلاَّءَ هَـذا الزَّمـان فَـأقلَلتُ بالهَـجـر منهم نَصـيـبي
وكلُّهم إن تـصـفَّـحـتَـهُـم صـديقُ العَـيَـانِ عَـدوّ المَغـيـبِ

وقوله في ذمّ القلم والكتابة: [الطويل]

وأجـوف مـشـقـوقٍ كـأنّ شـبـاته[1] إذا اسـتـعـجَلَتْـهُ الكَفُّ منقـارُ لاقطِ
وتاهَ بـه قَـومٌ فـقُـلت رُوَيدَكُم فـمـا كَـاتبٌ بالكفِّ إلاّ كَـشَـارِطِ

وقوله في صديق مدّاح: [الطويل]

ولي صَـاحبٌ في وجـهـه ليَ أوجُـهٌ وفي فَـمـه طَبلٌ تُـسـرّي وتضـربُ
إذا مـا خَـلا الإخـوانُ كـان مَـرارةً يُعَـرِّضُ في حَلقي مَـرَاراً و ينشُبُ
كَـمَـاءِ طَريقِ الحَجّ في كلِّ مَنهَلٍ يُذَمُّ عَلى مَـا كَـان منهُ ويُشـرَبُ

(١) شباته: الشباة، حدُّ كل شيء.

٢ - قُدامة بن جعفر(*)

الكاتب، أبو الفرج. رجل طالما يقضي النهار وفرعه مهزوز، ويسهر الليل وبرقه كأنه عمود فضة محزوز، فأنهز للفضائل أوداجاً، وكاشف الدجى وقد داجى ولم يزل يعري عن منكب الليل دَواجاً، ويساقط لؤلؤ الفرقدين أزواجاً؛ إلى أن أصبح اسمه مثلاً مضروباً، وعذبه الزلال منهلاً مشروباً، ولهذا كل ذي قدم في البلاغة لا يشبه إلا بقدامه، ولا يقاس به الصابيّ ابن هلال فتجيء منه ثلامه. وناهيك برجل سعى صيته بين الخافقين، ووسع جنباه مثل النيل والفرات الدافقين. وطال الأمد عليه؛ وقد بلي جسده، وذهبت رحمته وحُسَّدُه. والألسنة بذكره لهجة، وفضائله؛ وإن لم تهبّ من كراه مبتهجة.

كان نصرانياً وأسلم على يد المكتفي بالله، وكان أحد البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء، وممّن يشار إليه في علم المنطق. وحضر مجلس الفضل بن جعفر ابن الزيّات، وقت مناظرة أبي سعيد السيرافي، ومتّى المنطقي سنة عشرين وثلاثمئة. ومات سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة.

قال صاحب بغية الألبا: بلغني أن بعض متعاطي الأدب شرح المقامات الحريرية، فقال عند قوله، ولو أوتي بلاغة قدامة: إن قدامة بن جعفر كان كاتباً لبني بويه. قال: وجهل في هذا القول؛ فإن قدامة كان أقدم عهداً، وهو المذكور البغدادي من أهل الفضل، عالم الأدب، أدرك زمن ثعلب والمبرّد وابن قتيبة وطبقتهم.

وذكر شيخنا أبو الثناء الكاتب في التوشيح، قال: وقال قدامة: هو أن يكون في أول البيت معنى، إذا علم علمت منه قافية البيت؛ بشرط أن يكون المعنى المقدم بلفظه، كقول الراعي النميري: [الوافر]

(*) ترجمته في: الفهرست، ١٣٠، والنجوم الزاهرة٣ /٢٩٧، وإرشاد الأديب٦ /٢٠٣،الأعلام ٥ /١٩١، ومعجم المؤلفين ٨ /١٢٨، وقدامة بن جعفر والنقد الأدبي ٣٧. توفي سنة ٣٣٧هـ

فإن وُزِن الحصا فوزَنتُ قومي وجدتُ حصاةَ ضربتِهم رَزِينَا

قال: السامع إذا فهم أن الشاعر أراد المفاخرة برزانة الحصا، وعرف وعرف القافية والروي عُلِمَ آخر البيت.

ومنهم:

٣- أبو عثمان الجاحظ(*)

واسمه عمرو بن بحر بن محبوب. بحر البيان الدافق ولسان الإحسان الناطق. المتكلم في كل شيّ، المقدَّم في بابه على كل ميت وحيّ، الذي أدخله أرباب كل علم فيهم، وأطلعه أهل كلّ فهم قمراً في دياجيهم، الحكيم المطلق، والعميم المعرفة في اللغة بكل ما به ينطق. الناقل لما يصدق، والنافل لما يحقق، والمملي لكل ما يعلق، والمولي من متن البيان ما لا يَخلُق. كأنما تصانيفه للأفهام مفاتيح أقفال، وفي دجا الأوهام مصابيح تشب لقفال. وله في البيان والتبيين أوضح النهار إذ يبين.

عجّل إلى الفضائل فما راث، وسبق الأوائل بلا اكتراث. مرَّ على المجرّة فورَد شطوطها، وكرَّ على النيرة فمحا خطوطها. وهجم على الفضائل وأتاها منبتاً وأخذها مصبحاً ومثبتاً؛ فملأ جوانح الغمام أوارا، وصاغ البدر التمام تاجاً والهلال سواراً، بنبوغ حطَّم به الجوزاء فكسر غرسها، وصاد طيور الفراقد ووزع ريشها؛ هذا إلى توسع في كل فن، وتحقيق لكل ظنّ بخاطر.

طالما قرع الفولاذ، وتهادى تهادي العروس في الملاذ. وكان لايزال ليله مبصراً، وسيله لا ينثني مقصراً. ولم يبق علم لم ينظر فيه نظر المتبصر، ويجتهد له اجتهاد من لم يقصر؛ فلم يُسأل عن شيء إلا كان به أدرى، ولم يبق طائفة أحق به من الأخرى. وقال فيه القاضي

(*) ترجمته في: نور القبس ٢٣٠، ووفيات الأعيان ٣ / ٤٧٠، ونزهة الألبّاء ١٤٨، وبغية الوعاة ٢ / ٢٢٨. توفي سنة ٢٥٥هـ.

الفاضل رحمه الله، وقد ذكره وما منّا إلاّ مَن دخل داره، وشنَّ على كلامه الغارة، وخرج وعلى كتفه منه الكارة.

قلت: أخذ عن أبي عبيدة والأصمعي، وأبي زيد الأنصاري، وأخذ النحو عن الأخفش، وكان صديقه. وأخذ الكلام عن النظّام، وتلقف الفصاحة من العرب شفاهاً بالمربد.

حدَّث أبو هفان قال: لم أرَ قطُّ ولا سمعت أحبّ إلى الجاحظ من الكتب والعلوم؛ فإنه لم يقع بيده كتاب قط إلاّ ليستوفي في قراءته كائناً ما كان؛ حتى إنه كان يكتري دكاكين الورّاقين ويبيت فيها. والفتح بن خاقان كان يحضر لمجالسة المتوكل، فإذا أراد القيام لحاجة أخرج كتاباً من خُفّه أو كُمّه إلى حين عوده من الخلاء لمجالسة المتوكل، فإذا أراد القيام لحاجة قضى شغله.

وكان واسع العلم بالكلام، كثير التبحر فيه، شديد الضبط لحدوده، ومن أعلم الناس به وبغيره من علوم الدين والدنيا. وله كتب مشهورة جليلة في نصرة الدين، وفي حكاية مذاهب المخالفين والأخلاق والآداب، وفي ضروب الهزل والجدّ؛ وقد قرأها الناس وتداولوها وعرفوا فضلها. وإذا تدبّر العاقل المميّز كتبه علم أنه ليس في تلقيح العقول وشحذ الأذهان، ومعرفة أصول الكلام وجواهره، وإيصال خلاف الإسلام، ومذاهب الاعتزال إلى القلوب كتب تشبهها والجاحظ عظيم القدر في المعتزلة وغير المعتزلة.

قال الجاحظ: لمّا مسخ اللّه الإنسان قرداً وخنزيراً وترك فيه شبهاً من الإنسان. ولما مسخ اللّه زماننا لم يترك فيه شبهاً من الزمان.

وقال الجاحظ: ليس جهد البلاء مدّ الاعناق وانتظار وقع السيف؛ لأنّ الوقت قصير والحس مغمور، ولكن جهد البلاء أن تظهر الخلّة وتطول المدّة، وتعجز للحيلة، ثم لا تعدم صديقاً مؤنباً وابن عمّ شامتاً وجاراً حاسداً ووليّاً ينتهرك.

وقال: إذا سمعت الرجل يقول: ما ترك الأول للأخير شيئاً فاعلم ما يريد أن يفلح.

وقيل: إن الجاحظ خدم في ديوان الرسائل أيام المأمون ثلاثة أيام، ثم استعفَى فأعفي.

حدَّث أبو العيناء، قال: كان لي صديق فجاءني يوماً فقال لي: أريد الخروج إلى فلان العامل، وأحببت أن تكون معي إليه وسؤاله، وقد سألت مَن صديقه؟ فقيل لي: أبو عثمان الجاحظ، وهو صديقك، وأحببت أن تأخذ لي منه إليه كتاباً بالعناية. قال: فصرت إلى الجاحظ فقلت له: جئتك مسلّماً وقاضياً للحق، ولي حاجة لبعض أصدقائي، وهي كذا وكذا. قال: لا تشغلنا الساعة عن المحادثة وتعرف أخبارنا إذا كان في غدٍ وجهت إليك بالكتاب، فقلت لولدي: هذا الكتاب لفلان ففيه حاجته. فقال لي: إنّ أبا عثمان بعيد الغور، فينبغي أن نقصَّه وننظر ما فيه، ففعلت، فإذا في الكتاب: هذا كتابي مع مَن لا أعرفه، وقد كلمني فيه من لا أوجب حقّه، فإن قضيت حاجته لم أحمدك وإن رددته لم أذممك. فلما قرأت الكتاب مضيت إلى الجاحظ من فوري، فقال: يا أبا عبدالله قد علمت أنك أنكرت ما في الكتاب، فقلت: أو ليس موضع نكره، فقال: لا، هذه علامة بيني وبينه فيمن اعتنى به. فقلت: لا إله إلاّ الله، ما رأيت أحداً أعلم بطبعك، ولا ما جُبلت عليه من هذا الرجل، علمت أنه لمّا قرأ الكتاب قال: أمُّ الجاحظ عشرة آلاف قحبة، وأم من يثبت له حاجة. فقلت له: ما هذا؟ أتشتم صديقنا؟ فقال: هذه علامتي فيمن أشكره، فضحك الجاحظ، وحدَّث بذلك الفتح بن خاقان، وحدّث الفتح المتوكل، فذلك كان سبب اتصالي به، وإحضاري مجلسه.

ومن كلام الجاحظ: احذر من تأمن فإنك حذر على من تخاف. وقال: أجمع الناس على أربع. أنه ليس في الدنيا أثقل من أعمى، ولا أبغض من أعور، ولا أخفّ روحاً من أحدب، ولا أقود من أجدب.

قال: أربعة أشياء ممسوخة، النيك في الماء، والقبلة على النقات[١] والغناء من وراء الستار[٢].

(١) النقات: الاستمالة والاستعطاف.

(٢) لم يورد الناسخ الشيء الرابع.

وحدَّث الجاحظ مرّة بحضرة السدوي، وكيف قال، لأنها تأخذ الدراهم وتمتّع بالناس والطيب، وتختار على عينها من تريد، والتوبة معروضة لها متى شاءت فقال: وكيف عقل العجوز؟ قال: هي أحمق الناس وأقلّهم عقلاً.

وقال أبو سعيد السيرافي: حدثنا من الصابئين كتّاب، أن ثابت بن قرّة، قال: ما أحسد هذه الأمة العربية إلا على ثلاثة أنفس؛ فإنه: [الكامل المرفل]

عَقِمَ النِّساءُ فلا يَلِدْنَ شَبيهَهُم إن النِّساءَ بمِثلِهِمْ عُقْمُ

فقيل له: احصِ لنا هؤلاء الثلاثة: فقال: عمر بن الخطاب في سياسته وتقضيته وحدوده، وبحفظه ودينه وجزالته ونزالته وصرامته وشهامته، وقيامه في صغير أمره وكبيره بنفسه؛ مع قريحة صافية وعقل وافر، ولسان عضب وقلب شديد، وطوية مأمونة، وعزيمة مأمومة وصدر منشرح، وبالٍ منفسح وبديهة نصوح، وروية لفوح، وسرٍّ طاهر وتوقيف حاضر، ورأي مصيب وأمر عجيب، وشأن غريب. دعم الدين وشيّد بنيانه، وأحكم أساسه ورفع أركانه، وأوضح حجته وأنار برهانه. مَلِكٌ في زيّ مسكين. ما جنح في أمرٍ ولا نوى، ولا غضّ طرفه على خَنَا. ظهارته كالبطانة، وبطانته كالظهارة. جرح وواسى، ولان وقسا، ومنع وأعطى، واستجدى وسطا. كل ذلك في اللّه وللّه. ولقد كان من نوادر الزمان.

قال: والثاني، الحسن ابن أبي الحسن البصري؛ فلقد كان من دراري النجوم علماً وتقوى وزهداً، ورعوى وعفّة، ورقة وتألُّهاً وتنزهاً وفقهاً ومعرفة وفصاحة، ونصاحة. مواعظه تصل إلى القلوب، وألفاظه تلبس العقول. ما أعرف له ثانياً ولا قريباً ولا متدانياً. كان منظره وفق مخبره، وعلانيته في وزن سريرته. عاش سبعين سنة لم يُعرف لمقاله سبقاً، ولم يزلّ بريبة ولا فحشا. سليم الدين نقيّ الأديم، محروس الحريم يجمع مجلسه ضروب الناس وأصنافهم لما يوسعهم من بنانه، ويفيض عليهم بإحسانه. هذا يأخذ عنه الحديث وهذا يلقَن منه التأويل، وهذا يسمع الحلال والحرام، وهذا يتبع من كلام العربية، وهذا يجوِّد له المقالة، وهذا يحكي الفتيا، وهذا يتعلم الحكم والقضاء وهو في جميع هذا كالبحر الفجاج تدفقاً، وكالسراج

الوهّاج تألقاً. ولا ننسى مواقفه ومشاهده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الأمراء وأشباه الأمراء بالكلام الفَصل، واللفظ الجزل والصدر الرحيب والوجه الصُلب، واللسان العضب كالحجاج، وفلان وفلان مع سادة الدين وبهجة العلم. لا تثنيه لائمة في الله، ولا تذهله رابعة عن الله يجلس تحت كرسيّه قتادة صاحب التفسير وعمرو وواصل صاحب الكلام، وابن أبي اسحاق صاحب النحو، وفرقد السخِّي صاحب الرقائق، وأشباه هؤلاء ونظراؤهم. فمن ذا مثله ومن يجري مجراه؟.

والثالث، أبو عثمان الجاحظ، خطيب المسلمين وشيخ المتكلمين، ومدرة المتقدمين والمتأخّرين. إن تكلم حكى سَحبان [1] في البلاغة، وإن ناظر سارع النظّام في الجدال، وإن جدَّ خرج في ليل عامر بن عبد قيس، وإن هزل زاد على مزَيدحبيب القلوب ومزاح الأرواح. وشيخ الآداب ولسان العرب. كتبه رياض زاهرة، ورسائله أفنان مثمرة. ما نازعه منازع إلاّ رشأه أبقى ولا تعرّض له منقوص إلاّ قدّم له التواضع واستبقى. الخلفاء تعرفه والأمراء تصفه والكبراء تنادمه، والعلماء تأخذ عنه، والخاصة تسلّم عليه والعامة تحبّه.

جمع بين اللسان والقلم، وبين الفطنة والعلم وبين الرأي والأدب، وبين النثر والنظم، وبين الذكاء والفهم. طال عمره وفشت حكمته، وظهرت حيلته، ووطئ الرجال عقبه، وتهادوا أدبه، وافتخروا بالانتساب إليه، ونجحوا بالاقتداء بما أوتي من الحكمة وفصل الخطاب.

قال صاحب بغية الألبا: هذا قول ثابت. وهو رجل صابئيّ، لا يرى للإسلام حرمة، ولا للمسلمين حقّاً، لا يوجب لأحد منهم ذماماً، وقد انتقد هذا الانتقاد ونظر هذا النظر، وحكم بهذا الحكم، وأبصر الحق بعين لا غشاوة عليها من الهوى، ونفس لا لطخ بها من التقليد، وعقل ما يحيل عليه بالعصبية. ولسنا نجهل مع ذلك فضل هؤلاء الثلاثة من السلف الطاهر والخلف الصالح ولكن عجبنا فضل عجب من رجل ليس منّا، ولا من أهل

(١) سَحْبَان: اسم رجل من وائل. كان لسناً بلغياً، يضرب به المثل في البيان والفصاحة، فيقال: أفصح من سحبان وائل: اللسان (سحب) ٦ / ١٨٥.

ملتنا ولغتنا، ولعلَّه ما خَبَر عمر بن الخطاب كلَّ الخبرة، ولا استوعب كلامه الحسن من المنقبة، ولا وقف على ما لجميع أبي عثمان من البيان والحكمة بقوله هذا القول، ويتعجب هذا التعجب ويحسد هذه الأمة بهم هذا الحسد، ويختم كلامه بأبي عثمان ويصفه بما يأتي الطاعن عليه أن يكون له شيء منه، ويغضب إذا ادَّعى ذلك له، أو وقر عليه هل هذا إلاّ الجهل الذي يرجم المثل به.

قيل لأبي هفّان: لِمَ لم تهج الجاحظ؟ هدر دمك وأخذ بمخنقك. فقال: أمثلي يخدع عن عقله؟ والله لو وضع رسالة في أريبة أفعى لما أمست إلاّ في الصين. ولو قلت فيه ألف بيت لماظن منها بيت في ألف سنة. قال المبرّد: سمعت الجاحظ يقول: كل عشقٍ يسمى حبّاً وليس كل حبّ يسمى عشقاً؛ لأن العشق اسم لما فضل من المحبّة، كما أن الشرف اسم لما جاوز الجود. والبخل اسم لما نقص عن الاقتصاد. والجبن اسم لما فضل عن شدّة الاحتراس. والهرج اسم لما فضل عن الشجاعة.

وقال أبو الفضل ابن العميد: ثلاثة علوم، الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة أنفس، الفقه فعلى أبي حنيفة؛ لأنّه دوّن وخلد، وجعل من يتكلم به بعده مشيراً إليه ومخبراً عنه، والكلام فعل أبي الهذيل، والفصاحة واللَّسَن فعل أبي عثمان الجاحظ.

وحدّت يموت بن المزرع عن خاله الجاحظ، قال: يُحَبُّ للرجل أن يكون سخيّاً لا يبلغ التبذّير، شجاعاً لا يبلغ الهرج، متحرساً لا يبلغ الجبن، حييّاً لا يبلغ العجز، ماضياً لا بيلغ الفجه، قؤولاً لا يبلغِ الهذر، صموتاً لا يبلغ العيّ، حليماً لا يبلغ الذلّ، منتصراً لا يبلغ الذلّ، وقوراً لا يبلغ البَلاد، نافذاً لا يبلغ الطيش. ثم وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلَّم قد جمع ذلك في كلمة واحدة، وهي: خير الأمور أوساطها؛ فعلمنا أنه صلى الله عليه وسلَّم قد أوتي جوامع الكلم، وعلم فصل الخطاب.

وقال أبو زيد البلخي: ما أحسن ما قال الجاحظ: عقل المنشىء مشغول وعقل المتصفح فارغ.

وحدّث المبرّد، قال: دخلت على الجاحظ في آخر أيامه، فقلت: كيف أنت؟ فقال:

كيف يكون مَن نصفه مفلوج، لوحُزّ بالمنشار ما شعر به، ونصفه الآخر منقرس، لو طار الذباب بقربه لآلمه. وأشدّ من ذلك نيف وتسعون ثم انشدنا(١): [الوافر]

أترجُو أن تَكونَ وأنتَ شيخٌ كَما قَد كُنتَ أيّامَ الشَّبابِ
لقد كَذبَتْكَ نفسُك ليس ثوبٌ دريسٌ كالجديدِ من الثِّيابِ(٢)

وحدّث أبو محمد الحسن بن عمر الجرمي، قال: كنت بالاندلس، فقيل لي: إن هاهنا تلميذاً لأبي عثمان الجاحظ، يعرف بسلام بن يزيد، فأتيته، فرأيت شيخاً هرماً، فسألته عن سبب اجتماعه بأبي عثمان، ولم يقع أبو عثمان إلى الأندلس، فقال: كان طالب العلم بالمشرق يتشرَّف عند ملوكنا بلقاء أبي عثمان فوقع إلينا شيء من كتبه، فخرجت لأعرّج على شيء؛ حتى قصدت بغداد، فسألت عنه، فقيل لي بالبصرة. فانحدرت إليه، وسألت عن منزله فأُرشدتُ إليه ودخلت إليه؛ فإذا هو جالس وحواليه عشرون صبياً، ليس فيهم ذو لحية غيره فدهشت، فقلت: أيّكم أبو عثمان؟ فرفَع يده وحرّكها في وجهي، وقال: من أين؟ قلت: من الأندلس. فقال: طينة حمقاء. فما الاسم؟ قلت: سلام. قال: اسم كلب القَرَّاد. ابن من؟ قلت: ابن يزيد. قال: بحق ما صرت. أبو من؟ قلت: أبو خلف. قال: كنية قرد زبيدة. ما جئت تطلب؟ قلت: العلم. قال: ارجع بوقت فإنك لا تفلح. قلت: ما أنصفتني فقد اشتملت على خصال أربع، جفاء البلدية، وبُعد الشُقَّة، وغرّة الحداثة ودهشة الداخلِ. قال: فترى حولي عشرين صبياً ليس فيهم ذو لحية غيري ما كان يجب أن تعرفني بها. قال: فأقمت عليه عشرين سنة.

وقال أبو العيناء: أنشدني الجاحظ لنفسه: [الوافر]

يَطيبُ العَيشُ أن تلقَى حَكيماً غَذاه العلمُ والرأيُ المُصيبُ
فيكشِفُ عنك حيرةَ كلّ رَيبٍ وفضلُ العلمِ يعرفه الأريَبُ

---

(١) ينظر: الفهرست، ٢٠٩.

(٢) شعراء بصريون، ٨٢.

سَقَام الحرص لَيس لَه شِفَاءٌ   وداءُ البُخلِ ليس لَه طَبِيبُ[١]

وكان الجاحظ يقول: إن تهيأ لك في الشاعر أن تبرّه وترضيه، وإلاّ فاقتله.

وقال ميمون بن هارون: قلت للجاحظ: ألك بالبصرة ضيعة؟ فتبسم وقال: إنما أنا وجارية، وجارية تخدمها، وخادم وحمار. أهديت كتاب الحيوان إلى محمد بن عبد الملك، فأعطاني خمسة آلاف دينار. وأهديت كتاب البيان والتبيين إلى أبي دؤاد[٢] فأعطاني خمسة آلاف دينار، وأهديت كتاب الزرع إلى إبراهيم بن العبّاس الصولي فأعطاني خمسة آلاف دينار، فانصرفت إلى البصرة، ومعي ضيعة لا تحتاج إلى تجديد ولا تسميد.

وكتاب البيان والتبيين نسختان، أولى وثانية، والثانية أصح وأجود. وله من المصنَّفات زيادة على مئة وعشرين مصنّفاً. وتوفي الجاحظ سنة خمس وخمسين ومئتين. وقد جاوز التسعين. وكان يتعين تقديمه على ابن المعتز وقدامة؛ وانما ذكرناهما قبله لا عتنائهما بعلم البديع، وتصنيفهما أبوابه، فوصلنا تراجمهما بتفريعهما للفن، واختراج أقسامه استطرادا.

وذكره أبو القاسم الراغب في كتاب المحاضرات، في كثرة آيات الأنبياء وقلّتها. قال: قال العلماء: إنما كثر وكبر إعلام موسى؛ لأن علمه كان مع غباوة بني إسرائيل، ونقصان أحلام القبط.

قال الجاحظ: ومتى أردت معرفة ذلك فانظر إلى بقاياهم، هل لهم حكمة أومثل أو شعر؟ ثم انظر إلى أولادهم مع طول لبثهم معنا، هل تغيَّر بذلك أخلاقهم وشمائلهم وأحلامهم وآدابهم وفطنهم؟ ثم من غباوتهم ما حكى الله تعالى عنهم حيث قالوا: ﴿اجْعَلَ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُم آلِهَةٌ[٣]﴾، وكقولهم: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرهً[٤]﴾، وكقولهم: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكُ

(١) شعراء بصريون، ٨٠، مع اختلاف في ألفاظ المفردات.

(٢) أبو عبدالله أحمد بن أبي دؤاد، فرج بن جرير بن مالك الإيادي القاضي توفي سنة ١٤٠هـ، وفيات الأعيان ١/ ١٨١.

(٣) الأعراف ٧/ ١٣٨.

(٤) النساء ٤/ ١٥٣.

فَقَاتِلا إِنّا هَاهُنَا قَاعِدُون[1] ﴾. وآياتهم انقطعت بموتهم، وعرفها من بعدهم بأخبار سلفهم، وجعل من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلّم القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأشرك فيه الخلف والسلف، وجعله باقياً على مرور الأيام وبُعد الأحوال.

وقال أبو عثمان لغائب عليه كتب عيب الكتاب: ونعم الذخر والعقدة، ونعم النشرة والنزهة، ونعم المشتغل والحرفة، ونعم الأنيس ساعة الوحدة والمعرفة ببلاد الغربة، ونعم القرين والدخيل والوزير والتنزيل. والكتاب وعاء مليء علماً وظرف حُشِيَ ظرفا، وإناء سخّن مزاجا وجَدًّا؛ إن شئت كان أبين من سَحبان وائل، وإن شئت كان أعيا من باقل، وإن شئت ضحكت من نوادره، وعجبت من غرائب فوائده. وإن شئت سختك مواعظه. ومن لك بواعظ مله، وببارد حار؟ ومن لك بطبيب أعرابي، وبرومي وهندي وبفارسي يوناني، وتقديم مولد ممتّع وبشيء يجمع لك الأول والآخر، والناقص والوافر، والشاهد والغائب والحسن وضدّه؟ وبعد، فمتى رأيت بستاناً يحمل في ردن، وروضة في قلب؟ ينطق عن الموتى ويترجم كلام الأحياء. ومَن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك، ولا ينطق إلاّ بما تهوى؟ آمن من أرض وأكتم للسر من صاحب السرّ، واضبط بحفظ الوديعة من أرباب الوديعة، وأحفظ لما استحفظ من الأميّين، ومن الأعراب للمعربين؛ بل من الصبيان قبل اعتراض الاشتغال حين العناية تامة لم تنتقص، والأذهان فارغة لم تقتسم، والإرادات وافرة لم تتشعب، والطينة ليّنة؛ فهي أقبل ما يكون للطابع، والقضيب رطب فهو أقرب ما يكون من العلوق، حين هذه الخصائل لم يلبس جديدها، ولم تتفرق قواها كانت كقول الشاعر: [الطويل]

أتاني هَوَاهَا قَبلَ أن أعرِفَ الهَوى فصادَفَ قلباً خَالياً فتمكّنا

وقال ذو الرمة لعيسى بن عمر: اكتب شعري، فالكتاب أعجب إليّ من الحفظ؛ لأن الأعرابي ينسى الكلمة، قد تعب في طلبها يوماً أو ليلة فيضع موضعها كلمة في وزنها لم ينشدها الناس، والكتاب لا يَنسى، ولا يبدّل كلاماً بكلام وعيب الكتاب. ولا أعلم جاراً

---

(١) المائدة ٥ / ٢٤.

أبرّ، ولا خليطاً أنصف، ولا رفيقاً أطوع، أقل صلفاً وتكلفاً، ولا أكفّ عن قتال وشغب ومراء من كتاب. ولا أعلم شجرة أطول عمراً ولا أجمع أمراً، ولا أطيب ثمرة ولا أقرب مجتنى، ولا أسرع إدراكاً، ولا أوجد في كل أوانٍ من كتاب. ولا أعلم نتاجاً في حداثة سنّه وقرب ميلاده، وحضور ذهنه، وإمكان موجوده. يجمع من التدابير العجيبة والعلوم العربية، ومن آثار العقول الصحيحة، ومحمود الأذهان اللطيفة، ومن الأخبار عن القرون الماضية والبلاد المترامية، والأمثال السائرة، والأمم البادية مما يجمع الكتاب. والكتاب مع خفَّة نقله وصغر حجمه صامت ما أسكَتَّه، وينبغ ما استنطقته، ومن لك بمسامر لا يبتديك في حال شغلك، ولا يدعك في أوقات نشاطك، ولا يحوجك إلى التجمل له، والتذمم فيه. ومن لك بزائر، إن شئت جعلت زيارته غِبّاً، وورده خمساً. وإن شئت لزمك لزوم ظلك، وكان منك مكان بعضك. والكتاب هو الجليس الذي لا يضرّ بك، والصديق الذي لا يغذيك، والرفيق الذي لا يملّك، والمستميح الذي لا يستزيدك، والجار الذي لا يستبطيك والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق، ولا يعاملك بالمكر والخديعة، ولا يخدعك بالنفاق والكذب.

والكتاب هو الذي إن نظرت فيه أطال إمتاعك وشحذ طباعك، وبسط لسانك وجوّد بيانك، وفخَّم ألفاظك ونجّح نفسك وعمّر صدرك ومنحك تعظيم العوام وصداقة الملوك. وعرفت به في شهر مالا تعرفه في دهر من أفواه الرجال مع السلامة من الغَرم، ومن كدّ الطلب ومن الوقوف بباب المكتسب بالتعليم. وبالجلوس بين يدي من أنت أفضل منه خلقاً، وأكرم منه عرقا، ومع السلامة من مجالسة البغضاء ومقارنة الأغبياء. وهو الذي يطيعك بالليل طاعته لك بالنهار، وفي السفر طاعته لك في الحضر. ولا يعتلّ بنوم ولا يغترّ به كلال الشهر. وهو المعلم الذي إن افتقرت إليه لم يحقرك، وإن قطعت عنه عدوك لم ينقلب عليك. ومتى كنت متعلقاً به بسبب، ومعتصماً منه بأدنى حبل لم يضطرك معه وحشة الوحدة إلى جليس السوء، لو لم يكن من فضله عليك وإحسانه إلا منعه لك من الجلوس على بابك، والنظر إلى المارّة منعماً في ذلك من التعرض للحقوق التي تلزم، ومن فضول

النظر، ومن عادة الخوض، ومن ملابسة صغار الناس وحضور ألفاظهم الرديّه الساقطة ومعانيهم الفاسدة، وأخلاقهم السيئة وجهالتهم المذمومة لكان في ذلك السلامة. ولو لم يكن في ذلك إلاّ أنه يشغلك عن سخف البيت وعن اعتياد الراحة لقد كان في ذلك على صاحبه أسبغ النعمة وأعظم المنّة.

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: قال المهلب لبنيه في وصيته: يا بَنِيَّ لا تقوموا في الأسواق إلا على زاد أو وراق. وقال شيخ: قرئ عليك ما أثر غطفان ذهبت بالمكارم إلاّ من الكتب.

وقال غيره: غَبرت أربعين سنة ما قلت ولا بتُّ ولا اتّكأت إلا والكتاب موضوع على صدري.

وقال ابن الجهم: إذا استحسنت الكتاب، ورجوت منه الفائدة، فلو تراني وأنا ساعة بعد ساعة أنظر كَمْ بَقِيَ من ورقة مخافة استفادة وانقطاع المادّة وإن كان الدفتر عظيم الحجيم، وكان الورق كثير العدد. والأنسان لا يعلم حتى يكثر سماعه، ولا بدَّ أن تصير كتبه أكثر من سماعه، ولا يجمع حتى يكون الاتفاق عليه ممّا لعدَّته. ومن لم يكن نفقته التي تخرج من الكتب ألذَّ عنه من إنفاق عساق[1] والمستهزين بالبنيان لم يبلغ في العلم مبلغا.

وقال إبراهيم بن السندي: وددت أن الزنادقة لم يكونوا حرصاً على المعالي بالورق النقي الأبيض، وتخيّر الحبر الأسود والخطّ الجيّد فإنني لم أرَ كورق كتبهم ورقا، ولا لخطوطهم خطّا. وإني غرمت مالاً عظيماً مع حبّي للمال ونغصي للعزم لأن سخاء النفس بالإنفاق على الكتب دليل على شرف النفس، وعلى السلامة من شكر الآفات.

وقال أبو عمرو بن العلاء: ما دخلت على رجل قطّ، ولا مررت ببابه فرأيته ينظر في دفتر وجليسه فارغ إلا اعتقدت أنه أفضل منه وأعقل.

---

(١) عساق: عسق به: أولع به. اللسان ٩ /٢٠٧.

وأنشد رجل يونُسَ النحوي قوله: [البسيط]

استـودَعَ العِلمَ قِرطَاسـاً فـضـيَّـعـه فـبـئـس مَـسـتـودعُ العِلمِ القَـراطيسُ

فقال: قاتله الله، فما أشدَّ صبابته بالعلم، وأحسن صيانته له. إن عملك من روحك ومالك من بدنك فضعه مكان الروح، ومالك بمكان البدن.

وقال الخليل بن أحمد: لا يصل أحد من علم النحو إلى ما يحتاج إليه حتى يتعلم ما لا يحتاج إليه. قال غيره: فإذا الذي لا يحتاج إليه هو الذي يحتاج إليه إذا لم يوصل إلى ما يحتاج إلاّ بما لا يحتاج إليه. وقد قال صلى الله عليه وسلَّم: قيّدوا العلم بالكتاب. وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: بقية عمر الإنسان لا يُمَنٌّ لها بدرك ما فاته ويحيي ما أماته، يبدل سيئاته حسنات. وقال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: إن الله تعالى جعل محاسن الأخلاق وَصْلةً بينه وبين عباده، فيحسب أحدكم أن يتمسك بحبل متصل بالله.

قيل لبعض الكذابين: كيف تحتال للكذب؟ قال: أكذب على الموتى وأستشهد الغيب.

وقيل لبعض الحكماء: متى تقضي له بالصدق؟ قال: إذا صدق فيما يضرّه كما يصدق فيما ينفعه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: المؤمن يألف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف. وقال صلى الله عليه وسلم: لم يكذب من قال خيراً ونمّى خيراً وأصلح بين الناس.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: من كان كلامه لا يوافق فعله فإنما يوبِّخ نفسه وقال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين: وقد صحت التجربة وقامت العبرة على أن سقوط جميع الإنسان أصلح في الإبانة عن الحروف منه إذا سقط أكثرها، وخالف أحد شرطيها للآخر، وقد رأينا تصديق ذلك في أفواه قوم شاهدهم الناس.

---

(١) عساق: عسق به: أولع به. اللسان ٩ / ٢٠٧.

قال: ومتى وجد اللسان في جميع جهاته شيئاً يقرعه ويصكّه، ولم يمرّ في هواء واسع المجال، وكان لسانه يملأ جوف فمه لم يضره سقوط أسنانه إلاّ بالمقدار المغتفر. ويؤكده قول صاحب المنطق إن الطائر والسبع والبهيمة كلّما كان لسان الواحد منها أعرض كان أفصح وأجلى لما يلقن، ولما يسمع، نحو الببغا والغداف وغراب البين. قال: ويدل على أن عظم اللسان نافع لمن سقط جميع أسنانه. قول كعب بن جعيل ليزيد بن معاوية حين أمره بهجاء الأنصار: أرادّني أنت في الكفر بعد الإيمان، ولكني سأدلك على غلام في الحي كأنَّ لسانه لسان ثور، يعني الاخطل.

وفي الحديث: إن الله يبغض الرجل تخلَّل بلسانه كما تخلل الباقرة الحلا بلسانها.

وقال رسول الله صلى عليه وسلم لحسان: ما بقي من لسانك؟ فأخرج لسانه حتى قرع بطرفه طرف أرنبته، ثم قال: والله لو وضعته على صخر لفلقه، أو على شعر لحلقه وما يسرني به مقول من مغل رائق السمط، ثم قال بعد ذلك: وقد قال بعض جهابذة الألفاظ، ونقاد المعاني القائمة في صدور الناس، المتصورة في أذهانهم، المتلجلجة في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم، والجارية على أفكارهم، مستورة خفيّة، محجوبة مكتوبة، موجودة معدومة. ولا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه إلاّ بغيره؛ وانما يحيي تلك المعاني استعمالهم لها وإخبارهم عنها؛ فبهذا يقرب من الفهم وينجلي للعقل، ويجعل الخفي ظاهراً والغائب حاضرا. والمجهول معروفا، والوحشي مألوفا. وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة يكون إظهار المعنى. وكلَّما كانت الدلالة أوضح وأفصح كانت الإشارة أبين وأنور. والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الناطق به القرآن. واللّه جلّ ثناؤه يمدحه ويدعوه إليه ويحث عليه. وتفاخرت العرب وتفاضلت العجم، وهو اسم لما كشف قناع المعنى وهتْكِ الحجاب؛ حتى يفضي السامع إلى حقيقته كائناً ما كان ذلك البيان، ومن أي جُلُسٍ كان؛ لأن الغاية التي تجري إليها إنما هو الفهم والإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع، ثم اعلم أنَّ حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ؛ لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية، ممتدة إلى غير نهاية. وأسماء المعاني مقصورة

معدودة، ومحصلة محدودة. وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء، ولا تنقص ولا تزيد. وأولها اللفظ ثم الإشاره ثم العقد ثم الخط ثم النصبة، الحال التي تسمى نصبة. والنصبة هي الحال الدالَّة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا ينقص عن تلك الدلالات. ولكل واحدة من هذه الخمسة صورة بائنة عن صورة صاحبتها، وحلية مخالفة لحلية أختها. وهي التي تكشف عن أعيان المعاني، ثم عن حقائقها في التفسير وأجناسها وأقدارها، وخاصها وعامّها، وطبقاتها في السارّ والضارّ. والبيان نصر والعيُّ عمى، كما أن العلم بصر والجهل عمى. والبيان من نتاج العلم، والعيّ من نتاج الجهل.

وقال يونس بن حبيب: ليس لعيّ مروءة، ولا لمنقوص البيان بها. ولو حلّ بنا فوجّه أعنان السماء.

قال: وأما الإشارة باليد وبالرأس وبالعين وبالحاجب وبالمنكب وبالثوب وبالسيف. وقد يتهدّد رافع السوط والسيف، فيكون ذلك زاجراً رادعاً، ويكون وعيداً أو تحذيراً. والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هوَ لَهُ ونِعمَ الترجمان. وما تعذر الإشارة أن تكون ذات حلية موصوفة، وصورة معروفة. وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغيرهما من الجوارح موفق كبير، ومعونة حاضرة في أموريسترها بعض الناس من بعض، ويخفونها من الجليس وغير الجليس. ولولا الإشارة لم يتناهم الناس ولجهلوا هذا الباب البتّة. وقد قال الشاعر: [الطويل]

أشَارَت بطَرفِ العَينِ خيفَةَ أهلها إشارةَ مَذعُورٍ ولم تَتكلَّمِ
فأيقنْتُ أن الطَّرف قد قال مَرحَباً وأهلاً وسَهلاً بالحَبيب المسلِّمِ

هذا ومبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت، والصوت آلة اللفظ، وهو الجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان. وقد قال الشاعر: [الطويل]

إذا نَحن خِفنَا الكاشِحينَ فلم نُطق كَلاماً تكلَّمنا بأعيُننَا سِرّا
فنَقضِي ولم يَعلم بنا كلَّ حَاجَةٍ ولم تُظهَرِ الشكوى ولم نَهتكِ السِّترَا

فأما الخط فممّا ذكر الله فيه لنبيه ﷺ ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾ الَّذِي عَلَّمَ بالقَلَمِ﴾ عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يعلَمْ﴾(١) ﴾. وأقسم بالكتاب المكنون، فقال: «ن والقَلَم وَمَا يسطُرُونَ﴾(٢) ». والقلم أحد اللسانين، وهو أبقى أثراً، واللسان أكثر هذراً.

وقال عبد الرحمن بن كيسان: استعمال القلم أجدر، وأن يحضّ الذهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام. واللسان مقصور على القريب الحاضر، والقلم مطلق في الشاهد والغائب. وهو في الغابر الكائن مثله للقائم الراهن. والكتاب يقرأ بكل لسان، ويدرس في كل زمان؛ واللسان لا يعدو سامعه ولا يتجاوز مواضعه.

وأمّا العقد وهو الحساب دون اللفظ والخط. فالدليل على لفظه والانتفاع به قوله تعالى: ﴿ فالقُ الإصبَاحِ وجَعَل اللَّيلَ سَكَناً والشَّمسَ والقَمَرَ حُسبَاناً ذلكَ تَقديرُ العَزِيزِ العَلِيمِ(٣) ﴾. وقوله: ﴿ الرَّحمنُ﴾ عَلّمَ القُرآنَ﴾ خَلَقَ الإنسَانَ﴾ عَلّمهُ البَيَانَ﴾ الشَمْسُ والقَمَرِ بُحُسبَانٍ(٤) ﴾. وقوله: ﴿ هُو الَّذي جَعَلَ الشَمْسُ ضِيَاءً وَالقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ منازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِنينَ والحسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلكَ إلاّ بالحقّ(٥) ﴾. وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَهارَ آيَتَين فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَهارِ مبْصِرةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ ربِّكُم وَلِتعلَمُوا عَدَدَ السِّنين والحِسَابَ(٦) ﴾ ولولا معرفة العباد معنى الحساب في الدنيا لما فهموا معنى الحساب في الآخرة. وأما النصبة فهي الحال الناطقة بغير اللفظ، والمشيرة بغير اليد؛ وذلك ظاهر في خلق السماوات والأرض، وفي كل شيء.

---

(١) العلق ٩٦/ ٣ - ٥.
(٢) القلم ٦٨/ ١.
(٣) الأنعام ٦/ ٩٦.
(٤) الرحمن ٥٥/ ١ - ٥.
(٥) يونس ١٠/ ٥.
(٦) الإسراء ١٧/ ١٢.

وكذلك قال الاول: سل الأرض فقل: من شقَّ أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك؟ فإن لم تجبك أجابتك اعتباراً.

وقال صالح بن عبد القدّوس: [الخفيف]

إن يَكُن لا تُطيقُ رجعَ جَوابٍ فلَقَد ما تَرى وأنت خَطيبُ
وَاعِظَاتٍ وما وَعَدتَ تقولُ مثلَ وَعظٍ بالصَّمتِ إذا لا تُجيبُ

وقال بعض الحكماء: أشهد أن السماوات والأرض آيات ودلالات وشواهد قائمات، كلٌّ يؤدي عنك الحجة، ويشهد لك بالربوبية.

وقال خطيب من الخطباء حين قام على سرير الإسكندر وهو ميت: الإسكندر كان أمس أنطق منه اليوم، وهو اليوم أوعظ منه أمس.

وقال عنترة وجعل نعيب الغراب خبراً للزّاجر[1]: [الكامل]

خَرِقَ الجَنَاحِ كأنَّ لحيَيْ رأسِهِ جَلَمَانِ بالأخبارِ هَشٌّ مُولَعُ[2]

وقال أبو الرديني العكلي، وذكر تنسم الذيب الريح، وصدق استراوحه، واستنشائه: [الرجز]

يستخبرُ الرِّيحِ إذا لم يَسمَعِ بِمثْلِ مِقراعِ الصَّفا الموقَّعِ

وقال آخر: [البسيط]

إنّ السَّمَاءَ وإنَّ الأرض شَاهِدةٌ واللّه يشهَد والأيّامُ والبَلَدُ

وقال الجاحظ: ومتى دلَّ الشيء على معنى فقد أخبر عنه، وإن كان صامتاً وأشارَ إليه، وإن كانَ ساكناً. وهذا القول شائع في جميع اللغات، ومتفق عليه مع إفراط الاختلافات.

وقال نُصيب في هذا المعنى يمدح سليمان بن عبد الملك: [الطويل]

---

(١) البيان والتبيين ١/ ٨٢.

(٢) ديوان عنترة، ٢٦٣.

أقـول لِركبٍ قـافلين رأيتُهم ... قـفـا ذات أوشـالٍ ومـولاكَ لاعبُ
قـفـوا خـبّروني عن سُليمانَ إنّني ... لمَعْروفـه من أهل وَدّان طالبُ
فعاجُوا فأثنَوا بالذي أنتَ أهلُه ... ولو سكنوا أثنت عليكَ الحقائبُ(١)

وقال الجاحظ: قال عليّ كرَّم الله وجهه: قيمة كل امرئ ما يحسن. فلو لم تقف إلاّ على هذه الكلمة لوجدناها كافية شافية، ومجزية مغنية؛ بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية، غير مقصودة عن الغاية. وأحسن الكلام ما كان قليله مغنياً عن كثيره، ومعناه ظاهرُ في لفظه. وإذا كان المعنى شريفاً، واللفظ تبليغاً وكان صحيح الطابع بعيداً من التكلّف صنع في القلوب صنيع الغيث في التربه الكريمة وحينئذ لا يمتنع من تكليفها صدور الجبابرة، ولا يذهب عن فهمها عقول الجهلة. وقال عامر بن عبد القيس: الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان. وقد جمع الباقر صلاح شأن الدنيا بحذافيرها قال: صلاح جميع التغابن والتعاشر ملء مكيال، ثلثاه فطنة وثلثه تغافل. قال الجاحظ: فلم يُجعل لغير الفطنة نصيبا؛ لانّ الإنسان لا يتفاضل إلا عن شيء قد فَطِنَ له.

وقيل لا بن عبّاس: أنّى لك هذا العلم؟ قال: قَلبٌ عَقُول ولسان سَؤُول.

وقيل لمحمد بن علي والد الخليفتين: متى يكون وجود الأدب سّراً من عدمه؟ قال: إذا كثر الأدب ونقصت القريحة. وكان يقول: كفاك من علم الدين أن تعرف ما لا يسع جهله. وكفاك من علم الأدب أن يروى الشاهد والمثل.

وقال أبو مسلم: سمعت الامام إبراهيم بن محمد يقول: يكفي من حفظ البلاغة ألاّ يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء إفهام السامع. قال الجاحظ: وأنا استحسن هذا الكلام جداً.

ومن كلامه قوله: اللهم إنّا نعوذبك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل. ونعوذ

(١) شعر نصيب بن رباح، ٥٩، جمع وتقديم، الدكتور داؤد سلُّوم.

بك من التكلف لما لا يحسن، كما نعوذ بك من العُجب بما يحسن، ونعوذ بك من السلاطة والهذر، كما نعوذبك من العيّ والحصر.

وقوله أيضاً: وذكر الله تعالى جميل بلائه في تعليم البيان، وقال: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ[1] ﴾. ومدح القرآن بالبيان والإفصاح، وبحسن التفصيل والإيضاح وسمَّاه فرقاناً، كما سمّاه قرآناً.

وقوله: رأيت فلاناً ينفض يده منك، وأنت تصادر على وصله، وكفى بالإعراض حاجباً والانقباض طاردا. ومن وقف في الإذن لك فقد حجبك، ومن تنكّر عن حكايتك فقد كذّبك، ومن حَظر عنك سرّه فقد اتّهمك، ومن مطلك[2] ولو ساعة فقد حرمك، ومن تمنى فقدك فقد قتلك، ومن صادق عدوّك فقد عاداك، ومن عادى عدوّك فقد والاك، ومن صدقك عن عيبك فقد علّمك، ومن أقبل بحديثه على غيرك فقد طردك، ومن شكر إليك سواك سلّك، ومن سكت عن مديح الناس فقد ثلبك، ومن بلّغك شتمك، ومن استمهلك في الجواب فقد هابك، ومن أجرى ذكرك عند من لا تأمنه عليك فقد اغتابك، ومن نقل إليك فقد نقل عنك، ومن شهد لك بالباطل فقد شهد عليك، ومن وقع لك في أخيك فقد وقع لك فيك، ومن أحبّك لغير شيء فقد أبغضك لغير شيء، ومن أحسن إليك فقد استعان بالأيّام عليك؛ فإن شكرته جازتك عنه، وإن كفرته حاربَتْكَ دونه. ومن ألحَّ في سؤالك فقد طرق لك إلى حرمانه، ومن أمرك بما لا تطيق فقد أغراك بعصيانه. جعلتك سهمي فيها، وأعطيتك ما أعطيت نفسي منها، فكن شفيقي إلى أذنك حتى تسمعها، ونفيع أذنك إلى قلبك حتى يفهمها، وشفيع إلى نفسك حتى تعمل بها.

---

(١) آل عمران ٢ / ١٣٨.

(٢) مطلك: المطل؛ التسويف.

ومنهم:

٤- أبو محمد عبدالله بن سعيد بن محمد بن سنان الخفاجي(*)

الحلبي. إن تكلّم في دقائق الأدب أتقنها، أو في لغة العرب قال مُتقَنَها بنظم أقوى من تركيب الأنابيب(١)، وأحوى من الليل لشمل كل غريب. تنوَّع في فنونه، وتسرَّع إلى أخذ القلوب بفتونه. وترفّع في طبقاته فرأى الدراري من دونه. لمع بالتوشية برديه ووارى في التسوية النهار في وضوح ضحاه، وطيب أبرديه. وجارى البحر كلامه، فكأنه قذف من الدّر مالديه، وولّد فيه من التشبيه كلَّ عقيم، ومن اللطائف ما يحسن على خدود الطروس عذاره الرقيم، ومن المعاني الواضحة الخفيّة ما يُحَاكي الظرف الصحيح السقيم. وله مع أبي العلاء محاورات أجلُّ من محاورة الحبيب، ومجاراة أمتع من مجاراة الشادن الربيب. وقد ذكر ابن العديم منه شذوراً وبلغ بها أماني كأنما وفّى بها نذورا. وكان الخفاجي شيعياً مبالغاً في الغلوّ لا بل كان رافضياً، إن يزيد في الأرض إلاّ الفساد والغلو. وفي شعره منه تلك التي تستك منها المسامع، وتستل دماء النفوس حسرات بها المدامع ذكر فيها السلف الأول بما برّأهم الله من عيابه وبرّاهم لردّ نباله الراشقة في جعابه، ولقد ذكر أبا بكر الصديق رضي الله عنه في معنى فدلّ بما يدرأ به هذا العظيم الغرابة في سحره، ويردّ به سهم هذا المنتصب عرضاً إلى نحره ويرمي به شيطانه الإفك بزخره، ويعاد به حليّه؛ ولو كان العنبر الورد إلى شجره. فأما شعره فمما لا ينكر لؤلؤه لبحره. [الكامل]

عُكِسَ الأنامُ فإن سَمِعتَ بناقصٍ ... فاعلَم بأن لَدَيه حظاً زائدَا
وتفاوتُ الأرزاق أوجبُ فيهمُ ... أن يَجعَلُوه مَصَالحاً ومَفَاسداً(٢)

وقوله: [البسيط]

---

* ترجمته في: تاريخ دمشق مج ٣٨ / ٩٠، واللباب ١ / ٣٨١، والأعلام ٤ / ١٢٢، وسر الفصاحة ٧، والنجوم الزاهرة ٥ / ٩٦. توفي سنة ٤٦٦هـ.

(١) الأنابيب، مفردها أنبوب: من القصب والرمح، كعبهما.

(٢) ديوان ابن سنان الخفاجي، ٧٠.

ومُكْبِرينَ صغيراً من عُقُولِهِمُ ... لم يركَبوا الخيَل إلاّ بعد ما كَبِرُوا
أخفَوا بكيدهِمُ عُذراً فما عَبَأت ... سُمر الرِّماحِ بما همَّت به الإبر[1]

منها:

جرَّبتُمُوه فأفنتْكُم صَوارِمُه ... ولو عقَلْتُم كَفاكُم دونَه الخَبَرُ
وقد علاَ فَوقَ أفلاكِ النُّجوم بها ... فكيفَ يلحقُ مَن في باعه[2] قِصَرُ
حذّر بناسِ بني حَمْدان في أمَمٍ ... تأتي فَقَد ظَهَرَت في هذه النُّذُرُ
واذكُرلَهُم سيَراً في المَجد معجزَةً ... لولا الشَّريعةُ قُلنا إنها سُوَرُ
السَّابقُونَ إلى الدُّنيا بما مَلكُوا ... ما أورد النّاسُ إلا بَعدَمَا صَدَرُوا

ومنها:

فَرعٌ أبانَ جَنَاهُ طيبَ عُنصرِهِ ... ما يُعرَفُ العُودُ حتى يُعرَفَ الثَّمرُ

منها:

مَنظومةٌ فإذا فَاهَ الرُّواةُ بها ... ظَنَنْتَ أنَّ نُجومَ اللَّيلِ تَنتَشِرُ
مِن مُعجِزَاتي التي لولا بَدائعُها ... في الشِّعر شبَّه قوم بعض ما سَحَرُوا

ومنه قوله: [الطويل]

وجَذوةُ نارٍ دُونَ ذكْرِ مَكانِهَا ... سريرةُ حبّ لا يُخَافُ ظُهورُهَا[3]
تَناهيتُ في كِتمَانه فَنسِيتُه ... فللّه نفسٌ غابَ عَنهَا ضَميرُهَا

وقوله: [الكامل]

ودَعِ النَّسيمَ يعيد من أخبَاره ... فلَه حَوَاشٍ للحَديث دِقَاقُ
ما نمَّ من علَقِ العُذَيبِ بِغَائبٍ ... إلا وَقَد شَهِدَت به الآفَاقُ

---

(١) الديوان، ٧٩.

(٢) الباع: مسافة ما بين الكفين إذا بسطتهما. اللسان (بوع) ١/ ٥٣٨.

(٣) لم يرد ذكرها في الديوان.

وعَلَى الغَضَا إن كُنتَ مِنْ جِيرَانه ... نارٌ تقسّم حرَّها الأشواقُ(1)

منها:

ومشتَّتَ العَزَمَات يُنفقُ عُمرهُ ... حيرانَ لا ظَفَرٌ ولا إخفاقُ

أملٌ يلوح اليأس في أرجائه ... وغنى يَشفّ وراءَهُ الإملاقُ

يُمري عَقَاقة ثروةٍ لَوْ أنَّها ... نومٌ لما شَعَرت به الآماقُ

وقوله:

لو أنصفت زفّت إلى خطّابهَا ... والبَدرُ تَاجٌ والنُّجومُ نطَاقُ

لم تعْترضْهَا بالحجَاب نَقيصةٌ ... ما كلُّ ما سَتَرَ البدورَ مَحاقُ(2)

وقوله: [الطويل]

وهَاتفَةٍ في البَان تُملي غَرامَهَا ... علَينا ونَتلُو من صَبَابَتهَا صُحفَا

عَجبتُ لها تشكُو الفراقَ جَهالةً ... وقد جَاوبَت من كُلِّ ناحيةٍ إلفَا

ويُشجي قُلوبَ العاشقينَ حنينُهَا ... وما فَهمُوا ممّا تَغنّت به حَرفَا

ولَو صَدقَت فيمَا تقُول من الأسَى ... لَما لَبسَت طوقاً ولا خضّبت كفّا

أجَارتَنا أذْكَرتِ مَن ليس نَاسياً ... وأضرمتِ ناراً للصَّبابة لا تُطفى(3)

منها:

لَعَمري لَئنْ طَالَت عَلَينا فإنّنا ... بحُكم الثُّريَّا قد قطَعنا لَهَا كَفَّا

رَمَينا بها في الغَربِ وهي ذَميمَةٌ ... ولم تُبقِ للجَوزاء عقداً ولا شَنْفَا

كأنَّ الدُّجَى لَمّا تولّت نجُومَه ... مدبِّرُ حَربٍ قد هزَمنا لها صَفّا

كأنَّ عَليه للمجرّة روضةً ... مُفتَّحةَ الأزهارِ أو نثرةً زَغْفَا(4)

كأنّا وقد ألْقَى إلينا هلالُه ... سَلَبنَاه تَاجاً أو فَصَمْنَا له وَقْفَا

(1) ديوان ابن سنان الخفاجي، ١٥٣.

(2) ديوان ابن سنان الخفاجي، ١٥٥.

(3) الديوان، ١٤٩.

(4) نثرة زغفا: الدرع الليِّنة. اللسان (زغف) ٦/٥٣.

كأن السُّهى إنسانُ عينٍ قريحةٍ[1] … منَ الدَّمعِ تبدو كلَّما ذَرَفَت ذَرفَا
كأن سنا المرّيخ شُعلَةُ قابسٍ … تخطَّفَها عجلان يخطفُها خَطفَا
كأن سُهَيلاً فارسٌ عايَنَ الوَغَى … ففرَّ ولم يَشهَدْ طِراداً ولا زَحْفَا
كأن أُفُولَ النَّسرِ طَرفٌ تعلَّقَت … به سِنَةٌ مَا هبّ منها ولا أغفَى

وقوله: [الكامل]

مَا كَانَ يعلَمُ قَبلَ فَيضِ نوَالِه … أنَّ الغَمَامَ إذا استُهِلَّ بَخِيلُ
فَرَقَتْ عَزائِمُه فشَابَ لها الدُّجَى … خَوفَاً وأثَّر في الهَلالِ نُحولُ

وقوله: [الرمل]

كلُّ ميَّاس جَرَت أعطافُهُ … وعَوالِيه عَلَى حُكْمِ التَّثَنِّي
هِزَّةٌ للجُودِ صَارَت نَشْوَةً … لم يُكدِّر عندَها العُرفُ بِمَنِّ

وقوله: [الطويل]

وَهَل عَلِمَ البَرقُ اليَمَانِيّ أنَّنا … طَرقْنَا به طَرفاً من الليل أكْحَلاَ
ومَا بالُه خُصَّ الغَضَا بابتِسَامَةٍ … وسلَّ على رَملِ الشَّقِيقَةِ منصَلاَ
وَهَيفَاءَ طَوعُ الرِّيحِ قد خَلَع الدُّجى … عليهَا هلالاً بالنُّجومِ مكلَّلاَ
لَهَا مِن خِلاَلِ المشرِفيِّ صِقَالُهُ … ومن شِيَمِ الخطِّي أن يَتَمَيَّلا[2]

وقوله: [الطويل]

وليسَ بُكاءُ العَينِ إلاّ جِنَايةً … ولا اللّومُ إلاّ أنَّها بَقِيَت مَعِي
وكل أسىً لا تذهَبُ النَّفسُ عِندَه … فَمَا هو إلاّ مِن قَبِيلِ التَّصَنُّعِ
ووالله ما وَفَّيْتُ وِدَّكَ حقَّهُ … وهل هي إلاّ لوعَتي وتَفَجُّعِي
وأينَ وفَائي لامَدَى الدَّمعِ بالغٌ … رِضَاي ولا جُهدُ الصَّبَابَةِ مُقنِعِي

(١) وردت في الديوان: غريقة، بدلاً من (قريحة). الديوان، ١٤٨.

(٢) ديوان ابن سنان الخفاجي، ١٧٤.

وقوله: [الكامل]

أنفقْتُ بعدَ أبي العَلاءِ مَدامعاً ... حُبِسَت ذَخيرتُها على الآماقِ
وبكَيتُه وجُفونُها موجُودةٌ ... مِثلَ الحَمامِ تنوح بالأطواقِ
وظننتُ في فَيضِ الدُّموعِ منَ الجوَى ... فرَجاً فصَار بمائها إغراقي[1]

قوله: [الكامل]

ومَدامعٍ سبقت خَيالَ نديمِه ... مَا كُنتُ إلا قطرةً من ظلِّهُا
وإذا القُلُوب تَرادفَتْ أحزانُها ... فالدَّمعُ يَحمِل شُعبَةً من ثقْلِهَا

وقوله: [الطويل]

لَحَا اللّهُ مَغلُوباً على نَصلِ سَيفِه ... مُقيماً عَلَى نَهيِ الزَّمانِ وأمْرِه
أناخَ بِدَارِ الهُونِ حتَّى كَأنّما ... يرى الرِّزقَ مَقصُوراً على مستقَرِّه

وقوله: [الطويل]

وقلَّ زمانُ العَاجِزينَ فإنّني ... لأكْرِمُ نفَسي أن أقُولَ زَمانِي
إذا بَاعَدَت منّا المناسبُ قرَّبتْ ... مَودّةَ لا نَاسٍ ولا مُتَوانِ
وإنَّ سِنَانَ الرُّمحِ يُنجِدُ ربَّه[2] ... على بُعدِه لا زُجّةُ المُتَداني

وقوله: [الرَّجز]

فربَّ لَيلٍ فِي هِضَابٍ عَاقِلٍ ... رَقَّ نَسيماً حِينَ طَابَ مَلْبَسَا
يظُنني الغَيرانُ قَد شَهِدتُه ... وإنَّما وَصَفتُه تَفَرُّسَا

وقوله: [الطويل]

أَلومُ عَلَيك الوَجدَ وَهُوَ مُبرّحٌ ... وأعتبُ فِيكَ الدَّمعَ وَهْوَ نَجيعُ
وأَعلَمُ أنّي مَا مَنحتُكَ طَائلاً ... وَهَل هِيَ إلاّ زَفْرةٌ ودُمُوعُ

---

(١) وردت في الديوان (إحراقي) بدلاً من (إغراقي). الديوان، ١٥٨.
(٢) وردت في الديوان (كعبه) بدلاً من (ربَّه). الديوان، ٢٢٠.

وقوله: [الكامل]

وَصَبابَةٍ علقَت بقَلبِ مُتيّمٍ ... وَصَلَ الغَرامُ إليه قَبلَ حِجابِه
وإذا الغَريبُ صَبا إلى أوطانه ... شَوقاً فمعناه إلى أحبابِه

وقوله: [الطويل]

وَظَبيٍ مِنَ الأَعرابِ(١) رنّحَهُ الصِّبا ... فَمالَ وفي أعطافِه تُقبسُ الخمرُ
إذا أخذ المرآةَ ينظُر وجهَهُ ... ظننتَهُما شَمسين بينَهُما بَدرُ

وقوله: [البسيط]

مَن كانَ يَحمدُ لَيلاً في تَقاصُرِه ... فإنَّ لَيلي ما يُرجَى له سَحَرُ
لا تَسألُونّي إلاّ عن أوائلِه ... فآخِرُ الليل ما عِندي له خَبَرُ

وقوله: [الطويل]

فَيا قَلبُ قَد حذَّرتكَ النظرةَ الّتي ... خَلَستُ فما راقبت نهياً ولا زجرا
وَيا قَلبُ قد أرداك مِن قَبلُ مرَّة ... فَويحَكَ لِمْ طاوعتَه مرّة أخرى

وقوله: [الكامل]

وَمُهوّن للوجد يَحسَبُ أنّها ... يومَ العُذَيبِ مَدامعٌ وخُدُودُ
سَل بانَة الوادي فليس يَفُوتُها ... خَبَرٌ يَطولُ به الجَوَى ويَزيدُ
وَانشُدْ مَعِي ضوءَ الصَّباحِ وقُل لَه ... كَم تَستَطيلُ بكَ الليالي السُّودُ

وقوله: [الرَّمل]

يَا عُيُوناً بالغَضَى راقدةً ... حرَّمَ اللَّه عليكُنَّ الكَرَى
لو عَدلتُنَّ تساهمْنا جَوَى ... مِثلَما كنّا اشْترطْنا نَظَرَا
سَلْ فُروعَ البانِ عَن قلبي فقد ... وَهَمَ البَارِقُ فيما ذَكَرا(٢)

---

(١) وردت في الديوان: من الأتراك. الديوان، ٨٣.

(٢) الديوان، ٩٣.

وقوله: [الكامل]

واستخبَروا ليلاً رَعَيتُ شبابَه ... ليلاً ولم ينصل دُجاهُ شَبابي
سَهرتْ كَواكبُه معي وبَعد تُمُّ ... أنتم كَواكِبُه وهُنَّ صِحابي[1]

وقوله: [الكامل]

بيني وبين الذُلّ عِزُّ قَناعَةٍ ... نَبذ الحمام إباؤُها وتبرَّضا
وَسِنانُ مطَّرِد الكُعُوب مثقفٌ ... كالصل صرَّح بالوعيد ونَضْنَضا
إن ضاق مسرح ناقتي بفِنائكُم ... فزمامُها بيَدي وماضاقَ الفضا[2]

وقوله: [المديد]

مَاعَلَى العُذّال لو نَظرُوا ... ثم لاَمُوا فيكَ واعتذَروُا
قَمَرٌ ضَلَّ الأنامُ بِه ... مَا بهذا يُعرَفُ القَمَرُ[3]

وقوله: [الكامل]

وَمنَ العجائبِ أنَّ بيض سُيوفه ... تبكي دَمَاً وكأنَّها تَتَبسَّمُ
فالآن سلّمت القُلوبُ إليكُمُ ... وتَيَقنَتْ أنَّ الخِلافَة فيكُمُ[4]

وقوله: [الطويل]

وَمَا أنَا بالُمشتاقِ إن قلتُ بيننا ... طِوالُ العَوالي أو طِوالُ السَباسِبِ
فَمَا لقُلوبِ العَاشقينَ مَزيّةٌ ... إذا نَظَرت أفكارُها في العَواقِبِ

منها:

إذا كَانَ عَقلُ المرء أدنى خِلالِه ... فَما هي إلا ثَغرةٌ للمَصائبِ
وَكَم حَبَس القُمريَّ حُسنَ غِنائه ... وقيّدتَ البازيّ حُجْنَ المخالبِ

---

(١) الديوان، ٤٧.

(٢) الديوان، ١٢٧، ولم يرد البيت الثالث فيه.

(٣) الديوان، ٨٤.

(٤) الديوان، ١٩٢.

منها:

تظنُّ العِدَا أنّي مَدَحتُك للغنَى وما الشِّعرُ عِندي مِن كَريم المَكاسِب
ومَا شِئتُ إلاّ أن تَتمَّ صِفَاتُه وللدرّ مَعْنَى في نُحور الكَواعِبِ(١)

وقوله: [الرمل]

مَا عَلَى أحسَنكُم لَو أَحسَنَا إنّما يُطلَبُ شَيئاً هيِّناً
قَد شَجَانا اليَأسُ مِن بَعْدكُمُ فادركُونَا بأحاديث المُنَى
وَعَدُوا بالوَصلِ من طيفكُم مُقْلةً تعرفُ فِيكُم وَسَنَا
لاَ وَسِحرٌ بينَ أجفَانكمُ فَتَنَ الحُبُّ به مَنْ فَتَنَا
وَحديثٌ من مَواعِيدكمُ تحسُدُ العينُ عَلَيه الأُذُنَا
مَا رحلْتُ العِيسَ عَن أرضِكُم فرأت عَينيَ شَيئاً حَسَنَا
يابَنِي عذرة إن خِفْنَاكُمُ قَدمَ الهِرماسُ(٢) منكُم عَدنَا
أخَذَت سُمْرُكُمُ الثَّأرَ به لَستُ أعني لكم السُّمر القَنَا
وسللتُم فيه ألحَاظَكُم فعَرَفْنَا بالسُّيوف اليَمَنَا
هل لنا نحوَكُم من عَودَةٍ ومن التَّعليلِ قولي هَلْ لَنَا
كم أسلّي النَّفسَ عن حُبِّكُمُ وهي لا تزدَادُ إلاّ حَزَنَا
ولَعَمْري لو وَجَدنَا راحَةً من هَواكُم لطلَبْنَا شَجَنَا
يَا نَديميَّ غَفَا ذكرُكُم وحَديثُ الشَّوق قَد أسكَرَنَا
بين بصرى وضمير غَرَبَ يأمن الخَائفُ فِيهم مَا جَنَى
كلّما شُنَّت عَلَيهم غَارَةٌ أغمَدُوا البيضَ وسلُّوا الأعيُنَا
طَلَعَتْ للحُسنِ فيهم مُزنَةٌ أَنْبَتَت في كل حِقْفٍ(٣) غُصُنَا
مَا لقَلبي ليس يَشفَى دَاؤُهُ كلَّما زَالَ ضَناً عَادَ ضَنَا
لو سَلِمنَا من تَبَاريحِ الجَوَى لَذكَرْنَا جُملَةً من أمرِنَا

---

(١) الديوان،٤٣ .

(٢) الهرماس: ولد الأسد، وقيل: ولد النمر، اللسان (هرمس) ١٥ / ٧٤ .

(٣) حقف: الحقف: المعوجّ من الرمل. اللسان (حقف) ٣ / ٢٥٥ .

وَشَكَرنَا لابنِ نَصرٍ مِنَّةً أنطَقَتْ بالمدح فيهِ الألسُنَا[1]

قوله: [البسيط]

إذا هَجَرتُكُم لَم أخشَ سَطوتكَمْ وإن مَدحتُ فما حَظِّي سِوَى التَّعَبِ
فحين لم ألفِ لا خوفاً ولا طمعاً رَغِبْتُ في الهَجْوِ إشفاقاً من الكَذِبِ

قوله: [الكامل]

هل تَسمَعُون شكَايَةً من عَاتبٍ أو تَقبَلونَ إنابةً من تَائبِ
أمْ كُلَّما يَتلُو الصديقُ عَليكُم فِي جَانبٍ وقلوبُكُم في جَانبِ
أمَّا الوُشَاةُ فَقَد أصابوا عندكُم شَرَفَاً يُنفِّقُ كلَّ قَولٍ كَاذبِ
فَمَلَلْتُمُ من صَابرٍ ورَقَدتُمُ عَن سَاهرٍ وزَهِدتُم في رَاغبِ
وأَقلُّ مَا حَكَم المَلالُ عَليكُم سُوءُ القِلَى وَسَمَاعُ قَولِ العَائبِ[2]

وقوله: [الطويل]

وَعلَّمتُمُوني كيف أَصبِرُ عَنكُمُ وأطلُبُ من رِقِّ الغَرَامِ بكم عِتْقَا
فَمَا قُلتُ يوماً للبُكَاءِ عَليكُم رُوَيداً ولا للشَّوقِ نَحوَكُمُ رِفقَا
وَمَا الحبّ إلا أن أعدَّ قَبِيحَكُم إليَّ جَميلاً والقِلَى منكُمُ عِشقَا[3]

وكان أبو محمد الخفاجي قد عصا بقلعة عزاز من أعمال حلب، وكان بينه وبين أبي نصر، محمد بن الحسن ابن النحّاس الوزير لمحمود وغيره مودّة أكيده. فأمر محمود أبا نصر أن يكتب إلى الخفاجي كتاباً يستعطفه ويؤمنه. وقال: إنه لا يأمن إلاّ إليك، ولا يثق إلاّ بك. فكتب إليه كتاباً، فلما فرغ منه، وكتب: إن شاء الله، وشدَّدَ النون من إن شاء الله. فلما قرأه الخفاجي خرج من عزاز قاصداً إلى حلب. فلما كان على ظهر الطريق أعاد النظر في الكتاب، فلمّا رأى التشديد على النون أمسك رأس رأسه وأفكر، وقال في نفسه: لم يكتب ابن النحاس هذا عبثاً، فلاح له ﴿إنّ الملأَ يأتَمِرُونَ بِكَ لِيقتُلُوكَ[4]﴾، فرجع إلى عزاز ولم

(١) الديوان، ٢١٠.
(٢) الديوان، ٤٢.
(٣) الديوان، ١٥٧.
(٤) القصص ٢٨/ ٢٠.

يدخل حلب. وكتب إليه الجواب: إنَّا الخادم المعترف بالإنعام، وكسر الألف من، أنا، وشدَّد النون وفتحها.

فلمّا وقف الشيخ أبو نصر على الكتاب سُرَّ بما فيه، وقصد بذلك: ﴿إنّا لَنْ نَدخُلَهَا أبَداً مَادامُوا فيهَا[1]﴾: فكتب إليه يحذّره ويستصوب رأيه في ترك الحضور، ويستعلم أخباره فكتب إليه ابن سنان، وهو آخر شعر قاله: [البسيط]

خَف مَن أمِنْتَ ولا تَرْكَنْ إلى أحَدٍ ... فَمَا تَزيدُ عَلَى غَدرِ الأعَارِيبِ

تمسَّكوا بِوَصَايَا اللُّؤمِ بَينَهُمُ ... وكَادَ أنْ يَدرُسُوهَا في المَحَارِيبِ

أعُدُّ قُربَ رَحِيلِي مِنهُمُ فَرَجَاً ... وما مُقَامِي وَعَيشُ الدَّهرِ يَسرِي بِي[2]

قال: فلما رأى محمود امتناع ابن سنان من حضور مجلسه، والركون إليه أخذ يفكر في حيلة يبلغه بها، فاستدعى أبا نصر ابن النحاس، وقال له: أنت أشرت عليَّ بتولية هذا الرجل، ولا أعرف فراغ بالي منه إلا من جهتك، ومتى لم تفعَل ما آمرك به قتلتك، وألحقت بك جميع مَن بينك وبينه حرمة. واعلم أن العلامة في نصحك وترك الغش منك لي موته. ومتى لم يقع هذا ألاّ أقبل لك عذرا. وضربت عنقك. فقال له: مرني بأمرك. قال: تمضي إليه، وفي صحبتك ثلاثون فارساً، فإذا قاربته أنفذت من يعرفه حولك؛ فإنه إذا عرف ذلك لا يرى ترك النزول إليك والتلقي لك، فإذا فعل ذلك وسألك النزول عنده والأكل معه فامتنع، وعرّفْه أني حلَّفتك ألاّ تأكل زاده، ولا تحضر مجلسه حتى يعطيك في الحضور عندي. وطَاوِلْهُ في المخاطبة حتى يقارب الظهر، ثم ادَّعِ أنك قد جعت واخرج هذين الخشتنانكتين، فكل أنت هذه وأطعمه هذه، فإن استوفى أكلها عجِّل الرجوع إليَّ؛ فإن ميتته فيها.

فسار ابن النحاس مقدِّماً رِجلا ومؤخراً أخرى، مقسّم الفكر في إتلاف مثل ذلك الأخ. قال: وعزمت على الهرب، ثم فكّرت فيمن خلّفت من العائلة، فألجأته الضرورة إلى أن فعل

---

(١) المائدة ٥/ ٢٤.

(٢) الديوان، ٥٠، اختلاف في الأبيات.

جميع ما أمر به محمود. وكان بين ابن سنان وبين ابن النحاس من المودّة والصفاء ما لم ينكر معه شيئا ممّا جرى.

قال: وجعل والله يأكلها فلما استوفى أكل كشتنانكته صرفت رأس فرسي إلى حلب، مجدّاً في السير، خوفاً من الطلب، ورجع ابن سنان إلى مركزه من القلعة فلما استقرَّ بها وجد مغصاً شديداً، ورعدة مزعجة، ثم قال: قتلني والله أخي أبو نصر بما أطعمني من زاده. وأمر بالركوب خلفَه وردِّه، فركبوا خلفه ففاتهم، ووصل ابن النحاس عشاء إلى حلب، وعرّف محمود بما جرى. فلمّا أصبح، كان من الغدو قد وصل من عزاز مَن أخبر أن ابن سنان في الشاقّ. واستدعى ابن سنان حضور الشريف أبي المعالي النقيب.

وحكى أبو الحسن علي بن معن، قال: كنت ممّن خرج من حلب إلى عزاز يومئذٍ فوجدنا الشيخ أبا محمد ابن سنان ليس له يد تتحرَك، فجعل يتصفّح وجوهنا، ولا يستطيع كلامنا، ثم مات رحمه الله سنة ست وستين واربعمئة.

ومنهم:

٥- عبد القاهر بن عبدالرحمن الجرجاني(*)

الإسماعيلي النحوي، أبو بكر. الإمام في علم العربية، مجلي حنادس[١]، ومصدّق ظن حادس. جعل فسحاء الكتب مراحه، وخالف زمانه على عدم الراحة، فكان يحمل نفسه فوق الطاقة، ولا يصالح شمسه بالعاقة[٢] فلم يأته ليل إلا وجدَّ زناده في شوقه، وجدّ عادة

(*) ترجمته في: إشارة التعيين ١٨٨، وشذرات الذهب ٥/٣٠٨، وإنباه الرواة ٢/١٨٨، وطبقات الشافعية ١/٢٥٢، ونزهة الألبّاء ٢٦٤، والأعلام ٤/١٧٤، توفي سنة ٤٧١هـ.

(١) حنادس: الحندس: الليل المظلم. القاموس المحيط، ٦٩٥.

(٢) العَاقة: الانصراف والاحتباس. اللسان (عوق) ٩/٤٧٧.

منه حتى فكَّك أزرار نجومه من طوقه، ثم لم يزل حتى يخلط أول ليله بنهاره، ويجمع في طرفيه بين سقيفه ونهاره. فلا يخفف عنه شفقا، ولا يعرف أصيلاً ولا شفقا؛ ولهذا ساد وساد ذكره بين تأويب وآسَاد. وهو من أئمة البيان، وأهله أهلَّة الأعيان، أظهر اللطائف وبيَّنها ومثّلَها للعيان، وعيَّنها، فأخرج خباياها، وأبدى خفاياها، وأتى فيها من شهد النحل ما ضمّت خلاياها، فأخذ اللبَّ وترك القشور، وأبقى من صحفه مَالاً يُطوى إلى يوم النشور. وأخذ النحو عن أبي الحسن، عبد الوارث ابن أخت أبي عليّ الفارسي. ولم يلق شيخاً مشهوراً غيره، لأنه لم يخرج عن جرجان. وكان ينتحل مذهب الشافعي، وأصول الأشعري. وبرز على من تقدّمه، وأعجز مَن تأخّر عنه، وتوفي سنة إحدى وقيل سنة أربع وسبعين وأربعمئة. ومن شعره ما قاله ارتجالاً، ممّا يكتب على القلم: [الكامل]

مهمَا حصلتُ بكفِّ خَيْرِ النَّاسِ ... سَعْدٍ جلوتُ المجدَ في القِرطَاسِ
وَلَقِيتُ آمالَ العُفَاةِ بنُجحِهَا ... وقلَعْتُ بالنُّعمَى عُروقَ اليَاسِ
وغَدَوتُ والسَّيفُ المهنَّدُ خَادِمي ... وتَرى الأسنَةَ لا تَقُوم لِنَاسِي

وقوله في معنى: [الوافر]

أَتيهُ عَلَى الحُسَامِ إذا جَرَتْ بِي ... يَدُ الشَّيخِ الإمَامِ أبي المَحاسِنْ
أُقصّي الجُودَ عنه في البَرَايا ... وأطلعُ بالمنَاجِحِ والمَيَامِنْ

ومنه قوله: [مخلع البسيط]

أعرِضْ عَنِ العَقلِ لا تَرِدْهُ ... ومِلْ إلى الجَهْلِ مَيلَ هَايِمْ
وَعِشْ حِمَاراً تَعِشْ بِخَيرٍ ... فالسَّعدُ في طَالِع البَهَايِمْ

ومنه قوله: [السَّريع]

لاَ تَأمَنِ الغَيبَةَ من شَاعِرٍ ... مَا دَام حَيّاً لافظاً نَاطِقَا
فإنَّ مَن يمدَحْكُم كَاذِباً ... يُحسِنُ أن يَهجُوكُمْ صَادِقَا

وقوله أيضاً: [الكامل]

لا يُوحِشَنّكَ أنَّهم ما ارتاحُوا ممّا جَلاه عليهِمُ المُدّاحُ
فَهُمُ كَقَومٍ عُلِّقَت ثاراتُهم بِيضُ المَرامي والوُجُوهُ قِباحُ

ومنهم:

٦- أبو الحسن الزمخشري (*)

محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي. إمام أيُّ بحر بين جنبيه، وأيّ طودخبا في ثوبيه. أيّ بدر طلع من عرفه، وأيّ برق تهلَّلَ في شرفه. شهم أي شهم، وخاطر لا يمّر به وهم؛ إلاّ أنه كان من رؤوس الاعتدال، وصدور أهل الاعتلال، كلمة أجمع عليها أهل السنّة وأطلقت عليه بالتحقيق لا بالظنَّة، بان بها انكشافه، وحقّق أمرها كشّافه، وجاور البيت الحرام بمكة باقي مدَّته، وثوى بها ثواءً لا هبوب من رقدته. وكان بها ربيعاً لأهل ذلك الوادي، وضياء لأهلّة ذلك النادي. تسري الركائب إليه، وترى الوفود تمام الحج أن تقف المطايا عليه. وكان يسمَّى جار الله وهكذا كان يكتبُ في الفتاوى. ويقال: إنه كان يرى جواز إباحة المنفعة، ولا يصرّح منه إلاّ بطرف إيماء. وقيل: إنه ربّما فعله مع بعض أعزاء أضيافه وأخصّاء نزلائه من أهل ائتلافه.

كان واسع العلم كثير الفضل، غاية في الذكاء وجودة القريحة، متقناً لكل علم، معتزلياً قوياً في مذهبه، مجاهراً به، حنفيَّ الفروع. ورد إلى بغداد غير مرّة، وجاور بمكة، وتلقَّب بجار الله تشبيهاً بأبي المعالي الجويني[١]؛ إذ يلقب بإمام الحرمين لمجاورته بهما. وكان يلقب

(*) ترجمته في: إشارة التعيين ٣٤٥، وإنباه الرواة ٣/ ٢٦٥، وبغية الوعاة ٢/ ٢٧٩، والبلغة ٢٥٦، ونزهة الألباء ٢٩٠، ووفيات الأعيان ٥/ ١٦٨، وشذرات الذهب ٤/ ١١٨. توفي سنة ٥٣٨هـ.

(١) هو عبدالملك بن عبدالله، أبو المعالي الجويني النيسابوري الشافعي، إمام الحرمين، فقيه، أصولي متكلم، مفسر. جاور مكة، ومات بالمحنة سنة ٤٧٨هـ. معجم المؤلفين ٦/ ١٨٤.

أيضاً بفخر خوارزم.

دخل عليه بعض الفضلاء، فقال له: بم عاجلك الشيب؟ قال: بمتابعة الأسفار ومطالعة الأسفار فقال الزمخشري: إنّ رواءه يدلّ على ما وراءه.

وأصاب الزمخشري في رجله خراج فقطعها، ووضع عوضها رجلاً من خشب. وكان إذا مشى ألقى عليها ثيابه الطوال، فيظنّ من يراه أنه أعرج.

ومن شعره ما قاله في شيخه فريد العصر، أبي مضر محمود بن جرير الأصبهاني (١): [الطويل]

سَلامٌ عَلَيكُم أدمُعي قَلمَّا تَرقَى ... إذا سُمتُ من تَلقَاءِ أَرضِكُم بَرقَا
وَمِن عَجَبٍ أنّي إذا لاَحَ بَارِقٌ ... بأرضِكُم استمطرتُ أجفَاني الوَدْقَا
ومَا خلْتُ هذا البرقَ إلا ابتِسَامةً ... بسَعدي أضاءَت عند إيمَاضِهَا الأفْقَا
أأومَضَ برق أمَ سُعادٌ تبسَّمَتْ ... فما تَعرِفُ العينان بينَهُمَا فَرْقَا
تمَنَّيتُ لو يُغني التمَنّي لقاؤُها ... بوقعِ رمَاحِ الخَطّ من دُونِ أن تَلقَى
خَليلَيَّ هَل أيامُنا بسُويقَةٍ ... رواجعُ أو طَارَت بأيامِنَا العَنْقَا
مَقيلُ شَبَابٍ قَد تقلَّص ظِلُّهُ ... ومَشرَعُ لَهوٍ آضَ سلسالُه رَتْقَا
إذا الرّيحُ من شَرقِيّ لَهوٍ تبسَّمَتْ ... فَيَا بَردَ صَدْري حين انشُقُهَا نَشقَا
ولَهفِي عَلى عَصرٍ تقضَى مَناسِبٍ ... سحابا فريدَ العَصرِ أووجهُه الطَلقَا

وقوله يرثي شيخه المذكور: [الطويل]

وقَائلةٍ مَا هَذه الدُّرَرُ الَّتي ... تُساقِطُها عَيناكُ سِمطَين سِمطَينِ
فقلتُ لَها الدرّ الذي كَان قَد حُشِي ... أبو مُضَرٍ فيَه تَساقَط مِن عَيني

وقوله: [الطويل]

(١) هو محمود بن جرير الضبي الأصبهاني، أبو النصر فريد العصر، أديب، لغوي، نحوي، طبيب، توفي سنة ٥٠٧هـ. معجم المؤلفين ١٢/١٥٦.

أباديةَ الأعراب بُعداً فإنّني بخاطرة الأتراك نِيطَت علائقي
وأهلُكِ يا نُجل العُيون فإنّني بَكَيتُ بهذا الناظر المتضايقِ

وقوله: [الرجز]

تَزهو عَلَيناَ بِقَوسِ حَاجِبِهَا زَهو تَميمٍ بِقَوسِ حَاجِبِهَا

وسمع الزمخشري قول القائل: إن السفيه إذا لم ينه مأمور، فحذا حذوه، فقال: [الكامل]

وإذا سفيهٌ عَضّني في مَجلسٍ وَنَهاكَ من غُررِ الأكارِمِ مَعشَرُ
فَهُمُ الأُلَى عَضّوا إذا ما هُم رَضُوا وهم الألى نَكَرُوا إذا لم يُنكِرُوا

ومنهم:

٧- السكّاكي (*)

فعله غير مشوّه، وفضله أيٌّ مموّه، ذو علوم، يترك آية الليل ممحوّة، وشفة السحر للمناداة حوّة. أضاءت دَارَيه، وطالت متن البجاد أياديه. سعى للعلوم فحصّل طرائفها، وحضن تحت جناحه طوائفها. واهتزّ للمعاني اهتزاز الغصن للبارح، ولزّ مَن تقدّمه في الزمان لزّ الجدع القارح، فأضحى الفضل كلّه يزم بعنانه، ويذم السيف ونصله سنانه(١).

(*) ترجمته في: مفتاح السعادة ١/١٧٩، وكشف الظنون، ١٧٦٢، ومعجم المؤلفين ١٤/٣٨٢. توفي سنة ٦٢٦هـ.

(١) من آثاره: مفتاح العلوم، ومصحف الزهرة. معجم المؤلفين ١٤/٢٨٢.

٨ - ابن أبي الإصبع(*)

وأما المغاربة فلم يقع إلينا من هذه الطائفة منهم أحد، ممّن هو على شرط هذا الكتاب. وأما مصر فلم يقع إلينا من أهلها إلاّ واحد، ولكنه أيٌّ واحد! واحد كالألف إن أقرعنا، وهو الزكي عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن محمد بن جعفر بن الحسن بن محمد العدواني المصري. عرف بابن الإصبع. جدّ حتى انقاد له الحظّ، وسهر حتى رقَّ عليه قلب الليل الفظّ. طالما تمحَّى ليل بإدراكه، وتنحّى سهيل فوقع في أشراكه. مرّ على قطائع الكواكب فساق قلائصها، وسام في طرائد الليل قنائصها. وكان بمصر، وله مثل مقطعاتها، ونضير مصبغات ربيعها ومصبغاتها، قِطَعَ شعرٍ، هي السحر الحلال، والبارد العذب لا ماء النيل الزلال. وعليه تخرج جماعة المتأخرين من الأدباء. وكان الأديب أبو الحسين الجزار(١) يمتُّ بحضوره لديه، وعرض أوائل شعره عليه. وله عمّ، أي الحسين بسببه حكايات ليس هذا موضعها. مولده سنة خمس، وقيل: سنة تسع وثمانين وخمسمئة بمصر. وتوفي في الثالث والعشرين من شوال سنة أربع وعشرين وستمئة. وله تصانيف مفيدة.

وذكر شيخنا أبو الثناء الكاتب في التوشيع، قال: وقال ابن أبي الإصبع: وما بشعر قلته في هذا الباب من بأس، هو: [البسيط]

بِي مِحنَتَانِ مَلامٌ فِي هَوَى بِهِمَا   يُرمَى لي القَاسِيان الحبُّ والحَجَرُ
لَولا الشَقِيقَان من أمنيَّةٍ وأَسَى   أودَى بي المُودِيان الشوقُ والفِكَرُ

قال شيخنا أبو الثناء: ويحسن أن يسمى ما في بيته مطَّرف التوشيع، إذ وقع المثنى في

(*) ترجمته في: شذرات الذهب ٧ /٢٥٨، والنجوم الزاهرة ٧ /٣٧، وتحرير التحبير ٥٣، وقد ورد ذكر وفاته سنة ٦٥٤هـ. توفي سنة ٦٢٤هـ.

(١) أبو الحسين يحيى بن عبدالعظيم الجزار، أديب، شاعر، مؤرخ. توفي سنة ٦٧٩هـ. معجم المؤلفين ١٣ /٢٠٧.

أول كل بيت وآخره. وذكر في التفريع، أن ابن الإصبع ذكره في صدر الباب، وقال: إنه هو الذي استخرجه، وهو أن يبتدئ الشاعر بلفظة، هي إما اسم أوصفة، ثم يكرّرها في البيت مضافة إلى أسماء أو صفات، تتفرع عليهما جملة من المعاني في المدح وغيره، كقول المتنبي: [المتقارب]

أنا ابنُ اللِّقاءِ أنا ابنُ السَّخاءِ ... أنا ابنُ الضِّرابِ أنا ابنُ الطِّعانِ
أنا ابنُ الفَيافي أنا ابنُ القَوافي ... أنا ابنُ السُّروجِ أنا ابن الرِّعانِ[1]
طَويلُ النَّجادِ طَويلُ العِمادِ ... طَويلُ القَناةِ طَويلُ السِّنانِ
حَديدُ اللِّحاظِ حَديدُ الحِفاظِ ... حَديدُ الحُسامِ حَديدُ الجَنانِ[2]، [3]

قال شيخنا: وفيما ذكره نظر؛ لانه باب تعديد الصفات أنسب.

وقال في الإبداع: قال ابن أبي الإصبع: وما رأيت فيما استقريت من الكلام كأنه استخرجت منها واحداً وعشرين ضرباً من المحاسن، وهي قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرضُ ابلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَ غيضَ الماءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَومِ الظَّالِمِينَ[4]﴾، وهي المناسبة الشامنة بين اقلعي وابلعي، والمطابقة بذكر الأرض والسماء، والمجاز في قوله: (يا سماء)؛ فإن المراد، والله أعلم، يامطر السماء، والاستعارة في قوله: (أقلعي) والإشارة في قوله تعالى (غيضَ الماء)؛ فإنه عبرّ بها بين اللفظتين عن معانٍ كثيرة. والتمثيل في قوله سبحانه: (وقُضِيَ الأمرُ)؛ فإنه عبّر عن هلاك الهالكين، ونَجاة الناجين بغير لفظ المعنى الموضوع له، والإيذان في قوله تعال: (واستَوَتْ عَلَى الجُودي)، فإنه عبرّ عن استقرارها بهذا المكان استقراراً متمكناً بلفظ قريب من لفظ المعنى والتعليل؛ لأن غيض الماء علة الاستواء، وصحة التقسيم، اذا استوعب سبحانه اقتسام أحوال الماء حالة نقصه؛ إذ ليس

---

(١) الرعان، مفردها (رعن)، وهو أنف الجبل، يريد الجبال الشاهقة.

(٢) الجنان: القلب.

(٣) العرف الطيّب، ٢٨.

(٤) هود ١١ / ٤٤.

إلا الاحتباس لماء السماء، واحتقان الماء الذي ينبع من الأرض. وغيض الماء الحاصل على ظهرها والاحتراس في قوله: «وقيل بعداً للقوم الظالمين»؛ إذ الدعاء عليهم يشعر بأنهم مستحقو الهلاك؛ احترازاً من ضعيف العقل، يتوهم أن العذاب شمل من يستحق ومن لا يستحق فتأكد بالدعاء كونهم مستحقين. والإيضاح في قوله تعالى؛ ليبيّن أن القوم الذين سبق ذكرهم في الآية المتقدمة، حيث قال: ﴿ وَكُلَّماَ مرَّ عَلَيهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ[1] ﴾ هم الذين وصفهم بالظلم؛ ليعلم أنّ لفظة القوم ليست فضلة، وأنه يحصل بسقوطها ليس في الكلام والمساواة؛ لان لفظ الآية لا يزيد على معناها، وحسن النسق؛ لانه سبحانه وتعالى عطف القضايا بعضها على بعض بحسن وائتلاف اللفظ مع المعنى؛ لأن كل لفظة لا يصلح موضعها غيرها والإيجاز، لانه سبحانه وتعالى اقتصّ القصة بلفظها مستوعبة بحيث لم يحل منها في أقصر عبارة. والتسهيم؛ لأن أول الآية إلى قوله: أقلعي، يقتضي آخرها. والتهذيب؛ لأن مفردات الألفاظ موصوفة بصفات الحسن، عليها رونق الفصاحة سليمة من التعقيد والتقديم والتأخير والتمكين؛ لأن ألفاظه مستقرة في قرارها، مطمئنة في مكامنها، والانسجام وهو يجدر الكلام بسهولة كما ينسجم الماء. وباقي مجموع الآية من الإبداع، وهو أن يأتي في البيت الواحد من الشعراء، والقرينة الواحدة من النثر عدّة ضروب من البديع بحسب عدد كلماته أو جمله[2].

قال: فهذه سبع عشرة لفظة تضمنت واحداً وعشرين ضرباً من البديع غير ما تكرر من أنواعه فيها.

وأنشد له ابن سعيد قوله في المريض: [المتقارب]

وَلَمَّا رأيتُكَ عند المديـ (م) ـحِ جَهْمَ المُحَيّا لَنَا تَنظُرُ
تيقَّنتُ بُخلَكَ لي بالنداء لأنَّ الجَهَامَةَ لا تُمطِرُ

---

(١) هود ١١/٣٨.

(٢) ينظر: تحرير التحبير، ٤٢٥، و٦١١.

ومن بقية ماله قوله : [الطويل]

وساقٍ إذا ما ضاحك الكأسَ قابلت … فواقعُها من ثغره اللؤلؤَ الرَّطبا
خشيتُ وقد أمسى نديمي على الدُّجى … فأسدلْتُ دونَ الصُّبح من شعره حُجبا
وقسَّمتُ شمسَ الطاسِ في الكأسِ أنجُماً … ويا طُولَ ليلٍ قُسِّمتْ شمسُه شُهبا

وقوله : [الطويل]

تَبسَّمَ لما أن بَكيتُ من الهجرِ … فقلتُ ترى دمعي فقال ترى ثغري
فديتُكَ لما أن بَكيتُ تنظَّمتَ … بفيكَ لآلي الدَّمعِ عقداً من الدُّرِّ
فلا تدَّعي يا شاعرَ الثَّغرِ صنعةً … فكاتبُ دمعي قال ذا النظمُ من نثري

وقوله : [الطويل]

أيا عبلةَ الألحاظ قلبُك عنترُ … ومالي على غاراته في الحشا صبرُ
نعم أنتِ يا خنساءُ حسناءُ عصرنا … وشاهدُ قولي أنَّ قلبكِ لي صخرُ

ومنها :

أغايةَ قصدي بطنُ يمناك غايةٌ … بها أبداً للمُجتدي يُنبت التِّبرُ
أغضْتَ الحيَا والبحر جُوداً فقد بكى الـ … حَيا من حياءٍ منكَ والتطم البحرُ
عُيونُ معانيها صحاحٌ وأعيُن الـ … ملاحِ مراضٌ في لواحظها كسرُ
أضاعت عُقولاً حين ضاعت فما درى … أبابلُ أهداها إليكَ أم السِّحرُ

وقوله : [الطويل]

إذا الوهمُ أبدى لي لُماها وثغرها … تذكَّرتُ ما بين العُذيب وبارقِ
ويذكرني من أدمُعي وقوامها … بجرِّ عواليِنا ومجرى السَّوابقِ

وقوله : [البسيط]

وقيِّم كلَّمتْ جِسمي أناملُه … بغيرِ ألسنةٍ تكليمَ خُرسانِ
إنْ رامَ مسكَ يميني كاد يخلعُها … أو سرَّح الرأسَ بعد الغُسل أبكاني

فليس يُمسِك بالمعروف منهُ يَداً ولا يُسرِّح تسريحاً بإحسانِ

وقوله: [الطويل]

تَصدّقْ بوَصلٍ إنَّ دَمعي سَائلُ وزوّدْ فؤادي نظرةً فهوَ راحلُ
فجدٌّ لَموجُودٍ به البرّ والغنَى وحَسْبك معدوٌم لديه المَماثلُ
أيا قمراً من شَمسٍ وجنَتِه لَنا تُطلُّ عَذاريه الضّحى والأصائلُ
تَقلَّبَ من طَرفٍ لِقلبٍ مَعَ النَّوَى وهَاتيك للبَدرِ التَّمامِ مَنازلُ
إذا ذُكِرت عَيناك للصبّ دَرسُها منَ السّحرِ قَامَت بالدّلالِ الدّلائلُ
جَعلتُكَ بالتّمييزِ نَصباً لناظري فلا رُفِعَت للهَجرِ والهجرُ فاعلُ
ولمّا أَضفْتَ السّحرَ للجَفنِ بيّنت به الكسرَ من غنجِ الجفونِ العَواملُ
أعاذلِيْ قَدْ أبصرتُ حبي وحُسنَه فإن لمتني فيهِ فَمَا أنتَ عَاقلُ
مُحَيّاه قنديلٌ لِدَيجُورِ شَعرِه تعلّقَه بالصَّدغِ منها السَّلاسلُ
غَدا القدُّ غُصناً منه يعطفُه الصَّبَا فلا غرو إن هَاجَت عليه البَلابلُ

ومنها:

لَه من ودادي ملءُ كَفَّيه صَافياً ولِي منهُ ما ضُمّت عَليه الأُنامِلُ
وَمن قَدّهِ الزَّاهي ونَبتِ عِذارِه صُدُورُ رِمَاحٍ شرّعتهُ سَلاسِلُ

وقوله: [المتقارب]

تَبَسَّمَ لَما رأى رَاحَنا لأقداحِنا أبداً تَلثُمُ
فَقَال المدامةُ بِنتُ الزُّجَاجِ فقلتُ التبسُّم ابنُ الفَمِ

وقوله يمدح الملك الأشرف ويذكر اجتماعه بالشمس خضر بالرقّة على شاطئ الفرات: [الطويل]

قِرانٌ أرانا بُرجَهُ الشمس والبَدْرا فأضحى لَنا بَل للأَنَام به البُشرَى
بذا العالَم السفلي بَاتَ فَقَد غَدَا عَلى العَالمِ العُلويّ يُبدي به الفَخرَا

غَدَا مَجمعُ البحرين شرطَ قرانِنا ألم يَرَ موسى فيه قد صادف الخضْرا
به اجتمعا لكنَّ ذا لَمَ يقُل لِذَا غَداةَ اللّقا لن تستطيعَ مَعي صَبرا

وأولها:

أرى الجدّ يُبدي تارةً جنّة خَضرا أَسَطْري به أم خَطٌّ من صدغه سَطَرا
عَجِبتُ له خداً تورّد خَجلةً تُريك بآس الصّدغ فيه الدُّجى ظُهرا
رَفَعتُ له عَن دَمع عَيني طِلابَةً أرومُ بها عطفاً فوَقّع لي يُجرى

وقوله في الزوبعة: [الطويل]

عَلا رَهَجُ الإعصار عند التفاته فأعجلَ عَيني أن تُغمّض جَفنَيها
كَراقصةٍ قد أسرعَت دورانها اذا انقلبت لفَّت على الخِصرِ كُميّها

وقوله فيها: [الخفيف]

قَام في قائم الظَّهيرة نقعٌ مُستطيلٌ أثارَه إعصارُ
مثلُ ظلِّ الاشباحِ في الارضِ خطّاً مُستطيلاً إذا تولّى النّهارُ

وقوله فيها: [السَّريع]

أَقُولُ للنَّاسِ وَقَد أَنذرَ الـ إعصارُ من شاهَدَهُ في الهَوا
تعَوّذوا في الأرضِ من فِتنَةٍ غُبارُها يَصعَدُ نحو السَما

وقوله: [البسيط]

شَكَى البُخارُ ببَطنِ الأرض مَحبسَهُ عَساه يُطلقُ فاهتزَّت لشَكواهُ
وَكَانتِ الأرضُ كالحُبلى إذا صَلُح الـ حَنينُ في جَوفِها يهتزُّ أعلاهُ

وقوله: [الرَّمل]

قلتُ إذْ زُلزلَتِ الأرضُ وَمَا فَوقَها للعَهد إلاَّ ناقصُ
حُمَّتِ الدّنيا من الغَيظِ علَى ساكنيها فاعتَراها نَافِضُ

وقوله: [البسيط]

قامَت إلىَ شَمعةٍ في اللَّيلِ تُصلحُهَا بلاَ مقَطٍ فطارَت مُهجَتي فرَقَا
فأدركَتْني وقالَتْ لا تخفْ لَهَباً علَى بَنَانٍ من الياقُوتِ قد خُلقَا

وقوله: [الطويل]

أظنُّ خَيالَ العَامريَّة قد ضُنَّا وَحَاشَاه لَكن لَيس لي مُقلةٌ وسْنَا
وكيف يَزورُ الطَّيفُ صَبّاً يراقبُ الـ نجومَ إذا ما ليلةٌ موهناً جُنّا
سَميرِيَ ما للطَّيف ذَنبٌ لأنَّه رأى خدنه وهو الكرى قد جفَا الجَفْنَا
وكَم ليلةٍ فاوضتُه أن يُلمَّ بي إذا ما هَدَى ليلٌ فعنَّ ومَا عُنَّى
فأهدَى لنا في الحَضر باديةَ الفَلاَ بها السِّربُ من ولد الضَّراغم قد رُعنَا
قَصدنَا غَزالاً أعلَقتْهُ حبائلُ الـ منَامِ ولولا أختُه ما نَجَامنَّا

ومنها:

بَكَيتُ فنَادَاني أتبكي وَبَينَنا بحُكم التَّدَاني قَابَ قَوسَينِ أو أدنَى
فقُلْتُ كَذَاكنّا بمنعَرجِ اللِّوَى ولكنَّنا من بَعد ذاك تَفَرّقنَا
رأيتُ بفيه إذ تَبسَّم أدمُعاً فقُلتُ وَفَى لي إذ بَكَى فَمُه حُزنَا
أجادَ له في النَّظمِ شاعِرُ ثَغره ولكنَّه من مقلتي سَرَق المَعنَى

آخر الجزء الرابع، ويتلوه في الخامس إن شاء الله تعالى، فأما طوائف الفقراء، خلاصة ذوي القلوب، وخاصة المحبوب.

فهرس التراجم

فهرس
مصادر ومراجع التحقيق

– فوق المصادر: القرآن الكريم

....

– إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، عبدالباقي اليماني (–٧٤٣هـ)، تحقيق الدكتور عبدالمجيد دياب، مطبعة شركة الطباعة العربية السعودية، ط ١، الرياض، ١٩٨٦م.

– الأعلام، خير الدين الزركلي، ط ١، مطبعة دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤م.

– أعلام في النحو العربي، الدكتور مهدي المخزومي (–١٩٩٣م)، مطبعة دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م.

– إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين القفطي (–٦٢٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٥٠م.

– بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي (–٩١١هـ)، تحقيق محمد المصري، مطبعة جامعة دمشق، سوريا، ١٩٧٢م.

– البيان والتبين للجاحظ (–٢٥٥هـ)، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ط ٢، مطبعة، مكتبة الخانجي بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد، ١٩٦١م.

– تاريخ إربل لابن المستوفي (–٦٣٧هـ)، تحقيق الدكتور سامي خمّاس الصقّار مطبعة دار الرشيد، بغداد، (د. ت).

– تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (–٤٦٢هـ)، مطبعة دار الفكر، بيروت، (د. ت).

– تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، للقاضي محمد بن مسعر التنوخي (–٤٤٢هـ)، تحقيق الدكتور عبدالفتاح الحلو، مطبعة إدارة الثقافة والنشر، جامعة محمد بن سعود الإسلامي، المملكة العربية السعودية، ١٩٨١م.

– خريدة القصر وجريدة العصر، لعماد الدين الأصبهاني (–٥٩٧هـ)، تحقيق محمد بهجت الأثري، مطبعة دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٦م.
– الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لابن حجر العسقلاني (–٨٥٢هـ)، مطبعة دار الجيل، بيروت (د. ت).
– ديوان ابن سنان الخفاجي، تحقيق الدكتور عبدالرزاق حسين، ط ١، مطبعة المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.
– ديوان امرىء القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٤، مطبعة دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
– ديوان دعبل بن علي الخزاعي، شرحه، حسن محمد، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤م.
– ديوان شعر ابن المعتزّ، أبو بكر الصولي، تحقيق، يونس أحمد السامرائي، ط ١، مطبعة عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٧.
– ديوان عنترةَ ومعلقته، تحقيق، خليل شرف الدين، دار مطبعة الهلال، بيروت، ١٩٩٧م.
– ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق، عبدالستار أحمد فرّاج، مطبعة دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٧٩م.
– ديوان الهذليين، نسخة مصوَّرة عن دار الكتب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م.
– سرُّ الفصاحة، ابن سنان الخفاجي (–٤٦٦هـ)، ط ١، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.
– شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب، ابن العماد (–١٠٨٩هـ)، تحقيق، عبدالقادر الأرناؤوط، ط ١، مطبعة دار ابن كثير، دمشق، ١٩٩٢م.
– شرح ديوان جرير، ضبط معانيه وشروحه وأكملها، إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، ط١، بيروت، ١٩٨٢م.

– صحيح البخاري، ضبطه، د. مصطفى ديب البُغا، ط ٣، مطبعة دار ابن كثير، دمشق ١٩٨٧م.
– طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة (–٨٥١هـ)، تصحيح، د. عبدالعليم خان، ط ١، مطبعة دار الكتب، بيروت، ١٩٨٧م.
– طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي (–٣٧٩هـ)، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، مطبعة دار المعارف، مصر، ١٩٨٤م.
– العَرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ناصيف اليازجي، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٣٠٥هـ.
– الفهرست، للنديم (–٣٨٠هـ)، تحقيق، رضاد تجدُّد، (د. ط)، (د. ت).
– القاموس المحيط، للفيروز آبادي (–٨١٧هـ)، ط ٥، مطبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م.
– قدامة بن جعفر والنقد الأدبي، د. بدوي طبانة، ط ٣، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، ١٩٦٩م.
– كشف الظنون، حاجي خليفة (–١٠٦٧هـ)، مطبعة دار إحياء التراث العربي، لبنان، (د. ت).
– مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر (–٧١١هـ)، تحقيق، روحية النحاس وآخرين مطبعة دار الفكر، دمشق ١٩٨٤م.
– مروج الذهب، للمسعودي (–٣٤٦هـ)، تحقيق، محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٦٥م.
– معجم الأدباء، لياقوت الحمري (–٦٢٦هـ)، تحقيق، إحسان عباس، ط ١، الناشر، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م.
– معجم لسان العرب، لابن منظور (–٧١١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

- معجم المؤلفين، رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت (د. ت).
- معجم المصطلحات البلاغية، الدكتور أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٣م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٦م.
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة، طاش كبري زادة (-٩٦٨هـ)، مطبعة العربي للنشر والتوزيع، القاهرة (د. ت).
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي (-٧٤٨هـ)، تحقيق، علي محمد البجاوي، ط ١، مطبعة دار المعرفة بيروت، ١٩٦٣م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي (٨٧٤هـ)، مطبعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م.
- نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، أبو البركات ابن الأنباري (-٥٧٧هـ)، ط ٣، تحقيق، الدكتور إبراهيم السامرّائي، مطبعة المنار، بيروت، ١٩٨٥م.
- نور القبس المختصر من المقتبس، للمرزباني، اختصار الحافظ اليغموري (-٦٧٣هـ)، تحقيق، رودلف زلهايم، دار النشر، فرانتس شتاينر، فيسبادن، ألمانيا، ١٩٦٤م.
- وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان، لابن خلكان (-٦٨١هـ)، تحقيق، الدكتور إحسان عباس، مطبعة دار الثقافة، بيروت، (د. ت).